



ترجمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مولده : ولد في قرية « قَحِبْ » من قضاء شمويل في جبال داغستان سنة ثمان أو تسع وستين ومائتين وألف (٩-١٢٦٨) للهجرة . (١٨٥٢)م .

أسرته :

١- والده ؛ العالم الجليل الفاضل الحاج محمد القحيّ الهدليّ ، كان رجلاً فاضلاً ، وعالماً تقيّاً عاملاً ، توفِّي حاجّاً إلى بيت الله الحرام ، ودفن هناك في جوار أُمِّنا حواء ، فبقي نزيل الحرم إلى أن يبعث آمناً يوم القيامة .

وترك ولده المُتَرْجَم له صبياً في المهد .

٢- أمّه ؛ وكانت أمّه زَهِيدَة امرأةً عاقلة ، سليمة السريرة ، وافرة العقل .

نشأته : نشأ نشأة طيّبة كريمة ، وأُحيط بأحسن رعاية وخير تربية حين أرضعته أمّه أنقى لِبان حتى بلغ السادسة من عمره ، حيث أرسلته لتعلُّم القرآن الكريم ، فأتمَّ قراءته ثم شرع في تحصيل العلوم الشرعية ، غير أن ضيق ذات اليد حَالَ دون إشباع نَهَمِهِ العلمي .

ولم يبلغ سنَّ الرشد وحدَّ التكليف حتى وجد نفسه بهلواناً[1] ولم يعلم هو نفسه كيف وصلت إليه هذه اللعبة ، ولا كيف تدرَّب عليها ! !

وكان قبل صعوده الحبل يقرأ سلسلة المشائخ النقشبندية .

---

(١) هي لعبة الرقص على الحبل .

تعلّمه وتلقّيه : لم يكن خافياً أنّ علمه وتعلّمه كان فتحاً من الله تعالى ، على الرغم من الأسباب التي بذلها لتحصيل العلم ، والاجتهاد في تتبّعه ، فقد قسم ليله ونهاره بين تحصيل معاشه وتعمير معاده ، وكان يقصد الدرس باكراً مع انبثاق الصباح ليخرج عقبه إلى الرعي بالأجرة على سنن المرسلين ، ومتى عاد انكبَّ على دروسه ومطالعاته ؛ ساهراً ليله ، واصلاً غده بأمسه ، حتى غدا محجَّ العلماء ، ومرجع المتفقّهين ، بل الفقهاء ! . وصار عنده جواب كلِّ مشكل ، وحلُّ كلّ مستعصٍ ؛ فتحاً من الله وعلماً لدنيّاً وفيضاً رحمانيّاً .

تسليكه الروحيّ : رغب أولاً – وبمحض التوفيق الإلهي – الاندراج في سلك الشيخ الجليل ذي الجناحين عبد الرحمن العسلي حين جمعه به أحد تلامذة الشيخ ، فسلكه ولقنه أولا الرابطة والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ والذكر ، ثم منحه الإجازة بالتلقين للمريدين ، لكن المترجم له بقي متهيّباً متأدّباً يترقّى تحت أنظار شيخه إلى أن وصل إلى مراقبة السرّ ، فأذن له إذناً مطلقاً بجمع المريدين ، ولأجل اعتقاده بعدم أهليَّته أخفى إجازته هذه ست سنوات زاهداً في الدنيا ، معرضاً عن المظهر الحسن ، وجمع المريدين ، حتى جدَّد له ذو الجناحين الأمر بتسليك المريدين ، وأمره بمظهر حسن وملبس حسن ، واستخلفه لإرشاد الناس بقوله : **أنت خليفتي ، ويدك يدي ، وقبولك قبولي** . حتى هيَّأ الله لذي الجناحين الحجّ إلى بيت الله فأنابه مكانه وجعله مرشداً كاملاً .

واستمرَّ به الحال هكذا إلى أن انتقل ذو الجناحين إلى دار المقام ، فما كان من المترجَم له إلا أن انضمَّ إلى سلك المربِّي الكبير الشيخ شعيب الباكنيّ القصرخيّ ، فلقَّنه مراقبة (خفي) و(أخفى) وأجاز له بالطريقة النقشبندية العليّة ، وبعد وفاته دخل في تربية قطب الإرشاد سيف الله

القادي فألبسه خلعة علي – رضي الله عنه – سنة ١٣٠٠ .

من كراماته : قصده بعض مريديه في طلب آية منه ، قال : أو لم تؤمن ؟ فأجابه المريد : بلى ولكن ليطمئنّ قلبي . قال : اذهب إلى بيتك تجد امرأة تُجهَّز ، فإذا وضعت في لحدها فاستأذن قريبها ، وارفع واحداً من تلك الاحجار تَرَ آية ، ففعل ، فلما رفع الحجر إذا بالشيخ المترجم جالس عندها ، فخرَّ مغشياً عليه .

ومن كراماته : أنَّ مريداً جاء بفروة يهديها له ، فردَّها ، وبعد إلحاح كبير لم يتراجع الشيخ عن ردِّه ، فتركها المريد وذهب ، فقال لولده بغضب : خذ هذه الفروة واتبع بها صاحبها ، أليس لي عمل إلا حراسة ماشيته ؟ ! فكانت الفروة بقصد حماية الماشية ، كاشف بها صاحبها .

سَمته : كان – رحمه الله – دائري الوجه ، جميل المبسم ، أبيض اللون مشوباً بسواد ، طويل اللحية ، كثيف الشعر ، قويم البدن ، نحيف الجسم ، أنيقاً محبوباً .

خلَّف ولدين أكبرهما : محمد حاجيو ، والثاني القطب الكبير محمد عارف ، وقد قيل في الثاني : إن هذا الولد فاق أباه ، وبلغ رتبة القطبانية .

وفاته : توفِّي رحمه الله سنة خمس أو ست وخمسين وثلاث مائة وألف (٦-١٣٥٥) للهجرة . (١٩٣٧)م . وقد ترك مصنفات تخصّصّية وهي :

١ تنبيه السالكين إلى غرور المتشيّخين عرباً وعجماً منظوماً

٢ تلخيص المعارف في ترغيب محمد عارف

٣ خلاصة الأدب لمن أراد فتح الأبواب عجماً منظوماً

٤ البروج المشيّدة بالنصوص المؤيّدة

٥ السفر الأسنى في الرابطة الحسنى

٦ سراج السعادات في سير السادات

٧ الدرّة البيضاء في ردّ البدع والأهواء

٨ جهد المقلّ في ردّ شطحات المنكر المضلّ

٩ فيض الرحمن في كلام عبد الرحمن

١٠ وسائل المريد في رسائل الأستاذ الفريد

١١ الجوهرة النفيسة في إعانة الطريقة النقشبندية

رحمه الله رحمة واسعةً ، وأسكنه فسيح جنته . والحمد لله رب العالمين .

سلسلة المشائخ للطريقة النقشبندية في داغستان

مُحَمَّد ﷺ ١١

أَبُو بَكْر الصديق ١٣	سَلْمَانُ الفارسي ٣٣	قَاسِمُ بن محمد ١٠٦	جَعْفَرُ الصادق ١٤٨	
طَيْفُور ٢٦١ أبو يزيد البسطامي	أَبُو الحَسَن ٤٢٥ الخرقاني	أَبُو عَلِي الفارمادي	يوسف ٥٣٥ الهمداني	عَبْدُ الخَالِق الغجدواني
عَارِف الريوكيري	مَحْمُود الانجير الفغنوي	عَلِي ٧١٥ الراميتني	مُحَمَّد بَابَا السماسي	سَيِّد أَمِير الْكُلاَلِيّ
مُحَمَّد النَّقْشُبَنْدِيّ ٧٩١ بهاء الدين البخاري	عَلاَء الدِّين ٧٩٥ العطاري	يَعْقُوب ٨٠٢ الچرخي	عُبَيْد الله ٨٩٥ السمرقندي	مُحَمَّد زَاهد ١٠٠٠ الوخشوارِي
دَرْوِيش مُحَمَّد الامكنكي	خَوَاجَكِي ١٠١٠ الإمْكَنَكِي	مُحَمَّد البَاقِي ١٠٢٢	**أَحْمَد الفارق** ١٠٣٤ الإمام الرباني	
مُحَمَّد مَعْصُومْ ١٠٧٩ الفاروقي	سَيْف الدِّينْ ١٠٩٥ الفاروقي	نُور مُحَمَّدْ ١١٣٥ البدواني	حَبِيب الله ١١٩٥ ميرا ازجانجاني	عَبْد الله ١١٧٠ الدهلوي
خَالد شَاه ١٢٣٢ البغدادي	إسْمَاعِيل الكردميرِي	مُحَمَّد صالح ١٢٥٤ الشرواني	إِبْرَاهِيم	يُونُس ١٢٧٧
مَحْمُود أَفَنْدِي ١٢٩٤	جَبْرَائِيل ١٣٠٧ أفندي	عَبْدُ الرَّحْمَن ١٣٠٥ حَاجّ	حَسَن حِلْمِي ١٣٥٦ أفندي	مُحَمَّد يعسوب
حُمَيْدْ أَفَنْدِي ١٣٦١	حُسِنِل مُحَمَّدْ ١٣٩٢ أَفَنْدِي	مُحَمَّد عَارِف ١٣٩٧ أَفَنْدِي	مُحَمَّد سَعْد حَاجّ ١٤١٦ البقلوخي	

عبد الحميد ١٣٩٧ أفندي	حمزة أفندي ١٣٩٧	محمد أفندي ١٤٠٦ الخچدي	سعيد أفندي الچركي

قدس الله أسرارهم ورزقنا من فيوضاتهم . اللهم اجمعنا معهم وارحمنا معهم واحشرنا معهم و ادخلنا معهم في الجنان برحمتك يا أرحم الراحمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أفاض على قلوب أوليائه وأصفيائه أنوار المَعْرفة ، واصطفاهم من بين خلقه بالمواصلة والمشاهدة ، فاستنارت بأنوار علومهم ومعارفهم صدور الخليقة ، وهدى بهم أرباب السلوك إلى معرفة منازل الطريقة ومراتب الحقيقة ، فلولاهم ما سلك أحد من تلك السُبل فِجَاجَهَا[1] ، ولا قوّم سالكوها من ضلع[2] النفوس اعوجاجها ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي يغترف الخاصّ والعامّ من فيض بحره ، ويقتطف الكل من روض مواهبه وأثمار أشجار أسراره ومعارفه ، وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاماً تعدلان صلاة وسلامَ جميع أهل محبّته ، دائمين بدوام ملكه وكلّما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون . آمين .

أما بعد ؛ فيقول العبد المذنب الراجي إلى مغفرة الله سبحانه حسن حلمي ، ولد العالم الحاج محمد القحيّ النقشبنديّ الشاذليّ – سامحه الله تعالى من فرطاته ، وسلك به مسلك أوليائه ؛ آمين – :

قد ورد إليّ أسئلة من طرف العالم القاضي محمد البُرْجِيّ ، فحمدت الله تعالى على وجود مثله في عصري ، وشكرته تعالى على إِلْهَامِه إيّاه أن يسأل تلك المسائل التي كانت متوطّنة في صدري منذ زمان ، لأنها كانت مشكلة لدى كلّ من ليس له نصيب من علم الباطن ، فكانت المسائل تتضمّن مسائل أخرى مشكلة أيضاً لا بدّ من انحلالها والجواب عنها ، فاحتجنا لأجله لجمع كتاب يشتمل على مباحث مستقلّة ، وأجوبة منقولة من كتب متعدّدة ، فلمّا كانت المسائل واردة من رجل برجيّ ، وكانت

---

(١) الفجّ : الطريق الواضح الواسع (هامش الأصل) .

(٢) ضلع : الميل والجنف .

الأجوبة مشيّدة بالنصوص من الكتاب والسنة وآثار السلف والأئمة ، أردت أن أرتّب الكتاب على بُروج ؛ وأن أسمّيه بـ :

« **البروج المشيدة بالنصوص المؤيدة** »

جعله الله تعالى نافعاً للعباد ، ولاجعله سبباً للعناد . آمين .

و قد وقع فيه التكرار في مَوَاضع نادرة ليكون سبباً لفهم الكلام ، أو لوقوع الحاجة ليوافق المرام على مقتضى المقام ، لِما أنّ في كل مَوْضع فائدة مستقلّة ، ولكل مقام حكمة مستبدّة ، ويكفيك ما في القرآن من التكرار كمثل قصص موسى عليه السلام ، وأرجو من كل ناظر أن يصلح ما يراه فيه من الخطأ والتحريف ، ومعلوم أن الإنسان ولو بالغ في التصحيح فقلّ أن يسلم من الخطأ والتصحيف ، ولا ينبغي لمنصف أن يتسارع إلى العتاب إلا بعدَ إِحكام النظر والفكر من أوّل الكتاب إلى آخره ، فإنّي قد حَرَّرْتُ ما فات في مسألة في مَوْضِع آخر مع بيان فائدة زائدة ، ومَنْ رأى فيه خللاً أو أشكل منه شيئاً ! فأسْأله بالله سبحانه أن يراجع به لديّ ما دمت حيّاً لأُوضح له العبارة وأحلّ له المشكلة ، فإن صاحب الكلام أعلم بمراده من غيره ، وقد بَيَّنت فيه مآخذ ونقولاً في كل جواب مع وضع تاريخ الصحيفة مما عندي من الكتب ، وإن وجدتَ فيه موضعاً ذكرت فيه قولاً مّا من عند نفسي فاعلم أن غالب كلامي مقتبس من كلام السادات ، ومنتخب من شِعاع نور الشريعة والطريقة ، نقلته بالمعنى ، لِما أني نسيت لفظه ولم أتذكّر في الحال موضعه ، وإن كان المعنى راسخاً في القلب ومحفوظاً فيه ، وذلك ليس إلاّ نادراً كما ستراه إن شاء الله تعالى .

ثم اعلم أنّ تدوين الكتاب – وإن وقع السائل لذلك سَبَباً أوّلاً – لكن قد ذكرت فيه أشياء مهمّة لا بدّ لسالكي طريق القوم من رعايتها والعمل بها ، وغالب ما فيه كالسلَّم لهم للارتقاء إلى سطوح المعارف ، والمرجوُّ

منهم أن يدعوا لهذا المفلس بالمغفرة والوقوف على حدّ الاستقامة ، والله وليُّ التوفيق ، وله الحمد على كل حال وفي كل حين ، ومنه نطلب العون للدخول في دائرة التحقيق .

وقد بنيتُ الكتاب على هذه البروج الآتية :

البرْج الأول : في جواب مسألة : لأَزَمَ واحدٌ عبادةَ الله تعالى جُمعةً وجماعةً ، ذكراً وتلاوةً ، واتخذ من عند نفسه ورداً صباحاً ومساءً ولم يأخذه من شيخ ، فهل يكون سعيه عبثاً ؟ وما يقوله أهل التصوّف : مِن أنّ كل مَن لم يتخذ شيخاً فشيخه الشيطان ، فيحبط عمله وسعيه عبث ، أهو حق أم لا ؟ فإن كان حقاً فما معنى قوله تعالى ﴿**إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ**﴾ ؟ وقوله تعالى ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ**﴾ الآية ؟

البرْج الثاني : في جواب مسألة ذلك السائل بقوله : فحين إرادة الله تعالى جزاء عمل العبد خيره وشره ، ولو مثقال ذرة ، فما معنى تخصيص إحباط العمل بمن ليس له شيخ ؟ !

البرْج الثالث : في جواب مسألة : هل يكون الفرق بين من له شيخ وبين غيره في الخوف من سوء الخاتمة ؟

البرْج الرابع : في بيان درجات شوائب الرياء ، والآفات المكدرة للإخلاص .

البرْج الخامس : في بيان وجوب اتخاذ الشيخ على كل من ليس له قلب سليم .

البرْج السادس : في بيان أن الصحابة - رضي الله عنهم - هم السادات القادات ، وأنهم هم النجوم ومن اقتدى بهم اهتدى ، ومن خرج عن سبيلهم ارتدى ، وأنَّ ما وقع بينهم إنما وقع بالاجتهاد ، لا حِقداً ولا

حسداً ، ولا حبّاً للرياسة وعلوِّ الدرجة .

البرْج السابع : في بيان ما ورد في التلقين وما يترتّب عليه من الفوائد المهمة .

البرْج الثامن : في بيان أفضليّة علماء الباطن على غيرهم .

البرْج التاسع : في بيان كون الشريعة والحقيقة عين الآخر ، ووجوب تعلُّم العلم الباطني ، وبيان من يقول به .

البرْج العاشر : في بيان غرور علماء الظاهر .

البرج الحادي عشر : في بيان جواب مسألة السائل : بأن المريدين يزعمون بعضهم بعضاً ، وينكرون شيخ بعضِهم ، ويكون بينهم التحاسد والتعارض ، والحقد والسبُّ والاستهزاء ، فإذا كان الأمر كذلك ، يغلب على الظن فما فائدة اتخاذ الشيخ ؟ فلم أَرَ أستاذاً أو مريداً لا يهجو آخرَ !

البرْج الثاني عشر : في بيان عدم وقوع التنازع والإنكار بين الصادقَيْن من المشائخ ، وبيان أن ترك الإرشاد بعد التأهُّل والإذن عصيان .

البرْج الثالث عشر : في جواب مسألة حاصلةُ هذا : وكان أبو الحسن الشاذلي يقول : من الشرك اتخاذ الأولياء شفعاء من دون الله . انتهى . وكان يقول أيضاً : من سوء الظن بالله أن يستنصر بغير الله من الخلق . فإذا كان الأمر هكذا ! فماذا يطلبه المريد من أستاذه ؟ وما فائدة الاتخاذ ؟

البرْج الرابع عشر : في بيان جواز التوسُّل بالأنبياء والأولياء .

البرْج الخامس عشر : في بيان أن الإنكار على الصوفية سمٌّ قاتل .

البرْج السادس عشر : في بيان الطرق المشهورة في الديار الداغستانية وذكرها بالإجمال .

البرْج السابع عشر : في ذكر أوصاف الشيخ ، وعدم جواز كون المجذوب المجرَّد مرشداً .

البرْج الثامن عشر : في بيان أنّ الشيخ الكامل في قومه كالنبي في أمّته ، وأنّ متابعته كمتابعته ، لكونه نائباً عنه ﷺ ، وبيان أن محبة الشيخ يجب أن تكون لله لا لغرض سواه .

البرْج التاسع عشر : في بيان مذمَّة علماء السوء الذين هم في أسر محبة الدنيا ، ومدح العلماء الزهَّاد الذين يرغبون عن الدنيا .

البرْج العشرون : في ذكر مجاهدة النفس والهوى وترك الشهوات .

البرْج الحادي والعشرون : في ذكر معاتبة النفس وتوبيخها .

خاتمة : في ذكر أدعية منقولة من كتب الأئمة الصوفية .

تذنيب : في ذكر مكفرات الذنوب ، والأحزاب النافعة لتفريج الكروب ، وذكر سندها وسند أشياخنا في العلوم الظاهرة والباطنة .

فها أنا ذكرت البروج المذكورة بالتفصيل مع الأجوبة لكل مسألة ، مؤيدة بالمآخذ الصحيحة والأقوال الصريحة من كتب الأئمة فقلت حامداً الله تعالى :

البرج الأول

في جواب مسألة : لازَمَ واحدٌ عبادةَ الله تعالى جمعةً وجماعةً ، ذكراً وتلاوةً ، واتخذ من عند نفسه ورداً صباحاً ومساءً ولم يأخذه من شيخ ، فهل يكون سعيه عبثاً ؟ وما يقوله أهل التصوّف من أنّ كل من لم يتَّخذ له شيخاً فشيخه الشيطان فيَحْبطُ عمله ، وسعيه عبثٌ ، أهو حق أم لا ؟ فإن كان حقّاً ! فما معنى قوله تعالى ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ وقوله تعالى ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾ الآية ؟!

فنقول وبالله التوفيق ، ومنه نستعين وبه نستمدّ ، وباسمه نَتَبَرَّك ، وله الحمد والمِنَّة :

إنّ مَن أخلص في ذكره وعبادته لا يكون سعيه عبثاً ؛ وإن لم يأخذه من شيخ ، بَيْدَ أن السالك بنفسه لا يهتدي كثيراً إلى إخلاص العمل من الشوائب المحبطة له ، بل يرى أنه أحق بالثواب بعمله وينجو به من عقابه ، و ينسى غالباً فضل الله ورحمته ، ولا يعلم المسكين أنّ كثيراً من أعماله يكون سبباً للعقاب ! لرؤيته عملَهُ وأنّه مخلص فيه ، وإعجابه بما عمله وشهوده أنه خير ممن لايعمل ، والحال أن بعض العارفين قد قال : **من رأى في إخلاصه إخلاصاً يحتاج إخلاصه إلى إخلاص** . كما سيأتي .

ثواب الأعمال بالنِّيَّات لا بمجرد الأعمال

ومن المعلوم أن ترتّب الثواب على العمل منوطٌ بالإخلاص فيه ، و« **إنما الأعمال بالنيات** » كما ورد ؛ أي : إنما ثواب الأعمال بالنيات ، لا بمجرد الأعمال ! وأن مقصود أهل الله لا يكون إلا العبودية المحضة ، وطلب الثواب عندهم كعبادة الأصنام الحسيَّة على حد سواء ، كما ذكره

الشعراني في « لطائف المنن » و« لواقح الأنوار » . **فحسنات الأبرار سيئات المقرّبين** . انتهى .

والسالك الذي سلك في طريق الذكر والرياضة بنفسه قد لا يتنبّه إلى دقائق الرياء ؛ فإنه أخفى من دبيب النمل في الليلة الظلماء ، ويقع في المهالك أحياناً ، ويكون له في كل مقام من مقامات السالكين عمل خاص بذلك المقام لا يجوز له الانتقال إلى غيره ، وإن انتقل يحصل له التنزّل وينقطع عن التّرقي ، و« الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدمّ » ، كما ورد ، فيجتهدُ في إغواء العبد وإضلاله ويكون نفسه الأمارة مُعِينة له ، فيُرِي القبيح حسنا فيعمله ، والحسن قبيحاً فيمنعه منه بإلقاء الوساوس ، فحينئذ يبقى بلا وصول ويجرّه الشيطان إلى سبيله ؛ فيكون شيخاً له يتصرّف فيه كيف يشاء ، ويركب عنقه كما يركب الحمار .

وقد قيل : **الرياضة بلا شيخ لا تورث إلا الوسوسة والجزبرة** .

وفي « الفجر المنير » : وكان ؛ يعني : أحمد الرفاعي رضي الله عنه يقول : من طلب الطريق بنفسه تاه في أول قدم . انتهى ٢١ .

وفي « الإحياء » : فكذلك المريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدى به لا محالة ليهديه إلى سواء السبيل ، فإنّ سبيل الدين غامض ، وسُبل الشيطان كثيرة ظاهرة ، فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طرقه لا محالة ، فمن سلك سبل البوادي المهلكة بغير خفير[١] فقد خطر[٢] بنفسه وأهلكها . انتهى ٨١ ج٣ . وما قيل : من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان ! ! حق ثابت في كتب أهل التصوّف ؛ كـ« رسالة » الإمام القشيري و« الإتحاف

---

(١) الخفير : المجير ، وخفرت الرجل : حميته وأجرته من طالبه . « مصباح » . (هامش الأصل) .

(٢) الخطر : الإشراف على الهلاك . « مصباح » (هامش الأصل) .

شرح الإحياء » وغيرهما .

وعلّة إحباط عمل من ليس له شيخ ! عدم خلوصه غالباً من شوائب المحبطات التي هي سبل الشيطان وطرقه ، **والعمل الذي لا إخلاص فيه لا يكون حسناً يثاب عليه** . وسيأتي في البرج الثاني ما يؤيّده ، ومعلوم مشهور أن سلوك الطريق لا يكون إلا بالذكر وتكراره ، كما هو مذكور في الكتب .

وقد قال صاحب « رماح حزب الرحيم » : إن الذكر المعتبر عند أهل الله تعالى - الذي يكون به الفتح والوصول إلى الله تعالى - هو المأخوذ بالإذن والتلقين من شيخ وارث واصل مرشد ؛ تتصل صحبته وطريقته بالحضرة النبوية ، لا ما يأخذه الإنسان بنفسه ! انتهى فراجعه في الفصل السابع والعشرين في ١٨٠ ج١ .

وقال قدس سره بعد ذلك : **اعلم أن الذكر المأخوذ عن غير شيخ ، أو عن شيخ غير مفتوح عليه عارفٍ ، هلاكُ صاحبه أقربُ من سلامته ،** لاسيّما أسماء الله تعالى .

قال الشيخ أحمد بن المبارك : وسمعته - يعني : عبد العزيز رضي الله تعالى عنه - يتكلم على الذين يذكرون أسماء الله تعالى في أورادهم ؛ فقال رضي الله عنه : إن أخذوها عن شيخ عارف لم تضرّهم ، وإن أخذوها عن غير عارف ضرَّتهم ، فقلت : فما السبب في ذلك ؟ قال رضي الله تعالى عنه : الأسماء الحسنى لها أنوار من أنوار الحق سبحانه ، فإذا أردتَ أن تذكر الاسم فإن كان مع الاسم نوره الذي يَحْجبُ من الشيطان وأنت تذكره ! لم يضرَّك ، وإن لم يكن مع الاسم نوره الذي يحجب من الشيطان ! حضر الشيطان وتسبّب في ضرر العبد ، والشيخ إذا كان عارفاً وهو في حضرة الحق دائماً وأراد أن يعطي اسماً من أسماء الله تعالى الحسنى أعطاه

ذلك الاسم مع النور الذي يحجبه ، فيذكره المريد ولا يضرّ . **ثم النفع** به على النية التي أعطاه الشيخ ذلك الاسم بها ، فإن أعطاه بنية إدراك الدنيا أدركها ، أو بنية إدراك الآخرة أدركها ، أو بنية معرفة الله تعالى أدركها ، وأمّا إن كان الشيخ الذي يلقّن الاسم مَحْجُوباً ! فإنه يعطي مجرد الاسم من غير نور حاجب فيها ، فيُهلك المريد ، نسأل الله تعالى السلامة . انتهى .

وقال شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنّا به : فعلى العبد ملازمتها ، أي : الأحكام التكليفية المتفرقة في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والدؤوب على ما يقدر عليه منها ؛ بدوام معانقة الذكر معها ، ونعني بالذكر : الذي يكون بتلقين شيخ واصل ؛ لا الذي يأخذه العبد باختياره ! مع دوام الاستناد بالقلب إلى شيخ واصل ، فإن بدوامه على هذه الأمور يصل العبد إلى أن يَنَالَه السر الرباني بسببه يصل إلى التطهير الأكبر المذكور أوّلاً ، الذي هو غاية الغايات ومنتهى الرغبات ؛ المعبر عنه في الإشارة عن الله تعالى يقال عنه : **من كشفت له عن صفاتي ألزمته الأدب** ، **ومن كشفت له عن ذاتي ألزمته العطب** ؛ وهذا العطب هو غاية منتهى الأَرَب ومنتهى مطلب العبد ، فإن هذا العطب هو محل الاستهلاك في الحق ، حيث يسلُبُ العبد من أوصافه البشرية ، ويلبس خلعة الاتصاف بالأوصاف الربانية . انتهى ما أردنا نقله من كلامه رضي الله تعالى عنه وعنا به . وقال في « تحفة الإخوان والخلان » **الخامس** - يعني : من أصول التقوى الحقيقية - دوام الذكر الذي لقّنه له شيخه لا يتجاوزه إلى غيره إلا بإذنه ، إلا الأوراد المخصوصة بطريق شيخه .

ثم قال بعد كلام : ومنها - أي : من الآداب التي تطلب من المريد في حق الشيخ -ملازمته الورد الذي رتّبه ، **فإن مدد الشيخ في ورده الذي رتبه** ، **فمن تخلف عنه فقد حَرم المدد** ، وهيهات أن يصحّ في الطريق ! !

ثم قال بعد كلام : ومنها - يعني : ومن الآداب التي تتعلق بالمريد

في نفسه - أن يأخذ بالأجود في العبادة ، **لا ينتظر[1] بذكره وعبادته ثواباً ولا فتحاً ، وإنما يعبد الله تعالى إلى أن قال : لكنه لا يشتغل إلا بأوراد الطريق وما أذن له فيه الشيخ** . انتهى .

وقال السيّد محمد الغوث رضي الله تعالى عنه في « جواهره » : فذكر العامة : كلمة الشهادة أو غيرها من التسبيحات ، **والذكر الخاص : مما يكون بتلقين شيخ مرشد ؛ عارف بأَدْواء[2] النفوس ، يكون أقوى في إزالة الحجب عند الملازمة عن قلب حاضر** . انتهى .

وقال في كتاب « التطورات » : **اعلم أن الصدر** مملو[3] ومحشوّ بالأخلاق الظلمانية التي تظهر بها من بني آدم الآثار الخبيثة ، **فلا بدَّ له أن يزكي صدره بأخذ التلقين من الشيخ الكامل** حتى يدخل في طور[4] القلب الذي هو مستعدّ للتزين بالأخلاق الحميدة والأنوار المشروحة بحسب الاستعداد ، وإليه أشار رب العزة بقوله ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا** ﴾ ومن دخل فيه بالخلاء[5] عن الأخلاق الذميمة بواسطة التوحيد الجهري يرى شجرة التوحيد نوراً مملوءاً بأغصان الأثمار في العَالَم الإنساني بحَسَب الاستعداد ، ثم يرى السماء مصفًّى أو مملوءاً بالنجوم ، والقمر صافياً عن السحاب المعنوي ، ويرى البساتين والجبال مع العيون وغير ذلك ، فلا بد للسالك في وقت الطلب أن يتقي الله تعالى بالتجرد عن الأخلاق الذميمة حتى يتزين قلبه بهذه المذكورات من أنوار ذاته الغيبية ، ويفني بعض أفعاله في نور أفعال الله تعالى ، فيظهر منه آثار الأخلاق الحميدة كالتسليم

---

(١) في نسخة : فلا ينتظر .
(٢) جمع داء .
(٣) في نسخة : مملوء .
(٤) الطور مثل ثوب : الحال والهيئة (ص) (هامش الأصل) .
(٥) أي : البراءة . (هامش الأصل) .

والتفويض وغيرها[1] في طريقه بالنظر إلى بعض المشارب ، ويرى بنظره وتوجهه إلى مِرْآته ماذا كسب من الاستعداد إلى القيامة الوسطى ، أعني : فناء صفاته في نور صفات الله تعالى بل إلى القيامة الكبرى ؛ وهي : الفناء في الله بحسب الاستعداد ، وإليه أشار حبيب[2] رب العزة بقوله ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ** ﴾ واعلم أن هذا النداء للمؤمنين الطالبين ؛ الدّاخلين في طريق الله تعالى لأجل مشاهدة أنوار الأفعال والصفات وغيرهما بأخذ التلقين من الشيخ المأذون ، إلى أن ينتهي إلى محمد ﷺ . انتهى .

وقال في « الخلاصة المرضية » : قال الشيخ جبريل الخرماباذي رحمه الله تعالى : وههنا أصل أصيل يجب رعايته ، **فإن الذكر بدون رعايته لا يوصل إلى المقصود ؛ وإن كان لا يخلو عن فائدة** ؛ وهو أن يكون تلقين الذكر من شيخ مرشد تتصل صحبته وطريقته بالحضرة النبوية ، **فإن الذكر بدون التلقين مثل النِشَاب**[3] **الذي يشترى من صانعه ، ومثل الذكر الذي يكون بتلقين مثل النِشَاب الذي يؤخذ من السلطان ، فإنهما وإن تساويا في النشابيّة ودفع الخصم ؛ ولكن أين نشاب النبال**[4] **من نشاب السلطان في الناس والوقع وحماية صاحبه وولايته وكل من يتعلق به! والله تعالى أعلم** . انتهى .

---

(١) لعله غيرهما (هامش الأصل) .

(٢) أشكل لدي قوله رحمه الله : (وإليه أشار حبيب رب العزة) فمن أزال ذلك فرحم الله عليه . اجعل الإضافة بيانية أو لامية بإرجاع الضمير إلى المضاف إليه أو بجعل الفعيل بمعنى الفاعل ، يرتفع (للكاتب نجل ابن القحي) .

(٣) أي السهام . (قاموس) .

(٤) والنبال بالتشديد الذي يعمل النبل والنبل السهم (هامش الأصل) .

فائدة التلقين

وقال الشيخ أحمد بن المبارك في « الإبريز » : إن شيخه عبد العزيز بن مسعود الدباغ رضي الله عنه سئل وهو حاضر عن فائدة تلقين الورد الذي يعطيه الأشياخ ؟ فقال رضي الله تعالى عنه للسائل : تسألني عن الصادقين ، أو عن الكاذبين ؟ فقال : عن الصادقين . فقال رضي الله تعالى عنه : **فائدته** أنّ الله تعالى حفظ على هذه الأمة دينها بهذه الشريعة المطهرة التي إذا فعلت في الظاهر حفظت الإيمان في الباطن ، وأن الشيخ الصادق معمور الباطن بالمشاهدة مع الحق سبحانه حتى أن المريد إذا قال : لا إله إلا الله ، قبل أن يلقى الشيخ الكامل يقولها بلسانه وقلبه غافل ، والشيخ يقولها بالباطن لعظيم مشاهدته للحق تعالى ، فإذا لقن المريد ! صارت[1] حالته في المريد ، فلا يزال يترقى إلى أن يبلغ مقام الشيخ ؛ إن قدر الله تعالى له ذلك ، ثم ضرب مثلا بالحكاية الشهيرة[2] في دواء ولد الملك بترك اللحم .

حكاية عجيبة في دواء ولد الملك بترك اللحم

فقد وقعت لملك له ولد عزيز عليه ، ثم نزل به ضرر عظيم ، فجمع الأطباء لدواء ولده وتوعّدهم بوعد[3] شديد إن لم يبرئوا ولده ، فاتفق الأطباء على أنّ دواء ولده في عدم أكل اللحم ، فذكروا ذلك للولد فأبى عليه وقال : لا أترك اللحم ولو خرجت روحي في هذه الساعة ! فحار الأطباء ودَهِشُوا في أمرهم ، ونزل بهم ما لا يطيقونه ، حيث امتنع الولد من اتباع سبب الشفاء . وألحّوا عليه المرة بعد المرة ، فلم يزده ذلك إلا نفوراً ، فذهب رجل منهم واغتسل وتضرّع إلى الله تعالى ، ونوى أن

---

(١) لعله سَرَتْ (هامش الأصل) .

(٢) في نسخة : المشهورة .

(٣) الوعد بمعني الوعيد (قاموس) .

لا يأكل اللحم ما دام المريض لا يأكله ، ثم جاء إلى المريض فقال له : لا تأكل اللحم . فامتثل أمره ، وسمع قوله ، وبرئ لحينه ، فتعجّب بقية الأطباء من ذلك ! فأخبرهم بما فعل .

قال رضي الله تعالى عنه : وأيضاً **فإن أهل العرفان من أولياء الله تعالى إذا نظروا إلى ذوات المحجوبين فرأوا ذاتاً طاهرة قابلة لحمل سرّهم مطيقة له؛ فإنهم لا يزالون معها** بالتربية بتلقين الذكر وغيره ، ويكون هذا المطيق للسر هو مقصود الشيخ لا غير ، فإذا جاء إلى الشيخ غيره ممن ليس بمطيق وطلب منه التلقين فإنه لا يمتنع ، لأنه لا يقطع[1] على أحد ،

صفة لواء الحمد

فلذا تجد الشيوخ يلقّنون كل أحد ؛ مطيقا كان[2] أم لا ، مع فائدة أخرى تظهر في الآخرة ؛ وذلك **أنه ﷺ يكون بيده يوم القيامة لواء الحمد وهو نور الإيمان** . انتهى .

قال الإمام أبو الحسن علي الصعيدي العدوي في « حاشيته على الخرشي » : ذكر ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن عبد الله بن سلام سأل رسول الله ﷺ عن صفة لواء الحمد ! فقال : « طوله ألف سنة وستمائة سنة ، من ياقوتة حمراء ، وقضيبه من فضة بيضاء ، وزُجّه[3] من زُمُرُّدَةٍ[4] خضراء ، له ثلاث ذوائب ؛ ذُؤابة بالمشرق ، وذؤابة بالمغرب ، وذؤابة

---

(١) **مهم** : يندفع به تعريض من يعيب على المرشد بتلقين الطريقة المسيئ من السراق والخ (القاض حبيب الله) .

(٢) ويأتي مزيد بيان في حق هذا .

(٣) الزج - بالضم - : الحديدة التي في أسفل الرمح ، وجمعه زجاج ، « مصباح » . (هامش الأصل) .

(٤) عبارة المدابغي وزجه من زمرد خضراء ، والسلام .

وسط الدنيا ، مكتوب عليه ثلاثة أسطر : الأول بسم الله الرحمن الرحيم ، والثاني : الحمد لله رب العالمين ، والثالث لا إله إلا الله محمد رسول الله ، طول كل سَطْر مسيرة ألف عام » قال صدقت يا محمد . ذكره الشهاب في « شرح الشفاء » . انتهى .

للأولياء ألوية وأتباع

ثم قال الشيخ عبد العزيز بن مسعود : وجميع الخلائق خلفه من أمّته ومن غير أمته مع سائر الأنبياء ، وتكون كل أمة تحت لواء نبيها ، ولواء نبيها يستمدّ من لواء النبي ﷺ ، وهم مع أممهم على أحد كتفيه وأمته المطهرة على الكتف الآخر ، وفيها الأولياء بعدد الأنبياء ، ولهم ألوية مثل ما للأنبياء ، ولهم من الأتباع مثل ما للأنبياء ، ويستمدون من النبي ﷺ ، ويستمد أتباعهم منهم كحال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فالمريد إذا لم يكن مطيقاً فإنه[1] ينتفع في الآخرة بشيخه الذي لقنه ، قال رضي الله تعالى عنه : ولا ينتفع منه بمجرد التلقين فقط ومطلق تلفظه بالذكر حتى يتعلم منه كيفية الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله ، وينتفع منه بعض النفع في الباطن . انتهى .

قال القطب الأعظم أحمد ضياء الدين في « جامع الأصول » : إنّ السالك مبتلى بنفسه ، فإذا عمل وحده ! ربما ظفر منه الشيطان بخيالات وأوهام ، وعقائد فاسدة ، وأفكار كاسدة ، وكسل ومكر ، وحيل وزندقة واستدراج وغيرها ؛ ويوهمه أن ذلك من الأحوال والأصول وهو لا يدري ، لا سيّما المبتدئ ! فإنه يشوّش عليه هذه الحالة ، فلا بد من شيخ بشروطه السابقة لينجو من هذه الورطة وعقبات الطريق وتوقّفه .

وأما التلقين وسنده ! فلما كانت الصحبة من لوازمه وشروطه ،

---

(١) مهبّ لأمثالي الحمد لله (حبيب الله) .

وكان الانتساب إلى شيخ إنما يحصل بالتلقين والتعليم من شيخ مأذون إجازته صحيحة مستندة إلى شيخ صاحب طريق وهو إلى النبي عليه السلام ، وكان الذكر لا يفيد فائدة تامة إلا بالتلقين والإذن ، بل جعله الأكثر شرطاً ، **وكان الشيخ في الدين مقدّم النسب على الأب في الطين** كما قال بعضهم :

نسب أقرب في شـــرع الهـــوى   بيننـــا مـــن نســـب مـــن أَبَوَي

مطلب : لا بد له من مرشد حسي أو معنوي

وكان السالك لا بد له من مرشد حسي كالشيخ ، أو معنوي كالإلهام وحسن التفقه في الكتاب والسنة وإجماع الأمة ، مع التيقظ والاعتبار والتفكر بمساعدة التوفيق ، واللطف والعناية ، أو يغنيه الله تعالى عن ذلك كله بمنح من فضله ، وجذبة بها يصل من غير مشقة ، وجب ذكر الأسانيد في كل طرق إلى الرسول عليه السلام .

واعلم أنّ من لا يعرف آباءه وأجداده في الطريق فهو مطرود ، وكلامه دعوى غير مقبولة ؛ وربما انتسب إلى غير أبيه ، لعن الله من انتسب إلى غير أبيه ، **وقد أجمع السلف كلهم على أن من لم يصح له نسب القوم ، ولا أذن في أن يجلس للناس ، لا يجوز له التصدر إلى إرشاد الناس** ، ولا أن يأخذ عليهم عهداً ، ولا أن يلقِّنهم ذكراً ولا شيئاً من الطريق ، إذ السر في التلقين إنما هو ارتباط القلوب بعضها ببعض إلى الرسول عليه السلام إلى حضرة الحق جل جلاله ، فمن لم يدخل سلسلة القوم فهو غير معدود منهم . انتهى ٢١ .

وقد نرى الخيط الممدود الحسي ، والحديد المسلسل المُسَمَّى بلغتنا بـ(تِلْ) كيف يسمع النداء إذا تكلم بوضع الفم عنده من بعيد ،

وهكذا يكون أمر المريد إذا أخذ الورد من الشيخ ! يحصل بين قلبه وقلبه خط نوراني[١] إلى قلب رسول الله ﷺ فيحصل منه المدد ، وأما إذا ترك المريد ذلك الورد ! ينقطع المدد ، كما ينقطع الخبر إذا انقطع خيط (التِّيل) المحسوس ، وبطل استعداده ، وانقطع عليه الطريق ورجع القهقرى ؛ فقد قال صاحب « غرائب القرآن » ما نصه : فإن الإنسان كالبيضة المستعدة لقبول تصرف دجاجة الولاية فيه وخروج الفرخ فيها ، فما لم تتصرف فيها الدجاجة يكون استعداده باقياً ، فإذا تصرف الدجاجة فيها وانقطع تصرفها عنها بإفساد البيضة ! فلا ينفعها التصرفت بعد ذلك لفساد الاستعداد ؛ ولذا قالت المشائخ : **مرتد الطريقة شر من مرتد الشريعة** . انتهى . فراجعه من سورة المؤمنين .

وفي « الصاوي » ما حاصله : من زلّ به القدم في عهد شيخه فنقضه ؛ فإنه مطرود عن طريقه ، ومتى طرد عن طريقه فقد سُلِبَ ما وهبه الله تعالى من النور الإلهي ، فلا يرجى به الفتح في طريقة أخرى ، **لأن غاية الطرق واحدة** ، وهو قد طرد عن الغاية . انتهى فراجعه في سورة النحل .

مهمات لمن نقض عهد شيخه

وفيه أيضا : فالشيخ المتمسك بشرع رسول الله ﷺ القائم بحقوق الله وحقوق عباده إذا أخذ العهد بذلك على إنسان وجب عليه اتباعه ، ونقض عهده إما كفر ! إذا قصد نقض ما هو عليه من التوحيد وغيره ، أو ضلال مبين ! إذا قصد عدم الالتزام بأوراده[٢] . وأما من خالف الشرع واتبع هوى نفسه ! فالواجب نقض عهده ، لأنّ من لا عهد له مع الله لا عهد له مع

(١) أي بواسطة سلسلة قلوب المشائخ . فافهم ! (منه) . (هامش الأصل) .

(٢) فلا بد للمريد الصادق أن يوافق شيخه في الشريعة والطريقة ، فإن موافقته كموافقة النبي ﷺ . كذا ذكره أحمد الزركراني في « رسالته » . فراجعه قبيل الفصل الثالث . (منه رحم الله إفلاسه) .

خلقه . انتهى . فراجعه .

وقد أوردنا طرفاً من هذا القبيل في تأليفاتنا ، واكتفينا هنا بهذا القدر اليسير استطراداً ، فينبغي للمريد أن يلازم على ما أمره به شيخه ، **فإن حفظ العهد والاشتغال بالورد إقبال على الله تعالى ، ونقضه وترك الورد**[١] **إعراض عنه ، ومن أعرض عن الله أعرض الله عنه** ، والعياذ بالله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . فافهم ! فإنه مهم لمن له اهتمام .

وفي شرح « تائية السلوك » : من شرط الذكر النافع أن يأخذه المريد بالتلقين من أهل الذكر كما أخذ الصحابة رضي الله تعالى عنهم من رسول الله ﷺ . انتهى ٦٢ .

وفيه : ومن لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه ، لأن النفس التي هي مريدة الشيطان كثيرة التلبيس عظيمة التدليس ، توهم العبد أنه صادق ؛ وهو كاذب ، وأنه مُوفٍ بعهده وهو نَاكِثٌ[٢] ، وأنه زاهد وهو راغب ، وإنما يعرف ذلك من نفسه بتنبيه شيخ يلقي إليه قياده ، أو فقيه يستفتيه في سائر أموره ؛ أو صاحب ناصح ، فالشيخ أوّل[٣] دليل ، وعليه عند القوم التعويل ، فمن استضاء به اهتدى ، ومن ضلّ عنه ارتدى ؛ على حد ما قيل :

مَنْ لَمْ يَكُنْ خَلْفَ الدَّلِيلِ مَسِيرُهُ ... كَثُرَتْ عَلَيْهِ طَرَائِقُ الأَوْهَامِ

---

(١) فالمقبل إلى الله تعالى ، يقبل إليه والدليل قوله تعالى ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ ، ومن أعرض عنه تعالى يعرض عنه وقوله تعالى ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ﴾ ، شاهد عادلٌ على ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله (منه رحمه الله تعالى) .

(٢) وفي نسخة : ناكسٌ .

(٣) في نسخة : أدلّ .

وقال آخر :

لا تسلكنَّ طريقاً لستَ تعرفها بلا دليل فتهوي في مهاويها

فلا بدّ للمريد من شيخ كامل يقتدي بآثاره ، ويهتدي بهديه وأنواره ، فإنه واسطة الخير ، والوسيلة إلى المنع من الضير . انتهى ٥٩ .

وفي « الصاوي شرح الجلال » : ما نصه : فلا بدّ فيها – يعني : في الأذكار – من الشيخ العارف ، وإلاّ ! دخلها الشيطان ولم ينتفع صاحبها . انتهى راجعه من سورة الأحزاب .

وفيه أيضاً : فالذكر أفضل الأعمال ، وهو المقصود من تلاوة القرآن ومن الصلاة ، ولذلك ورد عن الجنيد أنه كان يأتيه العصاة يريدون التوبة فيلقنهم الذكر ، ويأمرهم بالإكثار منه ، فتنّور قلوبهم . فراجعه .

نفي الخواطر خير من مطالعة الكتب

وفي « الفتاوى العمرية » : إن قلت : إني لا أتخذ شيخاً ، بل أطالع كتب الشرع والتصوف ، وأتعلم غوائل النفس وأمراض القلب وعلاجها . **قلت : نعم ، ولكن اشتغالك بالذكر والفكر ونفي الخواطر ساعة خير لك من اشتغالك بمطالعة الكتب سنين عديدة .**

قال حضرة خواجه شاه نقشبند قدس سره الأمجد : **أقرب الطرق إلى الله عندنا نفي الوجود ، وإن كان الصلاة والصيام طريقاً إلى الوصول إلى الله تعالى!** لكن لا يتمّ الوصول إلا بنفي الوجود ، وقد قيل : **وجودك ذنب لا يقاس عليه ذنب آخر** . فلذلك كان السالك يجد من المدد في الظاهر ما لا يجده في الصوم والصلاة ، **فلا تلتفت أيها السالك إلى سائر أورادك ما عدا الفرائض والواجبات والرواتب** ، واجتهد لقطع علائق القلب والفناء إن كنت تريد الوصول إلى المقصود .

وقال أبو يزيد البسطامي قدس الله سره السامي : **جلسة خير من ألف حجة** ؛ أي الجلوس ساعة **متفكراً في عظمة الله تعالى ، منقطعاً عن سائر الخواطر ، خير من ألف حجة في غفلة** ، لأنه ربما يصل الأول إلى الله تعالى في لحظة بسبب التفكر ، **وأما الأخير ؛ فكالحمار يحمل أسفارا**[1] **يذهب إلى الحج ويرجع** ، ولا يتفكر في شيء من عظمة الله تعالى ووعده ووعيده ، ولا يتخلص عن الأخلاق الذميمة .

إن قلت : فهل لا يمكن الذكر والفكر بلا اتخاذ شيخ وأستاذ ؟

التسليم للشيخ تسليم لله

قلت : نعم ، يمكن إن تعلّمت آدابه وأركانه وأصوله ، ولكن لا تقطع المسافة الروحانية ! كمثل مُرْكَب الرحى يظن أنّه قطع بسيره ومروره مسافة كثيرة مع أنه يدور دائماً حول دائرة الرحى وعيناه مستورتان ، فبركة اليد الصحيحة كثيرة ، ونفع صاحب النسبة وَفِيرَةٌ[2] فلا بد لطالب النجاة ومريد الفوز والسعادة أن يتمسّك بأذيال المشائخ من أهل الطريق ، لقد فاز مَن كان له شيخ يرشده ، وخسِر مَن لم يتخذ له شيخاً ، فلا بُدَّ للطالب من شيخ أديب كامل وأستاذ حاذق ؛ يبصره بعيوب نفسه ، وآفات النفوس ، وفساد الأعمال ، ومداخل العدو ، وينصحه نصيحة الأب بلا غرض ولا عوض ، فإذا وجد مثل هذا فليلازمه وليصحبه وليتأدّب بآدابه ، ليسري من باطنه إلى باطنه حال قوي ؛ كسراج يقتبس من سراج ، ولينسلخ من إرادة نفسه بالكلية ، فإن التسليم له تسليم لله ولرسوله ، لأن سلسلة التسليم ينتهي إلى رسول الله تعالى وإلى الله على مقتضى : ﴿ **مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ** ﴾ « روح البيان » انتهى .

---

(١) أي كتباً في عدم انتفاعه بها .

(٢) ورأيت في « رغائب القرآن » ما نصه : وقد ينعكس نور ولاية الشيخ على مرآة قلب المريد الصادق ؛ فينال به مرتبة لم يكن ينالها بمجرد أعماله . انتهى فراجعه من سورة النور . (منه) .

هذا ما عندي في هذا المبحث ، ولعل الأخ البُرْجِيَّ - أدخله الله في الحصن المنجي من آفات النفس والهوى - يرضى بهذا القدر اليسير ، وقد ذكرنا نُبذة منه بالتفصيل في « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » ، وكذا بسطنا الكلام في حقه في « خلاصة الآداب لمن أراد فتح الأبواب » ، فمن راجع إليهما يجني ثمار المعارف ، والله الموفّق للسداد ، ومنه نستمدّ وهو ولي الرشاد .

البرج الثاني

في جواب مسألة ذلك السائل بقوله : فحين إرادة الله تعالى جزاء عمل العبد خيره وشره ولو مثقال ذرة ، فما معنى تخصيص إحباط العمل بمن ليس له شيخ ؟! وما الفرق بين من له شيخ ومن لا ؛ في ذلك ؟

فنقول وبالله الإعانة والتوفيق : الفرق بينهما كالفرق بين الأعمى الذي يمشي بنفسه في الفلاة التي فيها سُبع وأُسد وحيات وعقارب وغيرها من المُضرات ، **وبين الذي يمشي خلف البصير الذي يعلم مواضع الهلكة ليحترز منها** ، ويعلم الطريق الذي ليس فيه شيء منها ، والحال أنه في يده سِلاح جيّد يمنع من ضررها لو لقيها فجأة ، ومما لا يخفى على عاقل أن الأعمى الذي ليس له قائد قد يقع كثيراً في مواضع الهلكة فيهلك فيها ، ولا يصل إلى المقصود فيحبط سعيه وعمله ، بخلاف من يمشي خلف الدليل والقائد ! وهكذا يكون الفرق بين من سلك بنفسه ، ومن سلك بأخذ التلقين من شيخه ، فإن الغالب على العامي أن لا يخلص عمله من شوائب المحبطات ، **فالعمل الذي ليس فيه إخلاص لا يعدُّ من الحسنات** حتى يثاب على فاعله ، بل يعاقب عليه ؛ ويقال له يوم القيامة : خذ أجرك ممّن

عملت له ، كما هو مذكور في الأحاديث . بخلاف السالك ! وقوله تعالى ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[1] شاهد عدل لذلك ، **فافهم** .

وقد قال بعض العارفين ما معناه : يصل السالك بصحبة واحدة مع الشيخ إلى ما لا يصل برياضته وحده ألف سنة . انتهى . وذلك لأن الشيخ يتصرف فيه بتوجهه ، فيزيل منه الحجاب الذي هو سبب لإحباط عمله ، ومن هنا قال الإمام الرباني في بعض مكاتيبه :

مهم

ويعمل توجههم الواحد عمل مائة من الأربعين . كما هو مذكور في « الدرر المكنونات » . فراجعه .

وفي « لطائف المنن » للشعراني : **النظر إلى وجه الولي ساعة واحدة على جهة التعظيم له خير للمريد من عبادته وحده خمسين سنة** . فراجعه من الجزء الأول .

وفي « الصاوي » : حال رجل في ألف رجل أنفع من وعظ ألف رجل في رجل واحد . انتهى فراجعه في سورة الفرقان .

وفي « غرائب القرآن » في تأويل قوله تعالى ﴿أَوۡ صَدِيقِكُمۡ﴾ : فيه **أنّ دَرَجَ الجنات ينالها المرء ببركة جليسه الصالح** ، وقد ينعكس نور ولاية الشيخ على مرآة قلب المريد الصادق ؛ فينال به مرتبة لم يكن يصل إليها بمجرَّد أعماله انتهى . فراجعه في سورة النور .

وأيضاً : إن السالك بنفسه قد يتخذ ورده وسيلة إلى المقصود ، ولا يفعله **غالباً عبوديةً محضة** ، **وهذا مما يمنع من الفتح** ، **أو يُبْقي في طريقه**

---

(١) قال الإمام محمد بن جرير الطبري في تفسير هذه الآية : لئن أشركت بالله شيئاً يا محمد ليبطلنّ عملك ولا تنال به ثواباً ولا تدرك به جزاءً إلاّ جزاء من أشرك بالله . انتهى (لمحرره العوري غازي محمد) .

زمناً طويلاً . وقد قال الشعراني : وقد كنت قبل اجتماعي بأهل الطريق أتخذ أعمالي وسائل إلى تحصيل أغراض ، فإن حصلت تلك الأغراض ! ثَبَتُّ على ذلك ، وإلاَّ ! تحوَّلت منه ، **فلما اجتمعت بأهل الطريق قالوا لي : اجعل أعمالك كلَّها مقاصد لتحضر فيها مع الله تعالى ، ولا تتخذها وسائل فتموت ؛ ولا تصلُ إلى مقصودك ، فقرَّبوا عليّ الطريق ، فلو لم يكن في الاجتماع بهم إلا هذه الخصلة ! لكان فيها كفاية** . انتهى . من « لطائف المنن » ٤٩ ج١ .

وقال الشعراني أيضاً فيه : **ومراد جميع أشياخ الطريق بتسليكهم الناس أن يوصلوا المريد إلى مقام العمل بالإخلاص الذي كان عليه السلف الصالح**[1] **، أو بعضه لا غير** ، فإن اشتغل أحدهم بعد ذلك بالعلم ، أو صلّى ، أو صام ، أو حجّ ، أو تورّع أو زهد كان محفوظاً من الرعونات التي تجرح مقام الإخلاص ، أو تحبط العمل . انتهى ٤٧ ج١ .

ومن المعلوم أن الإنسان منذ صِبَاهُ ناظر إلى الخلق ، مشحون بالرياء ؛ مداوم على التزيّن والتصنع ، حتى أنه لو رأى على أنفه ووجهه نقطة سوداء ! يسرع في إزالتها لئلا يراه الناس مع هذه النقطة ، وقد صارت هذه الحالة عادة له **فصعب عليه تركه بنفسه ، فكيف ؛ وقد قال بعض العارفين : فطام العادة أصعب من فطام الرضاعة !!**

العوائد[2] **قطاع الطريق**

وقالوا : العوائد قطاع على طريق البرية ؛ يقطعون الطريق على كل سالك . كما ذكره الشعراني في « المنن » في ٢٨٦ ج١ .

---

(١) الصحابة قبل مائتي سنة يسمون سلفاً . والتابعون بعد مائتي سنة يسمون خلفاً « نور الدين » (هامش الأصل) .

(٢) جمع عادة .

فإذا كان الأمر كذلك ؛ وكان الرياء أخفى من دبيب النمل في الليلة الظلماء لا يعرف دقائقه إلا البصير الناقد ، وكان العمل المشوب به محبطاً لثوابه بالنصوص ، وكان سيما الرياء غالباً على كل من ليس له شيخ كامل ! جاز تخصيص الإحباط بمن لم يتخذ له الشيخ في الطريق ، لأن الحكم يبنى على الغالب الأكثر كما قالوا .

واعلم أيها الأخ العالم محمد دبر البرجي – رزقك الله تعالى التوفيق والاستقامة آمين : **أن أحسن حال مَن ليس له شيخ يريه طرق الإخلاص : أن يعبده لأجل الجنة والفوز بالثواب والدرجة العالية ، والحال أن العارفين ينفرون من أهل الآخرة كما ينفرون من أهل الدنيا** . كما هو مذكور في « الرشحات » ، وقد قال الغزالي في « الإحياء » : **العامل لأجل الجنة عامل لبطنه وفرجه . انتهى** . وقال الشعراني في « لواقح الأنوار » : **ومن لم يسلك على يد شيخ فهو عبد الثواب حتى يموت لا يتخلص منه أبداً** ، فهو كالأجير السوء الذي لا يعمل شيئاً حتى يقول لك : قل لي أَيْشْ[1] تعطيني قبل أن أتعب ؟ ! فأين هو ممّن تقول له افعل كذا وأنا أعطيك كذا وكذا ! ! فيقول : والله ما قصدي إلا أن أكون من جملة عبيدك ، أو أكون تحت نظرك ، أو أكون في خَدَمِكَ لا غير ! أليس[2] إذا اطلعت على صدقه تقرِّبه وتعطيه فوق ما كان يؤمل لشرف همّته ؟ ! بخلاف من شارطك ! فإنه يثقل عليك ، وتعرف أنت خسّة أصله وقلة مروءته ، ثم بعد ذلك تعطيه أجرته وتصرفه عن حضرتك ، وربما انصرف هو قبل أن تصرفه أنت لعدم رابطة

---

(١) أي : أيّ شيء .

* ولا يقبل من العبد إلا العمل المخلَص قال تعالى ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ ، والإخلاص محلّه القلب لا اللسان . فالقلب محل سرّ الله فلا يقبل الله من عباده عبادة إلا من القلب الذي هو محل نظره تعالى . « توحيد الجرومية » تأليف الشيخ الإمام علي بن ميمون الإدريسي الحسني المغربي .

(٢) لعل في (ليس) ضمير الشأن اسمه ، فراجع .

المحبة التي بينك وبينه ؛ فما أقبل إليك إلا لأجرته ، فلما وصلت إليه ولّى ونسيك ، **ولا هكذا من يخدمك محبة فيك** . **فاعلم ذلك** .

نية علي الخواص

وسَمِعْتُ سيدي عليّاً الخواص إذا صلى نفلاً يقول : أصلي ركعتين من نِعَمِ الله عليّ في هذا الوقت ، فكان - رضي الله عنه - يرى نفس الركعتين من عين النعمة ؛ لا شكراً لنعمة أخرى ، فقلت له في ذلك ! فقال : ومن أين يكون لمثلي أن يقف بين يدي الله عز وجل ؟ والله إني لأكاد أن أذوب خجلاً وحياءً من الله لما أتعاطاه من سوء الأدب معه حال خطابه في الصلاة ، فإن أمّهات آداب خطابه تعالى مائة ألف أدب ! ما أظن أنني عملت بها بعشرة آداب ، فأنا إذا وقفت بين يديه في صلاة أو غيرها من العبادات إلى العقوبة أقرب ، فكيف أطلب الثواب ؟ !

مطلب

وسمِعْتُه مرة أخرى يقول : يجب على العبد أن يستقلَّ عبادته في جانب الربوبيّة ؛ ولو عَبَد ربّه عبادة الثقلين ! بل ولو عبده هذه العبادة على الجمر من ابتداء الدنيا إلى انتهائها ما أدّى شكر نعمةِ إِذْنِهِ له بالوقوف بين يديه في الصلاة لحظة ، ولو غافلاً ! وكذلك ينبغي له إذا قلّت طاعاته أن يرى مثله لا يستحق ذلك القليل ، **ومَن شهد هذا المشهد حُفِظ من العجب في أعماله** ، وحفظ من القنوط من رحمة الله تعالى . انتهى . من « العهود المحمدية » ٢٠٦ راجعه من هامش « المنن » من الجزء الأول .

مطلب

وقال في « لطائف المنن » : ومما مَنَّ الله تبارك وتعالى به عليّ : عدمُ طلبي الثواب من الله تبارك وتعالى على شيء من الأعمال التي أبرزها عز وجل على شيء من جوارحي ؛ إلا من باب المنة والفضل ، لعلمي

بأن نعم الدنيا والآخرة ما خلقها الله تبارك وتعالى إلا لنا ، لأنه غنيّ عن العالمين ، فمن الأدب طلب ذلك الثواب الذي جعله في مقابلة تلك الطاعة ؛ إظهاراً للفاقة والحاجة ، ومن لم يطلب ذلك الثواب فهو قليل الأدب لإظهاره الغنى عن فضل ربه جل وعلا . **فافهم** .

وَقَدْ شَنَّعَ[1] العارفون - رضي الله تعالى عنهم - على مَن قال : لا يبلغ الفقير مقام الكمال حتى لا يكون له إلى الله حاجة . انتهى ، لأن ظاهره وصول العبد إلى الغنى المطلق ؛ وذلك محال ، إذ العبد لا يستغني عن الله تعالى طرفة عين ، ولو لم يكن إلا خروج النَّفس ودخوله ! فتارك النفس يموت ، ويصح أن يجاب عن ذلك بأن مراده الاكتفاء بعلم الله تعالى فيه وبما قسمه له ، وأن الحق تعالى قد أغناه عن السؤال بالقسمة الإلهية . والله سبحانه وتعالى أعلم .

ووالله إني لأرى الفضل لله تعالى الذي أهّلني للوقوف بين يديه ؛ ولو خَلْفَ جميع العصاة المارقين الفاسقين ؛ رجاء أن يصيبني شيء من الرحمة التي لعلَّها أن تنالهم ، وَأنّى لمثلي أن يقف بين يدي رب العالمين في صلاة أو غيرها مع جهله بآداب تلك الحضرة المقدسة ! ؟ فالحمد لله الذي لم يطردني كما طرد تاركي الصلاة ، فلم يمكِّن أحداً منهم أن يقف بين يديه .

وفي بعض الكتب الإلهية يقول الله عز وجل : (ومَن أظلم ممّن عبد لي لجنة أو نار ، لو لم أخلق جنة ولا ناراً أَلَمْ أَكُنْ أَهْلاً لأَنْ أُطاعَ) ! ! . انتهى .

وكان سيدي عليٌّ الخوَّاص - رحمه الله تعالى - يقول : لا يليق

---

(١) الشناعة : الفضاعة ، فَظُعَ الأمر كَكَرُمَ ؛ اشتد شناعته وجاوز المقدار في ذلك « قاموس » وشنّعتُ عليه الأمر : نسبته إلى الشناعة . (هامش الأصل) .

بأحد من أمثالنا أن يسأل الله تعالى ثواباً على عبادته ، وإنما اللائق به أن يسأل العفو عما جناه في تلك العبادة من سوء الأدب وعدم الخشوع فيها ، لما ورد أن الصلاة إذا لم يكن فيها خشوع تُلفُّ كما يُلَفّ الثوب الخَلِق ، ثم يضرب بها وجه صاحبها .

وسَمِعْتُه أيضاً رضي الله تعالى عنه يقول : لا يصح لعبد أن يسأل ربّه ثواباً على أعماله من باب المنة والفضل ؛ إلا إن أحْكَمَ مقام التوحيد لله تعالى في الفعل ، وإلا ! فمن لازمه غالباً طلب الثواب في مقابلة عمله . كما عليه طائفة العُبَّاد الذين لم يسلكوا الطريق ، فيقول الحق جل وعلا لأحدهم : ادخل الجنة برحمتي . فيقول : بل بعملي ؛ كما ورد . ولو أن أحدهم ذاق التوحيد لم يقل لربه مثل ذلك ! لأنه جهل وخروج عن أداب العبد ، **فإن من شأن العبد أن يخدم سيده قياماً بواجب حق السيادة ، لا لعلة أخرى من علل النفوس!**

وإيضاح ذلك : أن مَن شهد الفعل لله[1] تعالى كشفاً زال عنه طلب الثواب على طاعته جملة واحدة ، لأن أحداً لا يَطْلبُ ثواباً قطّ على فعل غيره .

وسمعته أيضاً – رضي الله تعالى عنه – يقول : إنما شرَع ﷺ للمصلي حين يسلم من صلاته أن يقول : أستغفر الله ، أستغفر الله ، أستغفر الله (ثلاث مرات) ! ليتنبه المصلي على نقص صلاته وعدم الحضور مع الله فيها ، وكثرة الغفلة ، وحديث النفس ، وغير ذلك ، إذ الاستغفار لا يكون إلا عن ذنب ، أقلُّ ما هناك شهوده نسبة الطاعة إليه مع كونه غافلاً عن شهود كون الحق تعالى هو الخالق لها ، وما قال عارف قط : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إلا على وجه التلاوة فقط ؛ لا على وجه كونه له شركة

(١) أي خلقاً لله جملة ، ليس للعبد فيها غير النسبة . كما سيأتي (هامش الأصل) .

في الفعل إلا بقدر نسبة التكليف فقط . تعالى فعلُ الله عز وجل عنده – أي : العارف – عن الشركة . **فافهم** .

وبالجملة فمن تأمَّل وجد حكم وقوف أمثالنا بين يدي الله تبارك وتعالى حكم العبد المجرم الذي فسَق في حريم الوالي وعرضوه عليه ليعاقبه ، فلا يكاد يخطر بباله قط أنه يخلع عليه خلعة ، وإنما يسأل ربَّه عز وجل في العفو عنه وترك العقوبة ، وما أبردها على كبد ذلك المجرم إذا سمع بأن الوالي عفا عنه ، وترك معاقبته ، وحَرْقه بالنار ، ووَضْع الخُوذة المُحمَّاة على رأسه . فالحمد لله رب العالمين . انتهى ١٢٤ ج٢ .

وفي « لطائف المنن » أيضاً في موضع آخر : ومما منّ الله تبارك وتعالى به عليّ : عدمُ اعتمادي على شيء من طاعتي دون الله تبارك وتعالى ، **فإن كل مَن اعتمد غير الله تبارك وتعالى تخلّى عنه في الآخرة** . ووالله ؛ **ثم والله ثم والله إني لأنصرف من صلاتي وأنا في خجل من ربي عز وجل أكثر من خجلي إذا عصيته ، لسوء ما يقع لي في صلاتي من شهودي سوء الأدب والغفلة عما يليق بتلك الحضرة** ، ولا أتجرأ أن أقول في سجودي أو في ركوعي : اللهم لك سجدت وبك آمنت ، أو : اللهم لك ركعت . . . . إلى آخره ، إلا إن أعقبت ذلك بقولي : ركوعاً أو سجوداً أستحق به في اعتقادي المؤاخذة لولا عفوك وحلمك وشفقتك عليّ ؛ ذلك الفضل الذي لم تخسف بي الأرض ، ولم تمسخ صورتي . انتهى .

فلو نظر العبد لوجد سُداه ولحمته ذنوباً بالنظر لما يستحقُّه جلال الله عز وجل ، ومَن كان هذا مشهدُه لا يقدر أن يرفع له بين العباد رأساً .

وفي منظومة الشيخ إسماعيل بن المقري – رضي الله تعالى عنه وأرضاه ونفعنا ببركته وإمداداته – :

ذنوبك في الطاعات وهي كثيرة إذا عُدِّدت تكفيك عن كل زلَّة

تصلِّي بلا قلبٍ صــلاة بمثلــها   يــكون الفتــى مـستوجباً للعقوبة
صلاة أقيمـت يعلــم الله أنــها   بــفعــلك هـذا طاعة كالخطيئة

إلى آخر ما قاله - رضي الله عنه - .

فعلم أن مَن كان ما ذكرنا مشهده في طاعته ! فهو غائب عن طلب ثواب بفعلها ، بل لا يتجرأ[1] أن يطلب ذلك من الله أبداً ! فحكمه كالمجرم الذي أتوا به بين يدي الوالي بسبب قتل ، أو عمل زغل[2] ، أو فجور بامرأة أمير ، ونحو ذلك . فافهم يا أخي ذلك ، واعمل على التخلُّق به ترشد . والله تعالى يتولَّى هداك . والحمد لله رب العالمين . انتهى ١٥٨ ج ١ .

وفي « شرح سلك العين » : وفي الطاعات من الآفات ما يغني عن طلب المعاصي في غيرها .

ومن جملة ذنوب الطاعات : استكثارها واستعظامها ، والسكون إلى ما فيها من اللذة والحلاوة . كما قيل : استحلاء المريد الطاعات سموم قاتلات ، ومن ذنوبها طلب الأعواض عليها ، والراحة بها ، والفرح على سبيل الاعتماد والتشوُّق إلى الكرامات العاجلة .

وأما إقامتها بالجهل واستدامتها بالسهو والغفلة وسوء الأدب والهواجس الردية ، وملاحظة الخلق رياء وسمعة ونحو ذلك ! ! **فهذا من كبائر الذنوب عند أرباب القلوب** ، و(حسنات الأبرار سيئات المقربين) ، وفيهم نزل ﴿ **وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ** ﴾ أي : يصلُّون ويصومون ويقومون ؛ ويخافون من الله أن لا يقبل منهم ذلك .

وقيل : **رُبَّ صلاة لو قُسمت ذنوبُ فاعلها على أهل بلد لوسعتهم ،**

---

(١) في نسخة : لا يجترئ .
(٢) أي الفساد . « صحاح » . (هامش الأصل) .

ولو نزلت عقوبتها على أهل قُطرٍ لعمَّتهم . انتهى .

وفي « شرح الحكم » : قال أبو سليمان – رضي الله تعالى عنه – : ما استحسنتُ من نفسي عملاً فاحتسبته .

وقال علي بن الحسين – رضي الله تعالى عنه – : كل شيء من أفعالك إذا اتصلت به رؤيتك فذلك دليل على أنه لا يقبل ، لأن المقبول مرفوع مغيَّبٌ عنك ، وما انقطعت عنه رؤيتك فذلك دليل على القبول .

دليل القبول

وقد سئل بعض العارفين : ما علامة قبول العمل ؟ ! . قال : نسيانك إياه ، وانقطاع نظرك عنه بالكلية ، بدليل قوله تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ قال : فعلامة رفع الحق تعالى ذلك العمل : أن لا يبقى عندك منه شيء ، فإنه إذا بقي في نظرك منه شيء لم يرتفع إليه لبينونةٍ بين عنديّتك وعنديّته ، فينبغي للعبد إذا عمل عملاً أن يكون عنده نَسْياً مَنْسِيّاً بما ذكرناه من اتِّهام النفس ، ورؤية التقصير ، حتى يحصل له قبوله . انتهى ٤٢ .

وقال ابن عطاء الله رحمه الله في « لطائف المنن » : وقال في قوله عز وجل ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ كل موضع ذكر فيه المصلين في معرِض المدح فإنما جاء لمن أقام الصلاة ؛ إما بلفظ الإقامة ، أو بمعنى يرجع إليها ، قال الله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ، ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ ، ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ، ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ، ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ، ﴿وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ ﴾ ، ولما ذكر المصلين بالغفلة قال ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ ولم يقل : فويل للمقيمين الصلاة ! والإقامة هو : أنه إذا صلى المؤمن صلاة فتقبلتْ منه خلق الله تعالى من صلاته صورة في ملكوته راكعةً ساجدة إلى يوم

القيامة ، وثواب ذلك لصاحب الصلاة . انتهى ١٥٨ .

وفي « الشرقاوي في شرح الحكم » لابن عطاء الله قدس سره : لا عمل أرجى للقبول - أي : لقبول الله تعالى له - من عمل يغيب عنك شهوده ؛ بأن تشهد أن الذي وفَّقك له هو الله تعالى ، ولولاه ما صدر منك ذلك العمل ، ويحتقر عندك وجوده ؛ بأن لا تعتمد عليه في تحصيل أمر من الأمور ، كالوصول إلى الله تعالى والقرب منه ونيل الدرجات والمقامات ، لرؤيتك التقصير فيه ، وعدم سلامته من الآفات المانعة من قبوله . انتهى .

من يعبد لغرض فاسد عابد لصنم

وفي « لطائف المنن » للشيخ الشعراني - رضي الله عنه - : وقد سمعت سيدي عليّاً الخواص - رحمه الله تعالى - **يقول : لا فرق بين عباد الأصنام وبين من يعبد الله تعالى لغرض فاسد ، فإن الأصنام المعنوية كالأصنام الحسيّة على حدّ سواء** ، لأن كلاً من العابدين اتخذ من دون الله ما لم يأذن به الله ، وهم في ذلك على طبقات ؛

فمنهم : مَن قصد بعلمه وعمله وما يقع على يديه من الخيرات حصول المكانة في قلوب الناس ، ودوام الصيت وانتشار الجاه .

ومنهم : مَن يقصد بعلمه وعمله إعلاء الدرجات ، وظهور الكرامات ، والتصريف في الكون ، والمشي على الماء ، والطيران في الهواء وكشف الغيوب .

ومنهم : مَن لم يقصد بعلمه وعمله شيئاً من أمور هذه الدار ، إنما يقصد بذلك الحور الحِسان ودخول الجنان ، وغير ذلك من ثواب الآخرة .

ومنهم : من يقصد بذلك السلامة من النار ، والخوف من الحساب والعقاب ، وما أعدَّه الله تعالى لأهل تلك الدار من النكال والوبال .

ومنهم : من يقصد بعلمه وعمله القرب من الله تعالى ، والرضا عنه والمحبة له .

ومنهم : من لا قصد له في علمه وعمله إلا علمه باستحقاق مولاه العبادة والتذلل والخضوع ، والوقوف عند أمره ونهيه ، قد تبرأ من الاعتماد على حوله وقوته وعلمه وعمله وقصده وإرادته ؛ فأتى بأعماله على وجه الإخلاص وهو خائف من الله تعالى ، لا يرى أنه قام بذرّة واحدة من الأمور التي كُلِّفَ بها على الوجه الذي أُمِر به ، ومن هنا يترقَّى السالك في مراتب إخلاص الخواص التي كل ذرة منها تعدل عبادة ألف سنة من عبادة أهل تلك الأقسام السابقة ؛ فاعلم ذلك ، واعمل به ، والحمد لله رب العالمين . انتهى راجعه في ٣١٣ ج ١ .

وقد كنت نقلته في « تنبيه السالكين » بَيْدَ أنه لما وقع الاحتياج كررته في هذا التأليف ، فتدبّر أيها الأخ السائل في هذه المذكورات لعلك تعرف الفرق بين عبادة مَن له شيخ ومَن لا ! ! والله يتولى هداك . قال تعالى ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ الآية وقد نكّر قوله : (شيئاً) ومن هنا قد تبرَّأ السالكون في طريق الله تعالى عن الالتفات في عملهم إلى السوى ، وخاضوا في طريق الخلاص من اتباع الهوى ، وتجنَّبوا عن الدخول في دائرة قوله تعالى ﴿مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ وشهدوا مآل حديث : « تعس عبد الدينار والدرهم والخميصة » وعلموا حقيقة قوله تعالى ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ ، وأدركوا بمعونة الشيخ ومدده دقائق الإخلاص ومراتبه ، فنجوا بفضل الله تعالى عن رِقيّة السوى ، وأتوا أعمالهم بملاحظة الذات المقدسة ، حتى لم يلاحظوا الصفات والأسماءَ لِعِلمهم بنور بصائرهم مثلاً ؛ إن عبد المنعم لا يكون عبد المنتقم ، ففازوا بالعبودية ، وصاروا من أهل الوصلة ، وظفروا بالمشاهدة التي تصحبها مكالمة .

الإخلاص سرٌّ من أسرار الله تعالى

وفي « المتممات » : وقال النبي – عليه السلام – حكاية عن الله تعالى : « الإخلاص سر من أسراري ، أستودعه[1] قلب مَن أحب من عبادي » فبذا يعلم أن اطلاع سر الله عسير ، ومراتب الإخلاص خفية كثيرة ، فسلوك طريق المشائخ يكون واجباً على كل مَن ليس له قلب سليم بالجذبة الوهبية من باب : (**ما لا يتم الواجب إلا به؛ فهو واجب**) فإن من لم يسلك الطريق ! فالغالب عليه عدم خلوص أعماله من دقائق الرياء وشوائبه ، ولو برؤية إخلاصه في إخلاصه .

وفي « المنن » : وقد أجمع الأشياخ على أن من شهد في نفسه الإخلاص يحتاج إخلاصه[2] إلى إخلاص انتهى ٣١ ج ١ ، **ولا يتخلص العبد من الشيطان إلا بالإخلاص** ، كما صرَّحه الغزالي في « الإحياء » فراجعه ٢٩٤ ج ٤ .

فائدة : قد مرَّ أن الذكر المأخوذ من الشيخ يكون معه نوره ، لكن ينبغي أن يعلم أن القلب لا ينجلي من الحجب إلا بذكر كثير ، وقد قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ . وقال بعض العلماء : **إن الذكر الكثير لا يطيق عليه إلا إن أخذه عن الشيخ بالتلقين** . وقال الإمام الرباني – قدس سره – : إن المقصود من السلوك والجذبة تطهيرُ النفس من الأخلاق الردية والأوصاف الرذيلة ، ورأس جميع تلك الذمائم التعلق بالنفس و تحصيل مراداتها وهواها ، فحينئذٍ لا يكون بدٌّ من السير الأنفسي ، ولا مندوحة[3] من الانتقال من الصفات الذميمة إلى الأخلاق الحميدة . انتهى من « المكتوبات » في ٤٧ ج٢ .

---

(١) يقال : استودعه الوديعة : أي استحفظه إياها . (مختار) (هامش الأصل) .

(٢) وبيانه في « الإحياء » (منه) . (هامش الأصل) .

(٣) يقال : لك مندوحة منه بفتح الميم . أي : سعة وفسحة . « مصباح » . (هامش الأصل) .

وفي « تنوير الصدر » ما خلاصته هذا : **إن السير في الشريعة على الاستقامة والإخلاص لا يتمُّ إلا بصحبة شيخ عارف .**

وفي « الجواهر » للشعراني : وسئلت عن الدواء الذي إذا استعمله العبد زال عنه الرياء والإعجاب بنفسه ، فقلت : الإكثار من ذكر الله تعالى حتى يتجلَّى في قلبه التوحيد الحقيقي ، ويرى أعماله خلقاً لله وحده جملة ؛ ليس للعبد فيها غيرُ النسبة ، فهناك لا يصير عنده رياء ولا إعجاب ولا تكبُّر على أحد من العصاة ، لأن العبد لا يرائي قط بعمل غيره ولا يعجب فيه بنفسه ، ولا يحصل عنده دعوى .

فإن قيل : فهل له دواء غير التوحيد من الأعمال ؟

قلت : لا أعلم له دواء أسرع من التوحيد ، وهو الذي وضعه جميع أهل الطريقة للمريدين فطووا به الطريق ، وقد أخطأ طائفة من العبَّاد الذين اشتغلوا[1] نفوسهم بتلاوة القرآن والصلاة والصوم ، وماتوا على ريائهم ورؤية أعمالهم ، ولم يخلصوا في شيء منها ، كما يشهد لذلك حديث العابد الذي يقول له الحق تعالى : « ادخل جنتي برحمتي » ، فيقول : يا رب ؛ بل بعملي . وذلك لعدم فهمهم أن القرآن يتوقف على جلاء القلب ، فحكمُ الذكر كالحصى للنحاس المصْدِيّ[2] ، وحكمُ غيره كالصابون . انتهى . ومثله في « المتممات » .

وفي « المواهب البريقة » : وقد ورد أن عابداً عبد الله في جزيرة سبعين سنة ، وفي رواية خمسمائة سنة ، وأن الحق يقول له يوم القيامة : « أُدخل الجنة برحمتي » . فيقول : يا رب بل بعملي .

فلو أن هذا العابد كان سلك الطريق على يد عارف لعَرف من أول ما

---

(١) هكذا في الأصل ، لعله أشغلوا .

(٢) وفي نسخة : الصديء .

دخل في الطريق أن العبد لا يدخل الجنة إلا برحمته تعالى ؛ دون عمله ، وإن كان لزم الأدب ! انتهى .

وفي « لواقح الأنوار » : وما لم يكثر العبد من ذكر الله عز وجل لا يحصل له هذا الأنس[1] ، بل يقع في كل معصية كالبهائم السارحة انتهى ٣١٢ . قال تعالى ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ أي : **أكبر في نفي الكبر والخيلاء ومحو الأوصاف الذميمة الفاحشة كلها** . وذلك مجرَّب عند المشائخ ؛ كذا في « تصديق المعارف » . وقد نقلت هذه المذكورات بالتمام في « تنبيه السالكين » فراجعه .

فمن ظنَّ من الناس أنه قد أخلص عمله لله سبحانه بغير سلوك طريق الإخلاص ؛ فقد أخطأ ، إلا إن كان قد حفّته العناية الربانية بالجذبة الموهوبة ! وذا نادر[2] . وقد مرَّ أن الحكم إنما يبنى على الغالب ، وقد رأيت في « الإحياء » وغيره ما حاصله ؛ أو ما هذا معناه : أن واحداً صلى ثلاثين سنة في الصف الأول وقد تأخَّر يوماً فقام في الصف الثاني ، فحصل له الحياء من الناس ، فقضى جميع الصلوات التي صلى فيها لكونه قد أراد أن يراه الناس في الصف الأول ، فجعله من جملة مراتب الرياء ، بيد أني لم أتذكره الآن لتعيين موضعه ، **فافهم** . فمن يتنبَّهُ من الناس لأمثال هذه الدقائق ؟ ! عصمنا الله من شرور أنفسنا ومن سيّئآت قبائح أعمالنا ، وأدخلنا بفضله في دائرة قوله ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾ آمين .

فائدة أخرى مهمة ذكرها الخادمي قدس سره في « البريقة » : قال في « الفيض » : فبُعْدُ الشيطان من الإنسان على قدر ذكره ! والناس فيه يتفاوتون .

---

(١) أي : الأنس بالله . راجع (منه) . (هامش الأصل) .

(٢) ندور طالع الكنز ، فراجع كتبهم . والسلام . (هامش الأصل) .

قال أبو سعيد الخرَّاز : رأيت إبليس فأخذ عنّي ناحية فقلت : تعال . فقال : أي شيء أعمل بكم لزمتم الذكر وطرحتم ما أخادع به ؟ ! قلت : ما هو ؟ قال : الدنيا . فولَّى ، ثم التفت ؛ وقال : بقي لي فيكم لطيفةٌ ؛ هي السماع وصحبة الأشرار .

قال الغزالي : مهما غلب على القلب ذكر الدنيا ومقتضيات الهوى ! وجد الشيطان مجالاً فوسوس ، **ومهما انصرف القلب إلى ذكر الله ! ارتحل الشيطان وضاق مجاله .**

وقال الحكيم : قد أُعطي الشيطان وجنده السبيل إلى فتنة الآدمي وتزيين ما في الأرض له طمعاً في غرابته[1] ، فهو يهيِّج النفوسَ إلى تلك الزينة تهييجاً يُزعزع أركان البدن ، ويستقرُّ القلبَ حتى يزعجه عن مقرِّه ، ولا يعتصم بشيء أوثقَ من الذكر ، لأنه إذا هاج الذكر من القلب هاجت الأنوار فاشتعل الصدر بنار الأنوار ، وهيَّج العدوُّ نار الشهوات ، وإذا رأى العدوُّ هيجان الذكر من القلب ولّى هارباً ، وخَمدت نار الشهوات ، وامتلأ الصدر نوراً ؛ فبطل كيده .

وعن ابن عبد العزيز : أن رجلاً سأل ربه أن يُريَه موضع الشيطان من قلب الآدمي ، فرأى في المنام جسد رجل يشبه البلور[2] يُرى داخله من خارجه ، والشيطان بصورة ضفدع قاعد على منكبه الأيسر ؛ له خرطوم طويل أدخله في منكبه الأيسر إلى قلبه يوسوس إليه ، فإذا ذكر الله خنس ! ومثل هذا قد يشاهد في اليقظة ، وقد رآه بعض المكاشفين بصورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس إليها . والقصد أن يصدَّق بأن الشيطان ينكشف لأرباب القلوب ، وكذا المَلك ! انتهى ٥٦٠ ج ١ . فراجعه من شرح حديث

---

(١) وفي نسخة : غوايته .

(٢) البلور : كَسِنَّور . جوهر معروف . « قاموس » . (هامش الأصل) .

« إن الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم ، فإن ذكر الله تعالى خنس[1] ! وإن نسي الله تعالى التقم[2] قلبه » انتهى . من بحث الرياء .

وفي « نشر المحاسن » للإمام اليافعي – رحمه الله تعالى – : وقال بعضهم : **ذكر الله بالقلب سيف المريدين** به يقاتل أعداءهم ، وبه يدفعون الآفات التي تقصدُهم . وقيل : **إذا تمكن الذكر من القلب فإن دنا منه الشيطان يصرع كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان** ، فيجتمع عليه الشياطين فيقولون : ما لهذا ؟ فيقال : قد مسّه الإنس .

وكتبت في كتابنا « تنبيه السالكين » بعد نقل ما مرّ في المنهوات ما نصه :

فالحاصل أن المريد إذا أكثر ذكر الله بالقلب ينفي عنه حديث النفس بالتدريج ، ويرى الإصغاء إليه ذنباً فيتَّقيه ، ويتَّقد القلب عند هذا الإتقاء بالذكر اتِّقاد الكواكب في كبد السماء ، ويصير القلب محفوظاً بزينة كواكب الذكر ، فإذا صار كذلك ! بَعُدَ الشيطان ، ويندر في حق هذا العبد الخواطر الشيطانية ، ولمّاته ، فراجع « العوارف » .

وأما قطع حديث النفس والخواطر المشغلة عن خطاب الحق جل وعلا بغير سلوك على يد شيخ ناصح مما لا يصحُّ أبداً ! كما هو مذكور في « لواقح الأنوار » ، فراجعه في ٥١ من هامش « المنن الكبرى » من الجزء الأول .

ورأيت في « ترصيع الجواهر » ما لفظه : ثم إن لا إله إلا الله أعظم أنواع الذكر تأثيراً في كنس الأغيار من القلب وإزالة الحجب الظلمانيّة . انتهى ٤١ .

---

(١) خنس : أي تأخر وبعد . « فتاوى الكبرى » لابن حجر .

(٢) يجعل قلبه لقمة في فمه . « بريقة » . (هامش الأصل) .

وقال صاحب « النور الساطع » ما لفظه : ولا إله إلا الله رأس الذكر ، وأنفع ما يعالج به القلب في إصلاحه وإقباله على المذكور ونفي الأغيار ودفع الوساوس والخواطر الردية ، وأقرب وأقطع في انجلاء القلب وصفائه ، ورياضة النفس وتهذيبها ، ولذلك اختارها الصوفية لتربية المريدين وتهذيب نفوسهم[1] . كما نص عليه سيدي علي المرصفي في « منهج السالك » . انتهى فراجعه .

مهم

ولكن من أكابر المشائخ مَن يختار من الأذكار لفظة الجلالة (الله ، الله) بلا فرق بين المستعدّ وغيره ، كما اختاره الإمام الرباني قدس سره آخراً . وقد فسّر الشيخ علي الخواص لقوله تعالى ﴿ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ أي : كرِّروا هذا الاسم كثيراً ، ونظير ذلك قوله تعالى ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾ أي : ذكركم الاسم (الله) أكبرُ من ذكركم سائر الأسماء الفروعية الطالبة لوُجود الأغيار ، كالرحمن والغفور والرزَّاق ونحوها ؛ فما في الأذكار أعظم فائدة من ذكر الاسم (الله ، الله) ، لأنه جامع لجميع الحقائق لا يطلب أحداً من الأغيار المشهودة في هذا العالم[2] كما هو مذكور في كتاب « الجواهر والدرر » للشعراني . فراجعه في ٢٨٠ من هامش « الإبريز » وقد بسطنا الكلام في فضائلها في كتابنا « تلخيص المعارف في ترغيب محمد عارف » ، فراجعه من الترغيب الخامس فلو اطَّلعت إلى

---

(١) ولا إله إلا الله ؛ رأس الذكر ولذلك اختارها صفوة هذه الأمة من أصحاب التربية وتأديب المريد لأهل الخلوة ، وأمروهم بالمداومة عليها . وقالوا : أنفع علاج في دفع الوسوسة الإقبال على ذكر الله . « فتاوى » ابن حجر ١٥٠ .

(٢) ولولا أن قول : (الله الله) له حفظ العالم لم يقرن ﷺ زوال الكون بزوال مَن يذكر به ! ولذلك أيضاً اتَّخذه الكمَّل من العارفين ورداً لهم ، لا يخفُّ على لسانهم اسم مثله . انتهى . كتاب : « الجواهر والدرر » . من هامش « الإبريز » ١٨٢ . (هامش الأصل) .

« الرحمة الهابطة » ينشرح صدرك بما فيها من الفوائد والفضائل ، وتعلم سبب اختيار بعض المشائخ كالنقشبنديين هذا الاسم الأعظم من بين سائر الأذكار ، والله ولي التوفيق .

فلما كان في كلام السائل ذكر سوء الخاتمة ؛ وقال : هل يكون الفرق في الخوف من سوء الخاتمة بين مَن له شيخ وبين غيره أم لا ؟ أردت أن أجعله فصلاً مستقلاً من مباحث هذا الكتاب ، فقلت مستعيناً بالله تعالى :

البرج الثالث

في جواب مسألة : هل يكون الفرق بين مَن له شيخ وبين غيره في الخوف من سوء الخاتمة أم لا ؟

اعلم أيها العزيز ، أن الخوف من سوء الخاتمة في السالكين أكثر مما في غيرهم ، لأنهم لما شاهدوا الجلال والعظمة وعلموا أنه تعالى يقول (هؤلاء إلى النار ولا أبالي) ، وتيقَّنوا أن أعمالهم غير صافية من الكدورات ، وأنهم قد عملوا سوءاً في كثير من الأوقات ، يخافون من الله ومن سوء العاقبة كما يخافون من السبع الضاري ، وذا دأبهم بالليل والنهار ! فقد كان أكابر السادات يكادون أن تنقطع أكبادهم بشدة الخوف من سوء الخاتمة ، وذلك لكونهم كلما ترقوا في مقامات الطريق يخافون من إبليس أكثر منه قبل الترقّي ، لعلمهم **أن العبد كلما قرب من حضرة ربّه تشتدُّ عداوة الشيطان له ، ويجمع له الجيوش ولا يرجع عنه ولا تنقطع وساوسه عن متوجّه إلى الله ، وإن دَقَّتْ بحيث لا يكاد يشعرها .**

وقد نبَّه الشعراني في « البحر المورود » إلى ما ذكر ، **وكلما أكثروا قوت الروح ، وهو الذكر ، وأقلُّوا قوت النفس ، وهو الاشتغال بحظوظها ، يرون بالذوق أنهم أذلُّ خلق الله ، ولا يرون لهم قدراً ما ،** فانظر إلى هذا الإمام الرباني أحمد الفاروق الذي قيل فيه : لا أرى في هذه الأمة مثل الإمام الرباني أنه قال بعد ذكره قول بعضهم : **إن المريد الصادق من لا يكتب عليه كاتب شماله شيئاً مدة عشرين سنة**[1] . انتهى . **وهذا الفقير المملوء بالتقصير يجد نفسه بالذوق والوجدان بحيث لا يدري أن كاتب يمينه وجد حسنة يدرجها في صحيفة أعماله منذ عشرين سنة** ، علم الله سبحانه أنه لا يقول هذا الكلام بالتصنّع ، ويجد بالذوق أيضاً أن كفار الإفرنج أفضل منه بمراتب ، فإن سُئل عن لمِّيَّته لا يعجز عن الجواب ، ويرى نفسه أيضاً بطريق الذوق محاطاً بالخطيئات ومشمولاً بالسيئات ، وما وجد فيه من الحسنات يرى أن كاتب شماله أحقُّ بكتابته ، ويرى أن كاتب شماله مشغول أبداً ، وكاتب يمينه مُعَطَّلٌ وفارغ سرمداً ، ويعلم أن صحيفة يمينه خالية ، وصحيفة شماله مملوءة ؛ لا رجاء له سوى الرحمة ، ولا مُمِدَّ له سوى المغفرة .

(دعاء) اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي ، ورحمتك أرجى عندي من عملي ، موافق حاله . انتهى « الدرر المكنونات » من عينه من الجزء الأول في ٢٠٠ .

وقال الإمام الرباني أيضاً في بعض مكاتيبه ، بعد ذكره كلاماً نفيساً : والمقصود من هذا القيل والقال إظهار نعمة الحق سبحانه ، وترغيب طلاب

---

(١) وفي « الطبقات الكبرى » ليس معنى ذلك أن لا يقع منه ذنب عشرين سنة ! وإنما معناه عدم الإصرار ، وكلما أذنب تاب واستغفر على الفور . فراجعه . (منه رحم الله إفلاسه) .

هذه الطريقة ، لا تفضيل نفس على الآخرين ! **ومعرفة الله سبحانه حرام على مَن يرى نفسه أفضل من كفار الإفرنج ، فكيف من أكابر الدين ؟!** انتهى منه في ٢٥٦ ج ١ . ومثل قوله قاله كثير من الأقطاب ، كخالد شاه ، ومحمود أفندي وغيرهما ، ويحتمل أن يكون معنى قول الجنيد (الصوفي كالأرض يطرح عليها كل قبيح ، ولا يخرج منه إلا كل مليح) : أنه لا يرى من نفسه إلا كل قبيح ، وإن خرج منه بالنسبة إلى غيره كل مليح ! فافهم .

و لكن إذا نظرنا إلى الآيات والأحاديث يعلم **أن حسن العاقبة وسوءها منوطان بالأعمال** ، فقد قال الغزالي في « الإحياء » في ٥١٧ ج٤ ما نصه :

فإن قلت : فليت شَعْري ماذا موردي ؟ وإلى ماذا مآلي ومرجعي ؟ وما الذي سبق به القضاء في حقي ؟ فلك علامة تستأنس بها ، وتصدق رجاؤك بسببها ، وهو أن تنظر إلى أحوالك وأعمالك ، فإنّ كلاًّ ميسّر لما خلق له ، فإن كان قد يسّر لك سبيل الخير! فأبشر ، فإنك مبعد من النار ، وإن كنت لا تقصد خيراً إلا وتحيط بك العوائق فتدفعه ، ولا تقصد شراً إلا وتيسر لك أسبابه ، فاعلم أنك مقضيّ عليك[1] ، فإن دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على النبات ، ودَلالة الدخان على النار ، فقد قال الله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ﴿١٤﴾ ﴾ . فاعرض نفسك على الآيتين ، وقد عرفت مستقرّك من الدارين والله أعلم انتهى .

وقد قال الإمام الرباني – قدس سره – : المقصود من سلوك طريق الصوفية ازدياد اليقين بحقيّة المعتقدات الشرعية التي هي حقيقة الإيمان ، وحصول اليسر في أداء الأحكام الشرعية ، لا أمر آخر وراء ذلك . انتهى . كذا في « الدرر المكنونات » .

---

(١) بالنار عله .

مهم

وفي « الرشحات » ما معناه : إن المقصود من سلوك الطريق كون القلب حاضراً بالله على سبيل الذوق . انتهى . يعني : أن يكون الذكر القلبي والحضور الدائمي مع الله تعالى مَلَكة راسخة لا يزول ولا ينقطع ، حتى لو تكلف لإخطار غير الله في البال لم يخطر ، وهذا منهم هو الخوف من سوء المنقلب ، وهو الاستعداد لذلك الوقت ، وقد قالوا : **إن المرء يموت على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه** . فإذا علمت ما ذكر تعلم أن السالكين هم الخائفون ، وغيرهم هم الآمنون[1] ، **والأمن من سوء العاقبة هو سبب سلب الإيمان** ، عياذاً بالله تعالى و﴿**فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾**﴾ الآية .

ومن المعلوم المحسوس أنّ تقوى الله تعالى أكثر في السالكين مما في غيرهم ، ويرجع أمره إلى أن ينجو ممسك عروته من زوال الإيمان ، نظراً إلى ما في الآيات ، فإن مآل كلِّها ومضمونها على حسن حال المتّقي ، قال تعالى ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**﴾ وقد فسر : أي : يتم أعمالكم . وقال البعض : يقبل أعمالكم . وقال تعالى ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ**﴾ وقال ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ**﴾ وقال ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ**﴾ وقال ﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ**﴾ وقال ﴿**ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟**﴾ وقال ﴿**وَسَيُجَنَّبُهَا**[2] **ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى**﴾ وقال ﴿**أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ .

---

(١) أي : ولو كانوا خائفين لاستعدّوا ، فافهم . (منه) . (هامش الأصل) .

(٢) أي : يتباعد عن النار .

سبب سوء الخاتمة

وأيضاً إن سبب سوء الخاتمة كثرة الذنوب الظاهرة والباطنة ، والإصرار على الكبائر والصغائر حتى تعلو الظلمة والنكتة على القلب بسببها ، بحيث لا يخاف من الله ومن سوء العاقبة ، قال تعالى ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ . قال الإمام الغزالي - رحمه الله تعالى - في « إحياء علوم الدين » ما نصُّه : فالعاصي بالضرورة ناقص الإيمان ، وليس الإيمان باباً واحداً ! بل هو نيف وسبعون ، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق . ومثاله قول القائل : (ليس الإنسان موجوداً واحداً ! بل هو نيف وسبعون موجوداً ، أعلاها القلب والروح ، وأدناها إماطة الأذى عن البشرة ، بأن يكون مقصوص الشارب ، مقلوم الأظافر ، نقي البشرة عن الخبث ، حتى يتميَّز عن البهائم المرسلة الملوثة بأوراثها المستكرهة الصور بطول مخالبها وأظلافها) ، وهذا مثال مطابق . فالإيمان كالإنسان ، وفقد شهادة التوحيد يوجب البطلان بالكلية ، كفقد الروح ، والذي ليس له إلاّ شهادة التوحيد والرسالة ! هو كإنسان مقطوع الأطراف ، مفقود العينين ، فاقدٍ لجميع أعضائه الباطنة والظاهرة ، لا أصل الروح ! وكما أن مَن هذا حالُه قريبٌ من أن يموت فتزايله الروح الضعيفة المنفردة التي تخلَّف عنها الأعضاء التي تمدُّها وتقوِّيها ، فكذلك مَن ليس له إلا أصل الإيمان ، وهو مقصِّر في الأعمال ، قريب من أن تُقتلَع شجرة إيمانه إذا صدمتها الرياح العاصفة المحرِّكة للإيمان في مقدمة قدوم ملك الموت ووروده ، **فكل إيمان لم يثبت في اليقين أصله ، ولم تنتشر في الأعمال فروعه ، لم يثبت على عواصف الأهوال** عند ظهور ناصية ملك الموت ، وخيف عليه سوء الخاتمة ، إلا ما يبقى بالطاعات على توالي الأيام والساعات حتى رسخ وثبت انتهى . فراجعه في ٦ من الجزء الرابع .

وفيه أيضاً ، في صحيفة ٧ : فالمعاصي للإيمان كالمأكولات

المضرة للأبدان ، فلا تزال تجتمع في الباطن مغيِّرةً مزاج الأخلاط ، وهو لا يشعر بها إلى أن يفسد المزاج ، فيمرض دفعة ثم يموت دفعة ، فكذلك المعاصي . انتهى .

وأما السالكون ! فأول ما يلقِّنهم المشائخ : التوبة والاستغفار ، والصلاة على النبي المختار – عليه وعلى آله الصلاة والسلام – ، رجاءَ أن يبدِّل الله سيئاتهم حسنات . كما دل عليه قوله تعالى ﴿**يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ**﴾ . وقوله تعالى ﴿ **وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ** ﴾ الآية . وقوله تعالى ﴿ **وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾ . وقوله ﴿**إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ**﴾ وفي الحديث : « أتبع السيئة الحسنة تمحها » . **فالمريد ، وإن عصى وخالف ! فهو يستغفر الله في كل يوم ألف مرة ، أو خمسمائة مرة ، كما كان أشياخنا يأمرونهم بذلك .**

روى ابن ماجه : « لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم عنان السماء ثم تبتم ، لتاب الله عليكم » .

وروى الطبراني والبيهقي : « صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال ، فإذا عمل العبد حسنة كتبها بعشر أمثالها ، وإذا عمل سيئة فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال له صاحب اليمين : أمسك . فيمسك ستّ ساعات ، فإن استغفر الله منها ! لم يكتب عليه شيئاً ، وإن لم يستغفر الله ! كتبها سيئة واحدة » . فهذه نعمة جليلة للمريدين !

الغفلة من أعظم الذنوب

فإن أشياخهم يأمرونهم بعدم غفلتهم عن الله حتى في الخلاء ، فكيف يغفلون عنه تعالى في حالة وقوعهم في المعصية والمخالفة ، مع أنهم يعدّون الغفلة من أعظم الذنوب ! ؟ فالفرقُ بين مَن هذا حالُه ، وبين

من لا يحضر قلبُه مع الله ، ولو في الصلاة المفروضة إلا بالتكلّف بل لحْمَتُهُ وسُدَاهُ غفلة ظاهرٌ لا يخفى .

و في كتاب « الرماح » : فإن مَن اشتغل بها - يعني : بمكفرات الذنوب - مع كثرة ذنوبه خفّت مؤنة الذنوب عليه ، وهو خير من الذي يقتحم الذنوب ولا يأتي بمكفراتها ، قال سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ وقال ﷺ : « إذا أتيت بسيئة فأتبعها بالحسنة » أو كما قال ﷺ مما معناه هذا ، وذلك بمنزلة مَن يسرع له تجديد الجراح بجسده فيسرع له بالدواء ، فكلما وقع عليه جراح أسرع بدوائه ، وهو خير من الذي تنصبُّ عليه الجراح فلا يتداوى . انتهى ٢٥٩ ج٢ . من هامش « جواهر المعاني » . وأيضاً إن المريدين يصلُّون على النبي ﷺ ألف مرة أو خمسمائة مرة بتلقين مشائخهم في كل يوم ، وكونها من المكفرات للذنوب معلومة .

قال في « جواهر المعاني » ما حاصله : أنه سبحانه وتعالى عظيم المحبة والعناية برسوله ﷺ فمن رآه سبحانه وتعالى توجه بالصلاة على حبيبه ﷺ ، اعتنى به لأجل تحبُّبه لحبيبه بالصلاة على حبيبه ، وكانت تلك المحبّة والعناية منه سبحانه وتعالى **إذا ثابر**[1] **على الصلاة عليه ﷺ لو أتاه بذنوب أهل الأرض كلها من أول وجود العالم إلى آخره أضعافاً مضاعفة ؛ لأدخلها كلها سبحانه وتعالى في بحر عفوه وفضله** ، وواجهه سبحانه وتعالى في بلوغ أمله في الدار الآخرة ، بتبليغه له في أعلى مراتب رضاه عنه سبحانه وتعالى ، وكان حكمه في الغيب : كلما صعدت الملائكة إلى الله بصحيفة أعماله مملوءة بالسيئات يقول سبحانه وتعالى للملائكة : إن له عناية بحبيبنا ﷺ ، لا تكون سيئاته كسيئات غيره ! ولا تقع المؤاخذة عليه كما تقع على غيره من أصحاب السيئات . انتهى ١٣٢ ج١ .

---

(١) المثابرة على الأمر : المواظبة عليه . « مختار » . والملازمة له . « مصباح » . (هامش الأصل) .

و فيه في موضع آخر : إن الصلاة على رسول الله ﷺ في حق الفاسق أنفع له من تلاوة القرآن[١] . انتهى ٢٥٥ ج ٢ .

وفيه أيضاً بُعَيد هذا : فإن الله سبحانه وتعالى ضمن لتاليها[٢] أن يصلي عليه ، **ومَن صلى الله عليه مرة لا يعذبه** ، ولا وسيلة عند الله أعظم نفعاً وأرجى في استجلاب رضى الرب عن العبد في حق العامة أكبرُ من الصلاة على النبي ﷺ .

ثواب صلاة الفاتح

و فيه أيضاً : **واعلموا أن الذنوب في هذا الزمان لا قدرة لأحد على الانفصال عنها ، فإنها تنصبُّ على الناس كالمطر الغزير ، لكن أكثروا**

---

(١) وفي « الصاوي حاشية الجلال » في قوله تعالى ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ أي : سل ربك الاستزادة من العلوم بسبب توالي نزول القرآن ، فإنها أفضل ما يسأل ، وأعزُّ ما يطلب ، ومن هنا أمر المشائخ للمريدين بتلاوة القرآن والتعبُّد به بعد كمالهم ونظافة قلوبهم ، وما داموا لم يكملوا ! يأمرونهم بالمجاهدة بالذكر ونحوه لتخلص قلوبهم ، والحكمة في ذلك أن الغفلة في الذكر أخفُّ منها في القرآن ، لما في الأثر : « رُبَّ قاريء للقرآن والقرآن يلعنه » . فجعل العارفون للتوسل للقرآن طرقاً يجاهدون أنفسهم فيها ، ليزدادوا بقراءتهم القرآن علوماً ومعارف وأخلاقاً ، وحينئذٍ فليس تركهم القراءة في المبدئ لكون غيره أفضل منه ! بل لينظفوا أنفسهم للقراءة . انتهى فراجعه من سورة طه .

وقد بسط الإمام الرباني الكلام في حق هذا في بعض مكاتبه ، فراجعه (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

وكان – أي إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه – يقول : لا ينبغي لحامل القرآن العظيم أن يدنِّس فمه بكلام حرام ، ولا أكل حرام ، في عرض مؤمن ولا مؤمنة . قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ الآية . ومثال مَن ينطق بالقرآن العظيم مع تدنُّس فمه بغيبة أو بهتان أو نميمة مثال مَن وضع المصحف في قاذورة ! وقد قال العلماء بكفره . « الطبقات الكبرى » . ١٥١ ج١ . (هامش الأصل) .

(٢) أي لتالي الصلاة على النبي عليه السلام . (هامش الأصل) .

من مكفرات الذنوب وآكدُ ذلك صلاة الفاتح لما أغلق ، **فإنها لا تترك من الذنوب شاذة ولافاذَّة** . انتهى . وهي : « اللّهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق ، والخاتم لما سبق ، ناصر الحق بالحق ، والهادي إلى صراطك المستقيم ، وعلى آله حقَّ قدره ومقداره العظيم » . وهي الصيغة التي قيل فيها : إن **مَن قرأها في عمره ، ولو مرة واحدة! لا يدخل النار** ، وإنها تعدل[1] بسبعمائة[2] ألف صلاة .

وفي « جواهر المعاني » : واعلم أن كلّ ما تذكره من الأذكار والصلوات على النبي ﷺ والأدعية لو توجّهت بجميعها مائة ألف عام ، كل يوم تذكرها مائة ألف مرة ، وجميع ثواب ذلك كله ، ما بلغ ثواب مرة واحدة من صلاة الفاتح لما أغلق . انتهى . ١٥٧ ج٢ .

وقد ذكرت بعض فضائل صلاة الفاتح لما أغلق في كتابنا « تلخيص المعارف » فلو راجعت إليه ترى العجائب . والسلام على كل مَن اتبع الهدى .

ومن صيغ الصلاة التي ورد : أن مَن قال هذه الصيغة وكان قائماً غفر له قبل أن يقعد ، وإن كان قاعداً غفر له قبل أن يقوم ، هذه الصلاة : « اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » وهي مذكورة في « مناهج السعادات » فراجعه في ٦٧ .

فالملازمة على أمثال هذه المكفرات أكثر في السالكين من غيرهم ، فظهر الفرق بينهم وبين غيرهم من العوام .

---

(١) كما هو مذكور في « أفضل الصلوات » (منه) . (هامش الأصل) .

(٢) وفي نسخة : ستمائة ألف صلاة .

وأيضاً **إن المشائخ يلاحظون أتباعهم في الشدائد والمضائق** ، وينظرون بنور بصائرهم إلى أحوالهم ، ويمدُّونهم بمَدَدِهم ، وقد نقل شيخنا سيف الله – قدس سره – في « كنز المعارف » من الحكم ما لفظه : فإذا رجع المريد إلى شيخه بالصدق وجب على شيخه جبران تقصيره بهمة ، **فإن المريدين عيال على شيوخهم فُرِضَ عليهم أن ينفقوا من قوت أحْوَالهم ما يكون جبراناً لتقصيرهم** . انتهى .

ونقل المحقق محمد طاهر – رحمه الله – في « شرح المفروض » عن « ميزان » الشعراني ما نصُّه : **إن أئمة الفقهاء والصوفية كلهم يشفعون في مقلّديهم** ، ويلاحظون أحدهم عند طلوع روحه ، وعند سؤال منكر ونكير له ، وعند المحشر ، وعند الحشر والنشر والحساب والميزان والصراط ، ولا يغفلون عنهم في موقف من المواقف . انتهى .

وفي « الفجر المنير » : وقال – يعني : أحمد الرفاعي رضي الله عنه – **الشيخ هو الذي يحضر مع مريده ويلاحظه في أربعة مواضع** : **الأول** : حين النزع وخروج الروح من الجسد ، **الثاني** : عند سؤال الملكين منكر ونكير في القبر ، **الثالث** : عند العبور على الصراط والمرور به ، **والرابع** : عند وزن أعماله بالميزان . انتهى ٣٠ .

وقد حكت امرأة صالحة وليّة أنها كانت تذهب وحدها لدى شيخها ذي الجناحين الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره ، فاجتمعت في الطريق مع راكب ، فحمل فروتها على فرسه رحمة بها لعَجْزها وضعفها ، ففارق منها ، ثم اجتمعت مع راكب آخر ، فأركبها على فرسه زمناً يسيراً ، ففارق منها أيضاً ، ثم كانت تمشي هويناً ، فلقيها راكب آخر ، فانزعج فرسه خوفاً منها ، وطرح مِن فرسه ، فغضب عليها وتكلَّم عُنفاً ، فقال : بَزَلْ عَدِنِشْ عَدَمَلْ رَجُنِلْ ؟

فقالت له : عَنْكْ عَدِنْ مُنْكِ وَچُّنِبْ مِخَلْ بَژْ عَدِنْ دُنْكِ يَچِنِ يِكُ خَ دِرْ وَسْ قالت له ذلك بحسب التلاعب معه لإطفاء نار غضبه وتطييب قلبه ، ثم وصلت لدى الشيخ المذكور ، فباتت عنده ، فحين قصدت أن ترجع من لدنه إلى قريتها اهتمَّت واغتمَّت ، فإذا نظر الشيخ إلى همومها وغمومها قال لها : لا تخافي ، فإني أكون مَعَكِ عند المجيء وعند الإياب ، وأنا أيضاً أكون معك في حالة الاحتضار لأدفع عنك الشيطان ، وأكون معك أيضاً عند المسألة في القبر لأجيب الملكين منك وأنت ساكتة . فذكر جميع ما وقع لها مع تلكم الرواكب في الأمس ، فقال : وُكُلِوْ وُكُنْ وُكِشْ دُنْ دُدَ خَدُ ؟ فكانت المرأة العجوز المذكورة تُخبر[1] هذه القصة ، وكانت من الصالحات[2] العابدات القانتات .

ونقل عن « الأجوبة المرضية » للشعراني : أن للقيامة خمسين موقفاً ، أولها إذا خرج الناس من قبورهم فيقفون ألف سنة ، فليس للشيخ أن يفارق مريده في ذلك الموقف حتى يلقِّنه حجته ، وذلك الخ ، ثم يساق الناس إلى المحشر فيقفون على أرجلهم ألف عام ، فليس للشيخ أن يفارق مريده حتى يجيب عما الخ . وآخر الموقف الصراط ، **فليس للشيخ أن يفارق مريده حتى يجاوز الصراط إلى الجنة** . الخ . فانظر يا أخي نفع المشائخ لمريديهم . والحمد الله رب العالمين . انتهى اختصاراً .

---

(١) وأيضاً قال لي – قدس سره –: يا ولدي! إن الشيخ لا يكون شيخاً ما لم يقف عند المريد في المواضع المخوفة له في الدنيا ، وعند الأهوال والأنكال له في الآخرة ، مبتدئاً من سؤال القبر ، إلى التجاوز والعبور على الصراط ، وأرجوا أن أكون لكم أكثر وأشدَّ نفعاً في الآخرة مما في الدنيا ، وأرجو أيضاً أن يقوم خليفتي حسن أفندي بعدي مقامي فيما لكم به الضرُّ والنفع بأبلغ وجه . انتهى . فأشار – رحمه الله – بهذا إلى قرب انتقاله إلى دار القرار . نفعنا الله به في الدارين . آمين (لزابره الحقير) .

(٢) وقبرها في غزانش الأعلى ، لدى قبر ولد شيخها العسلي قدس سره . (منه) .

مهم

ومما ينبغي إلحاقه هنا : ما ذكره الشعراني في « البحر المورود » بما هذا نصه : وأُعلِّمك يا أخي طريقاً تملك به قلوب الفقراء ، فلا يتخلَّفون عنك لا في الدنيا ولا في الآخرة ! واعلم يا أخي أن الأولياء أولى الناس بمكافأة مَن أحسن إليهم ، لجودهم وحيائهم فمن دفع لهم هدية ، ولو رغيفاً فقد أدخلهم في منَّته ، ووجب عليهم قضاء حوائجه في الدارين ، ومَن لم يدفع إليهم شيئاً من الهدايا لقضاء حوائجه ليست واجبة عليهم ، وإنما ذلك مستحب . انتهى فراجعه فإنه مهم .

وأيضاً **إن محبة أهل الطريق هي السبب المنجي من سوء العاقبة** ، فإن « المرء يحشر مع من أحب » . فنرجو الله تعالى أن يميت محبَّ أوليائه على الإيمان .

ولولا أن المريد قد صدَّق طريق الولاية لما دخل فيه ! **وتصديق طريقة الولاية ولاية** ؛ كما قاله الجنيد رضي الله عنه ، فالمحبُّ للصوفية والمتشبِّهُ بهم ، والمتشبِّه بالمتشبِّه بهم واللابس لخرقتهم ، والمتبرِّك بنسبتهم ، والمتصل بسلسلتهم ، والعاشق لهم ، والمحب لطريقتهم ورسومهم أفضلُ من غيره ، لحسن ظنه فيهم ؛ وإن كان خالفاً عنهم ومتخلِّفاً عن فعل مثلهم ومائلاً عن سنن استقامتهم ! فالخالف منهم في بركة السالف ، فمددُ هممهم العالية على من تعلق بهم وصدق في حبهم وصفَّى ودَّهم وتشبه بهم وانتسب إليهم طاميةٌ ، والكل في دوائر نفحات بركاتهم الشاملة ، وحصون عنايتهم الكاملة ؛ كما هو مذكور بلفظه وعبارته في « عقد اليواقيت » في ٥٧ ج١ .

وفيه : ومنهم من يصحبهم ويخالطهم لتناله بركتهم وصالح دعواتهم ؛ من غير أن تكون له نية ولا عزيمة في الاقتداء والتشبه بسيرهم ، فذلك

لا يخلو من بركة وخير كثير ، وهو داخل في عموم ما ورد في الحديث القدسي « هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » انتهى ٥٨ ج١ .

وفيه : من أحب القوم وكان لا يصرّ على كبيرة فهو محب حقيقة ؛ وإن وقع في ذنب أو عيب يوماً ما ! ففي الحديث الصحيح : قيل : يا رسول الله الرجل يحب القوم ولا يلحق بهم ؟ قال : « أنت مع من أحببت »[1] . انتهى .

وفيه : يبلغ المريد بنظر الشيخ إلى ما لم يبلغ بعبادته واجتهاده ألف سنة .

قال سيدنا الشيخ أبو بكر بن سالم باعلوي نفعنا الله به : هذا بنظرة الناظر إليهم ، وأما نظرهم إليه ! فإنهم يصلون به إلى أعلى مقام عند الله تعالى مما لا يمكن تعبيره . انتهى .

قلت : وفي الحديث ورد ذلك في قوله ﷺ : « إن لله عباداً مَن نظر في أحدهم نظرةً سَعِد سعادة لا يشقى بعدها أبداً » . انتهى ٥٩ .

مهم في حُبِّ العلماء والصلحاء

وقال الإمام الرباني – قدس سره –: إن محبة هذه الطائفة رأس كل سعادة دنيوية وأخروية ، والتوفيقُ لإتيان الأحكام الشرعية نتيجةُ هذه

---

(١) وإن أردت أن تعلم معنى المعيَّة في هذا فراجع القسطلاني في ٩٩ من ج٦ (هامش الأصل) .

* **معنى المعيّة في « مع من أحببت »**

قال النبي ﷺ « انت مع من أحببت » بحسب نيّتك من غير زيادة عمل (في الجنة) أي بحيث يتمكّن كل واحد منهما من رؤية الآخر وإن بَعُدَ المكان ، لأن الحجاب إذا زال شاهد بعضهم بعضاً ، وإذا أراد الرؤية وتلقّي قدروا على ذلك . هذا هو المراد من هذه المعيّة لا كونهما في الدرجة الواحدة « قسطلاني » .

المحبة ، وتحصيل جمعية الباطن ثمرة هذه المودَّة ، ولو صُبّت جميع ظلمات العالم وكدوراته في الباطن ، وهذه المحبة قائمة ! ينبغي أن لا يغتمَّ أصلاً ، ولو أُفيضت أمثال الجبال من الأنوار والأحوال على الباطن ، وقد زالت مقدار شعرة من هذه المحبة ! ينبغي أن لا يعتقد ذلك غير الخذلان . انتهى من « الدرر المكنونات » في ٢١٧ .

فانظر أيها الأخ إلى ما يثمر محبة الصالحين ولو لمن لا يعمل بعملهم ! .

ورأيت في « الإحياء » ما حاصله : مَن أحب الخير للمسلمين كان شريكاً في الخير ، ومن فاته اللحاق بدرجة الأكابر في الدين لم يفته ثواب الحب لهم مهما أحب ذلك . انتهى .

وفيه بُعَيد هذا : وقد قال أعرابي للنبي ﷺ : يا رسول الله ، الرجل يحب القوم ولَمَا يلحقُ بهم ! فقال النبي ﷺ : « المرء مع من أحب » . وقام أعرابي إلى رسول الله ﷺ وهو يخطب فقال : يا رسول الله متى الساعة ؟ فقال : « ما أعددت لها » ؟ قال : ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صيام إلا أني أحب الله ورسوله ، فقال ﷺ : « أنت مع من أحببت » قال أنس : فما فرح المسلمون بعد إسلامهم كفرحهم يومئذ ، إشارة إلى أن أكثر بغيتهم كانت حبَّ الله ورسوله .

قال أنس : فنحن نحبُّ رسول الله وأبا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم ، ونرجو أن نكون معهم .

وقال أبو موسى : قلت : يا رسول الله ! الرجل يحب المصلين ولا يصلي ، ويحب الصُّوَّام ولا يصوم حتى عدَّ أشياء ، فقال النبي ﷺ : « هو مع من أحب »[١] .

---

(١) متَّفق عليه . كذا في « الإتحاف » . راجعه . (منه) .

وقال رجل لعمر بن عبد العزيز : إنه كان يقول : إن استطعت أن تكون عالماً ، فكن عالماً ، فإن لم تستطع أن تكون عالماً فكن متعلِّماً ، فإن لم تستطع أن تكون متعلِّماً ! فأحبّهم ، فإن لم تستطع فلا تبغضهم ، فقال : سبحان الله ! لقد جعل الله لنا مخرجاً . انتهى١٣٦ ج٣ .

فضيلة مجالسة العالم

وفي « نوادر » العالم العلاَّمة الشيخ أحمد القليوبي – رحمه الله تعالى – : حكي إن كعب الأحبار – رضي الله عنه – قال : إن الله تعالى يحاسب العبد ، فإذا رجحت سيئاته على حسناته يؤمر به إلى النار ، فإذا ذهبوا به إليها يقول الله تعالى لجبريل : أَدْرِكْ عبدي واسأله : هل جلس في مجلس عالم في الدنيا ؟ فاغفر له بشفاعته . فيسأله جبريل ، فيقول : لا . فيقول جبريل : يا رب ! إنك عالم بحال عبدك إنه قال لا . فيقول : سَلْهُ : هل أحبَّ عالماً ؟ فيقول : لا . فيقول : سَلهُ : هل جلس على مائدة مع عالم ؟ فيقول : لا . فيقول سَلهُ : هل سكن في سِكَّةٍ فيها عالم ؟ فيقول : لا . فيقول : سَلْهُ : هل وافق اسمه اسم عالم ؛ أو نسبه نسب عالم ؟ فيقول : لا . فيقول سلْه : هل يحب رجلاً يحب عالماً ؟ فيقول : نعم . فيقول الله لجبريل : خذ بيده وأدخله الجنة ، فإني قد غفرت له بذلك . انتهى٣٥ .

وقال شيخنا السيد الأمير سيف الله الحسيني – قدس سره – في « كنز المعارف » : ثم اعلم أيها الصادق أن التشبه بالأخيار والصالحين بحسن الظن بهم يورث المحبة ، وأن مَن أحب يكون مع المحبين ، ألا ترى أن الله لما أرسل موسى – على نبينا وعليه السلام – إلى فرعون كان السامري يتشبَّه بموسى بين يدي فرعون ليضحكه ، استهزاء منه واستهانة ، فبسبب هذا التشبُّه على هذا الوجه نجَّاه الله تعالى من الغرق ، فلم يغرق مع فرعون وأصحابه ! ! هذا بمجرد التشبُّه والحال أنه على وجه الاستهانة والاستهزاء ، فكيف إذا كان على غير هذا الوجه ؟ ! وكيف إذا كان بحسن

نية ولو لم يقُم بالعمل ! ؟ قال الشاعر :

فتشبهوا إن لم تكونـــوا مثلَهم   إن التـــشبُّه بـــالكـــرام فلاحُ

وقد ورد : « المرء مع من أحب » . فكم موضع ذكرنا هذا ! لما أنهم : « قوم لا يشقى جليسهم » ذكره السيد أحمد بن إدريس في « العقد النفيس » انتهى . من خطه رحمه الله تعالى .

ورأيت في « الصاوي شرح الجلال » في شرح قوله تعالى ﴿وَكَلْبُهُم[1] بَاسِطٌ﴾ الخ ما نصه : وهو من جملة الحيوانات التي تدخل الجنة ، وبهذا تعلم أن حبّ الصالحين والتعلُّقَ بهم يورث الخير العظيم ، والفوز بجنات النعيم ، انتهى فراجعه من سورة الكهف .

وأيضاً أنَّ التضَلُّع مِن هذا العلم[2] يقي صاحبه من سوء الخاتمة ، ويحمله على التوبة والإنابة ، وسلوك ما يوجب الفوز بالسعادة ، فقد نقل الشيخ أبو طالب المكيُّ في كتاب « قوت القلوب » ، والإمام أبو حامد في كتابه « الإحياء » عن بعض العارفين أنه قال : **من لم يكن له من هذا العلم – أي : علم الباطن – نصيب أخاف عليه من سوء الخاتمة** . وأدنى النصيب منه : التصديقُ به وتسليمُه لأهله .

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه : **من لم يتغلغل في علمنا هذا مات مصرّاً على الكبائر وهو لا يشعر** . كذا في « منية الفقير المتجرد » .

ورأيت في « أذكار النووي » رحمه الله تعالى ما حاصله : أن تعلم مسألة واحدة من هذا العلم أفضل من عبادة سنة .

---

(١) أي كلب أصحاب الكهف . (هامش الأصل) .

(٢) أي : علم الباطن (منه) . (هامش الأصل) .

وكتب شيخنا مير سيف الله قدس سره في بعض مكاتيبه : **أن نظر كتب أهل السلوك جند من جنود الله** . انتهى .

فعلم من هذه المنقولات من كتب الأكابر رضي الله عنهم أن محبة أهل الطريق وتسليمهم وتصديقهم ، والتشبه بهم والاشتغال بعلمهم ، من أسباب السعادة وحسن الخاتمة ، وأن ضدها مما يوجب الشقاوة والعياذ بالله ، **فالفرق بين من دخل في الطريقة وبين غيره ظاهر** ، ولعل الأخ السائل العالم البرجي رحمه الله تعالى يرضى بهذا القدر من الجواب .

وصل[1] **في ذكر شيء مما يكون سبباً لحسن الخاتمة** - أماتنا الله تعالى مع أهلينا وأولادنا وأحبابنا على دين الإسلام والإيمان آمين - .

قال صاحب « ذخيرة المعاد بشرح راتب الحداد » في ٥٤ من هامش « عقد اليواقيت » ج١ بعد ذكره كلاماً في شرح قول الراتب : (يا ذا الجلال والإكرام أمتنا على دين الإسلام) ما نصه : ثم اعلم أن سيدنا الشيخ عبد الله صاحب الراتب - رضي الله عنه - ؛ من الأئمة العارفين بجلال الله تعالى الفعال لما يريد ، وبيده الخير والشر ، والسعادة والشقاوة ، وأن القدر سر من أسرار الله تعالى ؛ ضربت دونه أستار اختص الله بها ، وحجبها عن عقول خلقه ، حتى الأنبياء والملائكة والأولياء ، ولا ينكشف ذلك إلا بعد الموت على الإسلام - اهتمّ بسؤال الموت على الإسلام ؛ **إذ العارفون أكثر خوفاً من سوء الخاتمة من غيرهم** .

روي أن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه أمرهم أنْ وضّئوه عند الاحتضار ، ثم جعل يعرق ، ثم يفيق فيقول : لا بَعْدُ . لا بَعْدُ . فقال له ابنه : يا أبت ما هذا الذي لهجت به ؟ ! فقال : يا بني إبليس قائم بحذائي

---

(١) وفي نسخة : فصل .

عاضّ بيده يقول : يا أحمد[1] فُتّني[2] ؟ فأقول : لابعد لابعد حتى أموت . انتهى . فكانوا أعظم الناس خوفاً ، وأكثرهم سؤالاً لحسن الخاتمة . كما بين ذلك في نصائحه .

واعلم - رحمك[3] الله تعالى - أنه **كلما كان الإيمان أقوى والعمل أصلح كان الخوف أكثر** ، وكلما كان الإيمان أضعف والعمل أسوأ كان الخوف أقلَّ ، والأمن والاغترار أغلب[4] ، فاعتبر ذلك في نفسك وغيرك تجده بيّناً .

وعلى الجملة : فإن المؤمن الصادق هو الذي يعمل الصالحات ويخلص فيها ، ويرجو القبول والثواب عليها من فضل الله تعالى ، ويجانب السيئات ويبعد عنها ويخاف أن يبتلى بها ، ويخشى العقاب على ما عمله منها ، ويرجو المغفرة من الله تعالى بعد التوبة والإنابة إلى الله تعالى ؛ فمن كان من المؤمنين على غير هذه الأوصاف فهو من المخلطين وأمره في غاية الخطر ، فافهم هذه الجملة وطالب نفسك بها تنج وتفز إن شاء الله تعالى ؛ إلى آخر ما ذكره ، نفع الله به .

وكان قد قال قبل ذلك في مبحث ذكر الإسلام : **ولن يقدر الإنسان على أن يميت نفسه على الإسلام ، ولكن قد جعل الله له سبيلاً إلى ذلك ، إذا أخذ به كان قد أتى بالذي هو عليه ، وامتثل ما أمر به** ؛ وهو أن يختار

---

(١) وقال : تفلت مني يا أحمد . فقلت : لا بعد ؛ ما دام روحي في الجسد فلا أغتر بسلامتي منك . « شرح سلك العين » راجعه ٥٩١ .

(٢) مِنْ فات يفوت .

(٣) كذا في الأصل ولم أفهم (منه) .

(٤) وفي شرح « سلك العين » في شرح قول الناظم (أوصيك من نفسك) الخ بعد أن بين شدة خوف الأنبياء والصحابة والأقطاب من سوء الخاتمة : واعلم أن الخوف بحسب القرب وصفاء القلب لآية ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ ، ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ . فراجعه (لكاتبه الطلقي) .

الموت على الإسلام ويحبه ويتمناه ويعزم عليه ، ويكره الموت على غيره من الأديان ، ولا يزال داعياً ومتضرعاً وسائلاً من الله أن يتوفاه مسلماً ، وبذلك وصف الله أنبياءه والصالحين من عباده فقال مخبراً عن يوسف بن يعقوب عليهما السلام ﴿أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ . **قال وعلى الإنسان الاجتهاد في حفظ إسلامه وتقويته ؛ بفعل ما أمر به من طاعة الله تعالى ، فإن المضيّع لأوامر الله تعالى متعرّض للموت على غير الإسلام ، فإن تركه لذلك دليل على استهانته للدين وعلى الاستخفاف به ، فليحذر المسلم من ذلك غاية الحذر ، وعليه أيضا أن يجانب المعاصي والآثام ، فإنها تضعف الإسلام وتوهنه وتزلزل قواعده ، وتعرضه للسلب عند الموت** . كما وقع ذلك – والعياذ بالله – لكثير من الملابسين والمصرين عليها . وفي قوله تعالى ﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ ما يدل على ذلك . وخذ نفسك بامتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه ، وإن وقعت في شيء فتب إلى الله منه ، واحذر كل الحذر من الإصرارعليه ؛ ولا تَزَلْ سائلاً من الله تعالى حسن الخاتمة ، فقد بلغنا **أن الشيطان** – لعنه الله – **يقول : قصم ظهري الذي يسأل الله حسن الخاتمة . أقول : متى يعجب**[1] **هذا بعمله أخاف أن قد فطن** . وأكثر من الحمد والشكر على نعمة الإسلام ، فإنها أعظم النعم وأكبرها ، فإن الله تعالى لو أعطى الدنيا بحذافيرها عبداً ومنعه الإسلام لكان ذلك وبالاً عليه ، ولو أعطاه الإسلام ومنعه الدنيا لم يضره ذلك ، لأن الأوّل يموت فيصير إلى النار ، وهذا الثاني يموت فيصير إلى الجنة .

وعليك أن لا تزال خائفاً وجلاً من سوء الخاتمة ؛ فإن الله تعالى مقلّب القلوب يهدي من يشاء ، ويضل من يشاء .

---

(١) لم أفهم (منه) .

قال : وقد كان السلف الصالح رحمة الله عليهم في غاية الحذر من سوء الخاتمة مع صلاح أعمالهم وقلة ذنوبهم .

الذين يختمون بخاتمة السوء كثير

واعلم أن كثيراً ما يختم بخاتمة السوء للذين يتهاونون بالصلاة المفروضة والزكاة الواجبة ، والذين يتتبّعون عورات المسلمين ، والذين ينقصون المكيال والميزان ، والذين يخدعون المسلمين ويغشّونهم ويلبّسون عليهم في أمور الدين والدنيا ، والذين يكذبون أولياء الله وينكرون عليهم بغير حق ، والذين يدعون أحوال الأولياء ومقاماتهم من غير صدق ، وأشباه ذلك من الأمور الشنيعة .

ومن أخوف ما يُخاف على صاحبه سوء الخاتمة ، البدعة في الدين ، وكذلك إضمار الشكّ في الله ورسوله واليوم الآخر ، فليحذر المسلم من ذلك غاية الحذر ، ولا عاصم من أمر الله إلا من رحم ، اللهم يا أرحم الراحمين نسألك بنور وجهك الكريم أن تتوفانا مسلمين ، وأن تلحقنا بالصالحين في عافية يا رب العالمين . انتهى .

أسباب حسن الخاتمة

واعلم أن العلماء نصوا على أن : كل ما ورد فيه من الأخبار ؛ دخول الجنة أو النجاة من النار ، أو الموت على الإسلام ، أو الجواز على الصراط ، أو شفاعة النبي ﷺ أو مرافقته أو الورود على حوضه ﷺ ، **فكل ذلك من أسباب حسن الخاتمة** ، وكذا الشهادة الأخروية ، والموت على الإسلام ، والاستظلال بظل العرش يوم القيامة ، وتفريج كربة من كرباته ، وكل ما تضمن كرامة أخروية .

قال السيد الإمام أحمد بن علوي باحسن باعلوي – نفع الله به – في كتابه المقدم ذكره : وكذا ما يضاهي ذلك من المبشرات بحسن الخاتمة

لمن وفق للعمل بموجبه ، كما نص عليه النووي وغيره من الأئمة ؛ إذ الكرامة ثمة إنما ينالها من مات على الإسلام دون غيره . انتهى .

وذكر من أسباب ذلك هو وغيره : الملازمة بعد كل صلاة قراءة الفاتحة و﴿ الٓمٓ ﴾ إلى ﴿ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ و﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ الآية و« آية الكرسي » و﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ ﴾ إلى آخر السورة ، و﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ إلى ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ ويقول بعده : وأنا أشهد بما شهد الله به ، وأستودع الله هذه الشهادة ، وهي لي عند الله وديعة . ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾[1] إلى ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ والإخلاص عشراً والمعوذتين (مرة مرة) . وذكر ذلك أيضاً السيد العارف بالله تعالى عبد الله ميرغني فإنه ذكر أن هذه الأذكار من الأسباب الخاتمة بحصول حسن الخاتمة .

ومنها : أذكار الوضوء ، ومن ذلك : صدقة السرِّ فإنها تطفىء غضب الرب ، وتدفع ميتة السوء .

ومنه : سبحان الله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وزنة العرش صباحاً ومساء ثلاث مرات .

ومنه : زيارة رسول الله ﷺ وسؤال الوسيلة .

ومنه : السلام في يوم أو ليلة على عشرة أو عشرين مسلماً مجموعين أو فرادى ، وإطعام اليتيم ، وسؤال الجنة ثلاثاً ، والأذان اثني عشر سنة ، وإخراج الأذى من المسجد ، وإسباغ الوضوء في الليلة الباردة ، والإهلال بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى ، **والإتيان بسيد الاستغفار**[2] صباحاً

---

(١) ومثله في « إعانة الطالبين » مع زيادة ، فراجعه في ٧٨١ ج١ (منه) . (هامش الأصل) .

(٢) وهو ما رواه شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « سيد الاستغفار أن

ومساء ، وإنفاق زوجين في سبيل الله ؛ أي شيئين من كل شيء ، والتحميد والترجيع عند موت الولد ، وموت الطفل للإنسان ، وصلاة مئة شخص ، أو أربعين ثلاثة صفوف على الميت ، والصبر عند الصدمة الأولى ، وصيام ثمانية من شهر رجب ، وصلاة أربع ركعات في الجامع يوم الجمعة بـ« الإخلاص » ؛ في كل ركعة خمسين مرة ، ورمي سهم أو صنعته في سبيل الله تعالى ، وتعلُّم كلمة أو كلمتين أو ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً مما فرض الله تعالى فيتعلّمهنّ أو يعلِّمهنّ .

ومن ذلك : إحسان الوضوء ثم صلاة ركعتين ؛ يقبل بقلبه وبوجهه عليهما ويقول : رضيت بالله ربّاً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ، والجلوس في مصلاه بعد صلاة الفجر ذاكراً حتى تطلع الشمس ، وقراءة خواتيم سورة البقرة من ليل أو نهار والموت من يومه أو ليلته ، وقراءة (أسلمت نفسي إليك ، ووجهت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك ؛ رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، ونبيك الذي أرسلت) ، وفي الرواية : « إذا أتيت مضجعك ، فتوضأ ثم اضطجعْ على شقك الأيمن ، ثم قل : اللهم . . . . » إلى آخره ، ويجعلهنّ آخر ما يتكلم به . وفي رواية أخرى بلا ذكر الوضوء ، ومنه : اللهم أعط محمداً الدرجة والوسيلة ، اللهم اجعل في المصطفين صحبته ، وفي العالمين درجته ، وفي المقرّبين ذكره ، وعقب كل صلاة قراءة « قل هو الله أحد » ، والاستغفار في رجب سبعين بالغداة وسبعين

يقول : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذبك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علي ، وأبوء بذنبي ، فاغفرلي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . من قالها في النهار موقناً فمات من يومه قبل أن يمسي ، فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن ، فمات قبل أن يصبح ، فهو من أهل الجنة » . رواه الخاري . كذا في « ذخيرة المعاد » فراجعه في ١٨ من هامش « عقد اليواقيت » ج١ . (منه رحم الله إفلاسه) .

بالعشي بصيغة : (اللهم اغفر لي وارحمني وتب علي) ، والأذان احتساباً سبع سنين ، وعند ختم القرآن : (اللهم اختم لنا بخير وافتح لنا بخير) ، وفي السجود : (يا مقلب القلوب ثبّت قلبي على دينك) إلى غير ذلك ، وللإمام السيوطي رحمه الله تعالى في ذلك مؤلف سماه « أبواب السعادة في أسباب الشهادة » ختم الله لنا بذلك ولأحبابنا والمسلمين بلا محنة ولا فتنة آمين يا رب العالمين . انتهى .

وفي « بغية المسترشدين » ما نصه : فائدة نقل عن القطب الحداد أن مما يوجب حسن الخاتمة عند الموت أن يقول بعد المغرب أربع مرات : أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم الذي لا يموت وأتوب إليه ، رب اغفر لي .

وعن بعض العارفين : من قال بعد صلاة المغرب أيضاً قبل أن يتكلم : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه بعدد كل حرف جرى به القلم (عشر مرات) مات على الإيمان . اهـ « حدائق الأرواح » لباسودان . انتهى في ٤٥ وفيه في ٧٧ في موضع آخر :

فائدة نقلت عن الإمام الشعراني : أن من واظب على هذين البيتين في كل يوم جمعة توفاه الله تعالى على الإسلام من غير شك وهما :

إِلَهِي لَسْتُ لِلْفِرْدَوْسِ أَهْلاً ... وَلاَ أَقْوَى عَلَى نَارِ الْجَحِيمِ

فَهَبْ لِي تَوْبَةً وَاغْفِرْ ذُنُوبِي ... فَإِنَّكَ غَافِرُ الذَنْبِ الْعَظِيمِ

ونقل عن بعضهم أنهما يقرآن خمس مرات بعد الجمعة . انتهى « باجوري » فراجعه في سنن الجمعة في ٧٧ .

وفيه : **فائدة** : يسن أن يقول بعد تكبيرة الإحرام : اللهم إني أعوذ بك أن تصد عني وجهك يوم القيامة ، اللهم أحيني مسلماً وأمتني مسلماً . وعند ختم القرآن : اللهم اختم لنا بخير وافتح لنا بخير . فكلا هذين ورد

الوعد لفاعلهما بالموت على الإسلام . « حدائق الأرواح » انتهى فراجعه في ٤٠ .

وذكر القطب أحمد ضياء الدين قدس سره في « مجموعة الأحزاب » ما نصه : **هذا حزب دعاء الفرج** لأبي جعفر المنصور بتعليم الخضر عليه السلام ، من دعا بهذا الدعاء صباحاً ومساء هدمت ذنوبه ودام سروره ، ومحيت خطاياه ، واستجيب دعاؤه ، وبسط له في رزقه ، وأُعطي أَمَلَه ، وأعين على عدوه ، وكتب عند الله صديقاً ؛ ولا يموت إلا شهيداً : اللهم كما لطفتَ في عظمتك دون اللُّطَفَاءِ ، وعلوْتَ بقدرتك على العُظَمَاءِ ، وعلمت ما تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك ، وكانت وساوس الصدر كالعلانية عندك ، وعلانية القول كالسر في علمك ، فانقاد كل شيء لعظمتك ، وخضع كل ذي سلطان لسلطانك ، وصار أمر الدنيا والآخرة كله بيدك ؛ اجعل لي من كل هم وغم أصبحت وأمسيت فيه فرجاً ومخرجاً ، اللهم إن عفوك من ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على عملي أطمعتني أن أسألك ما لا أستوجبه مما قصرت فيه ، أدعوك آمناً وأسألك مستأنساً ، وإنك لمحسن إليَّ وأَنِّي لمسيءٌ إلى نفسي في ما مضى بيني وبينك ، تتودَّدُ إلي بنعمك وأتبغَّض إليك بالمعاصي ، ولكنّ الثقة بك[1] حملتْني على الجُرأَةِ عليك ، فَعُد اللهم بفضلك وإحسانك علي إنك أنت الرؤوف الرحيم . انتهى ٣٥٧ ج١ .

ومن الأسباب التي يسهل بها سكرات الموت ولا يذوق مرارته ما ذكره مؤلف « رماح حزب الرحيم » بما لفظه : وأما « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » فمن بعض فضائله : أن من داوم على قراءته مائة مرة في كل يوم لا يذوق سكرات الموت .

---

(١) في نسخة : منك .

وقد أخبرني سيدي محمد الغالي رضي الله تعالى عنه ؛ وأنا معه في المدينة المنوّرة ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام : أن الشيخ رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به كان يحض على ذلك والدوام عليه ويقول : إن المداوم عليه لا يذوق مرارة الموت أصلاً . انتهى .

قلت : قد رأيت في بعض الكتب أن بعض الصالحين داوم عليه فمات وهو ساجد في الصلاة . انتهى . ١٠٥ ج٢ .

وفي « المشرع الروي » نقلاً عن القطب سيدي عبد الله العيدروس رضي الله عنه : من قرأ آية الكرسي يثبّت الله بها القلب لا سيّما عند الموت . « تقريب الأصول » ١١٨ .

فائدة : ذكر الشيخ الإمام برهان الدين إبراهيم بن حسن الكوراني – رحمه الله تعالى – في كتاب ذكر فيه جملة من الأذكار والدعوات ، قال : ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن الحكيم الترمذي عن جبريل عليه السلام : « إن ربك يقول : من قال دبر كل صلاة مكتوبة مرة واحدة : (اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولحظة ولمحة وطرفة يطرف بها أهل السماوات وأهل الأرض من كل شيء هو في علمك كائن أو قد كان ؛ أقدم إليك بين يدي ذلك كله ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ إلى ﴿ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ ، فإن الليل والنهار أربعة وعشرون ساعة ليس فيها ساعة إلا يصعد إلي فيها سبعون ألف ألف حسنة حتى ينفخ في الصور ، وتشتغل الملائكة بذلك ؛ وهذا ما وصى به الشيخ محيي الدين قدس سره في الباب السادس والخمسين من « الفتوحات » ؛ قال : وكذلك تقول في إثر كل صلاة فريضة قبل الكلام : اللهمّ إني أقدم إليك بين يدي كل نفس . . . إلى آخر ما مرّ . انتهى . ما ذكره الكوراني[1] .

---

(١) قاله صاحب « ذخيرة المعاد » في صحيفة ٤٨ . (هامش الأصل) .

وقد وقع السؤال عن قوله : اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس . . .إلى آخره . ما المراد منه ؟

فأجبت : إن المراد تكثيرُ المضاعفة والتحصين ؛ بأن يكون ما ورد في هذه الآية الكريمة من الأجور التي يتعذّر حصرها ، ومن الثواب الجزيل والكرامة لقارئها في الدنيا والآخرة كائن وواقع بين يدي تلك الأزمنة التي لا يكاد يظهر لها تقدير في الزمن ، فتستغرق تلك اللحظات جميع الأوقات في الحفظ ، وما فيها من الثواب من كل ما ورد ، واختصت به مما عُلم ، ومما لم يعلم ، يكون مقدماً بين يدي تلك الدقائق من الزمن لتشمل الإحاطة والتحصن والحفظ والثواب العظيم ، فيكون ذلك معدوداً ومُعَدّاً له بين يدي تلك الآنات والشيئات .

ويؤيد هذا المفهوم ما ذكره أحمد السجاعي المصري في شرحه على « حزب الإمام النووي » على قوله : وأقدم بين يدي وأيديهم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ . . إلى آخرها ، أي أجعل ذلك مقدماً في التحصن والإحاطة انتهى . « ذخيرة المعاد » ٨٦ راجعه من هامش « عقد اليواقيت » ففيه كلام آخر في ذكر معنى ما ذكر .

وفي « تنوير الصدر شرح حزب البر » : قال الترمذي : خلصنا حساب ليلة ثمانمائة ألف ألف وأربعين ألفاً وبالنهار مثله ، فذلك ألف ألف ألف وست مائة ألف ألف ؛ هذا في اليوم والليلة ، فحقيق أن يشتغل الملائكة بذلك . انتهى . ١٢٣ من هامش « مجموعة الأحزاب » ج١ .

وما قاله الشاذلي في حزب البر هكذا : (وكل شيء هو في علمك . .إلخ) بدل من (كل شيء) في الحديث المذكور ، وفسر لذلك صاحب « تنوير الصدر » هكذا ، وأقدم إليك قبل كل - بالجر عطف على (كل) الأولى - شيء هو في علمك الخ . انتهى . فراجعه وتدبره في ١١٩

من هامش « مجموعة الأحزات » .

هذه فائدة عظيمة :

باسم ربي والصلاة والسلام للنبيّ ثم للآل الكرام

بعد هذا ، فاستمعنا يا همام نذكر تسبيح ربي باهتمام

قد أتينا بالنقول عن إمام رحمة الله عليه والسلام

قد رأى الله تعالى في المنام بعد تسعين وتسع بالتمام

قال فيه : من يسبح يا إمام بالغداة والعشي بالدوام

خالصا تسبيحَ آت في الكلام فهو ناج من عذاب بالسلام

فهو تاج رأس حقي والمرام ذكر تسبيح الإله في الختام

هذه هي التسبيحات المنجية[١] : بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الأبدي الأبد ، سبحان الواحد الأحد ، سبحان الفرد الصمد ، سبحان رافع السماء بغير عمد ، سبحان من بسط الأرض على ماء جمد ، سبحان من خلق الخلق فأحصاهم عَدَد[٢] ، سبحان من قسم الرزق ولم ينس أحد ، سبحان الذي لم يتخذ صاحبة ؛ ولا ولد[٣] ، سبحان الذي لم يلد ولم يولد

---

(١) ومثله بل عينه في « مصباح الظلام » . فراجعه في ٦٣ (منه) .

(٢) كذا في الأصل الخ . وجه الفهم : عله بحذف الحركة والتنوين لضرورة الفاصلة والسجع ؛ إذ الفاصلة في النثر بمنزلة القافية في الشعر . كذا في كتب العروض ، فراجعه .

(٣) ولم ينسى أحد . ولا ولد ؛ كذا في « مصباح الظلام » أي بلا نصب ولعله للموافقة فافهم (منه) .

*هذا الدعاء حفظ الإيمان الوارد عنه ﷺ : اللهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم وأستغفرك مما لا أعلم إنك علام الغيوب « ترصيع الجواهر » ٦٥ .

ومن أدعية حسن الخاتمة : اللهم اختم لي منك بخير في عافية من غير سابقة=

ولم يكن له كفواً أحد . انتهى . من كتاب ألفه سليمان حقي ٤٤ .

وحكي عن إبراهيم بن أدهم عن بعض الأبدال أنه قام ذات ليلة يصلي على شاطىء البحر ، فسمع صوتاً عالياً بالتسبيح ولم ير أحداً فقال : من أنت ؟ أسمع صوتك ولا أرى شخصك ، فقال : أنا ملك من الملائكة موكّل بهذا البحر ، أسبح الله تعالى بهذا التسبيح منذ خلق . فسأله عن ثواب من قال هذا التسبيح ، فقال : من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له ؛ وهو هذا : سبحان الله العلي الديان سبحان الله الشديد الأركان ، سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار ، سبحان من لا يشغله شأن عن شأن ، سبحان الله الحنان المنان ، سبحان الله المسبح في كل مكان . كذا في « مصباح الظلام » فراجعه في ٣٦ .

البُرج الرابع

في بيان درجات شوائب الرياء والآفات المكدرات للإخلاص

فلما كان معرفتها للسالك ولغيره من المهمّات ، وكان ذكر الرياء في مسألة السائل ؛ أردت أن أورد هنا نبذة يسيرة لا بدَّ لكل أحد من اطِّلاعها والتدبّر بما فيها ، فالكتب ؛ وإن كانت مشحونة بذكر الرياء وغيره من الآفات المحبطة للعمل لكنها لا يظفر عليها كل أحد ، وأرجو الله تعالى أن يوصل إلى هذا الكتاب نظرة موفق فيعمل بما فيها ولو بأدنى شيء ، والله الموفِّق لكل خير ، والمحوِّل عن كل شرٍّ .

=عذاب ولا محنة ، ثلاثاً في الصباح وثلاثاً عند النوم . ومنها ما يقال بعد الصلاة الأوابين : اللهم إني أستودعك ديني فاحفظه عليّ في حياتي وعند مماتي وبعد وفاتي ، ومنها ما يقول بين سنة الفجر والفريضة أربعين مرة يا حي يا قيوم يا بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا الله لا إله إلا أنت أسألك أن تحيي قلبي يا الله يا أرحم الراحمين . « ترصيع » ٦٥ .

قال حجة الإسلام الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ في « الإحياء » في ٢٧٣ ج٤ : **اعلم** أن الآفات المشوّشة للإخلاص بعضها جليٌّ وبعضها خفيٌّ ، وبعضها ضعيف مع الجلاء ، وبعضها قويّ مع الخفاء ، ولا يفهم اختلاف درجاتها في الخفاء والجلاء إلا بمثال ، **وأظهر مشوشات الإخلاص الرياء** ، فلنذكر منه مثالاً فنقول :

درجات الرياء

الشيطان يُدْخل الآفةَ على المصلي مهما كان مخلصاً في صلاته ، ثم نظر إليه جماعة أو دخل عليه داخل ، فيقول له : حَسِّنْ صلاتك حتى ينظر إليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح ولا يزدريك ولا يغتابك ، فتخشع جوارحه ، وتسكن أطرافه ، وتحسن صلاته ، وهذا هو الرياء الظاهر ، ولا يخفى ذلك على المبتدئين من المريدين .

الدرجة الثانية : يكون المريد قد فهم هذه الآفة وأخذ منها حذره ، فصار لا يطيع الشيطان فيها ولا يلتفت إليه ويستمرّ في صلاته كما كان ، فيأتيه في معرض الخير ويقول : أنت متبوع ومقتدى بك ومنظورٌ إليك ، وما تفعله يؤثر عنك ويتأسَّى بك غيرك ، فيكون لك ثواب أعمالهم إن أحسنت ، وعليك الوزر إن أسأت ، فأَحْسِنْ عملك بين يديه فعساه يقتدي بك في الخشوع وتحسين العبادة ؛ **وهذا أغمض من الأول** ، وقد ينخدع به من لا ينخدع بالأول ، وهو أيضاً عين الرياء ومبطل للإخلاص ، فإنه إن كان يرى الخشوع وحسن العبادة خيراً لا يرضى لغيره تركه ، فَلِمَ لم يرتض[1] لنفسه ذلك في الخلوة ؟ ! **ولا يمكن أن تكون نفس غيره أعزَّ عليه من نفسه** ، **فهذا محض التلبيس** ، بل المقتدى به هو الذي استقام في نفسه واستنار قلبه فانتشر نوره إلى غيره ، فيكون له ثواب عليه[2] ، **فأما**

---

(١) وفي نسخة : لم يرض .

(٢) وفي نسخة : عمله .

هذا ! فمحض النفاق والتلبيس فمن اقتدى به أُثيب عليه ، وأما هو فيطلب بتلبيسه ويُعاقَب على إظهاره من نفسه ما ليس متصفاً به .

الدرجة الثالثة ؛ وهي أدقُّ مما قبلها : أن يجرِّب العبد نفسه في ذلك ، ويتنبَّه لكيد الشيطان ، ويعلم ، **أن مخالفته بين الخلوة والمشاهدة للغير محضُ الرياء** ، ويعلم أن الإخلاص في أن تكون صلاته في الخلوة مثل صلاته في الملأ ، ويستحيي من نفسه ومن ربه أن يتخشع لمشاهدة خلقه تخشعاً زائداً على عادته ، فيقبل على نفسه في الخلوة ويحسن صلاته على الوجه الذي يرتضيه في الملأ ، ويصلي في الملأ أيضاً كذلك ، **فهذا أيضاً من الرياء الغامض** ، لأنه حسَّن صلاته في الخلوة لتحسن في الملأ ، فلا يكون قد فرّق بينهما ، فالتفاته في الخلوة والملأ إلى الخلق ، **بل الإخلاص أن تكون مشاهدة البهائم لصلاته ومشاهدة الخلق على وتيرة واحدة** ، فكأن نفس هذا ليست تسمح بإساءة الصلاة بين أظهر الناس ، ثم يستحي من نفسه أن يكون في صورة المرائين ، ويظن أن ذلك يزول بأن تستوي صلاة في الخلاء والملأ وهيهات !! **بل زوال ذلك بأن لا يلتفتَ إلى الخلق كما لا يلتفتُ إلى الجمادات في الخلاء والملأ جميعاً** ، وهذا من شخص مشغولِ الهمِّ بالخلق في الملأ والخلاء جميعاً ، وهذا من المكائد الخفية للشيطان .

الدرجة الرابعة ؛ وهي أدقّ وأخفى : أن ينظر إليه الناس وهو في صلاته فيعجز الشيطان عن أن يقول له : اخشع لأجلهم . فإنه قد عرف أنه تفطَّن لذلك ، فيقول له الشيطان : تفكَّر في عظمة الله تعالى وجلاله ومن أنت واقف بين يديه ، واستحي من أن ينظر الله إلى قلبك وهو غافل عنه ، فيحضر لذلك قلبه وتخشع جوارحه ، ويظن أن ذلك عين الإخلاص ، وهو عين المكر والخداع ، فإن خشوعه لو كان لنظره إلى جلاله لكانت هذه الخطرة تلازمه في الخلوة ، ولكان لا يختص حضورها بحالة حضور غيره ،

وعلامة الأمن من هذه الآفة : **أن يكون هذا الخاطر مما يألفه في الخلوة كما يألفه في الجلوة ، ولا يكون حضور الغير هو السبَب في حضور الخاطر** ، كما لا يكون حضور البهيمة سبباً ، **فما دام يفرِّق في أحواله بين مشاهدة إنسان ومشاهدة بهيمة ؛ فهو بعدُ خارجٌ عن صفو الإخلاص ، مدنّسُ الباطنِ بالشرك الخفي من الرياء ، وهذا الشرك أخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء ؛** كما ورد به الخبر ، ولا يسلم من الشيطان إلا من دقَّ نظره ، وسعد بعصمة الله تعالى وتوفيقه وهدايته ، وإلا ! فالشيطان ملازم للمتشمِّرين لعبادة الله تعالى ، لا يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الرياء في كل حركة من الحركات ؛ حتى في كحل العين ، وقصِّ الشارب ، وطيب يوم الجمعة ، ولبس الثياب ، فإن هذه سُننٌ في أوقات مخصوصة وللنفس فيها حظ خفي ، لارتباط نظر الخلق بها ، ولاستئناس الطبع بها ، فيدعوه الشيطان إلى فعل ذلك ؛ ويقول : هذه سنة لا ينبغي أن تتركها . ويكون انبعاث القلب باطناً فيها لأجل تلك الشهوة الخفية ، أو مشوبة بها شوباً يخرج عن حد الإخلاص بسببه ، وما لا يسلم عن هذه الآفات كلها فليس بخالص ، بل من يعتكف في مسجد معمور نظيف حسن العمارة يأنس به الطبع ، فالشيطان يرغبه فيه ويكثر عليه من فضائل الاعتكاف ، وقد يكون المحرِّك الخفي في سره وهو الأنس بحسن صورة المسجد واستراحة الطبع إليه ، ويتبين ذلك في ميله إلى أحد المسجدين أو أحد الموضعين إذا كان أحسن من الآخر ، وكل ذلك امتزاج بشوائب الطبع وكدورات النفس ، ومبطل حقيقة الإخلاص . **لعمري** الغِشّ الذي يمزج بخالص الذهب له درجات متفاوتة ! فمنها ما يغلب ، ومنها ما يقل ، لكن يسهل دركه ، ومنها ما يدق بحيث لا يدركه إلا الناقد البصير ، وغش القلب ، ودَغَل[1] الشيطان ،

---

(١) الدغل : الفساد . « مختار » (هامش الأصل) .

وخبث النفس ، أغمض من ذلك وأدق كثيراً .

ركعتان من عالم أفضل من عبادة سنة من جاهل

ولهذا قيل : **ركعتان من عالم أفضل من عبادة سنة من جاهل** . وأريد به العالم البصير بدقائق آفات الأعمال حتى يخلص عنها ، فإن الجاهل نظره إلى ظاهر العبادة واغتراره بها كنظر السوادي إلى حمرة الدينار المموّه واستدارته ؛ وهو مغشوش زائف في نفسه ، وقيراط من الخالص الذي يرتضيه الناقد البصير خير من دينار يرتضيه الغرُّ الغبيّ ، فهكذا يتفاوت أمر العبادات ، بل أشد وأعظم ، ومداخل الآفات المتطرقة إلى فنون الأعمال لا يمكن حصرها وإحصاؤها ، فلينتفع بما ذكرناه مثالاً ، والفَطِنُ يغنيه القليل عن الكثير ، والبليد لا يغنيه التطويل أيضاً ؛ فلا فائدة في التفصيل انتهى في ٢٧٥ .

كيفية امتزاج الحظوظ

وقال الغزالي أيضاً قبيل هذا : وأقل أموره ما ورد في الخبر : **أن المرائي يُدعى يوم القيامة بأربع أسام : يا مرائي . . يا مخادع . . يا مشرك . . يا كافر . .** وإنما نتكلم الآن فيمن انبعث لقصد التقرب ، ولكن امتزج بهذا الباعث باعث آخر ، إمّا من الرياء ، أو من غيره من حظوظ النفس ، ومثال ذلك : أن يصوم لينتفع بالحمية الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب ، أو يعتق عبداً ليتخلص من مؤنته وسوء خلقه ، أو يحج ليصح مزاجه بحركة السفر ، أو يتخلص من شرّ يعرض له في بلده ، أو ليهرب عن عدو في منزله ، أو يتبرّم بأهله وولده أو بشغل هو فيه ، فأراد أن يستريح منه أياماً ، أو يغزو ليمارس الحرب ويتعلم أسبابه ويقدر به على تَهيئة العساكر وجرّها ، أو يصلي بالليل وله غرض في دفع النعاس عن نفسه به ليراقب أهله أو رحله ، أو يتعلم العلم ليسهل عليه طلب ما

يكفيه من المال ، أو ليكون عزيزاً بين العشيرة ، أو ليكون عقاره وماله محروساً بعزّ العلم عن الأطماع ، أو اشتغل بالدرس والوعظ ليتخلَّص عن كرب الصمت ويتفرَّج بلذة الحديث ، أو تكفل بخدمة العلماء أو الصوفية لتكون حرمته وافرة عندهم وعند الناس ، أو لينال به رفقاً في الدنيا ، أو كتب مصحفاً ليجوِّد بالمواظبة على الكتابة خطه ، أو حج ماشياً ليخفف عن نفسه الكراء ، أو توضأ ليتنظف أو يتبرَّد ، أو اغتسل لتطيب رائحته ، أو روى الحديث ليُعرَف بعلوّ الإسناد ، أو اعتكف في المسجد ليخفف عليه كراء المسكن ، أو صام ليخفف عن نفسه التردد في طبخ الطعام ، أو ليتفرغ لأشغاله فلا يشغله الأكل عنها ، أو تصدَّق على السائل ليقطع إبرامه في السؤال عن نفسه ، أو يعود مريضاً ليُعاد إذا مَرِض ، أو يشيع جنازة ليشيع جنائز أهله ، أو يفعل شيئاً من ذلك ليعرف بالخير ويذكر به ؛ وينظر إليه بعين الصلاح والوقار . مهما[1] كان باعثه هو التقرب إلى الله تعالى ؛ ولكن انضاف إليه خطر من هذه الخطرات حتى صار العمل أخف عليه بسبب هذه الأمور ، فقد خرج عمله عن حد الإخلاص ، وخرج عن أن يكون خالصاً لله تعالى ، و تطرَّق إليه الشرك ؛ و قد قال تعالى « أنا أغنى الشركاء عن الشركة » انتهى عبارته ٢٩٦ ج ٤ .

فانظر يا أخي إلى دقائق الرياء[2] ، **واعلم أن أهمَّ ما يرشد الشيوخُ أتباعهم إليه هو الاجتنابُ عن ملاحظة الخلق ، وعن طلب الحظوظ النفسانية بأعمالهم دنياً وأخرى** ، بل مقصودهم بجميع مايعالجونهم ؛ دلالتهم إلى أسباب الخلوص منها طلباً لحظ التلذُّذ بمجرد المعرفة

(١) وفي نسخة : ومهما .

(٢) قال الفاضل المفسّر نظام الدين النيسابوري القمي في غرائب القرآن : إن اجتناب الرياء صعب إلا على من راض نفسه وحملها على الإخلاص ، ومن هنا قال رسول الله ﷺ « الرياء أخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة المظلمة على المسح الأسود » . انتهى . (لمحرره العوري) .

والمناجاة والنظر إلى وجه الله تعالى ، فهذا حظ هؤلاء القوم ؛ لا يلتفتون إلى غيرهما من الحظوظات النفسانية في الدنيا والآخرة ، **حتى يرون طلب الشهوات الموصوفة في الجنة عينَ طلب حظ البطن والفرج** ، ولكن أكثر الناس لا يعدُّون التلذُّذ المذكور حظاً ؛ لعدم علمهم بما هنالك .

وأما أهل الطريقة أرباب الوصلة والمشاهدة ؛ **لو عُوّضوا عما هم فيه من لذة الطاعة والمناجاة وملازمة الشهود للحضرة الإلهية سراً وجهراً جميع نعم الجنة لاستحقروه ولم يلتفتوا إليه ؛** كما أشار إليه الغزالي في « الإحياء » . فقد أخبرني بعض مريدي شيخنا العسوي ـ قدس سره ـ : أنه كان عنده فطرأ عليه حال بتوجُّهه ، وصار في لذة الحضور بحيث ينسى جميعَ اللذات ، فقال له : يا أستاذي هل يكون في الجنة لذة ألذّ من هذا ؟ ! فقال له الشيخ : لا ، ولو دخلت في الجنان الثمانية . انتهى .

وأما هذا الحقير الفقير المفلس فقد ذاق من هذا المقام طعماً ، فحين كان في السلوك طرأ عليه لذة الحضور وقت المراقبة ، فظن أنه لا تكون في الدنيا و لا في الآخرة لذة أشرف من هذا ولا ألذ ، وظن أنه لا يدخل الجنة لو أمره بالدخول إليها بدل هذه ، ولله الحمد و المنة ، وله الشكر على هذه النعمة الجليلة وهي التي يسمونها بـ « **الجنة المعجلة** » .

أيها الأخ المحبوب العالم السائل المرغوب ؛ رزقك الله تعالى أعلى مراتب الإخلاص ، وخلَّصك من أدنى درجات الرياء ، ينبغي لك أن تعلم أن مَن اتخذ له شيخاً يَهديه إلى معرفة مراتب الإخلاص والرياء ، ومن لا يعرف شيئاً منها لا يستويان في هذا الأمر كما لا يخفى على عاقل ، فإن غالب الخلق نراهم كأنهم معجونون بطين الرياء والسمعة ، فإذا نظر المشائخ بعيون أفئدتهم إلى أهل الظلام المنقطعين عن الله سلكوا طريق العلاج لإزالة ظلماتهم ؛ بتلقين الذكر مع نوره الحاجب من الشيطان ،

ويأمرونهم بتكراره ليدركوا بذلك النور ما في قلوبهم من الآفات القادحة للإخلاص ، فيطّلعون تدريجاً إلى دقائق الرياء وأخفاه ، فيجتهدون بعد ذلك في تركه وإخلاص العمل لله تعالى ؛ فإن وقعوا فيه يبادرون إلى التوبة ، بخلاف العوام كالأنعام .

ويشهد لذلك ما في « السير والسلوك » بهذا اللفظ :

وأعظم أسباب الندم المداومةُ على الذكر بكلمة (لا إله إلا الله) . لأنه إذا داوم عليها أوقد الله في قلبه مِصْبَاحاً ملكوتياً ؛ فتزول به ظلمة الباطن فيظهر على ما فيه من النجاسات والآفات القادحة عن نيل السعادات ، وهو وإن كان يعلمها من قبلِ ذلك ، لكن ذلك العلم ليس معه نور فلا يفيد ، وأما مع تلاوة الاسم فيحصل النور ؛ فيحصل الندم الذي هو التوبة .

وقد روي عن سلطان الأولياء وقدوة الأصفياء ، القطب الربّاني والغوث الصمداني ، سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني ـ قدس الله سره ـ أنه كان يأتيه الرجل فيَشكُو ترك الصلاة والتهاون في أدائها ، فيقول له : أكثر من ذكر لا إله إلا الله . ويأتيه آخر فَيَشْكو له الزنا ؛ مثلاً ، أو شرب الخمر ، أو غيرهما من القبائح ، فيأمر بالذكر المذكور ، فما جاءه أحد يشتكي من ترك مأمور أو فعل شيء منهي عنه إلا أمره بالذكر . انتهى عبارته .

ويؤيد هذا ماورد في الحديث : « ذكر الله شفاء القلوب » انتهى .

ومما ينبغي أن يُعلَم : أن العارفين من أهل الطريقة محفوظون من آفة العجب والرياء ؛ لشهودهم بأن أعمالهم وعباداتهم من فعل الله ، كما قال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

ويؤيده ما قاله الغزالي في « الإحياء » بما نصه :

مهم

والعارفون يبتلون بالشهوات بل بالمعاصي ولا يُبْتَلُونَ بالرياء والغش[1] والإخفاء . انتهى ٧٢ ج٣ .

فإذا نظرنا فيما ذكر ظهر الفرق بين السالك وبين غيره ، لا يستوي الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، والذين هم في غفلة عنه ساهون ؛ فبين جلساء الله سبحانه وبين الذين هم عنه مبعدون بونٌ عظيم ، وقد ورد في الحديث القدسي : « أنا جليس من ذكرني » فافهم وكن من الشاكرين ، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين .

(١) غشَّه غشّاً : لم ينصحه ، وزيَّن له غير المصلحة . « مصباح » . (هامش الأصل) .

* ثم قال ـ أي النبي ﷺ ـ : « ولا تدعْ أن تقول : أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيُّوم وأتوب إليه . واسأله التوبة والمغفرة ؛ إنه هو التوَّاب الرحيم ؛ مهما رأيت عملك ، أو وقع خلل في كلامك » . هذا منقول من لفظه ـ يعني : أبا المواهب الشاذلي ـ رضي الله عنه . « الطبقات الكبرى » ٦٦ .

* والعارفون يبُتلون بالشهوات ؛ بل بالمعاصي ، ولا يُبْتَلُون بالرّياء والغش والإخفاء . بل كمال العارف أن يترك الشهوات لله تعالى ويظهر من نفسه الشهوة إسقاطاً لمنزلته من قلوب الخلق . وكان بعضهم يشتري الشهوات ويعلّقها في البيت وهو فيها من الزاهدين وإنما يقصد به تلبيس حاله ليصرف عن نفسه قلوب الغافلين حتى لا يشوّشون عليه حاله فنهاية الزهد الزهد في الزهد بإظهار ضدّه وهذا عمل الصديقين الخ « إحياء » ٢٧ ج٣ .

البرج الخامس

في بيان وجوب اتخاذ الشيخ على كل من ليس له قلب سليم

قد سألني الأخ المرجوّ لحوز السلامة في أثناء أسئلته ببيان حقيقة هذه المسألة ؛ فأردت أن أجيبه بما عندي بما علمني ربي سبحانه وتعالى ، فنقول وبالله الإعانة :

قال الغوث الصمداني أحمد ضياء الدين في « المتممات » : وأما اتخاذ الشيخ وأخذ الطريق ولزوم السلوك ، فقالوا : قد جرت العادة وجربت بأن التطهير من النجاسات المعنوية وأدناس الطوية والحضور والخشوع في الصلاة وسائر العبادات بمشهد « أن تعبد الله كأنك تراه » ، المعبر عنه بـ« **مقام الإحسان** » لا يتيسر إلا بالسلوك على يد شيخ كامل ؛ عالم بعلاج هذه الأمراض وحكمة معاملاتها علماً وذوقاً وتجربة ، **بل لو حفظ المبتلى بالأخلاق الذميمة السابقة كتباً متعددة لا يستغني بها عن تربية مثل تربية الشيخ** ، ليخرجه عن رعونات نفسه الأمارة ودسائسها الخفية ، كما نشهده في كثير من المتفقهة المبتلّين بها ، والتجريبات والمشاهدات تلتحق باليقينيات القطعيات ، وقد قال تعالى ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ .

وقال الشعراني في « الأنوار القدسية » : **وقد أجمع أهل الطريق على وجوب اتخاذ**[1] **الإنسان له شيخاً يرشده إلى زوال تلك الصفات التي تمنعه من حضرة الله بقلبه لتصح صلاته ، من باب : (ما لا يتم الواجب**

---

(١) ويجب على من لم يرزق قلباً سليماً أن يتعلم أدوية أمراض القلب ؛ من كبر وعجب ورياء ونحوها ، كما يجب كفايةً تعلم علم الطب . « ابن حجر من السير » (هامش الأصل) .

* وكان أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يقول : من دخل الدنيا ولم يصادف رجلاً كاملاً يربّيه خرج منها وهو متلوّث ولو كان على عبادة الثقلين (طبقات) .

إلا به؛ فهو واجب) . ولا شك أن علاج أمراض الباطن كله واجب ، كما تشهد به الآيات والأحاديث الواردة في تحريمها والوعيد بالعقاب عليها ، فعلم أن كل من لم يتخذ له شيخا يرشده إلى الخروج من هذه الصفات فهو عاص لله ولرسوله ، لأنه لا يهتدي لطريق العلاج ، **ولو تكلف لا ينفع**[1] **بغير شيخ؛ ولو حفظ ألف كتاب** ، فهو كمن يحفظ كتاباً في الطب ولا يعرف تنزّل الدواء على الداء ، فكل من سمعه وهو يدرس في الكتاب يقول : إنه طبيب عظيم . ومن رآه حين يُسْأل عن اسم المرض وكيفية إزالته قال : إنه جاهل . فاتّخذ لك شيخاً ولا تعص ، وتفكر أبدية الآخرة ، **وإياك أن تقول : طريق الصوفية لم يأت بها كتاب ولا سنة** ، **فإنه كفر** ، فإنها كلها أخلاق محمدية ، وسيرة أحمدية ، وسنن إلهية . انتهى ١٥٥ .

وفي « المتممات » أيضاً : وقال الشعراني أيضاً في « الأجوبة المرضية » : وقد كان عز الدين بن عبد السلام يقول قبل أن يجتمع بالشيخ أبي الحسن الشاذلي : وهل ثم طريق يقرّب إلى الله تعالى غير ما بأيدينا من الفقه ؟ فلما اجتمع بالشيخ أقرّ طريق القوم بقوله : **من أدل دليل على صحة طريق القوم** ، وأن أهلها قعدوا على القواعد ، وقعد غيرهم على الرسوم : ما يقع على أيدي القوم من الكرامات والخوارق ، ولم يقع على يد فقيه كرامة ، ولو بلغ في العلم ما بلغ ما لم يتبع طريقهم . انتهى .

وقال فيه أيضاً : وكان الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه يقول لولده عبد الله : يا ولدي عليك بالحديث ، وإياك ومجالسة هؤلاء الذين سموا أنفسهم **صوفية** ، فإنهم ربما كان أحدهم جاهلاً بأحكام دينه . فلما صحب أبا حمزة البغدادي ، وعرف أحوال القوم كان يقول لولده : **يا ولدي عليك بمجالسة هؤلاء القوم؛ فإنهم زادوا علينا بكثرة العلم والمراقبة**

---

(١) وفي نسخة : لا ينتفع . .

والخشية والزهد وعلو الهمة .

وقال فيه أيضاً : وبلغنا أن الإمام الشافعي رضي الله عنه كان يجالس الصوفية ويقول : يحتاج الفقيه إلى معرفة اصطلاح الصوفية ليفيدوه من العلم ما لم يكن عنده .

وقال فيه أيضاً : فلا يقال : (لو كان علاج هذه الأمراض الباطنة واجباً ؛ لوضع الأئمة من الصحابة والتابعين والمجتهدين في ذلك كتاباً فيه) ؛ لأنا نقول : إن هذه الأمراض التي حدثت فينا لم تكن في عصرهم ، ولو كانت فيهم لاستنبط المجتهدون في ذلك أدوية وكتباً ، وخلصوا الناس من الرياء والنفاق والعجب وغيرها ؛ كما فعلوا ذلك في مسائل الفقه .

ولا يقول عاقل قط : إن أحداً من الأئمة يرى في أحد كبراً أو عجباً أو رياءً أو حسداً أو نفاقاً ويقرّه عليه أبداً ، بل كان يستنبط له الدواء من الكتاب والسنة ليخرجه من إثم ذلك الداء ، فقد بان لك أنه يجب على كل من غلب عليه مرض الباطن أن يطلب شيخاً يخرجه من تلك الورطة ، وإن لم يجد في بلده أو إقليمه ! وجب السفر إليه ، وإن من رزقه الله سلامة الباطن من الأمراض كالمجتهدين وكمل أتباعهم لا يحتاج إلى الشيخ ، وإن احتاج لزيادة الكمال إلى أهل السلوك ، لأن هذا قد عمل بما علم على وجه الإخلاص ؛ وذلك هو حقيقة الصوفي .

أول ظهور الأمراض الباطنة

وقال القشيري : **أول ما حدث ظهور الأمراض الباطنة أواخر المائة الثالثة** ، لقوله عليه السلام : « خير القرون قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » فمن شهد له رسول الله ﷺ بالخيرية فقد حاز رتبة الكمال كله . انتهى ١٥٦ .

قلت : ومن هنا سألني العالم محمد دبر البرجي[1] بما نصه : ما يقوله أهل المشيخة : (إن اتخاذ شيخ التربية واجب لعلاج الأمراض الباطنة ؛ من حب الدنيا . . . والخ والخ . وإنما لم يضع الأئمة كتاباً في ذلك كما وضعوا مسائل الفقه مع كون هذا من أهم المهمات ، لأن هذه الأمراض لم تكن في عصرهم ، بل حدثت بعدهم) خبر عجيب يبطله ما وقع بين كبراء الصحابة رضوان الله عليهم في قصة علي ومعاوية وغيرهم ؛ من التحاسد والتقاتل بسبب أمر الخلافة ، وإن سلّمنا أنه وقع منهم بالاجتهاد ، فلا مجال لترك الأئمة أن يضعوا باباً في ذلك فلم لم يضعوا في ذلك كتاباً ومسائل ؛ نظراً إلى تلك الأمراض الباطنة التي ستقع في العوام ، كما وضعوا مسائل الفقه لأجل أمور ستحدث في الناس ، فالجواب بمأخذ كتاب انتهى . من خطه .

أقول بالاستعانة بالله تعالى قائلاً : ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ عدُّ ما قاله السادات والأكابر والأقطاب خبراً عجيباً[2] أراه من سوء الأدب معهم ، فحاشاهم أن يقولوا ما لم يتيقنوا عندهم ، ولا يخفى أنهم أعلم بأحوال من قبلهم من الأئمة والتابعين ، **ومن عادة من خَلَص باطنه من السوء أن يرى الغير كأنه مثله خالص منه** ، كما أن من في باطنه سريرة سيّئة يظن أن غيره متصف بها مثله ؛ فالأئمة وإن لم يضعوا كتاباً في الأخلاق وعلاجها ؛ فالكتاب والسنة مشحونتان بذم الذمائم منها ، ومدح المحامد والمحاسن ، وقد كانت الصحابة رضي الله عنهم من أخوف الناس من الله تعالى ، يحترزون من الأقل من ذمائم الأخلاق ، وقد دلهم النبي عليه السلام على العلاج بقوله ﷺ : « جالسوا العلماء ، وزاحموهم بركبكم ، فإن الله يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء » .

---

(١) وهو الذي وقع سبباً للتأليف (منه) .

(٢) وفي نسخة : يبطله شيء ما .

وروي عنه ﷺ : « ما صب الله في صدري شيئاً إلا وصببته في صدر أبي بكر »

نور قلب العارف

وبقوله عليه الصلاة والسلام : « خير جلسائكم من ذكركم الله رؤيته ، وزاد في علمكم منطقه ، وذكركم الآخرة عمله » يعني : أن نور[1] قلب العارف يشرق على وجهه ، فمن رآه رأى نور الحق الساطع من قلبه على وجهه ، فينعكس عليه مافي باطنه . فافهم .

ورأيت في شرح « عين العلم » ما نصه : وقالت صفية : إن امرأة شكت عائشة قساوة قلبها . فقالت : أكثري ذكر الموت يرقّ قلبك . ففعلت ؛ فرق قلبها ، فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها . انتهى ٨٨ ج٢ .

وفي الحديث : « الذكر سيف الله » ، وفيه أيضاً : « الذكر شفاء القلوب » .

ورأيت في « الفتاوى العمرية » ما نصه : ولقد كان عمر رضي الله تعالى عنه - مع جلالة قدره - يجلس بين يدي أنس بن مالك رضي الله عنه ويقول : يا أنس كنت خادم رسول الله ﷺ ومن آل بيته ، والله تعالى أعلمكم شأن المنافقين ، كما قال الله تعالى ﴿ **أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ** ﴾ . . . الأية . فانظر يا أنس هل تجد في قلبي أثر النفاق ؟ فبكى أنس من شدة خوف عمر من النفاق ، فبكى معه عمر أيضا ؛ ظناً منه أن بكاء أنس لرؤيته النفاق في قلبه ، ثم قال أنس : يا عمر لا تبك ، وإنما بكيت أنا من شدة خوفك من النفاق وعدم أمنك منه ، فقال عمر : يا أنس ، **من أمن من**

---

(١) راجع « تقريب الأصول » في ٤٦ ، و« الرحمة الهابطة » في ٥٦٣ من هامش « الدرر المكنونات » من الجزء الأول ، و« نور الهداية » . (منه ؛ رحم الله إفلاسه) .

النفاق فهو منافق ، فلا يأمن مكر الله إلاّ القوم الخاسرون .

ومعلوم أن هذا نفاق رياء ؛ لا نفاق شرك . انتهى .

وفي « هدية الذاكرين » وقيل : إن هذه القصة مع حذيفة بن اليمان صاحب سر رسول الله ﷺ . انتهى عبارته .

وفي الأثر أن جبرائيل عليه السلام توجه النبي ﷺ في غار جبل حراء والنبي ﷺ توجه أبا بكر رضي الله عنه في غار جبل ثور ، وهذا هو التوجه المعنعن من النبي ﷺ إلى الصديق الأكبر رضي الله عنه ، ومنه إلى المشائخ الكرام قدس الله أسرارهم وهو سحاب الفيوضات ، وقلوبهم ميزابها[1] .

مطلب مهم

والمراد من التوجه هو إلقاء الجذبة من القلب إلى القلب ؛ وإخراج الظلمة منه . وتلقين الذكر قد تسلسل سنده إلى رسول الله ﷺ بإسناد صحيح كما هو مذكور في كتب متعددة ، وقد تعنعن أيضاً توجههم المعروف ؛ كما ذكره الزهدي في هامش « نهجة السالكين » في : ٧٧ . وجميع علاجات أمراض الباطن - كما لا يخفى على عالم عاقل - مأخوذة من الكتاب والسنة ، وفي القرآن آيات كثيرة تصرح الأمر بالاقتداء والاتباع بأهل الخير ؛ من ذلك قوله تعالى ﴿ **وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ** ﴾ انتهى ، ومنها قوله ﴿ **هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا** ﴾ ، ومنها ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ** ﴾ ومنها ﴿ **قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي** ﴾ الآية . وأمثالها .

وقد يصرح كون الذكر من العلاجات قوله تعالى ﴿ **إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ** ﴾ فتدبره .

---

(١) راجع « صحيفة الصفا لأهل الوفا » مع ما في هامشه من صحيفة ٦ (منه رحم الله إفلاسه) .

وقد مر مراراً ما يعلم الفرق بين الذكر الملقن وبين غيره مما يفعله الإنسان بنفسه .

ويؤيد ذلك ما ذكره صاحب « مزكي النفوس » من أن الذكر على نوعين : ذكر التعليم وذكر التلقين .

فذكر التلقين : هو الذي يفيد الطالب ، ويذهب الحجاب من القلب ، ويخرج منه الظلمة والخيالات والوسوسة الشيطانية ، وهو مثل مطر النيسان .

وأما ذكر التعليم : فهو الذي يذكره العوام ، ويعلمه الآباء بلسانهم ، **ولا يدخل ذلك الذكر إلى القلب ولا إلى الروح** . انتهى .

وقال في « المتممات » ما معناه : **لا يحصل تصفية القلب وتزكية النفس من ذكر الأسماء الإلهية إلا إذا تلقنها الذاكر من شيخ كامل** . انتهى ملخصاً فراجعه وراجع « الإبريز » في ٢١٦ .

وفي « بيان الأسرار » للإمام السهروردي رحمه الله تعالى : اعلم أن المراتب المذكورة لا تحصل إلا بالتوبة النصوح ، وبالتلقين من أهله ، كما قال الله تعالى ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ أي : لا إله إلا الله . بشرط أخذه من قلب تقي نقي مما سوى الله ؛ لا كل كلمة تسمع من أفواه العامة ، وإن كان اللفظ واحداً ، لكن في المعنى تفاوت ، **لأن القلب إنما يحيى إذا أخذ بذر التوحيد من قلب حي ، فيكون بذراً كاملاً ، وبذر غير البالغ**[1] **لا ينبت** ، ولذلك نزلت كلمة التوحيد في القرآن في موضعين :

أحدهما مقارن بالقول الظاهر كما قال الله تعالى ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ هذا في حق العوام .

---

(١) وفي نسخة : الكامل .

والثاني مقارن بالعلم الحقيقي ؛ قال الله تعالى ﴿ **فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ** ﴾ وهذا التلقين ، سبب نزول هذه الآية لأجل التلقين[1] . انتهى عبارته ، فراجعه في الفصل الخامس ففيه البسط .

وقال القطب أحمد ضياء الدين « في متمماته » : ثم اعلم أن النفس شأنها عظيم ، وأمرها خطير ، وقد جاءت في التحذير منها الآيات والأحاديث ، والحث على تزكيتها والتبري منها والخلاص عنها .

فمن الآيات : قوله تعالى ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٌ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ** ﴾ وقوله ﴿ **قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠** ﴾[2] ، وقوله ﴿ **وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ** ﴾ وقوله ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا** ﴾ .

ومن الأحاديث : قوله عليه السلام : « أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبيك » وقوله : « ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب » وعلى جميع المسلمين وجوب مراقبة الله ، وتهذيب النفس وتزكية أخلاقها على كل من لم يرزق[3] قلباً سليماً .

وهذه النفس مذمومة عند كل شخص ، وفي كل زمان ، بل جميع الملل متفقون على ذم النفس والتحذير من مكرها وخداعها ، وعدم الميل إلى غرورها ؛ فلذلك جعل أئمة الطرق أول اشتغال المريد بقهر النفس ورياضتها ومخالفة هواها وقطع مألوفاتها وشهواتها وأمروه بالحذر منها ومن مكرها ، وألزموه بمحاسبتها ، قال عليه السلام : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا » وقال البوصيري :

---

(١) وسيأتي في البرج السابع . فقلبه (منه) .

(٢) أخفاها بالمعصية . « جلال » (هامش الأصل) .

(٣) راجع ابن حجر من باب السير و« روح البيان » (منه) .

وراعها وَهْيَ في الأعمـــال سـائمةٌ وإن هي استحلت المرعى فلا تُسِمِ
كـــم حَسَّنَـتْ لـذَّةً للـمرء قاتلة من حيث لم يَدْرِ أن السمّ في الدسمِ

انتهى عبارته ١٥٨ .

وإذا تدبرت فيما ذكرناه تعلم أن السنة والكتاب مشحونتان بذكر العلاج لمرض الباطن ، ولو تتبعنا جميع ما فيها ليطول الكلام ويؤول الأمر إلى الملال .

وأما الأئمة ، وإن لم يضعوا كتاباً خاصاً في ذم الأخلاق ووجوب علاجها لبراءتهم منها ، وظنهم أن أكثر الناس وأغلبهم مثلهم بريئون منها ، لحسن ظنهم بالخلق واشتغالهم بما هو أهم في وقتهم وزمنهم ، لكن كتب مذاهبهم مشحونة بذكرها وكيفية العلاج ووجوبه بالتصريح والتلويح ؛ أليس كلهم ذموا الدنيا وأهلها ، ومدحوا الزهد ومن تركوها ، وذكروا الرياء والكبر والعجب وغيرها ، وأرشدوا إلى كيفية علاجها وأدويتها ؟ ! فعدم تدوينهم كتاباً خاصاً بذكرها لا يلزم منه خلوّ كتبهم من جميعها ، وعدم تصديقهم ما يفعله أطباء القلوب الذين كانوا في عصرهم ،

مهم

فكيف وقد قال في « الفتاوى العمرية » ما نصه :

اعلم أن أبا حنيفة رحمه الله تعالى أخذ الطريق عن تلميذه قبل وفاته بسنتين ، فقال حين وفاته : لولا السنتان لهلك النعمان . كذا في « مكتوبات » الإمام الرباني .

وقد كان الإمام أبو حنيفة يرى بكشفه نجاسة الذنوب تسيل مع ماء الوضوء ، كما ورد في الحديث ، فلأجل ذلك قال بنجاسة الماء المستعمل . كذا في « ميزان » الشعراني .

ورأيت في « نزهة المجالس » ما نصه : وقال الإمام الشافعي : وأنا حُبِّبَ إلي من دنياكم ثلاث : عِشرة الخلق بالتلطف ، وترك ما يؤدي إلى التكلف ، والاقتداء بطريق التصوف . انتهى عبارته ، راجعه في ٦٧ ج١ .

وقال الشعراني في « طبقاته » **كان الإمام الشافعي وأحمد بن حنبل يترددان إلى مجلس الصوفية** ، ويحضران معهم في مجالس ذكرهم فقيل لهما في ذلك : ما لكما تترددان إلى مثل هؤلاء الجهال ؟ ! فقالا : إن هؤلاء عندهم رأس الأمر ، وهو تقوى الله عز وجل ومحبته ومعرفته . **وقد كان الشافعي يجلس بين يدي شيبان الراعي كالصبي بين يدي المرضعة** .

مسألة الإمام أحمد مع شيبان

وكان الإمام أحمد ابن حنبل جالساً عند الشافعي رحمهما الله تعالى فجاء شيبان الراعي ، فقال أحمد : إن هذا مع نقصان علمه يشتغل بتحصيل علم الباطن ، فإني أسأله من بعض مسائل الفقه ، فقال له الشافعي : لا تفعل . وقال لشيبان : ما تقول فيمن نسي صلاة من الخمس في ليلة ويوم ولا يدري أي الخمس هي ، ماذا يصنع ؟ ! فقال الشيبان : **قلب غفل عن الله فينبغي أن يؤدب حتى لا يعود . فغشي على أحمد ، فلما أفاق قال له الشافعي : ألم أقل لك لا تتعرض له ؟!**

وسئل أيضاً يوماً عن زكاة الإبل ، فقال : أما عندكم ! فشاة عن كل خمسة إبل ، وأما عندنا ! فالجميع . قيل له : فمن إمامك ودليلك فيه ؟ ! قال : إمامي أبو بكر الصديق حين أتى بجميع ما ملك إلى رسول الله ﷺ ، فإذا قيل : هل بقي لك ولعيالك شيء ؟ ! قال نعم ؛ الله ورسوله . فتعجب السائل من جوابه .

وشيبان الراعي كان أمياً ، فإذا كان حال الأمي هكذا ، فما ظنك بأئمتهم ؟ ! انتهى .

فقد سلك هذا الطريق كثير من العلماء ، كالغزالي ، وألف فيه كتاب « إحياء علوم الدين » فراجعه ، وكابن الهمام ، والسيوطي ، وابن حجر ، وغيرهم .

وقالوا : **علم الباطن ، كالعلم بأمراض القلب من الرياء والعجب والحسد والحرص وسائر الأخلاق الذميمة وما يتولد منها ، والعلم بحدودها وأسبابها وعلاجها ، والعلم بتحصيل أضدادها من قهر النفس وتحقيرها ، والرضاء بالقدر ، وسائر الأخلاق الحميدة فرض عين وحتم لازم على كل من لم يرزق قلباً سليماً**(١) **؛ وقليل ما هم .**

وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري : **كل فقيه لا يجتمع بالصوفية فهو كالخبز الجاف بلا إدام ،** لأن العلم رياسة عظيمة ، وللنفس فيه دسائس ، فربما خفيت على العلماء ، فضلاً عن الطلبة .

وقال ابن حجر : فليتخذ ثقة وحجة ، ولا يلتَفِتْ إلى من يتعصب ، فليتحر أورع المشائخ وأعرفهم بقوانين الشريعة والحقيقة ، وليترك رسومه ، وليدخل تحت إشارته .

ومن ظفر شيخاً بهذا الوصف فحرام عليه أن يتركه ، ويدلك عليه الأدلة الأربعة ؛ بل يشهد لذلك الكتب السماوية كلها .

وبالجملة : إنه طريق وعرفان لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وجميع العالم لو اجتهدوا في تغيير وتبديل شيء من أوضاعه لم يجدوا إليه سبيلاً . انتهى كلام ابن حجر معتمد الشافعية في الفقه . إلى هنا كلام « الفتاوى العمرية » بعبارته ، فراجعه .

---

(١) راجع ابن حجر من كتاب « السير » و« روح البيان » . (منه) .

وفيه بعيد هذا : ولم يكن في عصر من الأعصار شيخ من الشيوخ من هذه الطائفة إلا وأئمة العصر يتواضعون له ، ويتبركون به ، ويقدمونه على أنفسهم ، ولو لا مزية الطريق وأهله ! لكان الأمر بالعكس ، كما تقدم حرمة الإمام الشافعي لشيبان الراعي الأمي . انتهى .

وأيضاً : إن سبب ترك وضع أبعاض من الأئمة كتاباً خاصاً في الأخلاق هو عدم فراغهم لذلك ؛ لاشتغالهم بما هو الأهم من ذلك ؛ من الأحكام الظاهرة التي لا بد من جمعها وتأليفها ؛ نظراً إلى ما يشتد إليه الحاجة في زمنهم ، وعدم سعة عمرهم لجمع الأحكام الباطنيّة ، وذكر العلاج للأمراض القلبية تصريحاً ، التي قيل : إنها لم تكن في عصرهم ، وإنما حدثت بعدهم . بناء على ما قيل : (**إن ترك الأهم والاشتغال بغيره تعطيل**) .

لم يدون الإمام أحمد في الفقه

والأئمة لم يضع جميعهم كتباً في الفقه ، **بل كان فيهم من لم يدون كلاماً فيه ، كالإمام**[1] **أحمد رضي الله عنه** ، وكان يقول : أَوَ لأحدٍ[2] كلام مع الله ورسول الله ﷺ ! ؟ **وجميع مذهبه ملفق من صدور أصحابه** . كما هو مذكور في « لواقح الأنوار » ، فراجعه في ١٦٠ ج٢ .

فيحتمل أن يترك بعض الأئمة وضع كتاب خاص في التصوف ، كما

(١) ولم أر في مذهب الإمام أحمد تصنيفاً مع طول إقامتي في المطبعة الإسلامية مدة اثنى عشر عاماً ، وكانت هناك كتبٌ مجلوبة من الاستانة العلية ومصر المحروسة وغيرهما إلا كتاب « زاد المعاد » على هامش الزرقاني على « المواهب اللدنية » (لمحرره العوري غازي محمد) .

(٢) أي هل لأحد (منه) .

ترك هذا الإمام تدوين كلام في الفقه ؛ اعتماداً على ما في كلام الله وكلام رسوله عليه السلام .

ومعلوم أنه لا يلزم من تركهم التأليف في الأخلاق الذميمة وعلاجها عدم كونها في الكتاب والسنة ، مع أنه وإن ترك بعض الأئمة ذلك التصنيف ، فقد ألف كثير منهم كتباً كثيرة ! وبينوا من الكتاب والسنة حججاً ودلائل لتأييد مذهبهم في حق التصوف ؛ ألا ترى أن الإمام الغزالي قد صنف كتاب « الإحياء » و« جواهر القرآن » وغيرهما ، وألف الشيخ أبو طالب المكي كتابه « قوت القلوب » ، وقد صنف الإمام الشعراني فيها كتباً كثيرة ، وألف الإمام القشيري « رسالته » ، وألف الإمام اليافعي كتاب « روض الرياحين » ، و« نشر المحاسن » ، وبسط الكلام فيهما بحيث يقر عين الناظر ، وقد ذكر الشعراني في « العهود المحمدية » : وإنما شيدت كل عهد منه بالأحاديث الشريفة ، إعلاماً لك يا أخي بأن عهود الكتاب مأخوذة من الكتاب والسنة نصاً واستنباطاً ، لئلا يطعن طاعن فيها ، وسداً لباب الدس من الحسدة في هذا الكتاب ، كما وقع لي ذلك في كتاب « البحر المورود في المواثيق والعهود » انتهى٤ من هامش « منن » من ج١ .

وقال في « الطبقات الكبرى » : **إن طريق القوم مشيّدة بالكتاب والسنة** ، وإنها مبنية على سلوك أخلاق الأنبياء والأصفياء . انتهى ٣ ج١ .

وقال أيضاً : **إن علم التصوف عبارة عن علم** انقدح في قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة ، فكل من عمل بهما انقدح له من ذلك علوم وأسرار وحقائق تعجز الألسن عنها ، نظير ما انقدح لعلماء الشريعة من الأحكام حين عملوا بما علموه من أحكامها ، فالتصوف إنما هو زبدة عمل العبد بأحكام الشريعة إذا خلا عمله من العلل وحظوظ النفس . انتهى ٤ .

وقال أيضاً بعيده : ثم إن العبد إذا دخل طريق القوم وتبحر فيه ، أعطاه الله هناك قوة الاستنباط ؛ نظير الأحكام الظاهرة على حد سواء ، فيستنبط في الطريق واجبات ومندوبات ، وآداباً ومحرمات ومكروهات وخلاف الأولى ، نظير ما فعله المجتهدون ، وليس إيجاب مجتهد باجتهاده شيئاً لم تصرح الشريعة بوجوبه أولى من إيجاب ولي الله تعالى حكماً في الطريق لم تصرح الشريعة بوجوبه ، كما صرح بذلك اليافعي وغيره ؛ وإيضاح ذلك : **أنهم كلهم عدول في الشرع** ، اختارهم الله عز وجل لدينه ، فمن دقق النظر علم أنه لا يخرج شيء من علوم أهل الله تعالى عن الشريعة ، وكيف تخرج علومهم عن الشريعة ، والشريعة هي وصلتهم إلى الله عز وجل في كل لحظة ؟ ! ولكن أصل استغراب من لا له إلمام[1] بأهل الطريق أن علم التصوف من عين الشريعة ، كونه لم يتبحر في علم الشريعة ، ولذلك قال الجنيد رحمه الله تعالى : علمنا هذا مشيّد بالكتاب والسنة . ردّاً على من توهّم خروجه عنهما في ذلك الزمان أو غيره . انتهى ٤ ج١ .

ومما يدل على عدم خلو زمن الصحابة والتابعين من أرباب التصوف : ما قاله الغزالي في « الإحياء » في ٥٨ ج١ : ولقد كان الحسن البصري رحمه الله أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وأقربهم هدياً من الصحابة رضي الله عنهم ، اتفقت الكلمة في حقه على ذلك ، وكان أكثر كلامه في خواطر القلوب ، وفساد الأعمال ، ووساوس النفوس ، والصفات الخفية الغامضة من شهوات النفس . وقد قيل له : يا أبا سعيد إنك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك ، فمن أين أخذته ؟ ! قال : من حذيفة بن اليمان . وقيل لحذيفة : نراك تتكلم بكلام لا يسمع من

(١) وألمّ الرجل بالقوم إلماماً : أتاهم فنزل بهم . ومنه قيل : ألمّ بالمعنى ، إذا عرفه ، وألم بالذنب : فعله . وألم الشيء : قرب . « مصباح » (هامش الأصل) .

غيرك من الصحابة ، فمن أين أخذته ؟ ! قال : خصني به رسول الله ﷺ ، كان الناس يسألونه عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه ، وعلمت أن الخير لا يسبقني علمه .

وقال مرة : فعلمت أن من **لا يعرف الشر لا يعرف الخير** . وفي لفظ آخر : كانوا يقولون : يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا ؟ ! يسألونه عن فضائل الأعمال . وكنت أقول : يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا ؟ ! فلما رآني أسأله عن آفات الأعمال خصني بهذا العلم .

كان حذيفة يعلم النفاق وأسبابه

وكان حذيفة رضي الله عنه أيضاً قد خص بعلم المنافقين ، وأفرد بمعرفة علم النفاق وأسبابه ، ودقائق الفتن ، فكان عمر وعثمان وأكابر الصحابة رضي الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة ، وكان يسأل عن المنافقين فيخبر بعدد من بقي منهم ، ولا يخبر بأسمائهم .

وكان عمر رضي الله عنه يسأله عن نفسه ، هل يعلم فيه شيئاً من النفاق ؟ ! فبرَّأه من ذلك ،

وكان عمر رضي الله عنه إذا دعي إلى جنازة ليصلي عليها نظر ، فإن حضر حذيفة ! صلى عليها ، وإلا ! ترك . وكان يسمى صاحب السر .

فالعناية بمقامات القلب وأحواله دأب علماء الآخرة ، لأن القلب هو الساعي إلى قرب الله تعالى ، **وقد صار هذا الفن غريباً مندرساً** . . . إلى آخر ما فيه .

فضائل الحسن البصري وحذيفة رضي الله عنهما

وقال صاحب « القوت » : **والحسن البصري رحمه الله تعالى إمامنا في العلم الذي نتكلم به** ؛ إثره نقفو ، وسبيله نتبع ، ومن مشكاته

نستضيء ، أخذنا ذلك بإذن الله تعالى إماماً عن إمام ، إلى أن ينتهى ذلك إليه ، وكان من خيار التابعين بإحسان .

قيل : مازال يعي الحكمة أربعين سنة حتى نطق بها ، ولقد لقي سبعين بدرياً ، ولقي ثلاث مئة صحابي ، وكانوا يقولون : كنا نشبهه بهدي إبراهيم الخليل صلوات الله عليه في حلمه وخشوعه وشمائله .

وكان أول من أنهج سبيل هذا العلم ، وفتق الألسنة به ، ونطق بمعانيه ، وأظهر أنواره ، وكشف به قناعه ، وكان يتكلم فيه بكلام لم يسمعوه من أحد من إخوانه . انتهى « إتحاف شرح الإحياء » ٤٣٢ .

وفي « الإتحاف أيضاً : ولقد كان الحسن - هو ابن أبي الحسن واسمه يسار - البصري أبو سعيد رحمه الله تعالى - مولى الأنصار[١] ، وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي ﷺ - وُلِدَ[٢] لسنتين بقيتا[٣] من خلافة عمر ، فيذكرون أن أمه ، كانت ربما غابت فيبكي ، فتعطيه أم سلمة ثديها تُعَلّلُه به إلى أن تجيء أمه ، فدرَّ عليه ثديُها فشربه ، فلذا كان أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء في الحكمة والفصاحة .

ويُرْوى أن ذلك من بركة تلك الشربة .

ونشأ الحسن بوادي القرى ، ورأى علياً وطلحة وعائشة ، ولا يصح له سماع من أحد منهم ، وكان أقربهم هدياً من الصحابة .

يروى أن أم سلمة كانت تخرجه إلى أصحاب رسول الله ﷺ وهو صغير ، وكانوا يدعون له ، فأخرجته إلى عمر ، فدعا له فقال : اللهم فقهه في الدين ، وحببه إلى الناس . انتهى ٤٢٧ .

---

(١) وكان مولى زيد بن ثابت (منه) .

(٢) أي : الحسن البصري .

(٣) وفي نسخة : يقيناً .

وقد رأيت في « الحدائق الوردية » ما حاصله : أن هذه النسبة قد تلقى عالم كبير من كبار التابعين من الإمام علي كرم الله وجهه ، وأعظم من سرى إليهم سرها شيخ هذه السلسلة السنية سيدنا الحسن البصري رضوان الله عليهم[1] .

وفيه أيضاً : ونشأ بوادي القرى ، وكان من أجمل أهل البصرة ، ورأى طلحة بن عبد الله وعائشة ، ولقي علياً بن أبي طالب ، وسمع ابن عمر وأنساً وأبا بكرة وجماعة من الصحابة ، وسمع خلائق من كبار التابعين انتهى ٨١ ، وسيجيء - إن شاء الله تعالى - اتصال نسبة الطريقة به - كرم الله وجهه - وبالصديق أبي بكر رضي الله عنه ، وتفريع جميع الطرق من هاتين النسبتين .

وقال الشعراني في « طبقاته » : ويكفينا مدحاً للقوم إذعان الإمام الشافعي رضي الله عنه لشيبان الراعي الخ عبارته ٤ . وقال أيضاً : وكذلك يكفينا إذعان الإمام أحمد ابن حنبل رضي الله عنه لأبي حمزة البغدادي الصوفي الخ .

وقال فيه أيضاً : وحكى الشيخ قطب الدين بن أيمن : أن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه كان يحث ولده على الاجتماع بصوفية زمانه . انتهى عبارته ٤ .

وقال : وقد أشبع الكلام في مدح القوم وطريقهم الإمام القشيري في

---

(١) وكلامه في التصوف أكثر من أن يحصى ، كما هو معلوم لدى كل من لديه اهتمام بعلوم الدين ، وإن كان علماء الدنيا غافلين عن تفحص أقوال علماء الآخرة ، وسيأتي الكلام في حق الحسن البصري بأبسط من هذا في آخر الكتاب . (منه ؛ رحم الله إفلاسه) .

وقد قدم البصرة من المدينة المنورة بعد قتل عثمان رضي الله عنه ، وسكن فيها ، وتوفي في زمن حكومة هشام ، ودفن فيها . (هامش الأصل) .

« رسالته » ، والإمام عبد الله بن أسعد اليافعي[1] في « روض الرياحين » ، وغيرهما من أهل الطريق ، وكتبهم كلها طافحة بذلك . انتهى عبارته ٤ .

وقال الشعراني قدس سره في « اليواقيت » ما نصه : فإن القوم لما عملوا بما علموا أعطاهم الله تعالى علماً من لدنه بإعلام رباني أنزله في قلوبهم مطابقاً لما جاءت به الشريعة ، لا يخرج عنها ذرة . انتهى عبارته ٢٠ ج١ .

وذكر الشعراني في « الكبريت الأحمر » : أن الشيخ الأكبر قال في « الفتوحات » بما نصه : **وليس عندنا بحمد الله تقليد إلا للشارع** ﷺ ، **وأنه قال : إني لم أقرر بحمد الله في كتابي هذا قط أمرا غير مشروع** ، وما خرجت عن الكتاب والسنة في شيء منه . انتهى فراجعه .

وفي « الحدائق الوردية » في ترجمة الإمام الرباني مجدد الألف الثاني[2] رزقنا الله فيضه آمين ما لفظه : وقال قدس سره : اعلم **أن الشريعة والحقيقة متحدان** في الحقيقة لا تغاير بينهما ولا فرق ، إلا بالإجمال والتفصيل[3] انتهى ١٨٩ . وقد حصل الجواب بمفهوم ومضمون ما ذكر لمسألة السائل ، وعلم أن ما يفعله أهل الطريقة ليس بخارج من عين الشريعة المطهرة . والحمد لله رب العالمين .

ثم إن السائل لما ذكر في كلامه أكابر الصحابة ، ونسب إليهم أن ما وقع بينهم من التقاتل إنما وقع من التحاسد ، احتيج إلى الجواب لهذه المسألة

فنقول :

---

(١) وقلت : وكذا أشبع اليافعي الكلام في « نشر المحاسن » فراجعه . (منه رحم الله إفلاسه) .

(٢) في ٣ من هامش « اليواقيت » (منه) .

(٣) وراجع « البهجة السنية » و« الدرر المكنونات » (منه) .

البرج السادس

في بيان أن الصحابة رضي الله عنهم هم السادات القادات ، وأنهم هم النجوم ، ومن اقتدى بهم اهتدى ، و من خرج عن سبيلهم ارتدى ، وأن ما وقع بينهم إنما وقع بالاجتهاد ، لا حقداً ولا حسداً ولا حباً للرياسة ولا علواً في الدرجة .

اعلم أيها الأخ أن هذا الحقير المفلس يرى الخير في حفظ اللسان من ذكرخير الناس في القرون الماضية ـ رضي الله عنهم ـ لئلا يقع في سوء الأدب معهم ، فإنهم هم الذين شهد النبي عليه السلام على كونهم على الهدى بقوله : « أصحَابِي كالنجوم ، بأيهم اقتديتم اهتديتم » .

وقال الإمام الرباني ـ قدس سره ـ في المكتوب ١٥١ ج ١ : واعلم أن أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام كلهم كبراءُ عُظماء ينبغي أن يذكر كلُّهم بالتعظيم .

روى الخطيب عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال : قال : رسول الله ﷺ : « إن الله اختارني واختار لي أصحاباً ، واختار لي منهم أصهاراً وأنصاراً ، فمن حفظني فيهم حفظه الله ، ومن آذاني فيهم آذاه الله » وروى الطبراني عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال : « من سبّ أصحابي فعليه لَعْنَةُ الله والملائكة والنّاس أجمعين » .

وروى ابن عدي عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قال رسول الله ﷺ : « شرار أمتي أجرؤهم على أصحابي » .

وما وقع بينهم من المنازعات ينبغي صرفها وحملها على محامل حسنة ، وإبعادهم عن الهوى والتعصّب ، فإن تلك المخالفات كانت مبنية على الاجتهاد والتأويل ، لا على الهوى والهَوَس[١] كما أن جمهور أهل

---

(١) الهوس : طرف من الجنون . « مختار » . (هامش الأصل) .

السنة على ذلك[1] ، ولكن ينبغي أن يعلم أن مخالفي الإمام علي ـ رضي الله عنه ـ كانوا على الخطأ ، وكان الحق في جانبه ، ولكن لما كان هذا الخطأ خطأً اجتهادياً كان صاحبه بعيداً عن الملامة[2] ومرفوعاً عنه المؤاخذة ، كما نقل شارح « المواقف » عن الآمدي أن **وقعة الجمل والصفين كانت على وجه الاجتهاد** . وصرح أبو شكور السَّالمي في « التمهيد » : أن أهل السنة والجماعة ذاهبون إلى أن معاوية مع طائفة من الصحابة الذين كانوا معه كانوا على الخطأ ، وكان خطأهم اجتهادياً .

مطلب

وقال الشيخ ابن حجر في « الصواعق » : إن منازعة معاوية لعليّ رضي الله عنهما كانت على وجه الاجتهاد ، وجعل هذا القول من معتقدات أهل السنة ، وما قال شارح « المواقف » من أن كثيراً من أصحابنا ذهبوا إلى أن تلك المنازعة لم تكن على وجه الاجتهاد ، فمراده من الأصحاب ، أيّ طائفة هو ، فإن أهل السنة حاكمون بخلاف ذلك كما مرّ ، وكتب القوم مشحونة بالقول بالخطأ الاجتهادي ، كما صرح به الغزالي وقاضي أبو بكر وغيرهما ، **فلا يجوز تفسيق مخالفي الإمام علي وتضليلهم** .

قال القاضي في « الشفاء » : قال مالك ـ رضي الله عنه ـ : مَن شتم أحداً من أصحاب النبي ﷺ ؛ أبا بكر وعمر وعثمان ، أو معاوية ، أو عمرو بن العاص رضي الله عنهم ، فإن قال : كانوا على ضلال وكفر ، قتل ،

---

(١) وقد قال الإمام البوصيري في « الهمزية » :

كلُّهُمْ في أحكامِهِ ذُو اجتِهَادٍ وصَوَابٍ ، وكُلُّهُمْ أكفَاءُ

ـ رضي الله عنهم ورضوا عنه ـ فأنَّى يخطوا إلى خطأ . انتهى . (منه)

(٢) فللمصيب من المجتهدين أجران ، وللمخطئ أجر واحد ، فعلى هذا : لعلي رضي الله عنه أجران ـ لأنه المصيب . (منه) ـ ، ولمعاوية أجر واحد ـ لأنه المخطئ . (منه) « الحل اللطيف على الهمزية » . (هامش الأصل) .

وإن سبَّهم بغير هذا من مشاتمة الناس ! نُكِّلَ نكالاً شديداً ، فلا يكون محاربوا علي كفرة ! كما زعمت الغُلاة[1] من الرفضة ، ولا فسقة ! كما زعم البعض ، ونَسَبَهُ شارحُ « المواقف » إلى كثير من أصحابه ؛ كيف وقد كانت الصديقة[2] وطلحة والزبير من الصحابة منهم ؟ ! وقد قُتل طلحةُ والزبيرُ في قتال الجمل مع ثلاثة عشر ألفاً من القتلى قبل خروج معاوية ، فتضليلهم وتفسيقهم مما لا يجترىء عليه مسلم ، إلا أن يكون في قلبه مرض ، وفي باطنه خبث .

وما وقع في عبارة بعض الفقهاء من إطلاق لفظ الجَوْر في حق معاوية ؛ حيث قال : كان معاوية إماماً جائراً . **فمراده بالجور عدم حقيَّة خلافته في زمن خلافة علي ، لا الجور الذي مآله فسق وضلالة !** ليكون موافقاً لأقوال أهل السنة والجماعة ، ومع ذلك يجتنب أرباب الاستقامة إتيان الألفاظ الموهمة خلاف المقصود ، **ولا يجوز الزيادة على القول بالخطأ** ، كيف يكون جائراً **وقد صح أنه كان إماماً عادلاً في حقوق الله سبحانه وحقوق المسلمين** ؟ ! كما في « الصواعق » .

وقد زاد مولانا عبد رحمن الجامي ـ قدس سره ـ في قوله : خطأ منكراً – يعني زاد على ما عليه الجمهور **وكلما زاد على لفظ الخطأ خطأ** . وما قال بعده : فإن كان هو مستحقاً للعن إلخ فهو أيضاً غير مناسب له ، أين محل الترديد ؟ ! وأين محل الاشتباه ؟ ! فإن قال هذا الكلام في حق يزيد ! فله وجه ومساغ ، وأما قوله ذلك في حق معاوية ! فشنيع ، وقد ورد في الأحاديث النبوية بأسانيد الثقات أن النبي ﷺ دعا لمعاوية : « اللهم

---

(١) غلت مثل غلط وزناً ومعنى « مختار » .

(٢) عائشة رضي الله عنها .

* وناهيك ما وقع لأبناء يعقوب مع أخيهم يوسف ، مع كونهم أنبياء وما وقع منهم مع يوسف باجتهاد منهم . (لمحرره العوري) .

علّمهُ الكتاب والحساب وقِهِ العذاب » .

وقال في محلٍّ آخر من دعائه « اللهم اجعله هادياً مَهدِيّاً » . **ودعاؤه ـ عليه الصلاة والسلام ـ مقبول** . والظاهر أن هذا الكلام صدر عن مولانا[1] بطريق السهو والنسيان ، وأيضاً أنه لم يصرِّح باسم أحد في تلك الأبيات ، بل قال : وصحابي آخر . وهذه العبارة أيضاً تنبئ عن الشناعة ﴿**رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا**﴾ .

وما نقل عن الإمام الشعبي من ذمِّ معاوية ، وأنه بالغ في مذمَّته وأوصلها إلى ما فوق الفسق ، لم يبلغ مرتبة الثبوت ، والإمام الأعظم من تلامذته ، فعلى تقدير صدق هذا القول لكان هو أحق بنقله !

وحكم الإمام مالك ـ الذي هو من تبع التابعين ومعاصره ـ بقتل شاتم معاوية وعمرو بن العاص كما مرَّ آنفاً ، فإن كان هو مستحقاً للشتم فَلِمَ حَكَمَ بقتل شاتمه ؟ ! فَعُلِمَ أنه اعتقد شتمه من الكبائر ، فحكم بقتل شاتمه[2] وأيضاً أنه جعل شتمه كشتم أبي بكر وعمر وعثمان ، كما مرَّ سابقاً ، **فلا يكون معاوية مستحقاً للشتم والذم** .

أيها الأخ إن معاوية ليس وحده في هذه المعاملة ، بل كان نصف الأصحاب الكرام تخميناً شريكاً له فيها ، **فإن كان محاربوا علي كفرةً أو فسقة زال الاعتقاد عن شطر الدين الذي بلغنا من طريق تبليغهم ، ولا يُجوِّز ذلك إلا زنديق مقصوده إبطال الدين** .

---

(١) أي الجامي .

(٢) ويؤيِّد ذلك أن ابن المبارك ـ وناهيك به إمامة وعلماً ومعرفة ـ سُئل : أيُّهما أفضل ؛ معاوية أو عمر بن عبد العزيز ؟ ! فقال : والله لَلْغبار الذى دخل أنف فرس معاوية مع رسول الله ﷺ خير من مئة واحد مثلِ عمر بن عبد العزيز . يريد بذلك : أن شرف الصحبة والرؤية لرسول الله ﷺ ، وحلول نظره الكريم ، لا يعادله عمل ، ولا يوازنه شرف . « الفتاوى الحديثية » لابن حجر من صحيفة ٣٢٢ فراجعه . (منه) .

أيها الأخ إن منشأ إثارة هذه الفتنة هو قتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ وطلب القصاص من قتلته ، فإن طلحة وزبيراً إنما خرجا أولاً من المدينة بسبب تأخير القصاص ، ووافقتهم الصِدِّيقة في هذا الأمر ، فوقع حرب الجمل التي قتل فيها ثلاثة عشر ألفاً من الصحابة ، وقتل فيها طلحة والزبير اللذان هما من العشرة المبشرة ، ثم خرج معاوية من الشام ، وصار شريكاً لهم ، فوقع حرب الصَفين .

صرَّح الإمام الغزالي أن تلك المنازعة لم تكن لأمر الخلافة ، بل كانت لاستيفاء القصاص في بدء خلافة عليّ .

وعَدَّ ابن حجر هذا القول من معتقدات أهل السنة .

وقال الشيخ أبو شكور السالمي الذي هو من أكابر علماء الحنفية : إن منازعة معاوية لعليّ كانت في أمر الخلافة ، فإن النبي ﷺ قال لمعاوية « إذا مَلَكْتَ[١] النَّاسَ فَارْفقْ بهم »[٢] فحصل لمعاوية الطمع في الخلافة من هذا الكلام ، ولكن كان هو مخطئاً في هذا الاجتهاد ، وعلي محقّاً فيه ، فإن الوقت كان وقت خلافة علي . والتوفيق بين هذين القولين هو أن منشأ المنازعة يمكن أن يكون أولاً تأخير القصاص ، ثم بعد ذلك يقع في طمع الخلافة ، وعلى كلٍّ الاجتهاد واقعٌ في محله ، فإنْ مخطئاً فدرجة واحدة من الثواب ، وللمحِقِّ درجتان ، بل عشر درجات .

أيها الأخ ؛ إن الطريق الأسلم في هذا الموطن السكوت عن ذكر مشاجرات أصحاب النبي ﷺ وعلى آله الصلاة والسلام ، والإعراض عن

(١) رواه مسلم وابن أبي شيبة ، والطبراني في « الكبير » بهذا اللفظ ، وأحمد عن أبي هريرة بلفظ إن وليت أمراً فاتق الله واعدل (منه) .

(٢) رواه مسلم ، وابن أبي شيبة في « المصنف » والطبراني في « الكبير » بهذا اللفظ ، وأحمد عن أبي هريرة بلفظ : « إن وليتَ أمراً فاتقِ الله واعدل » . (منه قدس سره) .

ذكر منازعتهم ، قال النبي ﷺ : « إياكم وما شجر بين أصحابي »[1] وقال أيضاً : « إذا ذكر أصحابي فأمسكوا »[2] وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام : « الله[3] . . الله في أصحابي ! لا تتخذوهم غرضاً »[4] يعني : احذروا الله واتقوه في حق أصحابي ولاتجعلوهم هدفاً لسهم ملامتكم وطعنكم .

قال الإمام الشافعي ـ وهو منقول عن عمر بن عبد العزيز أيضاً ـ : تلك دماء طهَّر الله تعالى عنها أيدينا ، فَلْنطَهِّر عنها ألسنتنا . ويفهم من هذه العبارة أنه لا ينبغي إجراء خطأهم على اللسان أيضاً ، وأن يذكرهم بغير الخير[5] ؛ هذا .

ويزيد البعيدُ عن السعادة من زمرة الفسقة ، والتوقُّف في لعنه إنما هو على الأصل المقرر عند أهلِ السنة من أنه : لا يجوز اللعن على شخص معين ، ولو كان كافراً ! إلا أن يُعْلَم موته على الكفر يقيناً ، كأبي لهب الجهمي[6] ! ؟ وامرأته لا أنه غير مستحق للّعن ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ . انتهى من « الدرر المكنونات » من الجزء الأول فراجعه .

---

(١) أورده ابن الأثير في « النهاية » . (منه) . (هامش الأصل) .

(٢) رواه الطبراني عن ابن مسعود وثوبان ، وابن عدي عن عمر رضي الله عنه . (منه) .

(٣) رواه الترمذي عن عبد الله .

(٤) رواه الترمذي عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه . (منه) .

(٥) ونكفُّ عن ذكر الصحابة إلا بخير ، لما ورد من الأحاديث الصحيحة في مناقبهم ، ووجوبِ الكفِّ عن الطعن فيهم ، كقوله ﷺ : « لا تسبُّوا أصحابي ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهباً ! ما بلغ مُدَّ أحدهم ، ولا نَصيفه ! » . وقوله ﷺ : « أكرموا أصحابي فإنهم خياركم » . . . . .إلخ . « عقائد النسفي » . (هامش الأصل) .

(٦) عله الجهنمي .

البُرج السابع

فى بيان ما ورد في التلقين ، وما يترتَّب عليه من الفوائد المهمة

اعلم أيها الأخ إذا نظرت إلى هذه المنقولات من كتب أكابر السادات لا يليق بجنابكم العالي الشأن أن تذكروا ما يفهم منه وقوع التحاسد بين الأصحاب الكرام ، ولا ينبغي لكم أيضاً أن تظنوا أن ما يفعله مشائخ الطريق هو ما لم يكن عليه الصحابة والتابعون **فإن المشائخ إنما أخذوا أمور طرقهم من الكتاب والسنة** ، وما يلقِّنونه من مراتب الذكر فقد وصل إليهم معنعناً مسلسلاً إلى النبي ﷺ ، وقد علمت مما مر **أن الذكر شفاء القلوب ، وأنه سيف الله يقاتلون**[1] **به أعداء السالكين ، من النفس والهوى والشيطان** فلم يبق لأحد مجال لأن يقول : إن استعمال أمور الطريقة لم يكن في زمن الصحابة ولا في زمن الأئمة ، أما كونها في زمن الأئمة ! فقد علم مما مر مراراً .

وأما كونها مما ورد عنه عليه السلام ! فقد روى أحمد والطبرانى وغيرهما **أن رسول الله ﷺ لقَّن أصحابه جماعة وفرادى** ؛ فأما تلقينهم جماعة ، فقد قال شداد بن أوس : كنا عند النبي عليه السلام ، فقال عليه السلام « هل فيكم غريب ؟ » يعني : من أهل الكتاب ، قلت : لا . فأمر بغلق الباب وقال : ارفعوا أيديكم وقولوا : لا إله إلا الله ، ثم قال : الحمد لله ، اللهم إنَّك بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني عليها الجنة وإنَّك لا تخلف الميعاد ، ثم قال : ألا أبشروا فإن الله قد غفر لكم » .

وأما تلقينهم فرادى ! فروى يوسف الكوراني وغيره بسند صحيح أن علياً -رضي الله عنه - سأل النبي ﷺ فقال : دُلَّني على أقرب الطرق إلى الله وأسهلها على عباده وأفضلها عند الله تعالى ، فقال عليه

---

(١) أي : إذا تمكن الذكر من القلب كما يفهم هذا مما سبق ، فليراجعه في ٢٢١ .

السلام : « أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي : لا إله إلا الله ، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة لرجحت بهم ثم قال عليه السلام : يا علي ، لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله » فقال علي : كيف أذكر يا رسول الله ؟ فقال عليه السلام :غمض عينيك واسمع عني ثلاث مرات ، ثم قل أنت ثلاث مرات ، وأنا أسمع فقال : لا إله إلا الله ثلاث مرات مغمضاً عينيه رافعاً صوته وعلي يسمع ثم قال علي : لا إله إلا الله كذلك والنبي عليه السلام يسمع . **فهذه نسبة عليّ في تلقين الذكر**[1] .

نسبة الصدّيق الأعظم في التلقين

وأما النسبة الباطنية في تلقين الأذكار القلبية ! فذلك بإثبات من غير نفي بلفظ اسم الذات[2] ؛ لقوله تعالى لرسول الله ﷺ ﴿ **قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ** ﴾ **وهذه نسبة الصديق الأعظم** الذي أخذها باطناً عن النبي ﷺ وهذا هو الذكر الذي وقر في قلبه - رضي الله عنه وعَنِّي به - لقول النبي عليه السلام عن ربه « ما فضلكم أبو بكر بكثرة صوم ولا صلاة ، بل بشيء وقر في قلبه » **وقد تفرعت نسبة جميع الطرق من هاتين النسبتين ؛ فهما أصلان ومعهما عَوْنُ الرحمن** . كذا في « جامع أُصول الأولياء » ٢٢ .

---

(١) وعن الأصنع قال : سمعت ابن عباس يقول : قال رسول الله ﷺ « ذكر الله تعالى عبادة وذكري عبادة وذكر علي رضي الله عنه عبادة وذكر الأئمة عبادة ، والذي بعثني بالنبوة وجعلني خير البرية أن الوصي لأفضل الأوصياء وأنه لحجة الله على عباده وخليفته على خلقه ومن ولده الأئمة الهداة بعدي ، بهم يحبس الله العذاب عن أهل الأرض وبهم يمسك السماء أن تقع على الأرض وبهم يمسك الجبال أن تميد بهم وبهم يسقي خلقه الغيث وبهم يخرج النباة أولئك أولياء الله حقاً وخلفاءه صدقاً . عدتهم عدة شهور وهي إثنى عشر شهراً وعدتهم عدة نقباء موسى بن عمران ، ثم تلى هذه الآية ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴾ ويعني به السماء وبروجها ، قلت : يا رسول الله ﷺ فما ذاك قال : أما السماء فأنا ، وأما البروج فالأئمة بعدي ، أوّلهم علي وآخرهم المهدي صلوات الله عليهم أجمعين « مجمع البحرين » ٦٥١ من باب ما أوله الباء .

(٢) أي : ونفي وإثبات كما في « الفتاوى العمرية » . (منه) .

مطلب

وفى رسالة أحمد الزركراني رحمه الله تعالى : قال الله تعالى في حق أصحاب الصُفّة ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ[1] وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ وقوله تعالى ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ سبب نزوله : روي فى « بستان الشريعة » أنّ عليّاً رضي الله عنه جاء إلى النبي والتمس منه أقرب الطرق وأفضلها وأسهلها سلوكاً ، فتوجه النبي فنزل الوحي بقوله تعالى ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ مقارناً بالعلم اللدني تنبيهاً أنّ هذه الكلمة مفتاح خزائن الله وعِلم الله ، ثم قعد جبرائيل متربِّعاً كالمعلم ، فلقّن النبي ﷺ ثلاث مرات ، ثم أمره أن يلقّن عليّاً لأنه أول من التمس التلقين ، ثم حضره أربع مئة[2] من الصحابة فلقّنهم جميعاً ، ثم قال ﷺ « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر » وقال ﷺ : « لا تقوم الساعة على وجه الأرض حتى نفى من قال الله الله » يعني بالقلب الحي ، وينبغي أن يغمض عينيه وينصت حين التلقين والذكر **فجميع المشائخ أخذوا أصولهم من النبي ﷺ ظاهراً وباطناً** . انتهى فراجعه في الفصل الثاني .

ومن المشائخ من يجهر في الذكر ، ويذكر لجوازه وأفضليته بحسب حال المريد في بعض المواضع أدِلّةً .

و منهم من يختار السرّ ، ويمنع الجهر على كل حال وفى كل موضع ؛ كالنقشبنديين ؛ **وطريقتهم هي أفضل الطرق** التي أثنى عليها خاتمة المحققين ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » بأنها هي الطريقة السالمة من

---

(١) أي : لا إله إلا الله .

(٢) وعبارة « بيان الأسرار » : ثم جاء إلى أصحابه فلقنهم جميعاً . انتهى فراجعه من الفصل الخامس (منه) .

كدورات جهلة الصوفية ، كما هو مذكور في آخره .

وقد قال الإمام الرباني قدس سره - : **اعلم أنّ الطريق الذي هو أقرب وأسبق وأوفق وأوثق وأسلم وأحكم وأصدق وأدلّ وأعلى وأجلّ وأرفع وأكمل ، هو الطريقة النقشبندية** قدس الله أرواح أهاليها وأسرار مواليها ، وكل عظمة هذا الطريق وعلو شأن هؤلاء الأكابر بواسطة متابعة السنة السنية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية ، واجتناب البدعة الغير المرضية . انتهى من « الدرر المكنونات » في ٣٣٣ ج١ .

وقال أحمد ضياء الدين : **إنها سلطان الطرق** .

وفي موضع آخر : إنها أم الطرق .

ذكر الجهر

فأرباب هذه الطريقة يعدّون الذكر الجهري بدعة أي محدثة فيها على ما وصل إليهم من الصّدّيق الأكبر ، كما صرحه الإمام الرباني في « المكتوبات » . وقال في مكتوب آخر ما حاصله : إن ذكر الجهر لا يتصور فيه ما فوق الرخصة . انتهى من « الدرر المكنونات » في ٣٢٥ ج١ .

وقال أيضاً : إن إحداث شيء في الطريقة ليس هو عند الفقير بأقلّ من إحداث بدعة في الدين ، **وبركات الطريقة إنما تُفاض وتعود على أهلها ، ما لم يحدث فيها محدث ، فإذا حدث فيه محدث ! ينسدُّ طريق الفيوض والبركات** . انتهى من « الدرر » ٢٨١ ج١ .

سبب تسمية ذكر الجهر بدعة

وقال أيضاً في مكتوب آخر بعد كلام : **ومن ههنا لم يجوِّزوا الرقص والسماع ، ولم يقبلوا الأحوال المترتِّبة عليه باتفاق منهم وإجماع ، بل اعتقدوا ذكر الجهر بدعة ، ومنعوا أصحابهم عنه ولم يلتفتوا إلى ثمرات**

تترتب عليه . انتهى من « الدرر » ٢٧٩ ج ١ .

وقد كتبت في « تلخيص المعارف في ترغيب محمد عارف » ما نصه : فان قلت : فقد قيل : إن للذكر الجهري خاصية ليست في غيره ، ومن المجرب أنه يحصل به الشوق والذوق والوجد فلِمَ منع النقشبنديون أصحابهم عن الذكر الجهري ؟ ! أقول : **إن أئمة الطرق كأئمة المذاهب في الشرع** ، فكما اختلفت مذاهبهم باختلاف أدلتهم ! فكذلك أئمة الطرق اختلفوا فيما يستعملونه في طرقهم ، ولكل منهم وجهة مقبولة ، ولهم دلائل من الكتاب والسنة ، وكلهم على الحق لما أنهم لم يخرجوا من دائرة الاتباع ، فاذا فهمت هذا ! علمت أن لهم مذاهب يستندون إليها ؛ فمذهب النقشبنديين الإخفاء في الذكر ، وقد تسلسل إليهم من منبعها هذا الإخفاء ، وعدّوا ما حدث فيها من البدع الغير المرضية ، وإن كان مستحسناً من وجه آخر ، ولذلك اعتقدوا ذكرالجهر بدعة ، ومنعوا أصحابهم عنه ، ولم يلتفتوا إلى ثمرات تترتب عليه ، لِما أنه لم يرد في طريقهم الخاصة ، وإن ورد في طريقة غيرهم الخاصة بهم ، **وهذا سبب تسميتهم ذكر الجهر بدعة** ، والله أعلم .

وأيضاً إنهم لم ينظروا إلى تلك الثمرات المترتبة على ذكر الجهر ، لاحتمال أن تتطرق إليه الظلمة بالرياء والسمعة ، ويحبط ثوابه بسببهما بالكلية ، فأخذوا حبل الاحتياط ، وتمسّكوا عرى الإخلاص ، ولازموا على إخفاء الذكر الذى لا تسمعه الحفظة ، فيُكتب ولا يطلع عليه الناس فيرائي ويُحْبَط ، ومع ذلك إن لهم ما يقوم مقام الذكر الجهري الذى يقول أرباب الجهر أنه - أي ذكر اللسان - مبدأ الذكر الخفي وأنه وسيلة إليه ، ألآ وهو التوجه المعروف عندهم ؛ المعنعن المسلسل من معدن الرسالة ﷺ فقد قال الإمام الرباني : **فإن توجههم الواحد يعمل ما لا يعمله المجاهدة في سنين عديدة** . انتهى راجعه قبيل الترغيب التاسع تجد فيه ما تقرّ العين .

وإن أردت أن تعلم تفضيل ما يفعله النقشبنديون فارجع إلى مكتوبات الإمام الرباني ، و« البهجة السنية » و« الرشحات » و« الحدائق الوردية » ، فهذه الكتب مشحونة بالمنافع والفوائد فلا بد للسالك من مطالعتها ، رزقنا الله تعالى من فيوضات مؤلفيها ، وأذاقنا حلاوة ما ذاقوه من لذة المعرفة ، وهو على ذلك قدير .

فضائل لا إله إلا الله

فائدة مهمة ؛ في الكلام على كلمة الإخلاص لا إله إلا الله : فقد كنا ذكرنا في « الخلاصة » و« التلخيص » و« التنبيه » فضائل لفظة الجلالة والنفي والإثبات وأردنا أن نذكر هنا ما فات فيها من فضائل كلمة التوحيد ، قال الشيخ الإمام العالم العلامة والبحر الفهّامة الشيخ أحمد بن الشيخ حجازي الفشني قدس سره في « المجالس السنية » : اعلم أن الله سبحانه وتعالى أمر عباده أن يعتقدوها ويقولوها ، فقال سبحانه ﴿ **فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ** ﴾ وذمّ مشركي العرب بقوله ﴿ **إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ** ﴾ .

وقال ﷺ لعمه أبي طالب : « قل لا إله إلا الله أشهد لك بها يوم القيامة » فقال : لولا أن يُعَيّرني قريش لأَقْرَرْتُ بها عينك .

فـ(لا إله إلا الله) كلمة التقوى كما فسّرها ﷺ .

ثواب (لا إله إلا الله)

وفي حديث عثمان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً من قلبه إلا حرّمه الله تعالى على النار » ، فقال عمر رضي الله عنه : أنا أحدّثكم ما هي ؛ هي كلمة الإخلاص التي أُلزِمَها محمّد وأصحابه .

قال سهل التستري : ليس لقول لا إله إلا الله ثواب إلا النظر إلى وجه الله عزّ وجلّ ، والجنة ثواب الأعمال .

وقيل : إن كلمة التوحيد إذا قالها الكافر تنفي عنه ظلمة الكفر ، وتثبت في قلبه نور التوحيد ، وإذا قالها المؤمن في كل يوم ألف مرة فبكل مرة تنفي عنه شيئاً لم تنفه المرة الأولي ، وهي أفضل الذكر كما قال النبي ﷺ ، وهي دأب الناسكين ، وعمدة السالكين ، وعُدة السائرين ، وتحفة السابقين ، ومفتاح الجنة ، ومفتاح العلوم والمعارف .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : يفتح الله تعالى أبواب الجنة ، وينادي مناد من تحت العرش : أيتها الجنة وكل ما فيك من النِعَم لمن أنت ؟ ! فتنادي الجنة وكل ما فيها : نحن لأهل (لا إله إلا الله) ، ولا نطلب إلا أهل (لا إله إلا الله) ، ولا يدخل علينا إلا أهل (لا إله إلا الله) ، ونحن محرَّمون على من لم يقل : (لا إله إلا الله) . وعند هذا تقول النار وكل ما فيها من العذاب : لا يدخلني إلا من أنكر (لا إله إلا الله) ، ولا أطلب إلا من كذب بـ(لا إله إلا الله) ، وأنا حرام على من قال (لا إله إلا الله) ، ولا أمْتَلئُ إلا بمن جحد (لا إله إلا الله) ، وليس غيظي وزفيري إلا على من أنكر (لا إله إلا الله) .

ثم قال : فتجيء رحمة الله ومغفرته فتقول : أنا لأهل لا إله إلا الله ، وناصرة لمن قال لا إله إلا الله ، والمغفرة من كل ذنب لأهل لا إله إلا الله .

والجنة مباحة ، والرحمة والمغفرة غير محجوبة عن أهل (لا إله إلا الله) .

وقال بعضهم : الحكمة في قوله تعالى ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾ أن يوم القيامة يتجلّى نور كلمة (لا إله إلا الله) فيضمحل في ذلك نور الشمس والقمر لأن أنوار تلك أنوار مجازية ، ونور

(لا إله إلا الله) نور حقيقي ذاتي واجب الوجود لذاته تعالى ؛ والمجاز يبطل في مقابلة الحقيقة .

وجاء في الآثار : أن العبد إذا قال (لا إله إلا الله) **أعطاه الله تعالى من الثواب بعدد كل كافر وكافرة** . قيل : والسبب أنه لما قال هذه الكلمة ، فكأنه قد ردّ على كل كافر وكافرة ؛ فلا جرم يستحق الثواب بعددهم .

وسئل بعض العلماء عن معنى قوله تعالى ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ فقال : البئر المعطلة قلب الكافر معطل من قول (لا إله إلا الله) . والقصر المشيد قلب المؤمن معمور بشهادة (لا إله إلا الله) .

وقيل : في قوله تعالى ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ يعني : قولوا (لا إله إلا الله) .

وروي أن النبي ﷺ كان يمشي في الطرق ، ويقول « قولوا لا إله إلا الله تفلحوا »

وقال سفيان بن عيينة : ما أنعم الله على العباد نعمة أفضل من أن عرّفهم (لا إله إلا الله) ، وأن (لا إله إلا الله) لهم في الآخرة كالماء في الدنيا .

وقال سفيان الثوري رحمه الله تعالى إن لذاذة قول (لا إله إلا الله) في الآخرة كلذة شرب الماء البارد في الدنيا .

وذكر مجاهد في تفسير قوله تعالى ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَـٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ أنه (لا إله إلا الله) .

وقيل : إن كل كلمة يصعد الملك بها ، إلا قول (لا إله إلا الله) ! فإنها تصعد بنفسها ، دليله قوله تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ أي قول (لا إله إلا الله) ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ أي الملك يرفعه إلى الله تعالى ، حكاه الرازي .

وحكي أيضاً : أنه إذا كان آخر الزمان فليس لشيء من الطاعات فضل كفضل (لا إله إلا الله) ، لأن صلاتهم وصيامهم يشوبهما الرياء والسمعة ، وصدقاتهم يشوبها الحرام ، ولا إخلاص في شيء منها ، أما كلمة (لا إله إلا الله) فهي ذكر الله ، والمؤمن لا يذكرها إلا عن صميم قلبه .

وفي الخبر : يقول الله تعالى : « لا إله إلا الله حصني ، فمن دخل حِصني أَمِنَ من عذابي . » .

ويقال : (لا إله إلا الله محمد رسول الله) سبع كلمات ، وللعبد سبعة أعضاء ، وللنار سبعة أبواب ، فكل كلمة من هذه الكلمات السبع تغلق باباً من أبواب النار السبعة ؛ عن كل عضو من الأعضاء السبعة .

حكاية

حكى الإمام الرازي رحمه الله تعالى : أن رجلاً كان واقفاً بعرفات ، وكان في يده سبعة أحجار ، فقال : يا أيتها الأحجار اشْهدوا لي أني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، فنام فرأى في المنام كأن القيامة قد قامت ، وحوسب ذلك الرجل فَوَجبت له النار ، فلما ساقوا به إلى باب من أبواب جهنم جاء حجر من تلك الأحجار السبعة ، وألقى نفسه على ذلك الباب ، فاجتمعت ملائكة العذاب على رفعه فما قدروا ، ثم سيق به إلى الباب الثاني فكان الأمر كذلك ، وهكذ الأبواب السبعة ، فسيق به إلى العرش ، فقال الله سبحانه : عبدي أشهدتَ الأحجار فلم تضيّع حقك ، وأنا شاهد على شهادتك على توحيدي ، ادخل الجنة ، فلما قرب من أبواب الجنان فإذاً أبوابها مغلقة ، فَجَاءَتْ شهادة أن لا إله إلا الله وفتحت الأبواب ودخل الرجل .

وروى الطبراني بسنده أن النبي ﷺ قال : « حضر ملك الموت عليه السلام رجلاً ، فنظر في كل عضو من أعضائه فلم يجد فيه حسنة ، ثم شقّ عن قلبه فلم يجد فيه شيئاً ، ثم فكّ عن لحييه فوجد طرف لسانه

لاصقاً بحنكه يقول : لا إله إلا الله ، فقال : وجبت لك الجنة بقول كلمة الإخلاص ؛ يعني : لا إله إلا الله » .

وفي الحديث : « من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة » .

وفيه أيضاً :« ليس على أهل (لا إله إلا الله) وحشة في قبورهم ، ولا في نشورهم ، وكأني[1] ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنّا الحزن » . والآثار في فضلها كثيرة شهيرة ، وفي هذا القدر كفاية . انتهى ٣١ .

فينبغي للعاقل أن يلازم هذا الذكر ويواظبه إلى أن يفتح الله له ، بعد أخذه من الشيخ الكامل بالتلقين ، فلقد ذكروا في كتبهم بأن تصفية القلب وتزكية النفس لا تحصل بذكر الأسماء الإلهية إلا إذا تلقَّنها من شيخ كامل ؛ كما هو معلوم .

البرج الثامن

في بيان أفضلية علماء الباطن على غيرهم

فلما كان كاتب المسائل من علماء الظاهر ، وكان الغالب على أمثاله أن يقولوا : هَلْ ثَمَّ علم أجل وأفضل مما عندنا ؟ ! وهل ثم طريق غير ما بأيدينا ؟ ! أردت أن أورد هاهنا قدراً يسيراً مما ذكره العلماء في جلالة علم الباطن وأهله .

اعلم أيها الأخ ؛ أن الله تعالى قد قال في كتابه ﴿ **وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ**

(١) بأهل لا إله إلا الله ، قد قاموا .

﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ الآية . وبالتقوى دخلوا في دائرة قوله تعالي ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ ، وبِذَا زاد أهل الله شرفاً على غيرهم ، فلما صفت قلوبهم عن دنس السوى ، وتزكت نفوسهم عن وسخ الهوى ، انعكست في قلوبهم علوم اللوح ، وأوحى إلى سرائرهم أسرار العلم اللدني ، فحينئذ جاز أن يقال : أخذنا علمنا من الحي الذي لا يموت ، وحصل لهم التمييز ممن يأخذ العلم من إنسان يموت .

إذا دخل النور في القلب عاين الغيب

قال في « الفتاوى العمرية » ؛ نقلاً عن الخادمي : **علم الباطن علم المكاشفة الذي يظهر في القلب نوره ويشاهد به الغيب** ، وهو المَعْنِيُّ والمقصود من قوله عليه السلام – على ما في « جامع الصغير » – : « علم الباطن سرّ من أسرار الله تعالى ، وحكم من أحكام الله يقذفه في قلب من يشاء من عباده » ، ومن قوله عليه السلام ـ على ما في « عين العلم » ـ : « إذا دخل النور في القلب انشرح » أي : عاين الغيب . وقال تعالى ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ وقال في « التتارخانية » : وأما علم المكاشفة فلا يحصل بالتعليم والتعلّم والتدريس ، وإنما يحصل بالمجاهدة التي جعلها الله تعالى مقدّمة للهداية ، أي : في آية ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ .

وقال أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ : « حفظت عن رسول الله ﷺ وِعَاءين فأما أحدهما فبثثته ـ أي : نشرته ـ ، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم » أي : الحلقوم ؛ كذا في « صحيح البخاري » .

علماء الظاهر وعلماء الباطن

و في « الفتاوى الحديثية » في ٢٢٦ لابن حجر ـ رضي الله عنه ـ : وسئل ـ رضي الله عنه ونفع به ـ : **أيهما أفضل ؛ علماء الباطن أم علماء**

الظاهر ؟ ! فأجاب بقوله : إن أردت بعلماء الباطن ما هو المتبادر منه عند أهله ؛ وهم العارفون بالله الذين وفقهم الله لأفضل الأعمال ، وحفظهم من سائر المخالفات في كل الأحوال ، ثم كشف لهم الغطاء فعبدوه كأنهم يرونه ، واشتغلوا بمحبته عما سواه ، وأطلعهم على عجائب ملكه وغرائب حكمه ، وقربهم من حضرة قدسه ، وأجلسهم على بساط أنسه ، وملأ قلوبهم بصفات جماله وجلاله ، وجعلها مطالع أنواره ومعادن أسراره ، وخزائن معارفه وكنوز لطائفه ، وأَحْيَا بهم الدين ونفع بهم المريدين ، وأغاث بهم العباد ، وأصلح بهم البلاد . وبعلماء الظاهر الذين عرفوا رسوم العلوم الكسبية ، وعويصات الوقائع الفعلية والقولية ، وغرائب البراهين العقلية والنقلية ، حتى حفظوا سياج الشرع من أن يُلِمَّ[١] به طارق ، أو يخرقه مبتدع مارق[٢] فالأولون أفضل ، وإن كان للآخرين فضل عظيم ، بل ربما كانوا أفضل من حيثية ، لا مطلقاً ! و مع ذلك فأفضلية الأولين على حالها **إذ قد يكون في المفضول مزية بل مزايا** ، هذا إن وجدت في هؤلاء

---

(١) أي : ينزل به . « مصباح » (هامش الأصل) .

(٢) مرق من الدين : إذا خرج منه . « مصباح » (هامش الأصل) .

*قال الغزالي في « الإحياء » : فإن كنت مريداً للآخرة ، وطالباً للنجاة ، وهارباً من الهلاك الأبدي فاشتغل بعلم العلل الباطنة ؛ على ما فصلناه في ربع المهلكات ، يعني الحسد والكبر والرياء والعجب والحرص والبخل وغيرها . فإن القلب إذا فرغ من المذموم امتلأ من المحمود ، والأرض إذا نقيت من الحشيش نبت منها أصناف النبات ، فلا تشتغل بفروض الكفايات لا سيما وفي الخلق من قام به ، فإن مهلكِ نفسه في صلاح غيره سفيهٌ ، فما أشد حماقة من دخلت الأفاعي والعقارب داخلَ ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مِذَبَة (آلة يدفع بها الذباب) ويدفع بها الذباب من غيره . فكن مشغولاً بنفسك وإياكَ أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك ، فإن كنت مشغولاً بنفسك فلا تشتغل إلا بالعلم الذي هو فرض ، بحسب ما يقتضيه حالك من الإيمان « أصول الدين » .

*فليكن حرصك في طلب السرّ وهو الجوهر النفيس والدر المكنون ؛ يعني هو القلب الطاهر من المهلكات ، والإيمان الصحيح الخالص من الرياء والتردّد والشك . (منه) .

صفة العدالة ، وإلا ! فلا مفاضلة ، إذ لا مشاركة بينهم وبين الأولين في شيء من صفات الكمال ، **لأن رسوم العلوم الخالية عن الأعمال الصالحة في الحقيقة مقت أيّ مقت! وغضب أي غضب** ! ومن ثم جاء في الأخبار الصحيحة من عقاب العلماء الذين لم يعملوا بعلمهم ما يدهش اللب ويحيِّر الفكر . هذا هو الحق في هذه المسألة خلافاً لمن أطلق الكلام في تفضيل أحد الشقين . ولم يَبُح(١) هذا التفضيل الذي أبديته ، ولا يرد على ذلك ما وقع لموسى مع الخضر ـ صلي الله على نبينا وعليه وسلم ـ **بناء على ما عليه الجمهور من الصوفية : أن الخضر ولي ، لأن موسى أفضل منه إجماعاً** ، لأنه امتاز على الخضر بخصوصيات لا تحصى ، وإنما غاية ما يتميز به الخضر أنه اطلع على جزئيات من عالم الغيب لم يطلع عليها موسى فتلمذ له لأجلها ، وتأديباً من الله له إذا سئل : من أعلم الناس ؟ ! فقال : أنا . ولم يَرُدَّ العلم إلى الله ، فليست قضيتهما مما نحن فيه بوجه ، خلافاً لليافعي ـ رحمه الله ـ حيث جعلها دليلاً لتفضيل الأولين .

ومما يدل على أفضلية الأولين : ما هو مقرر **أن العلماء إنما يشرفون على قدر شرف معلومهم ، وشرف العلوم تابع لشرف غايتها** ، فعلوم المعارف المتعلقة بالله وأسمائه وصفاته أشرف العلوم ، وأصحابها أشرف العلماء ، ويليها في الشرف علم الفقه ، لأن غايته معرفة أحكام الله وشرعه الذي تعبَّد به عباده .

---

(١) أي : لم يظهره . وباح بسِرِّه : أظهره ، وبابه قال . « مختار »(هامش الأصل) .

* وقال القشيري رحمه الله تعالى : وأصل تسمية الصوفية صوفية ؛ كان حين ظهرت الأهواء والبدع في عصر الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، فسموا كل من تمسّك بالكتاب والسنة ، وعمل بهما صوفياً دون غيره . قال : وقد روينا عن الإمام أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه أنه كان يقول : طريقنا هذه مشيّدة بالكتاب والسنة ، فمن لم يقرأ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به فيها . « لطائف المنن » ٤٢ ج١ .

الوصل ؛ وقد يعبر بالوصل عن فناء العبد بأوصافه في أوصاف الحق . « متممات جامع الأصول » .

مطلب

وجميع العلوم وسيلة إلى هذين العلمين المشتملين على معرفة الله ومعرفة عبادته ، لأن الخلق لم يخلقوا إلا لذلك ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ والعبادة تفتقر إلى المعرفة ! ومن فسَّرها بالمعرفة ، فهي مستلزمة للعبادة ، إذ من عرف الله عرف وجوب عبادته وطاعته .

ومما يوضِّحُ لك أن العلوم وسيلة لذينك العلمين أنها وسيلة لمعرفة الفقه ؛ الوسيلة لمعرفة العمل الوسيلة للعمل ، الوسيلة لطاعة الله وقربه ، الوسيلة لمعرفته ، **فمن استعمل هذه الوسائل على وجهها وصل بها إلى المقصود الأعظم ، وإلا! فهو الخاسر الهالك** ، وإن كان بصورة عالم .

ومما يدل على أفضلية علم المعرفة على الفقه وغيره أمور ؛

منها : أن العلوم والمعارف اللدنية يختص بها الأولياء والصديقون ، والعلوم الظاهرة ينالها حتى الفسقة والزنادقة ، ومن ثم قال السهروردي في « عوارفه » : وينبئك على شرف علم الصوفية وزهاد العلماء أن العلوم كلها لا يبعد تحصيلها مع محبة الدنيا والإخلال بحقائق التقوى ، وربما كانت محبة الدنيا عوناً على اكتسابها لأن الاشتغال بها شاق على النفوس فجبلت على محبة الجاه والرفعة ، حتى إذا استشعرت حصول ذلك بحصول العلم أجابت إلى تحمل الكُلَف[1] وسهر الليل ، والصبر على الغربة والأسفار ، وفقد الملاذ والشهوات ؛ وعلوم هؤلاء القوم ـ يعني الصوفية ـ لا تحصل بمحبة الدنيا ، ولا تنكشف إلا بمجانبة الهوى ، ولا تُدرس إلا في مدرسة التقوى ، قال الله تعالى ﴿ **وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ** ﴾ .

ومنها : أن شرف العلم على قدر شرف انتفاع صاحبه ونفعه الغير به ، **والعارفون هم الذين انتفعوا ونفعوا حقاً ، ويكفي في انتفاعهم تطهير**

(١) جمع كلفة . وفي نسخة : تكلّف .

قلوبهم مما سوى الله ، وامتلاؤه بمحبته ومعرفته .

ومن نفعهم للخلق أن بركتهم تغيث العباد ، ويدفع بها الفساد ، وإلا لفسدت الأرض ، ويقام بهم الدين ، ويرشد بهم المريدون إلى التطهير من كل خلق دنيء ، والترقي إلى التحلي بكل وصف عليّ .

حكايات

ومن ثَمَّ وقع لعارف أن تلميذه أراد الزنا ، فلما همَّ سمع[1] صوت

---

(١) وفي « الرشحات » : ويلزم أن يكون اعتقاد المريد في شيخه **بأن جميع أحواله ظاهرة لديه ، غير خافية عليه ، وإنما لا يظهر له بعض أحواله لعدم المصلحة في إظهاره** ، بل يجد المريد جواباً من غير وساطة القول واللسان . وقال : كيف يكون الشيخ شيخاً هو مثلاً في المشرق ، وله مريد في المغرب ولا يكون له خِبْر عن جميع أحوال مريده ؟ ! انتهى . فراجعه في ٩٤٢ (منه رحم الله إفلاسه) .

* قال الغزالي : **وعلامة الإخلاص**؛ أن يكون الخاطر يألف العمل في الخلوة كما يألفه في الملأ ، ولا يكون حضور الغير هو السبب في حضور الخاطر ، كما لا يكون حضور البهيمة سبباً في ذلك ، فما دام يفرق في أحواله بين مشاهدة الإنسان ومشاهدة البهيمة فهو خارج عن صفوة الإخلاص مدنّس الباطن بالشرك الخفي من الرياء ، وهذا الشرك أخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء . « إعانة » ٤٢١ على « فتح المعين » .

* وذكر بعضهم : **إن الصوفية ثلاثة أصناف** ؛ **صوفية الحقائق** ، وحالهم ترك الكدر وامتلاء الفكر واستواء الحجر والمدر ، قيل هو كمال المعاني ، وترك الدعاوى . وهؤلاء هم الصدّيقون والعلماء العارفون . **وصوفيّة الأرزاق**؛ وهم الذين وقفت عليهم الخوانك والرُبط ، وشرطهم العدالة والتأدب بآداب أهل الطريق ، وهي الآداب الشرعية في غالب الأوقات ، وأن لا يتمسّكوا بفضول الدنيا من التجارات ونحوها . **وصوفية الرسوم**؛ وهم المقتصرون على لبس زيّ القوم فليس لهم همة إلا في تحصيله وآداب وضعية يتعارفونها فيما بينهم ، ومنزلة هؤلاء من الصوفية منزلة من يلبس ثياب العلماء أو المجاهدين متشبهاً بهم من غير أن يعرف شيئاً من العلم أو الجهاد ، وهؤلاء هم الذين أشار إليهم سيدي أبو مدين قدس سره بقوله : واعلم بأن طريق القوم دارسة* . وحال من يدّعيها اليوم كيف ترى . « فتاوى ابن حجر » ٦٦٢ .

* درس المنزل دروساً : عفا وخفيت آثاره . « مصباح » .

شيخه من بلاد بعيدة يقول : هكذا تفعل يا فلان ؟ ! ففرَّ هارباً .

ووقع لآخر من تلميذه نظير ذلك : أنه ما شعر إذ همَّ إلا والشيخ قد لطمه لطمة أذهبت بصره ، فخرج وأمر من جاء به إلى الشيخ فقال : ادع الله بردِّ بصري ، فإني تائب إلى الله تعالى ، فقال : نعم ، ولكن لا تموت إلا أعمى ، فدعى له فرد عليه بصره ، ثم عمي قبل موته بثلاثة أيام .

وكذلك وقع للشيخ أبي الغيث بن جميل اليمني ـ رحمه الله تعالى ـ : أنه كان له تلميذ بالعجم همّ بالزنا بامرأة ، فضربه الشيخ بقبقابه[1] مع زجر وغضب بحضرة الفقراء ، فلم يدروا ما الخبر ! حتى قَدِمَ الشيخَ العجميُّ بقبقاب الشيخ بعد شهر تائباً .

وكذلك وقع للجيلاني أنه رمى بفردتي قبقابه إثر وضوئه مع صرختين عظيمتين ، فلم تدر الفقراء ما الخبر ، حتى قدمت قافلة بعد ثلاثة وعشرين يوماً فأخبروا أن عرباً نهبوا أموالهم واقتسموها ؛ وهم يَنْظُرُونَ ، فنذروا للشيخ بشيء إن نجوا منهم ، فسمعوا الصرختين ، وجاءهم العرب بأموالهم ، وأخبروهم أن فردتي القبقاب جاءتا إلى كبيرَيْهم فقتلتاهما ، فأخذوهما وهما مبلولتان وقدموا بهما .

ومنها : ما ورد في فضل أويس القرني – رضي الله عنه ونفعنا به ـ ، وكونه أفضل التابعين في بعض روايات « صحيح مسلم » مع ما في التابعين من العلماء الكبار الذين لا يحصون .

ومنها : أن ابن عبد السلام صرَّح بتفضيل العارفين بالله تعالى ، ومن ثم لما سمع إملاء القطب أبي الحسن الشاذلي ـ رحمه الله تعالى – على

---

(١) أي : نعلان من خشب . « تفريج الخاطر » . (هامش الأصل) .

« رسالة القشيري » صار يقول : اسمعوا إلى هذا الكلام العجيب الغريب القريب العهد بربه .

ومنها : قول الأستاذ أبي القاسم الجنيد ـ نفع الله به ـ : **لو علمتُ تحت أديم السماء عِلْماً أشرف من علمنا هذا لسعيتُ إليه وقصدته .**

وقال الشهاب السهروردي : الإشارة في خبر « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم » إلى هذا العلم الذي هو العلم بالله وقوة اليقين ؛ دون علم نحو البيع والطلاق والعتاق .

قال : وقد يكون الإنسان عالماً بالله ذا يقين ؛ وليس عنده علم من فروض الكفايات .

وقد كانت الصحابة - رضي الله عنهم - أعلم من علماء التابعين بحقائق اليقين ودقائق المعرفة ، مع أن من علماء التابعين مَن هو أقوم بعلم الفقه من بعض الصحابة .

قال[1] : **والعلماء الزاهدون بعد الأخذ مما لا بد منه أقبلوا على الله وانقطعوا إليه ، وخَلَصت أرواحهم إلى مقام القرب ، وأفاضت على قلوبهم أنوار الهبات ؛ تهيأت بها لإدراك العلوم الربانية والمعارف الإلهية ،** والله تعالى أعلم . انتهى كلام ابن حجر .

---

(١) والشهاب قليوبي أشار إليه ، حيث فسر العالم بقوله : أي العامل بعلمه ، وصرحه عمدة المحققين ابن حجر في « شرح المنهاج » من أوائله حيث قال : وفضله الوارد فيه الخ ، إنما هو لمن عمل بما علم حتى يتحقق منه وراثة الأنبياء . انتهى والله أعلم .

البرج التاسع

في بيان كون الشريعة والحقيقة عين الآخر ، ووجوب تعلم العلم الباطني ، وبيان مَن يقول به

اعلم أيها الأخ أن هذا الأمر ؛ وإن كان يعلم مما مر في هذا الكتاب من مواضعه ، لكنّي أردت أن أجعله بحثاً مستقلاً ليترتَّب عليه فوائد مهمة .

قال ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » : **وسئل** نفع الله به عن حقيقة الفرق بين الشريعة والحقيقة ؟

فأجاب بقوله : فُرِّق بينهما بفروق ؛

منها : أن الحقيقة هي مشاهدة أسرار الربوبية ، ولها طريقة هي عزائم الشريعة ، **ونهاية الشيء غيرُ مخالفة له** على ما يأتي ، **فالشريعة هي الأصل** ، ومن ثَمَّ شبهت بالبحر والمعدن واللبن والشجرة ، **والحقيقة هي الفرع** المستخرج من الشريعة ، ومن ثم شُبِّهت بالدرّ والتبر والزبد والثمرة ، ومعنى سلب المخالفة لهما المذكور ، **أنه ليس بينهما اختلاف في مجاري أحكام العبودية ؛ وإنما يختلفان في مشاهدة أسرار الربوبية** ، ولا شك أن أهلهما متفاوتون في الاعتناء والاهتمام بعلم صفات القلب والأخذ بعزائم الأحكام ، وليس ذلك[1] اختلافاً بينهما .

وبيَّن ذلك اليافعي رحمه الله تعالى : بأن الشريعة علم وعمل ، والعلم ظاهر وباطن ، والظاهر شرعي وغيره ، والشرعي ؛ فرض ومندوب ، **والفرض عين وكفاية ، والعين علم صفات القلب** ، وعلم أصل وعلم

---

(١) فإن حقيقة الفقيه والصوفي واحدة ، وهو أنه شخص عمل بجميع ما علمه على وجه الإخلاص ، لا غير . كذا ذكره الشيخ الشعراني في « الأجوبة المرضية » فراجعه ففيه بسط زائد (منه رحم الله إفلاسه) .

فرع ، **والعمل؛** عزائم ورخص[1] ، **والحقيقة مشتملة أيضاً على قسمين ؛** علم وعمل ، والعلم ؛ وهبيّ وكسبيّ ، فالوهبيُّ علم المكاشفة ، والكسبيّ ؛ فرض عين وفرض كفاية ، وفرض العين ؛ علم قلب ، وعلم أصل ، وعلم فرع ، فالكسبي الذي هو أحد علم نوعي قسمي الحقيقة هو علم الشريعة ، والعمل الذي هو العزائم مشتمل على سلوك طريق الحقيقة ، والطريقة مشتملة على منازل السالكين ، وتسمى « مقامات اليقين » .

والحقيقة موافقة للشريعة في جميع علمها وعملها ، وأصولها وفروعها ، وفرضها ومندوبها ، ليس بينهما مخالفة أصلاً .

نعم هنا شيئان :

أحدهما : **علمُ صفات القلب** ، فأهل الحقيقة لهم به اعتناء واهتمام جداً ، **وسلوك طريقتهم موقوف على معرفته ، وتبديلِ صفاته الذميمة ، وأكثر أهل الشريعة يهملون ذلك ويتهاونون به ، مع كونه فرض عين في الشريعة والحقيقة بلا خلاف** .

والثاني : **الرخص** ، فأهل الحقيقة من حيث العلم والاعتقاد لا يشكّون في حقيقتها ؛ وأنها من رحمة الله بعباده ، وأما من حيث عَمَلهم ! فإنما يسلكون شوامخ عزائم الشريعة الغراء إلى الله بتوفيقه وعنايته ، وجميل لطفه وصيانته ، فمنهم من لا يقطعها إلاَّ في سبعين سنة ، ومنهم من يقطعها في ساعة واحدة بحسب معونة الله وتسهيله . انتهى عبارته ٢٢٧ .

والإمام الرباني قدس سره لا يقبل أن يقال فيهما كلام ما يُفهم المخالفة بينهما ، كما صرَّحه بذلك في « مكتوباته » ، بل يقول : **بأن**

---

(١) **وعزيمة الله** : فريضته التي افترضها ، والجمع : عزائم . « مصباح » . والرخصة : التسهيل في الأمر والتيسير . « مصباح » . (هامش الأصل) .

الطريقة والحقيقة متممتان ومكمّلتان للشريعة ؛ كما هو مذكور في « البهجة السنية » .

وفي « جامع الأصول » : **الحقيقة على وزن الشريعة ، والتفرقة بينهما كفر** . انتهى عبارته .

قال أحمد ضياء الدين الكمشخانوي في « المتممات » في ١٦١ : **واعلم أن العلم الباطن - الذي هو من أعظم المنجيات - والسلوك والرياضات والمجاهدات فرض عين على مَن لم يرزق قلباً سليماً بالجذب الإلهي والعلم اللدني والنفس القدسية الفطرية ؛ وقليل مَّا هم ، وأحكام الدين إنما تبنى على الأكثر الأغلب** ، وتعلُّم علم الظاهر لا يغني عن استفادته ؛ كما ثبت ذلك عن كثير من العلماء الأكابر المتقدمين والمتأخرين من **الحنفية** ؛ كابن الهمام ، وابن الشبلي ، والشرنبلالي ، وخير الدين الرملي ، والحموي وأمثالهم ، **ومن الشافعية** ؛ كسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام ، والغزالي ، والسبكي ، والسيوطي ، وشيخ الإسلام القاضي زكريا ، والشهاب ابن حجر وأضرابهم ، **ومن المالكية** : كالعارف أبي الحسن الشاذلي ، وخليفته أبي العباس(١) . وخليفته ابن عطاء الله ،

---

(١) وأبو العباس المرسي هو الذي كان يصلي الصلوات الخمس خلف رسول الله ﷺ ، وهو الذي قال : لو احتجب عني رسول الله ﷺ لحظة ما عددت نفسي من جملة المسلمين ، كما هو مذكور في « تنبيه المغترين » للشعراني راجعه في ١٢١ . مات رضي الله عنه سنة ست وثمانين وست مئة (منه) .

وفي « الطبقات الكبرى » للشعراني : أن أبا العباس المرسي رضي الله عنه كان يقول : لي أربعون سنة ما حجبت عن رسول الله ﷺ ، ولو حجبت طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين . وكذلك كان يقول في حق الجنة ، وفي حق الوقوف بعرفة كل سنة . . .إلخ .

وكان يقول رضي الله عنه : والله لو علمت علماء العراق والشام ما تحت هذه الشعرات وأمسك على لحيته لأتوها ولو حبواً على وجوههم . . . إلخ .

وكان يقول : إذا كمل الرجل نطق بجميع اللغات ، وعرف جميع الألسن إلهاماً من

والعارف ابن أبي جمرة ، وناصر الدين ، والزروقي وغيرهم . **ومن الحنابلة :** كالشيخ عبد القادر ، وفخر الإسلام ، والشيخ عبد الله الأنصاري ، وابن النجار ونحوهم ، فإن هؤلاء العلماء الكرام بعد التضلُّع[1] من علوم الظاهر اشتغلوا بتحصيل علوم الباطن ، واستفادتها من أهلها بالصحبة والخدمة والسلوك ، وحسن الاعتقاد والإخلاص ، والتخلية من الرذائل ، والتحلية بالفضائل ، كما نقل بعض العلماء[2] ، قال : رأيت الغزالي في البرية وعليه مرقعة وبيده عكازة فقلت : يا إمام ؛ أليس التدريس ببغداد أفضل من هذا ؟ ! فنظر إليَّ شَزَراً وقال : لما بزغ[3] بدر السعادة في تلك[4] الإرادة ، وجنحت[5] أصول الوصول جعلت أقول :

تـركتُ هوى ليلي وسعدي بـمعزل وعدتُ إلى مصحوب أوَّل منزلِ

ونادتْ بِيَ الأشواقُ : مهلاً فهـذهِ منازل مَـن تهوى رويدك فانزلِ

وقد شهد بوجوب تعلّم علم الباطن كثير من الكتب المعتمدة :

الله عزَّ وجل .

وكان يقول : مَن صحب المشائخ على الصدق ؛ وهو عالم بالظاهر ، ازداد علمه ظهوراً : انتهى ٣١ ج٢ . (زابره) .

وكان يقول : قال لي الشيخ أبو الحسن : يا أبا العباس ما صحبتك إلا لتكون أنت أنا ، وأنا أنت . انتهى . (منه) .

وكان يقال : إنه لم يرث علم الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه غيره ، وهو أجلُّ من أخذ عنه الطريقة . انتهى (منه) .

(١) والضلاعة : القوة . ورجل ضليع : قوي . « مصباح » . (هامش الأصل) .

(٢) هو القاضي أبو بكر بن العربي المالكي رحمه الله تعالى (عبد) .

(٣) أي طلعت .

(٤) وفي نسخة : فلك .

(٥) جنح الليل : أقبل « مصباح » .

قلت : والأصول جمع أصيل وهو شمس الغروب . والله تعالى أعلم . (عبد) .

كـ« تحفة المحتاج » لابن حجر . قال في كتاب السير منها : ويجب على من لم يرزق قلباً سليماً أن يتعلم أدوية أمراض القلب[1] .

وقال الخطيب الشربيني من الشافعية في « شرح الغاية » : وتنقسم الطهارة إلى واجب ومسنون ، ثم الواجب ينقسم إلى واجب بدني وقلبي ، فالقلبي كالحسد والعجب والرياء والكبر ونحوها .

وقال الغزالي : معرفة حدودها وأسبابها وطبّها وعلاجها فرض .

وقال خاتمة المتأخرين الشيخ أبو بكر : **وأما علم الباطن كالعلم بأمراض القلب** ؛ من الرياء والعجب والحسد والكبر والبخل والحرص والحقد وما يتولَّد منها ، **والعلم بحدودها وعلاجها** ، **والعلم بتحصيل أضدادها** من الرضا بالقدر والقناعة ، وتحقير النفس ، والإخلاص والتواضع ، والصفاء والسخاء . **فقد قال** الغزالي والمتولي والبغوي وشيخه القاضي حسين وغيرهم : إنه **من فروض العين** .

وقال علاء الدين في « الدر المختار » : **واعلم** أن تعلم العلم يكون فرض عين ، وفرض كفاية ، ومندوباً ؛ وهو التبحُّر في علم القلب وعلم الفقه . **قلت** : هذا هو التبحر . وأما أصل علم القلب ! فهو فرض عين .

وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري : **وأما علم القلب! فهو علم ذوقي ووجداني لا يمضغ تحت ألسنة الأقلام** ، ولا تحيط به الدفاتر ، وهو بمقابلة العلم الظاهر بمنزلة الثمر للشجر لا انتفاع إلا بثمره .

أقبح العجب

وقال محمد البركوي : **وأقبح العجب العجب بالرأي الخطأ** فيفرح به ويصرّ عليه ، ولا يسمع نصح ناصح ، بل ينظر إلى غيره بعين الاستجهال ،

---

(١) من الشيخ المرشد . « روح البيان » . (هامش الأصل) .

قال الله تعالى ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ﴾ وقوله ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ ، وجميع أهل البدع والضلالة إنما أصرُّوا عليها لعجبهم بآرائهم . **وعلاج هذا العجب عسير وصعب** ، إذ صاحبه يظنه علماً ؛ لا جهلاً ، ونعمة ؛ لا نقمة ، وصحة ؛ لا مرضاً ، ولا يطلب العلاج ، ولا يستشفي بالأطباء ؛ وهم علماء أهل السنة والجماعة .

قلت : والمراد علماء الآخرة الذين أداموا ذكر الله ولا يشقى جليسهم ، وهم الأولياء الجامعون للعلم الظاهر والباطن ، والشريعة والحقيقة ؛ أكابر الشيوخ من أهل المعرفة[1] ، وإلا ! فالعالم بالعلم الظاهر فقط **لا يقدر على علاج قلبه ، فكيف لغيره ؟!**

الأدناس المعنوية أضرُّ من الحقيقية

وقال الشرنبلالي : شُرِطت الطهارة الشرعية ليصير العبد أهلاً للعبودية ، والقيام بخدمة الربوبية ، ولا ينفعه ذلك حقيقة إلا بإخلاص الطوية ، وتطهيرها من الأدناس المعنوية ، إذ هي أضرُّ من النجاسة الحقيقية ؛ كالغلّ والغشّ ، والحقد والحسد وغيرها ، ويُصلح قلبه ليصلح به سائر الجسد ، فيطهر قلبه عما سوى الله من الكونين ؛ بقطع العلائق عن جملة الخلائق ، وما تطمح إليه النفوس ، فلا يقصد إلا الله ، ويعبده لاستحقاقه العبادة لذاته ، وامتثال أمره ؛ ملاحظاً جلاله وكبرياءه ، **لا رغبة في جنة ، ولا رهبة من نار ، لأنه تعالى من حقه أن يُعْبَد** كما قال ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ انتهى عبارته ١٦١ .

وقال الغزالي في « جواهر القرآن » بعد ذكره كلاماً في علم الحدود :

---

(١) **ثم هي - أي : معرفة الله - أبدية ، سرمدية ، لا يقطعها الموت! إذ الموت لا يهدم محلَّ معرفة الله** ؛ ومحلُّها الروح الذي هو أمر رباني سماوي ، وإنما الموت يغيِّر أحوالها ، ويقطع شواغلها وعوائقها ، ويخلِّيها عن جنسها . « إحياء علوم الدين » . ٥٥٢ ج٤ . (هامش الأصل) .

وقد ضيعنا شطراً صالحاً من العمر في تصانيف الخلاف فيه ، وقد صرفنا قدراً صالحاً منه إلى تصانيف المذهب وترتيبه إلى « بسيط » و« وسيط » و« وجيز » مع إيغال وإفراط في التشعيب[1] والتقريع . انتهى . فانظر إلى كلام الغزالي : أنه قد عدّ عمره - الذي أشغله في تصنيف هذه الكتب النفيسة التي هي أصول المختصرات كـ« المحرر » و« المنهاج » وخاصة في كتابه « الوجيز » الذي قيل في حقه : لو كان بعد النبي عليه السلام نبيٌّ لكان الإمام الغزالي نبيّاً ، ولو كان نبيّاً لكفى « الوجيز » معجزة - ضائعاً ، إلى أن قال : **ضيّعنا عمرنا في البطالة** . وقال : بعد فراقه من محل التدريس : هذا محلُّ تلاعُبِنا مع الصبيان . كما هو مذكور في « منية الفقير المتجرد » شرح « الآجرومية » في النحو .

وقال الإمام النووي في « أذكاره » في باب المدح : قال أبو حامد الغزالي ؛ بعد أن ذكر ما سبق في أول الباب : فدقائق هذه المعاني ينبغي أن يلحظها من يراعي قلبه ، فإن أعمال الجوارح مع إهمال هذه الدقائق ضُحْكة للشيطان ؛ لكثرة التعب وقلة النفع ، ومثل هذا العلم هو الذي يقال : **إن تعلم مسألة منه أفضل من عبادة سنة** ، إذ بهذا العلم تحيا عبادة العمر ، وبالجهل تموت عبادة العمر وتتعطل ، وبالله التوفيق . انتهى عبارته ١٢٣ .

(١) أي تفريق .

البرج العاشر

في بيان غرور علماء الظاهر

اعلم أيها الأخ ؛ لمّا سألتني بعدّة مسائلَ من مسائل علم التصوف ، وكانت في مفهومها ومضمونها ما لا بد من بيانه ؛ ولو بالإجمال ، لما أنه يجوز أن يكون في الخاطر إشكال في حالة السؤال ، أو يحتمل أن يخطره ولو بعد الجواب ، ولذلك احتيج أن أُبيِّن في الكتاب قدراً مِمَّا يرفع به الإشكال ، ويدفع عن الخاطر الاعتراض والإنكار .

اعلم أيها المحبوب ؛ أنّي أشكر الله الذي لا إله إلا هو على وُجْدَان أمثالكم من العلماء ، لأن بهم قوام الدين ، ولولا العلماء لهلك الناس ، لكن ينبغي لكل عاقل أن يعلم ما في نفسه من النية والقصد في جميع ما يرتكبه من العلم والعمل ، لئلا يحبط عمله وعلمه بسوء النية ، وكم من عمل يتصور بصورة أعمال الآخرة ؛ ويصير بسوء النية من أعمال الدنيا !! ورد في الحديث : « النّاس كُلّهُم هَلَكَة[1] إلا العالمون والعالمون كلهم هلكة إلا العاملون ، والعاملون هلكة إلا المخلِصُون ، والمخلصون على خطر عظيم » فالتشمر لإزالة الحجب المانعة من دخول الحضرة الإلهية من أهم المهمات ، وطلب الخلاص من الآفات الباطنية من أوجب الواجبات ؛ بالسلوك في سلك طريق أطباء القلوب ، فإن الأمر منوط بذلك ، فكيف لا ؛ وقد قال صاحب « السير والسلوك » بما نصه :

التخلُّص من الأوصاف الذميمة بغير سلوك محال

وأما من أراد أن يخلص منها – يعني : من الأوصاف الذميمة – بغير سلوك الطريق المذكور فقد طلب المحال ؟! ولذلك ترى الأبرار ؛ وإن سعوا في الخلاص من صفة من الصفات ، وتيسَّر لهم ذلك ، وقعوا في

---

(١) وفي نسخة : هلكى .

صفة أخرى ، وخصلة أقبح من الأولى ، لأنهم لم يسلكوا طريق المقربين المنجي عن جميع الآفات ، فهم على الخطر ؛ وإن أخلصوا ، لقوله ﷺ : « والمخلصون على خطر عظيم »[١] . انتهى .

والتكبر بالعلم غالب ، والرياء في ذلك خفي لا يطّلع عليه إلا الناقد البصير ، وقد قال الشعراني في « تنبيه المغترين » : وكان أبو أيوب السختياني – رحمه الله تعالى – يقول : إن من الرياء بما لا تعمل تطاولك على غيرك بما تحفظه من كلام الناس وأقوالهم في العلم ، فإن ذلك الذي تتطاول به ليس من عملك ولا استنبطته . انتهى ٩ .

وفيه : وقد بلغنا أن عيسى – عليه الصلاة والسلام – كان يقول : **ما أكثر العلوم ! وليس كلها بنافع ، وما أكثر العلماء وليس كلهم برشيد .**

وكان إبراهيم بن عتبة رحمه الله تعالى يقول : أطول الناس ندماً يوم القيامة عالم يتعاظم بعلمه على الناس .

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يقول : أخوف ما أخاف على هذه الأمة من عالم باللسان جاهل بالقلب . انتهى ١٠ .

---

(١) وذلك لأن المخلص يُحِبُّ أن يعرف الناس أنه مخلص ، هذا هو الرياء الخفي ، لا الرياء الجليّ ! كذا في « السير والسلوك » . ومن هنا يعلم الفرق بين طريق المقربين وطريق الأبرار ، **لأن المقربين تيقنوا بالدليل والكشف** أن الله تعالى شرع العبادات ، وجعلها أبواباً يدخل منها من يشاء إلى حضرته ، فدخلوا منها عليه ، متمثلين بين يديه ، ناظرين ببصائرهم إليه ، غير ناظرين إليها ، ولا معتمدين عليها ، ولا معجبين بها ، شاهدين أن المنة لله عليهم حيث فتح لهم أبواب العبادات ، ومكّنهم من الدخول ، وأهّلهم للقبول . ومن كانت هذه أحواله لا يحتاج إلى الإخلاص بل لا يخطر بباله ولا يدري لنفسه عملاً حتى يخلص فيه ، ولا يرى لغير الله فعلاً حتى يتضرر به ، بخلاف السادات الأبرار ؛ فإنهم لم يصلوا إلى هذا الشهود ، فنظروا أنهم قد أوجدوا أعمالهم ، فطولبوا بالإخلاص ، ولم يشهدوا أن الله تعالى خلق الأفعال كلها . هذا ملخص ما في « السير والسلوك » فراجعه . (منه ؛ رحم الله تعالى إفلاسه ، آمين) .

وفيه أيضاً : وكان الربيع بن خيثم - رحمه الله تعالى - يقول : كيف يصح للعالم أن يرائي بعلمه وهو يعلم من نفسه أن تعلمه لغير الله ، وذلك حابط من أصله ؟ ! فكيف يرى نفسه على الناس بما هو حابط ؟ ! .

وقد كان الإمام النووي - رحمه الله تعالى - إذا دخل عليه أمير على غفلة وهو يدرِّس في العلم في المدرسة الأشرفية أو جامع بني أمية يتكدَّر لذلك ، وإذا بلغه أن أحداً من الأكابر قد عزم على زيارته في يوم درسه لا يدرِّس العلم ذلك اليوم ؛ خوفاً أن يراه الأمير وهو في محفله ودرسه العظيم . ويقول : **من علامة المخلص أن يتكدَّر إذا اطَّلع الناسُ على محاسن عمله ؛ كما يتكدَّر إذا اطّلعوا على مساويه** ، فإن فَرَحَ النَّفْس بذلك معصية ، وربما كان الرياء أشدَّ من كثير من المعاصي . انتهى ١٢ .

كل ما ظهر للناس قليل النفع في الآخرة

وفيه : وكان الإمام الشافعي رضي الله عنه يقول : ينبغي للعالم أن يكون له خبيئة من عمل صالح فيما بينه وبين الله تعالى ، فإن كل ما ظهر للناس من علم أو عمل قليل النفع في الآخرة ، **وما رأى أحد أحداً في منامه بعد موته وقال : غفر الله لي بعلمي ، إلا قليل من الناس** .

وقد رؤي الإمام أبو حنيفة - رضي الله عنه - بعد موته فقيل له : كيف حالك ؟ ! قال غفر الله لي ، قيل له : بالعلم ؟ ! فقال : هيهات ! **إن للعلم شروطاً وأفاتٍ قلَّ من ينجو منها** .

قال : ورأى بعضهم الجنيد بعد موته - رحمه الله تعالى - فقال له : ما فعل الله بك ؟ ! فقال : **قد طاحت تلك الإشارات ، وفنيت تلك العبارات ، وما نفعنا إلا بعض ركيعات كنّا نركعها في السَحَر** .

قال : ورأى بعضهم أبا سهل الصُعْلوكي بعد موته - رحمه الله تعالى - فقال له : ماذا صنع علمك ؟ ! فقال : كل ما كان من دقائق العلوم

وجدته هباء منثوراً إلا بعض مسائل سألني عنها العوام . انتهى ١٣ .

قال الشيخ الإمام العالم العلاَّمة الغزالي في كتاب « الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين »[١] : **الصنف الأول** من المغرورين : العلماء ، وهم فرق :

فرقة منهم لما أحكمت العلوم الشرعية والعقلية تعمقوا فيها ، واشتغلوا بها ، وأهملوا تفقد الجوارح وحفظها من المعاصي وإلزامها الطاعات ، واغترُّوا بعلمهم ، وظنُّوا أنهم عند الله بمكان ، وأنهم قد بلغوا من العلم مبلغاً لا يعذب الله مثلهم ، بل يقبل شفاعتهم في الخلق ، ولا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم ، وهم مغرورون ، فإنهم لو نظروا بعين البصيرة لعلموا أن العلم علمان : علم معاملة ، وعلم مكاشفة ؛ وهو العلم بالله تعالى وبصفاته ، فلا بدَّ من علوم المعاملة لتتمَّ الحكمة المقصودة ، وهي المعاملة بمعرفة الحلال والحرام ، ومعرفة أخلاق النفس المذمومة والمحمودة ، ومثلهم مثل طبيب يطبب غيره وهو عليل قادر على طبّ نفسه فلم يفعل ، وهل ينفع الدواء بالوصف ؟! هيهات ! لا ينفع الدواء إلا مَن شربه بعد الحمية ، وغفلوا عن قوله تعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ ولم يقل من يعلم تزكيتها وكتب علمها وعلّمها الناس ، وغفلوا عن قوله ﷺ : « من ازداد علماً ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعداً » وقوله ﷺ « إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه » وغير ذلك كثير . وهؤلاء مغرورون – نعوذ بالله من حالهم – ، وإنما غلب عليهم حبُّ الدنيا وحب أنفسهم ، وطلب الراحة العاجلة ، وظنوا أن علمهم يُنجيهم في الآخرة من غير عمل .

وفرقة أخرى أحكموا العلم والعمل الظاهر ، وتركوا المعاصي

---

(١) راجعه في ٤١ من هامش « تنبيه المغترين » (منه) .

الظاهرة ، وغفلوا عن قلوبهم ، فلم يمحوا منها الصفات المذمومةَ عند الله ؛ كالكبر والرياء والحسد وطلب الرياسة والعلوّ وإرادة السوء بالأقران والشركاء وطلب الشهرة في البلاد والعباد ؛ وذلك غرور سببه غفلتهم عن قوله ﷺ « الرياء الشرك الأصغر » ، وقوله ﷺ : « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » ، وقوله ﷺ « حب المال والشرف ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل » . إلى غير ذلك من الأخبار ، وغفلوا عن قوله تعالى ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ فغفلوا عن قلوبهم واشتغلوا بظواهرهم ، **ومن لا يُصفِّي قلبه لا تصح طاعته** ، وهو كمريض ظهر به الجرب فأمره الطبيب بالطلاء وشرب الدواء ، فاشتغل بالطلاء ، وترك شرب الدواء ، فأزال ما بظاهره ولم يزل ما بباطنه ؛ وأصل ما على ظاهره مما في باطنه فلا يزال جربه يزداد أبداً مما في باطنه فلو زال ما في باطنه استراح الظاهر ، فكذلك الخبائث إذا كانت كامنة في القلب يظهر أثرها على الجوارح .

وفرقة أخرى علموا هذه الأخلاق الباطنة ، وعلموا أنها مذمومة من جهة الشرع ، إلا أنهم لأجل تعجّبهم بأنفسهم يظنّون أنهم منفكّون عنها ، وأنهم أرفع عند الله من أن يبتليهم بذلك ، وإنما يُبْتلى به العوام دون من بلغ مبلغهم في العلم ، فأما هم ! فهم أبلغ عند الله من أن يبتليهم بذلك ، وظهرت عليهم مخايل الكبر والرياسة ، وطلب العلوّ والشرف ، وغرورهم أنهم ظنوا أنّ ذلك ليس بكبر ، وإنما هو عزّ الدين وإظهار لشرف العلم ونصرة دين الله ، وغفلوا عن فرح إبليس به ، وعن نصرة النبي ﷺ بماذا كانت ! وبماذا أرْغَمَ الكافرين ؟! وغفلوا عن تواضع الصحابة وتذلّلهم وفقرهم ومسكنتهم ، حتى عوتب عمر - رضي الله عنه - على بذاذته عند قدومه الشام ! فقال : **إنّا قوم أعزنا الله بالإسلام ، لا نطلب العزّ في غيره** .

ثم هذا المغرور يطلب عزّ الدين بالثياب الرفيعة ، ويزعم أنه يطلب عزّ العلم وشرف الدين ، ومهما أطلق اللسان بالحسد في أقرانه أو فيمن

ردَّ عليه شيئاً من كلامه ؛ لم يَظُنَّ بنفسه أنّ ذلك حسد ويقول : إنما هو غضب للحق ، وردٌّ على المبطل في عداوته وظلمه . وهذا مغرور ؛ فإنه لو طُعِن على غيره من العلماء من أقرانه ربّما لم يغضب ، بل ربّما يفرح ؛ وإن أظهر الغضب عند الناس فقلبه ربّما يحبه ، وربما يُظهر العلم ويقول : غرضي به أن أفيد الخلق . وهو به مُراءٍ ، **لأنه لو كان غرضُه صلاح الخلق لأحبّ صلاحهم على يد غيره** ممّن هو مثله ، أو فوقه أو دونه ، وربّما يدخل على السلاطين ويتودّد إليهم ويثني عليهم ، فإذا سئل عن ذلك ! قال : إنما غرضي أن أنفع للمسلمين وأدفع عنهم الضرر . وهو مغرور ؛ فلو كان غرضه ذلك لفرح به إذا جرى على يد غيره .

ولو رأى مَنْ هو مثله عند السلطان يشفع في أحد لغضب ، وربما أخذ من أموالهم . فإذا خطر بباله أنه حرام ، قال له الشيطان : هذا مال بلا مالك ، وأنت إمام المسلمين وعالمهم ، وبك قَوَامُ الدين .

وهذه ثلاث تلبيسات : أحدها : أنه مال لا مالك له ، وثاني : أنه لمصالح المسلمين ، والثالث : أنه إمام . **وهل يكون إماماً إلا من أعرض عن الدنيا كالأنبياء والصحابة وأفاضل علماء هذه الأمة .**

مثل العالم السوء

ومثله ؟ ! كما قال عيسى عليه السلام : العالم السوء كصخرة وقعت في فم الوادي ؛ فلا هي تشرب الماء ، ولا هي تترك الماء يخلص إلى الزرع .

وأصناف غرور أهل العلم كثيرة ، وما يفسد هؤلاء أكثر مما يصلحونه .

وفرقة أخرى : أحكموا العلوم ، وطهَّروا الجوارح ، وزيَّنوها

بالطاعات ، واجتنبوا ظاهر المعاصي ، وتفقدوا[1] أخلاق النفس وصفات القلب ؛ من الرياء والحسد ، والكبر والحقد ، وطلب العلو ، وجاهدوا أنفسهم في التبرىء منها ، وقلعوا من القلب منابتها الجلية القوية ، ولكنهم مغرورون !! إذ في زوايا القلب بقايا من خفايا مكائد الشيطان وخبايا خدع النفس ما دقَّ وغمض ؛ فلم يتفطّنوا لها وأهملوها ، ومَثَلهم كَمَثل مَن يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه وفتَّش عن كلّ حشيش فقلعه ، إلا أنه لم يفتِّش عمّا لم يخرج رأسه بعدُ من تحت الأرض ، ويظن أنّ الكل قد ظهر وبرز ، فلما غفل عنها ظهرت وأفسدت عليه الزرع ، فهؤلاء إن غيَّروا تغيَّروا ، وربما تركوا مخالطة الناس استكباراً عنهم ، وربما نظروا

---

(١) تفقد : أي طلب .

*وكان – يعني الشاذلي – يقول : كلّ علم يسبق إليك فيه الخواطر وتميل إليه النفس وتلذّ به الطبيعة فارم به وإن كان حقّاً ، وخذ بعلم الله الذي أنزله على رسوله واقتد به وبالخلفاء والصحابة والتابعين من بعدهم وبالأئمة الهداة . . الخ تسلم من الشكوك والظنون والأوهام والدعاوي الكاذبة المضلة عن الهدى وحقائقه . « طبقات الكبرى » ٤ ج١ .

*وكان يقول : **علماء السوء أضرّ على الناس من إبليس** لأن إبليس إذا وسوس للمؤمن ، عرف المؤمن أنه عدوّ مضلّ مبيّن ، فإذا أطاع وسواسه عرف أنه قد عصى ، فأخذ في التوبة من ذنبه والاستغفار لربه . وعلماء السوء يلبّسون الحق بالباطل ، ويزيدون الأحكام على وفق الأغراض والأهواء بزيغهم وجدالهم ، فمن أطاعهم ضلّ سعيه وهو يحسب أنه يحسن صنعاً ، فاستعذ بالله منهم واجتنبهم وكن مع العلماء الصادقين « طبقات الشعراني » ٧٢ ج٢ .

وأما حملة العلم المولّدون للمسائل على وفق الأغراض واتباع الأهواء فليسوا من هذا الأمر في شيء وإنما هم كما وصف ﴿ **ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا** ﴾ (منه) ١٥ ج٢ .

وكان – يعنى علياً الخواص رضي الله عنه – يقول : **لا يسمى عالماً عندنا** إلا من كان علمه غير مستفاد من نقل أو صدر ، بأن يكون خضري المقام ، وأمّا غير هذا فإنما هو حاك لعلم غيره ، فقط . فله أجر مَنْ حمل العلم حتى أدّاه لا أجر العالم . والله لا يضيع أجر المحسنين « الطبقات الكبرى » ٢٣١ ج٢ .

إلى الخلق بعين الحقارة ، وربما يجتهد بعضهم في تحسين منظره كيلا يُنْظَر إليه بعين الركاكة .

وفرقة أخرى : تركوا المهم من العلوم ، واقتصروا على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات ، وتفاصيل المعاملات الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح المعايش ، وخصَّصوا اسم الفقه ، وسمّوه الفقه وعلم المذهب ، وربما ضيَّعوا مع ذلك علم الأعمال الظاهرة والباطنة ، ولم يتفقَّدوا الجوارح ، ولم يحرسوا اللسان عن الغيبة والبطن من الحرام ، والرجْل عن السعي إلى السلاطين ، وكذا سائر الجوارح ، ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والرياء والحسد وسائر المهلكات ؛ **وهؤلاء مغرورون من وجهين** :

أحدهما : من حيث العمل ، وقد ذكرنا وجه علاجه في كتاب « الإحياء » ، وإنّ مَثَلَهم كَمَثل المريض الذي تعلَّم الدواء من الحكماء ؛ ولم يعلمه أو يعمله ؛ فهؤلاء مشرفون على الهلاك من حيث أنهم تركوا تزكية أنفسهم وتخليتها ، واشتغلوا بكتاب الحيض والديات ، واللعان والظهار ، وضيَّعوا أعمارهم فيها ، وإنما غرَّهم تعظيم الخلق لهم وإكرامهم ، ورجوع أحدهم قاضياً ومفتياً ، ويطعن كل واحد منهم في صاحبه ؛ فإذا اجتمعوا زال الطعن .

والثاني : من حيث العلم ، وذلك لظنِّهم أنه لا علم إلا بذلك ، وأنه الموصل المنجي ، **وإنما الموصِل المُنجي حبُّ الله تعالى ، ولا يُتصوَّر حبُّ الله تعالى إلا بمعرفته** .

ومعرفته ثلاث : معرفة الذات ، ومعرفة الصفات ، ومعرفة الأفعال ، وهؤلاء مثل مَن اقتصر على بيع الزاد في طريق الحج ، **ولم يعلموا أن الفقه هو الفقه عن الله ، ومعرفة صفاته** المخوفة والمزجرة ، ليستشعر

القلبُ الخوفَ ، ويلازم التقوى ، كما قال تعالى ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ﴾ الآية .

ومن هؤلاء مَن اقتصر من علم الفقه على الخلافيات ، ولم يُهِمَّه إلا تعلّم طريق المجادلة والإلزام ، وإفحام الخصم ، ودفع الحقّ لأجل الغلبة والمباهاة ، فهو طول الليل والنهار في التفتيش في مناقضات أرباب المذاهب ، والتفقد لعيوب الأقران ، وهؤلاء لم يقصدوا العلم ، وإنما قصدوا مباهاة الأقران ، **ولو اشتغلوا بتصفية قلوبهم! كان خيراً لهم من علم لا ينفع إلا في الدنيا ، ونفعه في الدنيا التكبر ، وذلك ينقلب في الآخرة ناراً تلظَّى .**

وأما أدلّة المذهب! فيشتمل عليها كتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ ، فما أقبح غرور هؤلاء !

وفرقة أخرى : اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة ، والردِّ على المخالفين وتتبع مناقضاتهم ، واستكثروا من علم المقولات المختلفة ، واشتغلوا بتعليم الطريق في مناظرة أولئك وإفحامهم . ولكنهم على فرقتين ؛ **إحداهما** : ضالَّة مضلَّة ، **والأخرى مُحِقَّة** .

أما غرور الفرقة الضالة ! فلغفلتها عن ضلالتها ، وظنها بنفسها النجاة ، وهم فرق كثيرة يكفِّر بعضهم بعضاً ، وإنما ضلّوا من حيث أنّهم لم يُحكِموا الشروط للأدلة ومنهاجها ، فرأوا الشبهة دليلاً ، والدليل شبهة .

وأما غرور الفرقة المحقة ! فمن حيث أنَّهم ظنوا بالجدل أنَّه أهمّ الأمور وأفضل القربات في دين الله ، وزعموا أنه لا يتمُّ لأحد دينه ما لم يفحص ، ولم يبحث ، وأنّ من صدَّق الله من غير بحث وتحرير لدليل ؛ فليس بمؤمن ولا بكامل ولا بمقرَّب عند الله تعالى ، ولم يلتفتوا إلى القرن الأول ، وأنّ النبي ﷺ شهد لهم بأنَّهم خير الخلق ؛ ولم يطلب منهم الدليل .

وروى أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنّه قال : « ما ضلَّ قَومٌ قَطُّ إلا أُوتُوا الجدل » . انتهى .

وقد اقتصرنا الكلام في بيان الغرور ، ومن أراد الزيادة فليرجع إلى « الإحياء » من ربع المهلكات .

وقال الغزالي فيه – بعد ذكره الأخبار والآثار في آفات العلم – بما نصه : فهذه الأخبار والآثار تبيِّن أنّ العالم الذي هو من أبناء الدنيا أخسُّ حالاً وأشدّ عذاباً من الجاهل ، وأنّ الفائزين المقرّبين هم علماء الآخرة . انتهى ٤٥ ج١ .

وذكر لهم علامات وقال : **ومنها** : أن يكون أكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ، ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه ، وصدق الرجاء في انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة ، فإن المجاهدة تفضي إلى المشاهدة ، ودقائقُ علوم القلوب تتفجّر بها ينابيع الحكمة من القلب .

الحكمة إنما تنفتح بالمجاهدة

وأما الكتب والتعليم ! فلا تفي بذلك ، بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعدّ إنما تنفتح بالمجاهدة والمراقبة ، ومباشرة الأعمال الظاهرة والباطنة ، والجلوس مع الله عز وجل في الخلوة مع حضور القلب بصافي الفكرة ، والانقطاع إلى الله تعالى عما سواه ، فذلك مفتاح الإلهام ، ومنبع الكشف ، وكم من متعلّم طال تعلّمه ؛ ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة ! وكم من مقتصر على المهمّ في التعلُّم ، ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكمة ما تحار فيه عقول ذوي الألباب ! ولذلك قال ﷺ : « من عمل بما علم أورثه الله تعالى علم ما لم يعلم » . انتهى من « الإحياء » فراجعه في ٥٥ من الجزء الأول .

فائدة جليلة : ينبغي لكل عالم مدرِّس أن يتدبر فيها ، ويزن أحوال

نفسه بميزان ما فيها :

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى ونفعنا به ، في « الإحياء » في ٣١١ ج٤ بعد كلام يطول بذكر كله كلام ، ما نصه : بل كل فريق من الناس يغلب عليهم نوع من المعصية ، فينبغي أن يكون تفقّدهم لها وتفكّرهم فيها ؛ لا في معاصٍ هم بمعزل عنها .

مثاله العالم الورع ؛ فإنه لا يخلو في غالب الأمر عن إظهار نفسه بالعلم ، وطلب الشهرة وانتشار الصيت ؛ إما بالتدريس أو بالوعظ ، ومن فعل ذلك تصدَّى لفتنة عظيمة ؛ لا ينجو منها إلا الصِدِّيقون[1] ، فإنه إن كان كلامه مقبولاً حسن الوقع في القلوب ؛ لم ينفكَّ عن الإعجاب والخيلاء ، والتزيّن والتصنّع ، وذلك من المهلكات . وإن رُدَّ كلامه ؛ لم يخلُ عن غيظ وأَنَفَة[2] وحقد على مَن يردّه ، وهو أكثر من غيظه على مَن يردُّ كلام غيره ، وقد يُلَبِّس الشيطان عليه ويقول : غيظك من حيث أنه ردَّ الحق وأنكره ؛ فإن وجد تفرقة بين أن يردّ عليه كلامه ، أو يرد على عالم آخر فهو مغرور وضُحْكة للشيطان .

ثم مهما كان له ارتياح بالقبول ، وفرح بالثناء ، واستنكافٌ من الردّ أو الإعراض ، لم يخلُ عن تكلّف وتصنُّع لتحسين اللفظ والإيراد ، حرصاً على استجلاب الثناء ، والله لا يحبُّ المتكلِّفين ، والشيطان قد يُلبِّس عليه ويقول : إنما حرصك على تحسين الألفاظ والتكلُّف فيها لينتشر الحق ، ويحسن موقعه في القلب ، إعلاءً لدين الله . فإن كان فرحه بحسن ألفاظه ، وثناء الناس عليه أكثر من فرحه بثناء الناس على واحد من أقرانه ! فهو

---

(١) والصدِّيق : هو الذي استقام ظاهره وباطنه مع الحق سبحانه في جميع الأحوال . (هامش الأصل) .
(٢) أي : استكبار .

مخدوع ، وإنما يدورون حول طلب الجاه ، وهو يظن أنّ مطلبه الدين ، ومهما اختلج ضميره بهذه الصفات ظهر على ظاهره ذلك ، حتى يكون للموقِّر له المعتقد لفضله أكثر احتراماً ، ويكون بلقائه أشدَّ فرحاً واستبشاراً ممَّن يَغْلو في موالاة غيره ، وإن كان ذلك الغير مستحقاً للموالاة ، وربما ينتهي الأمر بأهل العلم إلى أن يتغايروا تغاير النساء ! فيشقّ على أحدهم أن يختلف بعض تلامذته إلى غيره ، وإن كان يعلم أنه منتفع بغيره ومستفيد منه في دينه .

فتنة العالم عظيمة

وكل ذلك رشح الصفات المهلكات المستكنة في سرِّ القلب ، التي قد يظن العالم النجاة منها وهو مغرور فيها ، وإنما ينكشف ذلك بهذه العلامات ، ففتنة العالم عظيمة ، **وهو إما مالك ، وإما هالك ، ولا مطمع له في سلامة العوام ، فمن أحسَّ في نفسه بهذه الصفات ؛ فالواجب عليه العزلة والانفراد وطلب الخمول ، والمدافعة للفتاوى مهما سئل ، فقد كان المسجد يحوي في زمن الصحابة رضي الله عنهم جمعاً من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم مفتون ، وكانوا يتدافعون الفتوى ، وكل مَنْ كان يفتي كان يودُّ أن يكفيه غيره ، وعند هذا ينبغي أن يتقي شياطين الإنس إذا قالوا : لا تفعل هذا . فإنَّ هذا الباب لو فتح لاندرست العلوم من بين الخلق** ، وليقل لهم : إن دين الإسلام مستغن عني ، فإنه قد كان معموراً قبلي ، وكذلك يكون بعدي ، ولو متُّ لم تنهدم أركان الإسلام ، فإنَّ الدين مستغنٍ عني ، وأنا فلست مستغنياً عن إصلاح قلبي .

وأمّا أداء ذلك إلى اندراس العلم ! فخيال يدل على غاية الجهل ، فإنَّ الناس لو حُبِسُوا في السجن وقُيِّدوا بالقيود ، وتُوعِّدوا بالنّار على طلب العلم ، لكان حبُّ الرياسة والعلوِّ يحملهم على كسر القيود ، وهدم حيطان الحصون ، والخروج منها ، والاشتغال بطلب العلم ، **فالعلم لا يندرس**

ما دام الشيطان يحبِّب إلى الخلق الرياسة ، والشيطان لا يفتر عن عمله إلى يوم القيامة ، بل ينتهض لنشر العلم أقوامٌ لا نصيب لهم في الآخرة ؛ كما قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الله لَيُؤيِّدُ هذا الدِّينَ بأقْوامٍ لا خَلاقَ لهم في الآخرة ، وإن الله لَيُؤيِّدُ هذا الدِّين بالرَّجُل الفاجِرِ » .

حبّ الجاه بذر النفاق

فلا ينبغي أن يغتَرَّ العالم بهذه التلبيسات ؛ فيشتغلَ بمخالطةِ الخلقِ ، حتى يتربَّى في قلبه حُبَّ الجاه والثناء والتعظيم ، **فإنَّ ذلك بَذْرُ النِفاق** .

وقال ﷺ : « حبّ الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل » .

وقال ﷺ : « ما ذئبان ضاريان أُرسِلا في زريبةِ غنم بأكثرَ فساداً فيها من حبّ الجاه والمال في دين المرء المسلم » .

ولا ينقلع حب الجاه من القلب إلا بالاعتزال عن الناس ، والهرب من مخالطتهم ، وترك كل ما يزيد جاهه في قلوبهم ، فليكن فكر العالم في التفطن لخفايا هذه الصفات من قلبه ، وفي استنباط طريق الخلاص منها ، وهذه وظيفة العالم .

فأما أمثالنا ! فينبغي أن يكون تفكرنا فيما يقوِّي إيماننا بيوم الحساب ، إذ لو رآنا السلف الصالحون لقالوا قطعاً إن هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب ! فما أعمالنا أعمال مَنْ يؤمن بالجنة والنار ، فإنَّ من خاف شيئاً هَرَبَ منه ، ومن رجا شيئاً طلبه .

الهرب من النار بترك الشهوات

وقد علمنا أنَّ الهرب من النار بترك الشهوات والحرام ، وبترك المعاصي ، ونحن منهمكون فيها ! وأنَّ طلب الجنة بتكثير نوافل الطاعات ،

ونحن مقصِّرون في الفرائض منها ! فلم يحصل لنا من ثمرة العلم إلا أنَّه يقتدي بنا في الحرص على الدنيا والتكالب عليها ، ويقال : لو كان هذا مذموماً لكان العلماء أحق وأولى باجتنابه منا . فليتنا كنّا كالعوام ؛ إذا مِتْنَا ماتت معنا ذنوبُنا ، فما أعظم الفتنة التي تعرَّضنا لها لو تَفَكَّرنا ! .

فنسأل الله تعالى أن يصلحنا ويصلح بنا ، ويوفّقنا للتوبة قبل أن يتوفانا ، إنَّه الكريم اللطيف المنعم علينا .

مطلب : مجاري أفكار العلماء

فهذه مجاري أفكار العلماء والصالحين في علم المعاملة ، فإن فرغوا منها انقطع التفاتهم عن أنفسهم ، وارتقوا منها إلى التفكُّر في جلال الله وعظمته ، والتنعُّم بمشاهدته بعين القلب ، ولا يتمّ ذلك إلا بعد الانفكاك من جميع المهلكات ، والاتّصاف بجميع المُنْجيات ، وإن ظهر شيء منه قبل ذلك ! كان مدخولاً معلولاً ، مكدراً مقطوعاً ، وكان ضعيفاً كالبرق الخاطف ، لا يثبت ولا يدوم .

الصفات المذمومة حيَّات وعقارب

ويكون كالعاشق الذي خلا بمعشوقه ؛ ولكن تحت ثيابه حيَّات وعقارب تلدغه مرة بعد أخرى ، فتنغِّص عليه لذةَ المشاهدة ، ولا طريق له في كمال التنعُّم إلا بإخراج العقارب والحيَّات من ثيابه ، وهذه الصفات المذمومة عقارب وحيَّات ، وهي مؤذيات مشوِّشات ، وفي القبر يزيد ألم لدغِها على لدغ العقارب والحيَّات ، فهذا القدْر كافٍ في التنبيه على مجاري فكر العبد في صفات نفسه المحبوبة والمكروهة عند ربه تعالى . انتهى ٣١٢ ج٤ فراجعه في كتاب التفكر من ربع المنجيات .

ترك العمل معصية

وقد ورد في فضائل العلم أحاديث ترغِّب في طلبه ، وورد أيضاً مواعيد لمن لم يعمل به ، وقد يضيق القلب عند ذكرها بحيث يكاد أن ينقطع الرجاء ، بَيْدَ أنَّا اعترفنا يا ربنا بالتقصير ، وما عملنا بما علَّمتنا ، فنسألك اللهم أن تغفر لنا ذنوبنا ، وأن تتجاوز عن خطيئاتنا ، فإنَّا تُبنا إليك فتُبْ علينا ؛ إنَّك أنتَ التوّاب الرحيم .

اللهم مغفرتُك أوسع من ذنوبي ، ورحمتك أرجى عندي من عملي ، فنستغفرك مِن ترك العمل بالعلم ، وترك الإخلاص في العمل ، إنَّك غفور جواد كريم .

مهمَّة مرجوَّة

قال الشعراني في « لواقح الأنوار » : وسمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله تعالى يقول : يتعيَّن على كل من لم يعمل بعلمه أن يُعلِّمه الناس ، ولمن يرجو عمله به .

وسمعته مرة أخرى يقول : **ما ثمَّ عالم إلا وهو يعمل بعلمه ؛ ولو بوجه من الوجوه؛ ما دام عقله حاضراً** ، وذلك إنْ عمل بالمأمورات الشرعية واجتنب المنهيات فقد عمل بعلمه بيقين إذا رَزَقَه الله الإخلاص فيه ، وإنْ لم يعمل بعلمه كما ذكرنا ؛ فيعرف بالعلم أنَّه خالف أمر الله فيتوب ويندم ، فقد عمل أيضاً بعلمه ، لأنَّه لولا العلم ما اهتدى لكون ترك العمل بالعلم معصية . **فالعلم نافع على كل حال** ، ويُحمَلُ ما ورد في عقوبة مَنْ لم يعمل بعلمه على من لم يتب من ذنوبه . انتهى . **وهو كلام نفيس** .

وملخَّص ذلك : أنه لا يشترط في كون الإنسان عاملاً بعلمه عدم وقوعه في المعصية كما يتبادر إلى الأذهان ، وإنما الشرط عدمُ إصراره على الذنب أو عدم إصراره على الإصرار . انتهى ٣٧ ج١ .

البرج الحادي عشر

في بيان جواب مسألة السائل : بأن المريدين يزعِّمون بعضهم بعضاً ، وينكرون شيخ بعضهم ، ويكون بينهم التحاسد والتعارض والحقد والسبّ والاستهزاء

فإذا كان الأمر كذلك يغلب على الظن ؛ فما فائدة اتخاذ الشيخ ؟ ! فلم أرَ أستاذاً أو مريداً لا يهجو آخر .

اعلم أيها الأخ ؛ زادك الله علماً على علم . آمين ، أن هذا ليس بقارورة[1] كُسِرَت في هذا الوقت ، بل كانت قد كُسِرَت في الأعصار الماضية ، لأنَّه لم يخلُ زمانٌ إلا وفيه مُحِقّ وكاذب ، ومحقَّين وكاذبين[2] ، فإذا كان الأمر كذلك ! يعلم أن **غالب الإنكار الذي يقع بينهم إنّما هو من القاصر الكاذب** وبين مثله ، أو من الصادق الكامل مع المدَّعي الكذَّاب .

ولا يخفى أنّ الكاذبَين يدَّعيان لِيُثْبتا دعوى كل منها ، وأنّ الكاذب يدَّعي الصادق ليثبت دعواه أيضاً .

ولم أرَ أحداً أصعب لقبول العلاج من هذا ، لأنَّه لمَّا أَلِفَ على الباطل ، وأقرَّه عليه مدَّعي الشيخوخة منذ زمان ، وثبت اعتقاده على أنّ ما عليه أستاذه حق ، لا ينفعه بالوعظ ولا بذكر الأدلة ، ولذا قال لي شيخنا قطب وقته سيف الله الحسيني الأويسي النقشبندي الشاذلي القادري قدس سره : **ياولدي عياذاً بالله من هؤلاء القوم . يعني : أنهم لا يخرجون من دعواهم** ؛ لما أنّ عروق أشجار أباطيلهم قد شيدت في أرض قلوبهم . والله أعلم .

---

(١) هي وعاء من الزجاج يحفظ فيه الزيت « القاموس الجديد » . (هامش الأصل) .

(٢) لعله من الناسخ ، وإلا ! فالصواب : محقَّان وكاذبان . إلا على مذهب من يلزم الياء في الأحوال الثلاث .

وشناعة عملهم هذا غَنِيَّة عن البيان ، فإنهم إنما يؤذون الله ورسوله ، ويعترضون بأباطيلهم أولياء الله وطريقهم ، وهم أشرّ الخلق ، وأبعدهم عن باب الحق ، وهم أولياء الشيطان يوحي إليهم بالأقوال المموهات ، ويصرفهم عن اتّباع طريق السادات ، **فبوقوعهم في ورْطة الاعتراض على أهل الحق تسابق إليهم سهام قواطع ، فصاروا فتنة لأهل الطريق ، وهم الذين انتصبوا لإيقاع التهمة في الصادقين** ، فالفرار منهم واجب ، فإنهم أعوان الشياطين .

وأما دعوى الصادق مع الكاذب! فهو من جملة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بل هو الجهاد الأكبر ، وقد قال البيضاوي في تفسير قوله تعالى ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾ إنّ مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف . انتهى من سورة الفرقان .

ونقل في « الإتحاف شرح الإحياء » من كتاب « الذريعة » أن العالم أفضل المجاهدين الذابين عن الدين ، فالجهاد جهادان : جهادٌ باللسان ، وجهادٌ بالبنان[1] . انتهى ٣١٩ ج١ .

وقال الإمام الرباني قدس سره : إن الجهاد القوليّ أفضل من جهاد القتل . كذا في « الدرر المكنونات » في ٧٧ ج١ .

وفي الحديث : « ما جميع أعمال البرّ والجهاد في سبيل الله عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا كنفثة[2] في بحر لجي » وفي الحديث :

---

(١) ومثله في « شواهد الحق » ، فراجعه في ٨٢ (منه) .

(٢) هو البصاق اليسير « مصباح » ، (هامش الأصل) .

*وقد يعلّل بعض المريدين بأنّ مثال المريد كزوجة في عقد رجل ، **فكما لا يجوز** أن يكون للزوجة زوجان ، فكذا لا يجوز للمريد أن يكون في تربية شيخين . انتهى . اللهم نعم فنعم هو كذلك لو كان للزوج طاقة لتربية الزوجة بالكسوة والنفقة وإعطائها صداقاً ومهراً ، وأما إنْ لَم يطق أن يعطيها كسوة ونفقة فلها الفراق والفسخ . فمثل هذا=

« ما من صدقة أحبُّ إلى الله من قول الحق ؛ من نحو أمر بالمعروف ، أو نهي عن منكر[1] » . انتهى . « السراج المنير » ٢٦٧ ج٣ .

والذين غلبت عليهم الشهوة والأهواء يدَّعون المشيخة ، والحال أنهم عن الاتصاف بمقامها بريئون ، يخدعون الخلق بأنواع الحيل ، ويستتبعون بعض الجهلة ، ويصيدونهم بالكلمات المزخرفة والأقوال المموَّهة ، ويَمْكُرون بعض أهل الصّدق من الطلبة أيضاً ، ويوهمونهم بأنهم على الحق ، ويحرصونهم على الأخذ منهم والسلوك على يدهم ، فيقطعون عليهم الطريق ويمنعونهم من صحبة أهل الحق ومشائخ الطريقة - عياذاً بالله[2] مما هم عليه - .

ولذا يجب على كلٍّ من عنده علم أن يُنْكِر أهل الدعوى ، **لأن فتنتهم أشبه بفتنة الدجَّال** ، وإقرارهم على ما هم عليه عين المداهنة[3] ،

=أحوال المريدين والمتشيخين في غالبهم في ديارنا ، فإنه ليس في تلكم المتشيخين إذن ولا عهد من مشائخهم **وهما كالنكاح** والمهر والنفقة والكسوة ، فيجوز له فسخ العهد والدخول في عهد شيخ آخر يطيق على التربية وإلخ . . كما يجوز للمرأة أن تفرق الزوج إذا لم يطق تربيتها . وأيضاً إن المرأة مثلاً لو مات عنها زوجها أو طلقها يجوز لها أن تتزوج لزوج آخر ، وهكذا إن المريد إذا مات شيخه أو غاب هو يجوز له أن يذهب لدى شيخ ، فلا مانع منه . فمثال البعض المذكور مثال مع الفارق فتدبره ، مع أنهم جوزوا أن يذهب المريد لدى شيخ ويترك شيخه الأول ، كما هو مذكور في « البهجة » و« النفائس السانحات » وإلخ وإلخ . . فراجع وحرر . فإن العلم علمان : علم الظاهر وعلم الباطن . فكما يجوز للطالب أن يقرأ من كتاب على أستاذ ، ويقرأ أيضاً من أستاذ آخر ، فكذلك في علم الباطن فتدبره ! (هامش الأصل) .

(١) وفي « بغية المسترشدين » : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قطب الدين ، فمن قام به من المسلمين وجب على غيره إعانته ونصرته ، ولا يجوز لأحد التقاعد عن ذلك والتغافل عنه . انتهى ٣٤٢ راجعه .

(٢) راجع « روح البيان » في تفسير قوله تعالى ﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ في ٠٤٣ ج١ . (هامش الأصل) .

(٣) أي : السكوت عند مشاهدة المعاصي مع القدرة على الإنكار « الطريقة المحمدية » . (هامش الأصل) .

والمداهنون يحشرون على صور القردة والخنازير ؛ كما ورد ، **فردُّهم إعانة جانب أكابر الأولياء** ، لما أنهم أحدثوا في طريق الله أموراً ليست فيه ، وحثُّوا الناس إلى بدعتهم ، وأنكروا أهل الله ، ومرَّ ما قاله الإمام الرباني من أن (إحداث شيء في الطريقة ليس هو عند الفقير بأقل من إحداث بدعة في الدين) .

وقد قال سليمان الزهدي في حق أمثال هؤلاء القوم : وهم قطاع طريق الأوَّاب ، ومفرقوا جمع الأحباب ، بل هم أضرّ على الإخوان من المنكِر المغتاب . انتهى . من « مجموعة الرسائل » .

ونقل الخاني في « بهجته » عن الرازي رحمه الله تعالى ، ما نصُّه هذا : ولا يخفى **أن مَن تصدَّر للمشيخة بغير إذن فما يفسده أكثر مما يصلحه ، وعليه إثم قاطع الطريق** . انتهى . فراجعه .

ولعنهم صاحب « البهجة » وقال بعد ذكرهم : لعن الله جميعهم ، وَاحْذَرْ من أن يسكن في قرية فيها واحد منهم . فراجعه .

ومن المعلوم المشهور أن أكثر المتصدرين للإرشاد في ديارنا ليسوا بمأذونين ، ولم أجد في واحد منهم صكّ الإجازة ، ولم أجدهم يفعلون شيئاً ما مما ذكره المشائخ في كتبهم ؛ سواء كان التلقين والأذكار ، أو الوظائف والأدب ، بل وجدنا أكثرهم مبتدعين ! **فإنكارهم من النصيحة** .

وفي « هداية البداية » : إن المبتدع الذي يدعو الناس إلى البِدْعَة ويزعَمُ أنّ ما يدعوه حقّ ، فهو سبب لغواية الخلق ، فشرُّه متعدّ ، **فالاستحباب إظهار بغضه ومعاداته ، والانقطاع عنه وتحقيره ، والتشنيع عليه ببدعته وتنفير الناس عنه** . انتهى . ومثله قال مصطفى محمد العروسي الشافعي في آخر « عقائده » فراجعه .

وفي « روح البيان » : إن من لم تتصل نسبته المعنوية بواحد من أهل

النفس الروحاني ، وادَّعى لنفسه الكمال والتكميل ، فهو زانٍ في الحقيقة ، ومن هو في تربيته هالك ، لأنه ولد الزنا .

وفيه أيضاً في سورة « الفرقان » : وفي الآية إشارة إلى **الأصنام المعنوية** ، وهم المشائخ المدَّعون ، والدجَّالة المتصنِّعون ، فإنهم ليسوا بقادرين على إحياء القلوب وإماتة النفوس ، **فالتابعون لهم في حكم عابد الأوثان** ، فليحذر العاقل من اتخاذ أهل الأهواء متبوعاً . انتهى .

وفيه أيضاً في سورة « آل عمران » : قال الشيخ الصفي قدس سره : إن الذين يدَّعون المعرفة وتمكينهم في مقام الإرشاد ، ويراؤون جلباً لحطام الدنيا ؛ عذابُهم أشدُّ من عذاب النساء الزانيات ، وَلدن أولاداً من الزنا مع وجود أزواجهن وأولادِهنّ سبعين مرة . انتهى . ومثله في « مزكي النفوس » .

فقد علم مما مرَّ أن **الإنكار على المتشيخين المبتدعين من الواجبات** ، والاحتراز عن الوقوع في شبكة أباطيلهم من أهم المهمات ، ورفع اللوم عن الصادق ومريديه ، فوقع إنكارهم ودعواهم على المبطل الكذاب في موضعه ، وهو الإعانة على البر والتقوى .

قال صاحب كتاب « الرماح » بعد قوله تعالى ﴿**وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ**﴾ **ولا معاونة على التقوى أعظم من نصر العلماء العارفين بالله** ؛ لأن من نَصَرهُم فقد نَصَرَ الله ، ومن نصر الله ينصره ، ومن خذلهم فقد خان الله ورسوله . انتهى ١٠ .

وفيه : وإذا كان نصرُهُم من نَصْر الله ! لا شك مَن نَصَرهم ينصر الله تعالى ، قال تعالى ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ**﴾ ، وقال ﴿**وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ**﴾ ، وقال ﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ**﴾ . انتهى ١٠ .

البرج الثاني عشر

في بيان عدم وقوع التنازع والإنكار بين الصادقين من المشائخ وبيان أن ترك الإرشاد بعد التأهُّل عصيان

فنقول ؛ وبالله التوفيق : وأمّا الدعوى بين الصادقيْن وأصحابهما ! فهو ممّا لم يقع قط ؛ ولا يقع أبداً ، وكذا المزاحمة على التلقين ، وطلب الأتباع والمريدين ، وقد قال الشعراني في « لطائف المنن » : إن المزاحمة على المشيخة لا تقع قط من عارف بالله تعالى ، وإنما تقع من قاصرَيْن ، ومن قاصر وعارف ، فيريد القاصر أن يكون شيخاً مثل العارف بجهله ، والعارف لا يريد ذلك . انتهى ٢٠٥ ج١ .

فهل سمعت أيها المحترم أنّ الكلام المنكر قد وقع بين الشيخ العارف بالله الحاج جرائيل أفندي وبين الشيخ المشهور أحمد التلالي ؟ ! والشيخ ذي الجناحين الحاج عبد الرحمن العسلي وبين الشيخ العالم العارف مصطفى الغدبري ؟ ! وبين الشيخ الحافظ المرشد الكامل شعيب أفندي الباكني وبين غيرهم من خلفائهم ؟ ! فحاشاهم عن إنكار بعضهم بعضاً ، وحاشاهم عن المزاحمة على المشيخة ، بل كلهم كانوا لأمثالهم الصادقين كاليد اليمنى للشمال ، **وكانوا يُعَوِّلون أمر مريديهم إلى من هو أقرب منهم منزلاً** .

وقد أمرني شيخنا العسلي قدس سره بكتبة الكتاب لدى العالم المحقق حبيب الله بن محمد طاهر القراخي الزلدي بذهابه لدى الشيخ شعيب أفندي الباكني ، لكون قريته قريباً من قريته[1] ، وعوَّل أيضاً جميع

---

(١) حتى كان الشيخ العسلي قدس سره يذهب لدى أحمد التلالي لطلب الفيض بعد موت شيخه جبرائيل أفندي ، وكان الشيخ الحافظ شعيب الباكني بعد موت شيخه التلالي يذهب لدى الشيخ العسلي ، ويطلب منه سلوكه إلى ما فوق مقامه ، ويقول=

مريديه الكائنين في ناحية هيد إلى هذا الحقير ، وأمرني بذلك مشافهة في مجمع من العلماء .

وهكذا يكون حال الصادقين ! يحمدون الله تعالى على وجود[1]

=له : مَن ينظر إليَّ الآن إلا أنت ؟ ! كما أخبرني بذلك مشافهة .

وكان الشيخ مصطفى أفندي يسأل الشيخ العسلي بمسائل ، ويطلب منه الإرشاد .

وأما هذا الحقير الفقير ! فلي بهم أسوة ، فلما مات شيخي العسلي سلكت على يد الشيخ الباكني ، وعلَّمني مرتبتين من المراقبة ، وأجازني أيضاً ، فلما مات هو وبقيتُ على تلك الحالة ؛ ذهبت لدى قطب الوقت سيف الله الحسيني ، فسلكت على يده سنين ، **وقد كان مراتب مراقباته ومقاماته أزيد وأعلى من مراقبات الشيخين المذكورين بإحدى وعشرين درجة** ، وكان نقشبندياً أويسياً شاذلياً قادرياً ، وأجازني أيضاً بجميع ما أجازه أشياخه ، ومات هو ، فبقيت كالصبي إذا ماتت أمه .

وقد أكَّدني جميعهم بإرشاد الخلق ، فلم يكن لي بدٌّ من امتثال أمرهم ، رزقنا الله الاستقامة . آمين .

فإن قيل : هل يجوز لمريد أن يذهب لدى غير شيخه إذا مات أو غاب ؟ !

فالجواب : يجوز له ذلك في تلك الحالة . فقد قال في كتاب « حزب الرحيم » **وقلما أفلح مريد فطم قبل أوان فطامه** – وفي « الرماح » في ٣٩١ ج٢ : إن هذا الكلام قاله السيد محمد بن المختار الكتاني فراجعه . (منه) . بل متى مات شيخه أو فصله عنه عارض ؛ وكان له نائب أو خليفة تعيَّن عليه ملازمته برسم ما كان عليه مع الشيخ ، ومتى لم يخلِّف نائباً ولا خليفة لزمه الانتقال إلى مرشد أو شيخ يتخذه في بقية سيره . انتهى ١٣١ ج١ .

وقد سمعت شيخنا العسلي قدس سره يقول : إن شيخه قال له : يا ولدي إني أرقيتك إلى كل مقام أعلمه ، فإن وجدت من يعلم ما فوق ذلك ! فلك مني الإذن لذهابك لديه . انتهى .

قال قدس سره : إني قد طلبت في استانبول من يعلم المراقبات المجدَّدية ، فلم أجده فيه ، حتى إني طلبت في مكة فلم أجده ، ووجدته في المدينة ، لكنني كنت مريضاً فلم يمكن لي أن أذهب لديه . انتهى .

هذا مما يجوز ، وإنما الممنوع أن يتردَّد المريد لدى هذا ، ولدى هذا ؛ في حالة واحدة . كما بيَّنَّاه في « تنبيه السالكين » والحمد لله رب العالمين . (منه ؛ رحم الله إفلاسه) .

(١) وقد قال شيخنا الباكني مصرحاً لدى مجمع من العلماء وغيرهم : اَللهَ صِ رِصْ بُكُ خَ وَصْ نُجْ عَكِ رَتُنْ رُكِلِلْ نُجرْ رَخَلْدَ نِجِيْ فِهَلِيَلِ . انتهى (منه) .

غيرهم في البلاد ؛ فكيف لا يفرحون بذلك والحال أنّ مثال المريد كمثال الميت ، ومثال الشيخ كمن وجب عليه حمله ؟ ! فهل يحب العاقل أن يحمل ميتاً مع وجود من يحمله ؟ ! بيد أن من **أمره الشيخ الكامل بإرشاد الخلق إلى طريق الحق لا بدَّ له من ذلك** .

وقد قال محمد بن سليمان البغدادي في « الحديقة الندية » : والمرشد بعد تأهُّله للإرشاد ، وتبحُّره في علوم الشريعة والحقيقة ، وأمرِ أشياخه له بنشر فوائد الطريقة ، ودعوة الخلق إلى الحق على بصيرة باتباع سبيل المبعوث رحمة للخليقة ؛ يحرم عليه الإخفاءُ ، وكتمُ ما عنده من الفوائد والآلاء ، إذ قال ﷺ : « إذا ظَهَرتْ البِدَع أوالفِتَنُ فَلْيُظهِر العَالِمُ عِلْمَهُ » الحديث .

وقال : « مَنْ كَتَمَ عِلْماً أُلجِمَ بِلِجَام مِنْ نار يَومَ القيامة » . فالظهور في حق مثل هذا امتثال المأمور ، والإخفاء عين القصور ، فسبحان من جعل المحاسن مساوىء ، والمساوىء محاسن ؛ في قلوب المنكرين . انتهى ١٠٢ من هامش « أصفى الموارد » .

وقال بُعَيد ذلك : إن **ملخَّص باب المشيخة** هو نصح المسلمين ، ومحبّة الخير لهم ، والترقي لهم ، فالتارك لهذه الأمور عاصٍ لله تعالى ، فكيف يمدح ؟ ! إنما حق هذا الذمُّ إذا كان عارفاً بالطريق ، وأما إذا كان جاهلاً ! فلا تفاضل بينه وبين الأشياخ الجهلة . انتهى ١٠٣ .

مهم : الإسراف السابق لا ينافي الجذب اللاحق

وأما طعن الناس في أهل الإرادة بأنَّهم يرون فيهم الإسراف على أنفسهم سابقاً ببعض الذنوب ، وقد يرونه لاحقاً في بعضهم ! فنقول – كما قاله مؤلف « الحديقة الندية » – : **الإسراف السابق لا ينافي الجذب اللاحق ، لأنّ كثيراً من الأولياء الأكابر جذبتهم الواردات الإلهية وهم في الإسراف والمعصية** ، وأما الإسراف اللاحق إذا لم يغلب على الخير بل

كان الأمر بالعكس ! فلا يحكم به على هلاك صاحبه جزماً ، والطعن في حاله[1] ، فضلاً عن شيخه الغير المكلف بِوزرِه ، مع أنّ الخاتمة مجهولة ،

---

(١) **مطلب** : وقد يقول أبعاض من رجلة العلماء : **إن تلقين الذكر للعصاة من المحال** . فقد يردُّ أقوالهم كثيرٌ من النقول ، فكيف لا ؟ ! فإن الإرشاد إنما وضع لأجل المعوجِّ ، لا للمستقيم ، كما بيَّنته في « تنبيه السالكين » بالتمام .

وقد ورد عن الإمام الجنيد رضي الله عنه أنه كان يأتيه العصاة يريدون التوبة على يديه ، فيلقِّنهم التوبة (عله الذكر) ، ويأمرهم بالإكثار منه ، فتنوّر قلوبهم . كما هو مذكور في « الصاوي » .

ونقل أيضاً عن القطب الكيلاني مِثْل ما مرَّ ، كما هو مذكور في « السير والسلوك » .

من أهم المهمات .

وجواز التلقين لكل أحد ؛ عاصياً كان أو مطيعاً ، ذكراً كان أو أنثى ، صغيراً كان أو كبيراً ، بل ورود الأمر بذلك مصرَّح في « جواهر المعاني » . والتكلُّم بخلاف ما مرَّ لا أراه إلا عناداً وحسداً ، وتكبُّراً على الحق وحقداً . وراجع « المتممات » للقطب أحمد ضياء الدين ، و« مكتوبات » الإمام الرباني ، و« الحديقة الندية » ، وغيرها من كتب السلوك ، تجد البيان مبسوطاً ، ولا تلتفت إلى قول مَن قال بخلاف ما فيها . والسلام .(منه ؛ رحم الله إفلاسه) .

وكان يقول - أي الشيخ إبراهيم الدسوقي رحمه الله - : يا أولادي لا يسر أحدكم سريرة سيئة فإن الله تعالى سيظهر ما كنتم تكتمون وما كنتم تخفون وما كنتم تستترون . وينادى عليكم بالتصريح والتوبيخ فلانٌ عامل كذا وكذا ، وكان يستتر من الناس ولا يستتر من الله تعالى ، فلان كان يرتكب المحارم والقبائح ويظهر للناس الصلاح زوراً وبهتاناً ، فلان كان يطلق بصره إلى النساء ويدعي أنها نظرة فجاءة وهو يعطف طرفه ويميل كأنه لصّ صارق . فيا فضيحة من تزيّا بزيّ الفقراء وخالف طريقهم . وكان رضي الله عنه يقول : يا أولادي لا تصحبوا غير شيخكم واصبروا على جفاه فإنه ربما امتحنكم ليريد بكم الخير ، وأن تكونوا محلاًّ لأسراره ومطلعاً لأنواره ليرقيكم بذلك إلى معرفة الله عزّ وجلّ . فمن اشتغل قلبه بمحبة شيخه رقاه الله عز وجل ، ولولا أن الشيخ سلم لترقية المريدين لمقت الله تعالى . كل قلب وجد فيه محبة لسواه فإن الله تعالى غيور . « طبقات الشعراني » ٢٥١ .
=

والعبرة بخواتمها انتهى . ١٠٥ .

مَن غلب خيره على شرِّه فهو الكامل

وقال بُعيد هذا : وربما طعن بعضهم في الفقراء بأنهم مسرفون على أنفسهم ، فتراهم يطلبون فقراء في طريق الله تعالى معصومين من الزلل والمعصية ، وهذا لا يكون أبداً ، بل **مَن غلب خيره على شره فهو الكامل** ، بل في الحديث الشريف النبوي ما هو أبلغ من ذلك ، وهو الاكتفاء بالعُشْرِ من الخير ، فضلاً عن غلبته على الشر ، أو كونه نصفاً ؛ أو ربعاً قال ﷺ : « إنَّكم في زَمَانٍ مَنْ تَرَكَ مِنْكُمْ عُشْرَ ما أُمِرَ بِه هلك ، ثم يأتي زمانٌ من عَمِلَ منهم بِعُشْرِ ما أُمِرَ به نَجَا » رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وذكره السيوطي في « الجامع الصغير » ، وقد حكم ﷺ بالنجاة لمن عمل بالعُشر ، وهي **بشارة عظيمة** لكل مَنْ سَلِم من الكُفرِ والشِّرك إلى آخر الزمان ، وقَلَّ مَنْ يَسْلَم من ذلك في زماننا هذا من كثرة التباس الحق بالباطل على غير أهل التوفيق والعناية ، فقد وجدنا من يَعْتَقِدُ الطاعةَ معصية والمعصية طاعة من كبار عُلماء زمانِنا ؛ فضلاً عن العامة منهم ، ومن بقيَّة الناس ، إلا مَن حَفِظَهُ الله تعالى وهداه . انتهى ١٠٦ من هامش « أصفى الموارد » .

=وكان رضي الله عنه يقول : والله لو هاجر الناس مهاجرة صحيحة ودخلوا تحت الأوامر لاستغنوا عن الأشياخ ، ولكن جاؤوا إلى الطريق بعلل وأمراض ، فاحتاجوا إلى حكيم . **وإذا كان أخذ العهد على فقير يقول له : يا فلان ، اسلك طريق النسك على كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان والحج إلى بيت الله الحرام واتباع جميع** الأوامر المشروعة والأخبار المرضية والاشتغال بطاعة الله قولاً وفعلاً واعتقاداً ، ولا تنظر إلى زخارف الدنيا ومطاياها وملابسها وقماشها ورياشها وحظوظها ، واتبع نبيك محمداً ﷺ في أخلاقه ، فإن لم تستطع فاتّبعْ خُلُقَ شيخك ، فإن نزلتَ عن ذلك هلكتَ « طبقات » ٨٦١ .

والمريدون ؛ وإن سلكوا في طريق الله لكنهم ليسوا على وتيرة واحدة ، فمنهم المستقيم الأديب ، ومنهم المُخالِفُ الغيرُ المنيب ، **فإنَّ المريد وإن اتخذ له شيخاً يهديه ؛ لكنه لا يحوم حول العصمة ، فإنها خاصيَّة النبوّة** ، وقد كان في أصحاب رسول الله ﷺ مَن كان مطهَّراً من جميع المعاصي كالعشرة المشهود لهم بالجنة ، وكان فيهم مَن يقع في الكبائر كماعز ونُعَيْمان ! فقد قال الشعراني في « لواقح الأنوار » في أثناء ذكره ما كان عليه طبقات الأصحاب بما لفظه : فكان نعيمان كل قليلٍ يأتون به النبي ﷺ وهو سكران فيحدُّه ، وكان نعيمان مضحاكاً يُضحِكُ النبي ﷺ وأصحابه .

حكاية مضحكة

ومن جملة ما وقع لنعيمان : أنه رأى رجلاً أعمى يقول : مَن يقودني إلى البراز[١] ؟ ! فأخذه نعيمان وأجلسه في محراب المسجد ، فَشَمَّر ثيابه للجلوس ، فصاح الناس به : إنك في المسجد ! فقال الأعمى : إن وجدتُ نُعَيْمان لأضربنَّه بالعصا ، فسمع نُعيمان فجاء إليه وقال : هل لك فيمن يدلّك على نعيمان ؟ ! فقاده إلى عثمان بن عفّان وهو ساجد فقال : هذا هو ، فصار الأعمى يضرب عثمان رضي الله عنه ، فصاح الناس بالأعمى : إنك تضرب أمير المؤمنين . وله وقائع كثيرة[٢] رضي الله عنه . انتهى ١٢٠ ج٢ . من هامش « المنن » ج٢ .

---

(١) تبرَّز الرجل : خرج إلى البراز للحاجة ، والبراز : الفضاء الواسع . « مختار » . (هامش الأصل) .

(٢) ومما يُضحك به من قصة نعيمان رضي الله عنه : ما رواه أحمد : أن أبا بكر رضي الله عنه خرج تاجراً ومعه بدويان ؛ نعيمان وسُوَيْبط ، فقال له : أطعمني . قال : حتى يجيء أبو بكر . فذهب لأناس ثَمَّ ، وباعه لهم - مورِّياً أنه قِنَّه - بعشر قلائص ، فجاؤوا وجعلوا بعنقه جعلاً وأخذوه ، فبلغ ذلك أبا بكر ، فذهب هو وأصحابه إليهم ، وأخذوه منهم . ثم أخبروا النبي ﷺ فضحك هو وأصحابه من ذلك حتى بدا سنُّه ﷺ . والقصة مذكورة في ابن حجر في كتاب « الدعوى » فراجعه . (منه رحم الله إفلاسه ، آمين) .

مطلب

ثم قال الشعراني بُعيد ما ذكر : فَوَطِّنْ يا أخي نفسك أن يقع من أصحابك جميعُ ما تقدم في حق أصحاب رسول الله ﷺ من الأدب معه ، ومن ضده في حقه وحق أصحابه ، وذلك إما لِيَسْتَنَّ بهم مَن بعدهم ؛ وهو اللائق بمقامهم ، وإما أن يكونَ ما وقعَ من سوءِ الأدب في بعض الأوقات بياناً لعدم العصمة ، ثم يتوبون على الفور ، فكيف يطلب مشائخ النصف الثاني من القرن العاشر من تلامذتهم **أن يكونوا معهم على الأدب في جميع أحوالهم ؟! هذا شيء كالمحال** ، فإن شيئاً لم يصحَّ لرسول الله ﷺ من أصحابه ، كيف يصحّ لأحد بعدهم مع أنهم خير القرون ؟ ! ومع شهودهم عُلُوَّ مقامه ﷺ ، وما كان عليه من الزهد والعبادة وكثرة المعجزات ، ومع كونه أرحم بالمؤمنين من أنفسهم ، فلا تطلب يا سيدي الشيخ من تلامذة القرن العاشر أن يكونوا في الأدب فوق أدب الصحابة ! هذا مما لا يكون . والله غفور رحيم . انتهى ١٢٢ .

وقد قال لي شيخنا الحافظ شعيب أفندي الباكني قدس سره : يا أخي قد كان في الزمن الماضي يمتثل المريدون بالمشائخ ، وهذا زمان يمتثل المشائخُ بالمريدين ! انتهى . فإذا حكيته شيخنا سيف الله قدس سره قال : صَدَقَ في قوله يا ولدي . انتهى .

وقد كان شيخنا العسلي قدس سره يقول لي : **يا أخي إنّي أحْمِلُ من المريدين ولا أطردهم** ، فتحمَّل أنت كذلك . انتهى .

فائدة مهمة ينبغي للمريد أن يتنبه إليها ، ويجعلها نُصْبَ عينيه : قد عُلم مما ذكر في مواضع عديدة فوائد اتخاذ الشيخ ، ومن جملتها وأجَلِّها : ما ذكر في « الرماح »[1] بما ملخصه :

---

(١) راجعه ٨٤ ج٢ .

أنّ أهل كلِّ طريقةٍ يدعون يوم القيامة باسم شيخهم ، ويدعونَ إلى مجاورته ، قال تعالى ﴿ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَـٰمِهِمْ ﴾ ، وأنَّ المريدين يبلغون إلى درجات كُبَرَائِهم وشيوخهم ما آمنوا بأحوالهم ، وفقهوا كلامهم ، كما قال الله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ . انتهى .

الشيخ لا ينسى مَن سلَّم عليه مرَّة واحدة

وقد نقلت في « التلخيص » مما نقله صاحب « الإتحاف »[١] من « كتاب الشريعة » للشيخ الأكبر[٢] بما حاصله : **أنَّ المريد إذا مات قبل تحصيله مقاماً خاصاً يشرع الشيخ في العمل الموصل إلى ذلك المقام نيابة عن المريد الذي مات** ، أو يطلبه له من الله تعالى بهمَّته ، **وأنَّ الشيخ لا ينسى مَن سَلَّم عليه مرة واحدة وعرف وجهه** ، بل لا ينسى مَن يعرف الشيخ ؛ ولا يعرفه الشيخ ، فيسأل الله تعالى أن يغفره ، ويعفو عمن سمع يذكر الشيخ فأثنى عليه ، أو سبَّه ووقع فيه[٣] ممن لم

---

(١) راجعه في ٢٢ ج٦ .

(٢) وهو محيي الدين بن العربي قدس سره كذا في « الخزينة » راجعه . (هامش الأصل) .

(٣) أي : اغتابه (منه) .

*أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

ولا تعجل بالقرآن - أي بقراءته - من قبل أن يقضى إليك وحيه - أي يفرغ جبرائيل من إبلاغه « جلال » سورة طه . والحكمة في تلقي رسول الله عن جبريل ظاهراً أنه يكون سنة متبعة لأمته ، فهم مأمورون بالتلقي من أفواه المشائخ ولا يفلح من أخذ العلم أو العمل من السطور بل التلقي له سر آخر « صاوي » .

* وداعياً إلى الله - بطاعته - بإذنه - بأمره « جلال » سورة الأحزاب .

* والحكمة في الإذن تسهيل الأمر وتيسيره ، لأن الدخول في الشيء من غير إذن متعذر ، فإذا حصل الإذن سهل وتيسر . ومن هنا أخذ الأشياخ استعمال الإجازة=

يعرفه الشيخ ، ولا سمع باسمه . انتهى .

لكن **لا ينبغي للمريد أن يكون مغترّاً بمجرد السلوك** مع عدم مبالاته بارتكاب المخالفات ، بل ينبغي أن يكون عاملاً بمقتضى الأحكام الشرعية ، **فإنَّ النجاة والخلاص لا يكون إلا في متابعة صاحب الشريعة عليه الصلاة والسلام** ، فقد قال الإمام الرباني قدس سره : **والأستاذ والشيخ إنما هما للدلالة على الشريعة** ، وليحصل اليسر والسهولة في الاعتقاديات والعمليات ببركتهما ، **لا لأن يفعل المريدون ما أرادوا ، ويأكلوا ما شاؤوا ، ثم يكون الشيخ ستراً لهم عن النار** ويمنع عنهم العذابَ ! فإنَّ هذا المعنى تَمَنٍّ محضٌ ، لا يشفع هناك أحد إلا بإذن الله ، ومن لم يكن ممن ارتضاه ربه لا يشفع فيه أحد ، وإنما يكون مُرتضى إذا كان عاملاً بِمُقْتضى الشريعة ، فحينئذ إذا صدرت عنه زلَّة بمقتضى البشرية فتداركُها يمكن بالشفاعة .

فإن قيل : بأيّ اعتبار يمكن أن يقال للمذنب مرتضى ؟ !

أجيب : إنّ الحق سبحانه إذا أراد مغفرة شخص يبدي وسيلة للعفو عنه ، فهو مرتضى في الحقيقة ؛ وإن كان مذنباً في الظاهر ! انتهى من « الدرر المكنونات » ٥٨ ج٣ .

=للمريدين ، فمن أجازه أشياخه بشيء من العلم والإرشاد فقد سهلت له الطريق وتيسرت ، ومن لم تحصل له الإجازة وتصدر بنفسه فقد عطل نفسه وغيره وانسدت عليه الطرق « صاوي » .

البرج الثالث عشر

في جواب مسألة ذلك العالم بما حاصله هذا :

وكان أبو الحسن الشاذلي يقول : من الشرك اتخاذ الأولياء شفعاءَ من دون الله . إلخ . وكان يقول أيضاً : من سوء الظن بالله أن يستنصر بغير الله من الخلق ، فإذا كان الأمر كذلك ، فماذا يطلبه المريد من أستاذه ؟ ! وما فائدة الاتخاذ ؟ ! انتهى .

الفائدة من إرسال الرسل واتخاذ الشيخ

أقول والله أعلم : من المعلوم المعتقد عندنا أن الفائدة من إرسال الرسل والأنبياء هو الدلالة على الله ، **ولا يخلو الأرض من الأولياء على عددهم ، ولولاهم لما أمطرت السماء ، ولما أنبتت الأرض**؛ كما هو مذكور في الكتب ، قال تعالى ﴿**وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ فالمقصود المطلوب من اتخاذ الشيخ هو : الدلالة إلى طريق الوصول إليه . وقد قيل : إن للوسائل حكمَ المقاصد . والفوائد المترتبة على ذلك قد ذكرت مراراً ، فلا نطيل الكلام بتكرارها .

وأما ما قاله الإمام الشاذلي ! فلعله صدر منه في حالة فنائه في التوحيد ، والفاني في الله ينسى ما سواه ، وإلا فهو الذي أمر باتخاذ الوسيلة ! كما سنذكره إن شاء الله تعالى بعين ما قاله قدس سره .

الفناء في الله

وقد قال الإمام الرباني : **اعلم** أن المقصود من الفناء – الذي هو عبارة عن نسيان ما سوى الحق تعالى – : هو زوال تعلق المحبة بما دون الحق سبحانه ، فإنه إذا زالت ذوات الأشياء وصفاتُها وأفعالها عن النظر والإدراك يزول تعلُّق المحبة بها بالضرورة ، ولا بُدَّ في طريق الولاية من

نسيان السوى ، ليزول التعلُّق بما دون الحق جلَّ وعلا ، وفي مدارج قرب النبوة لا حاجة في زوال التعلُّق بالأشياء إلى نسيان الأشياء أصلاً . . . إلى آخر ما قاله « الدرر المكنونات » . ٣٧٠ ج١ .

وعادة المريدين أن ينقلوا من شيخهم كلَّ ما صدر منه من الأقوال ، **والشيخ إذا كان في حالة الفناء يكون كالسكارى** ، وكلامه يصدر منه بحسب حاله ، وكلام السكارى من الأولياء مقبول لا يُعتَرَض عليه ؛ لكونه معذوراً ، لكنه لا يعمُّ ! فالفاني في الله قد يتكلم بالشطحات ، بَيْدَ أنّ أرباب الاستقامة من العلماء لم يجوِّزوا الإنكار على ما صدر من الأولياء ، بل حملوه على أحسن المحامل ، لكونه صادراً في حالة نسيان السوى .

ويؤيده ما في « نور الإنصاف » بهذه العبارات : فإن ما يحصل للعارفين حالة الفناء في محبة الله والاستغراق بذكره حتى تغيب مداركهم ، وتنطمس شواهدهم عن الأغيار ، بل وعن ذواتهم ! فتصدر على ألسنتهم كلمات من مشرب ذلك المقام عند محوهم وسكرهم ، ومتى صحوا أنكروها واستغفروا الله فذلك كلام معفو عنه ؛ ككلام من جُنّ أو خَمِرَ ، أو غلا دَمُه ، أو أغشي عليه ، وهذا المقام عين ما قاله القائل :

عجبت مـنك ومنّي   أفنيتنـــي بك عني

أدنيتني مــنك حتَّى   ظـــننت أنَّك أنِّي

ومنه قول شيخ الطائفة الإمام الجنيد رضي الله عنه :

رقَّ الزجاج ورقَّ الخـمر   فتشابها وتــشاكل الأمر

فــكأنما خمرٌ ولا قَـدَحٌ   وكــأنما قَدَحٌ ولا خمرُ

وهذا الذي غلط به جماعة ، فظنوه من القول بالوحدة المطلقة ، فضلُّوا وأضلُّوا . انتهى . ٣٢ .

الفناء نسيان السوى ، لا ارتفاعه!!

قال الإمام الرباني قدس سره : إن الفناء الذي هو معتبر في الولاية باعتبار الشعور والشهود ؛ فإنه عبارة عن نسيان ما سوى الحق سبحانه لا ارتفاع ما سواه[1] ! غاية ما في الباب : أن صاحب ذلك الفناء ربما يظن في غلبات السكر عدمَ الشعور[2] بالأشياء عدمَ الأشياء[3] ، ويتوهَّم ارتفاع ما سواه تعالى ويتسلَّى بذلك ، فإذا ترقَّى من ذلك بمحض فضله تعالى وتشرَّف بدولة الصحو ، وصار صاحبَ تمييز ؛ يعلم أن ذلك الفناء كان نسيانَ الأشياء ، لا انعدام الأشياء ! فلو زال بسبب هذا النسيان شيء فإنما هو التعلق بالأشياء الذي كان متمكِّناً ومذموماً ؛ لا نفس الأشياء ! فإنها قائمة على صرافتها ، ممتنع نفيها وإعدامها ، (سياهي ازجشي كي رودكي خودرنكسة) فإذا حصل بفضل الله تعالى هذه الرؤية والتمييز زال ذلك التسلِّي ، وقعد مكانه الحزن والغمّ وعدم الاستراحة ، وتيقَّن أنّ وجوده مرضي لا يكون بسعيه واهتمامه معدوماً ، وعلم أن نقص الإمكان وقصور الحدوث لازمان له دائماً ، والعجب أن العارف كلما يترقى إلى فوق ويكون عروجاته أكثر ؛ يكون رؤية النقص والقصور فيه أزيد ! ويكون عديم القرار والراحة . انتهى . « الدرر المكنونات » في ١٨١ ج٣ فراجعه .

---

(١) وفي « عوارف المعارف » : وليس من ضرورة الفناء أن يغيب إحساسه ، وقد يتَّفق غيبة الإحساس لبعض الأشخاص ؛ وليس من ضرورة الفناء على الإطلاق . انتهى ٦٠٣ ج٤ . من هامش « الإحياء » . وفيه : والباقي في مقام لا يحجبه الحق عن الخلق ، ولا الخلق عن الحق ، والفاني محجوب بالحق عن الخلق . انتهى فراجعه ٨٠٣ . (منه ؛ قدس سره) .

(٢) ربما يظن عَدَمَ الشعور بالأشيآء في غلبات السكر عدم الأشياء ؛ لعل العبارات منعكسة ونصب عدم الشعور على نزع الخافض أي لعدم الشعور بالأشياء . .الخ والله أعلم (لمحرره العوري غازي محمد) .

(٣) مفعول ثان لـ(يظن) .

شطحات الأولياء غير معترضة

وقد صدر من بعض الأولياء في حالة غلبة السكر كلمات لا يقبلها ظاهر الشرع ؛ كقول بعضهم (أنا الحق) و(سبحاني) ، وأمثال ذلك ، وصدور ذلك منهم لا يعدُّ نقصاناً منهم .

قال الإمام الرباني : أيها المخدوم ! إن القصور الذي قيل في معنى قوله (سبحاني) الذي صدر عن أبي يزيد البسطامي قدس سره في غلبات السكر لو سُلِّم لا يلزم منه أن يكون ذلك القصور مستقراً ومستمراً في قائله ، حتى يكون غيرهُ أفضلَ منه ، فإن كثيراً من المعارف تصدر في وقت بمقتضى حال ذلك الوقت ، ثم لما ظهر قصور تلك المعرفة بعناية الله تعالى في وقت آخر يترك تلك المعرفة ويترقى إلى مقام فوقاني ، قد اندرج في المكتوب الشريف : أنّ أمثال هذه الكلمات الممزوجة بالشطح لو كتبها أرباب السكر لجاز ، ولكن إظهار أرباب الصحو أمثال هذه الكلمات مستبعد جداً .

السكر مراتب

أيها المخدوم! إن كلّ من كتب هذه الكلمات فمنشؤه السكر لم يحرك القلم في هذا الباب بلا مزج السكر ؛ غاية ما في الباب : أن في السكر مراتب كثيرة ، وكلما كان السكر أغلبَ ، يكون الشطح أغلب وأوفر ، وسكرُ البسطامي هو ما يصدر عنه قول (لوائي أرفع من لواء محمد) بلا تحاش ، فكل من حاله الصحو لا يظن أنه لا سكر معه أصلاً فإنه عين القصور ، لأن الصحو الخالص نصيب العوام .

ومن رجَّح الصحو فمراده غلبة الصحو لا الصّرف ، **وكذلك كلّ من يرجِّح السكر فمراده غلبة السكر ، لا السكر الخالص!** فإنه آفة ، ألا ترى أنّ الجنيد قدس سره مع كونه رئيس أرباب الصحو ، وترجيحه الصحو

على السكر ، له عبارات كثيرة ممزوجة بالسكر يعسر تعدادها ! .

قال : العارف هو المعروف . وقال : لون الماء لون إنائه . وقال : المُحدَث إذا قُرن بالقديم لم يبقَ له أثر .

وصاحب « العوارف » من كمَّل أرباب الصحو ؛ ومع ذلك في كتابه من المعارف السُكرية ما لا يمكن شرحه .

بقايا السكر

وهذا الفقير قد جمع بعض معارفه السُكْرية في ورق ، ومن بقايا السكْر : تجويز إفشاء الأسرار ، ومنه : المباهاة والافتخار ، ومنه : ادعاء المزية على الأغيار ، فلو كان صحوٌ خالص يكون إفشاءُ الأسرار حينئذ كفراً ، واعتقاد الأفضلية على الغير شركاً . وبقية السكر في الصحو كالملح المصلح للطعام ، فلو لم يكن ملح يكون الطعام معطلاً . شعر :

فلو لم يكن عشق وهَيْمانُ عاشقٍ   لما كان من يصغي وما كان سامر

وقد حمل صاحب « العوارف » قدس سره قول (قدمي هذه على رقبة كل ولي) الصادر عن الشيخ عبد القادر قدس سره على السكر ، وليس مراده إثبات القصور لهذا القول كما توهم ، فإنه عين محمدة له ، بل بيان الواقع يعني أن صدور مثل هذا الكلام المنبىء عن المباهاة والافتخار ليس هو بلا بقية سكر ، فإن التكلم بأمثال هذا الكلام في الصحو الخالص عسير . انتهى « الدرر المكنونات » ١٧٢ ج١ .

القول في الحلول والاتحاد

وقد صدر من البعض قول (الكل هو) الذي يتحاشى منه علماء الظاهر ، وينسبونه إلى غلطات الصوفية ، لكن الإمام الرباني قد حمله إلى محمل مقبول ؛ وقال : لا يخفى أن عبارة (الكل هو) وإن لم تكن متعارفة

فيما بين قدماء الصوفية قدس الله أسرارهم ، ولكن كان بينهم مثل (أنا الحق) و(سبحاني) و(ما في جبتي سوى الله) وأمثالها مما يعسر تعداده ، ومؤدَّى هذه العبارات وتلك العبارة واحد . شعر :

إذا ما تعدى الماء عن مفرق فلا تفاوت في مقدار رمح وأرماح

مَثَل موزون مشهور ، وهذه العبارة شائعة ذائعة فيما بين متأخري الصوفية ، ويقولون (الكل هو) بلا تكلُّف ، ويصرُّون على هذا القول ، إلا أن القليل منهم لهم تردد في هذه العبارة وأمثالها ، بل يظهرون صورة الإنكار عليها ، وما يفهمه هذا الفقير من معنى قولهم (الكل هو) : أنّ جميع هذه الجزئيات المتفرقة الحادثة ظهور ذات واحدة تعالت وتقدست ، كما إذا انعكست صورة زيد في مرايا متعددة وظهرت فيها ، فيقال : (الكل هو) يعني أن جميع هذه الصور التي ظهرت في مرايا متعددة ظهور ذات واحدة لزيد ، فهنا أيُّ جزئية واتحاد ؟ ! وأيُّ حلول وتلوُّن ؟ ! بل ذات زيد مع وجود الصور كلها على صرافتها وحالتها الأصلية ما زادت هذه الصور فيها شيئاً وما نقصت ، لا اسم للصور فيما فيه ذات زيد ؛ ولا رسم ، حتى يحصل لها معها نسبة من نسب الجزئية والاتحاد والحلول والسريان ينبغي أن يطلب سرّ الآن كما كان في هذا المكان ، فإن مرتبته سبحانه وتعالى كما لم يكن للعالم فيها مجال قبل الظهور ، لا يكون فيها مجال أيضاً بعد الظهور ، فلا جرم يكون الآن كما كان .

والعجب أن كثيراً من أكابر متقدمي الصوفية فهموا من هذه العبارة الممزوجة بِشَهْد التوحيد معنى الحلول والاتحاد ، وكفَّروا قائليها وضلّلوهم ! ! . وبعضهم يوجه هذه العبارة على نهج لا مُنَاسبَة بمذاق قائليها بوجه ؛ ولا نسبة .

قال صاحب « العوارف » : إنّ صدور (أنا الحق) من حلاج ،

و(سبحاني) من أبي يزيد البسطامي **كان بطريق الحكاية يعني من الحق سبحانه وتعالى** ، فلو لم يكن بطريق الحكاية بل كان فيه شائبة الحلول والاتحاد ! نردُّ قائلي هذه الأقوال كما نردُّ النصارى لقولهم بالحلول والاتحاد .

وقد اتضح من التحقيق السابق أنه لا حلول في هذه العبارة الشبيهة بالشطح والاتحاد ، **والحمل فيها إنما هو باعتبار الظهور والشهود** ، لا باعتبار الوجود ؛ كما فهموا وحملوا على الحلول والاتحاد[1] . انتهى من « الدرر المكنونات » ١١٦ ج١ .

شطحات الأولياء

قال ابن حجر رحمه الله في « الفتاوى الحديثية » : وسئل نفع الله به بما لفظه :

ما الذي يجاب عما وقع من شطحات الأولياء ؛ كقول أبي يزيد (سبحاني) (ما في الجُبَّة غير الله) وقول الحلاج (أنا الحق) ونحو ذلك مما لا يخفى من كلماتهم وإشاراتهم التي ظاهرها انتقاد ، وباطنها حق إلا عند أهل المقت والعناد ؟ !

فأجاب بقوله : ما وقع لهم رضوان الله عليهم من الشطحات ، للأئمة العلماء العارفين الحكماء ؛ - الذين حماهم الله بالسلامة من حرمان

---

(١) ولا يُظَنَّ أنَّ السالك إذا وصل إلى تلك المرتبة يحصل له الاتحاد مع الحق سبحانه ، لأن اتحاد الخالق مع المخلوق محال من كل الوجوه ، لأنَّ الاتحاد معناه : أن يصير الشيء بعينه شيأً آخر ، فهذا الاتحاد إمَّا في الجسمانية ؛ بأن يكون بالاتصال والامتزاج والتركيب ، وبطلانه ظاهر في حقِّه تعالى ، وإمَّا في المجرَّدات ، وبطلانه ظاهر أيضاً ، لأنَّ الشيئين إذا اتَّحدا فإن بقي أحدهما مع بقاء الآخر ؛ فيتعددان ، فلا اتحاد بينهما فإن بطل أحدهما وبقي الآخر ؛ فلا اتحاد أيضاً ، وإن بطلا فلا وجود لهما . انتهى .

الإنكار ، ومَنَّ عليهم بالاعتقاد في أوليائه ، وحمل ما صدر منهم على أحسن المحامل وأقومها - عنها أجوبة مسكتة ، وتحقيقات مبهتة ، لا يهتدي إليها إلا الموفقون ، ولا يعرض عنها إلا المخذولون ، فاحذر أنت أن تكون ممن يتحسَّى[1] كأس سمّ الإنكار فيهلك لوقته ! وبادر إلى السلامة من غضب الله له .

قال الأئمة : لم ينصب الله تعالى المحاربة لأحد من العصاة إلا للمنكرين على أوليائه ، وآكلي الربا ، ومن حاربه الله لا يفلح أبداً .

أحد تلك المسالك : أن تلك الكلمات حكاية عن حضرة الحق ، ونطق عما يليق وما شاهدوه من أنوارها ، وغلبة التجوُّز في نحو ذلك من مقامات المحبة والعبودية ، والقرب يبسط لهم العذر ، ويرفع عنهم الإصر . ممن اعتمد هذا المسلك : الشهاب السهروردي المجمع على إمامته في العلوم الظاهرة والباطنة في « عوارفه » حيث قال : وما حكي عن أبي يزيد رضي الله عنه من قوله (سبحاني) ! حاشا لله أن يعتقد في أبي يزيد أن يقول مثل ذلك ؛ إلاَّ على معنى الحكاية عن الله تعالى ، قال : وذلك مما ينبغي أن يُعتَقَد في الحلاَّج رحمه الله في قوله (أنا الحق) .

ثانيها : أن ذلك وقع منهم في حال الغيبة والسكر ؛ الناشئَيْن عن الفناء في المحبة والشهود لموارد الأحوال المزعجة للقلب ، الآخذة تمييزه ؛ لشدة تمكُّنها منه ، واستغراقه في فكره وخطرها ، فإنه إذا كان هذا في الأمور السافلة التي لا تقاوم جناح بعوضة ؛ فكيف بواردات الحق على القلوب ؟ ! ولواعج[2] المحبة المذهلة عن كل مطلوب ومرغوب ،

---

(١) حسا الطائر الماء ، يحسوه حسواً ، ولا يقال فيه شرب ! « مصباح » . (هامش الأصل) .

(٢) في الدعاء : لواعج الأمطار ، وعوالجها لواعج الأمطار التي لها تأثير شديد في النبات من لعجة الضرب ؛ إذا آلمه وأحرق جلده . وعوالجها : هي ما تراكم منها ، مثل عوالج الرحال . « مجمع البحرين » . (هامش الأصل) .

وعوالم الملكوت المنكشفة لهم في منازلاتهم ، ومشاهدة عجائب القدرة في ترقياتهم ، فإن ذلك لا يُبقي في القلب شعوراً ولا تمييزاً ، بل يصير صاحبه كالسكران الثمِل[1] ، فحينئذ ينطق بما رسخ في جلده قبل ، ويرجع بطبعه قهراً عليه إلى مكان يلحظه ويعوِّل عليه ، فينطق لسانه بطبق تلك الأحوال ، لكن بعبارات لا يقصد بها ما يوهمه ظاهرها من اتحاد أو حلول أو انحلال . فتأمل ذلك ، وعوّل عليه تسلم ، **وكل سكر نشأ عن سبب جائز فصاحبه غير مكلف** . انتهى ٢٣٩ .

فناء القلب

ورأيت في « جامع أصول الأولياء » ما لفظه : متى تحقق فناء القلب زال من ساحة الصدر التعلُّق العلمي والالتجاء لما سواه ، ولم يظهر خطور السوى ، **وفناء القلب يصير في تجلِّيات الأفعال الإلهية** ، يعني رؤية أفعال ما سوى الحق آثار فعله تعالى . وإذا غلبت هذه الرؤية على السالك يرى أيضاً صفات الممكنات أمواجَ وجوده ، ويرى ذاته تموُّجه في بحر وجود حضرة الحق ، ويقول لهذا أربابُ التوحيد الوجودي : **الفناءَ في الله** .

وإذا استُغرِق السالك في هذا البحر لم يجد لبصيرته مشهوداً سوى البحر ، وكلما نظر إلى كل جانب لا يرى غيرَ البحر وأمواجه ، بل يجد ذاته قطرة من هذا البحر ، ويرتفع من نظره امتياز القطرة أيضاً لكمال استغراقه . انتهى عبارته ٥٦ .

فعلم مما ذكر أن العبد إذا قوي جذبته غلبتهُ المحبة ، فيلزمها السكر والفناء ، بحيث لا يبقى في نظره سوى المحبوب تعالى ، فيحكم

---

(١) الثَّمِل – محركة : السكر « مجمع البحرين » (هامش الأصل) .

فيكون الثمل للسكران في قوله كسكران الشمل ، تفسيرياً ، والله أعلم . (لمحرره العوري الغازي محمد) .

بنفي ما سواه ، فإذا صحى لا يكون شهود المحبوب مانعاً عن شهود ما سواه ، فيتحاشى عن التكلُّم بكلمات التوحيد الوجودي ، بل يكون سابحاً في بحر التوحيد الشهودي ! ولا يقول شيئاً يخالف ظاهر الشرع .

ورأيت في « الحدائق الوردية » أنّ **مقام الصحو أعلى**[1] **من مقام السكر** . انتهى . أذاقنا الله تعالى شيئاً من مقام الفناء التام ، وشرَّفنا بالوصول إلى البقاء الأتمِّ الأكمل ، وحفظنا من قولٍ لا يُقبل ، وعملٍ لا يُحمد . آمين .

العلم اللَّدُنِّي ، قرب النوافل

وقال صاحب « عطية الوهاب الفاصلة بين الخطأ والصواب » رحمه الله تعالى :

واعلم أن السالك إذا فرغ من السير إلى الله ، وشرع في السير في الله بمتابعته للنبي ﷺ ووساطته ، فإذا جذبه الله إليه بكمال فضله وكرمه **ارتفع الوسائط كلها بينه تعالى وبين**[2] **هذا المحبوب السالك** ؛ حتى سمعه

(١) والباقي في مقام لا يحجبه الحق عن الخلق ولا الخلق عن الحق . والفاني محجوب بالحق عن الخلق . كذا في « عوارف المعارف » فراجعه ، من هامش « الإحياء » ج٤ (منه) .

(٢) لكن ينبغي أن يعلم أن الواسطة هو الذي وصل السالك إلى هذه المرتبة بسببه ، ودوام التوسل به يكون شرطاً في دوامها . فقد قال في كتاب « الرماح » : وكم من متوسّل به إلى مقصود فيحصل ذلك المقصود لطالبه ، ثم تكون طاعة الوسيلة والتزام احترامه ودوام التوسل به شرطاً في دوام ذلك المقصود الحاصل لطالبه ، وذلك كالرسل مع أممهم . فلا شك أنّ المقصود الأعظم من بعث الرسل إلى الخلق بتبليغ أوامر الله تعالى ونواهيه إلى من أرسلوا إليهم ، وأنّ المقصود الأعظم للذين صدّقوا الرسل ، وآمنوا بالله تعالى ، وبكل ما جاؤا به عن الله تعالى أن تدلّهم الرسل على الله تعالى ، وتجمعهم عليه حتى يحصل لهم العلم به تعالى ومعرفته ومعرفة رسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر وجميع ما اشتمل عليه . والإيمان بجميع ما يجب الإيمان به ، ومعرفة أحكامه التكليفية وكيفية التعبّد بها ، ومعرفة ما يقرّب إليه وما يبعّد والعمل بمقتضاه . وإذا حصل ما ذكر فقد حصل لهم المقصود بواسطة الرسل بينهم وبين ربهم ، إلاّ أنّ الانتفاع بما حصلوا مشروط منوط ببقاء توسّلهم=

وبصره ورجله وجميع القوى الظاهرة ، وهي وسائط وآلات ظاهرة ، ومع هذا يرفع الله منه هذه القوى الظاهرة ، فإذا وصل العارف إلى هذه المرتبة يأخذ العلمَ من الله تعالى بلا واسطة ، وهو العلم اللدُنِيّ ، كما كان للخضر عليه السلام ونصيب بعض العارفين بالله تعالى ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمًا ﴾ ، ويقال لهذه المرتبة في اصطلاحهم : قرب النوافل . دلَّ عليه : ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ عن الله تعالى « ولا يزال عبدي المؤمن يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته

=بالرسل إلى الممات . ومتى انتقطعت الواسطة بين أحد وبين الرسل يكفر في تلك الساعة ، والعياذ بالله تعالى . وكذلك المريد مع شيخه . فإن المريد إذا انتهى سيره ووصل إلى الحضرة الإلهية ينفصم عنه شيخه ، مع أن فلاح المريد* وانتفاعه بما حصل منوط ٍببقاء احترامه لشيخه وعدم مقاطعته واستهانته ، مع أنه قد زال تقيّده وصار مستقلاً بنفسه وهو مع ما يلقي الله تعالى إليه إذا تأهل لذلك تأهلاً تاماً كاملاً ، لكن متى زالت حرمة الشيخ من قلبه وتعظيمه خسر في الحال . نسأل الله السلامة والعافية بمنه وكرمه . انتهى عبارته ٤٤١ ج٢ .

* وقد أشبع الكلام في هذا في « المكتوبات » للإمام الرباني . فراجعه (منه) .

ومما رأينا عياناً وسمعنا يقيناً أن واحداً من العباد كان متعلقاً بزيل شيخنا العسلي قدس سره . قال لي الشيخ مشافهة : إنه كان قد لقن له النفي والإثبات بحبس النفس وحصل له الفناء سريعاً ، فظنّ أنه قد وصل إلى أعلىٍ المراتب وقال : إنّي قد سبقت منك في المقام وخرج عن قيد التسليم بالكلية زاعماً بكماله ، فقال له : إن لك بعدُ كذا وكذا مراقبة فلم يستمع قوله ، بل أصرّ على دعواه فقال له الشيخ : إن من سبق منّي لا يليق أن يكون عندي ؛ فقطع عنه النظر وطرّده . فوقتئذ ذهب ذلك الأحمق إلى الخلاء لقضاء الحاجة فلم يجئ ولم يرجع ، فأرسل خلفه واحداً من المريدين فوجده قاعداً في محلّ قضاء الحاجة وقال ما معناه : إن أكابر المشائخ كعبد القادر الكيلاني والرفاعي والبدوي وغيرهم أوقفوني هنا* ، ثم حمله الرسول لدى الشيخ وأرسله إلى قريته ، فطرأ عليه الجنون وتصرف فيه الشياطين فصار الرجل لا يصلّي الفريضة . فالعياذ بالله . هذا ما وقع في عصرنا هذا ، والسلام وأوصيكم بالدعاء .

* أي : إنه توهم ووسوس إليه إن الشياطين الكائنين عنده ؛ هم هؤلاء الأشياخ المذكورون . (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها » الحديث ، وقوله ﷺ « لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ، ولا نبيّ مرسل » . فمن وصل إلى هذه المرتبة يجذبه الله إليه بفضله بأخذ المعارف والأسرار بلا واسطة من الله تعالى ، **فلا يلزمه شيء بقوله « أخذتُ العلم من الله تعالى »** . فمن ينكر هذه المرتبة فهو ينكر الحديث الصحيح . انتهى عبارته ٣٩ من هامش « الدرر المكنونات » ج٣ .

فتفكر أيها الأخ في جميع ما ذكر ، لعلَّك تتيقَّنُ بأن الأولياء يكون لهم مقام يرتفع عنهم في شهودهم الوسائط ، ويتكلَّمون بمقتضى حالهم ، ولعل الشاذلي قدس سره صدر منه ذلك القول على مقتضى المقام ؛ مع كونه من كُمَّل أرباب الصحو بيقين ، وإلا فقد كان اتخذ له الشيخ[١] ، وجعله وسيلة وواسطة إليه تعالى ، حتى كان يأمر باتخاذ الوسيلة .

التوسل بالغزالي لقضاء الحوائج

قال صاحب « تقريب الأصول » : وكان الشيخ أبو الحسن الشاذلي[٢] رضي الله عنه يقول : إذا عرضت لكم إلى الله حاجة ، فتوسَّلوا إليه بالإمام الغزالي . **ويحثُّ على قراءة كتابه « الإحياء » ويقول : إنه يورث العلم** . انتهى عبارته ٤٥ فراجعه .

وقال الشعراني في « طبقاته » : وقيل له - يعني الشاذلي - : من شيخك ؟

---

(١) وهو القطب الحقيقي عبد السلام بن مشيش قدس سره . (منه) . (هامش الأصل) .

(٢) كما كان أبو العباس المرسي يقول كذلك ، كما يأتي إن شاء الله تعالى . (منه) . (هامش الأصل) .

فقال : كنت أنتسب فيما مضى إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش ، وأنا الآن لا أنتسب إلى أحد! **بل أعوم في عشرة أبحر** : محمد ﷺ ، وأبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وجبرائيل ، وميكائيل ، وعزرائيل ، وإسرافيل ، والروح الأكبر . انتهى عبارته ٦ ج٢ ومثله في « جامع الأصول » في ٦ .

وفي « الطبقات » أيضاً : وكان - يعني الشاذلي - يقول : لا يتمُّ للعالم سلوك طريق القوم إلاَّ بصحبة أخ صالح ، أو شيخ ناصح . انتهى عبارته ٥ ج٢ .

وفيه ؛ في ترجمة أبي العباس المرسي رضي الله عنه : وكان شيخه أبو الحسن رضي الله عنه يقول للناس : **عليكم بالشيخ أبي العباس! فوالله إنه ليأتيه البدوي يبول على ساقيه ، فلا يمشي إلا وقد أوصله إلى الله تعالى** . انتهى فراجعه ١٢ ج٢ .

وذكر في « الأنوار القدسية » نقلاً عن أبي العباس المرسي ما لفظه : وكان - يعني أبا الحسن الشاذلي - يقول لي : **إذا عرضت لك حاجة إلى الله فأقسمْ بي عليه** . فكنت والله لا أذكره في شدة إلا تفرَّجت ، ولا أمر صعب إلا هان . وأنت يا أخي إذا كنت في شدة فأقسم على الله به ، وقد نصحتك ، والله يعلم ذلك ، والسلام .

وقال الشيخ أبو عبد الله الشاطبي : كنت أترضَّى عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي في كل ليلة كذا كذا مرة ، وأسأل الله في جميع حوائجي ، فأجد القبول في ذلك معجلاً ، فرأيت[1] رسول الله ﷺ فقلت له : يا سيدي

---

(١) ورأيت في « الصاوي » ما نصُّه : فالأموات لا تعود أجسامهم في الدنيا بأرواحهم كما كانوا أبداً ، وإنما يبعثون يوم القيامة لا فرق بين الأنبياء وغيرهم ، وما ورد عن بعض الصالحين أنهم يجتمعون بالنبي ﷺ يقظة ، فالمراد : أن روحه الشريفة تشكَّلت بصورة جسده الشريف . وكذا يقال في الأولياء والشهداء **لأن أرواح المطيعين مطلقة غير محبوسة** . وأما الكفار ! فأرواحهم محبوسة لا تسعى في الملكوت راجعه في سورة المؤمنين من تفسير قوله تعالى ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ﴾ (منه رحم الله إفلاسه) .

يا رسول الله ؛ إني أَتَرَضَّى عن الشيخ أبي الحسن في كل ليلة بعد صلاتي عليك ، وأسأل الله به في حوائجي ، أفترى عليّ في ذلك شيئاً إذا تعدَّيت ؟ ! فقال لي : **أبو الحسن ولدي حسّاً ومعنى ، والولد جزء من الوالد ، فمن تمسَّك بالجزء فقد تمسَّك بالكل** ، وإذا سألت الله بأبي الحسن فقد سألت بي ﷺ . انتهى عبارته .

فإذا فهمت هذا علمتَ أن الشاذلي كان هو يتّخذ الشفعاء والوسائل من الأولياء والمشائخ ، ويأمر به ، فالقول بخلاف ذلك يعارض لكلام نفسه وفعله ، فوجب حمله على أنه – رضي الله عنه – قال ذلك في حالة الفناء وغلبة السكر .

وقد علم مما مر نقلاً عن الإمام الرباني : أن السكر الممزوج بالصحو لا يكون نقصاً في الكمال ، والتكلم على كلامه فيه خطر عظيم ، ﴿**رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا**﴾ آمين .

ومما ينبغي أن يكتب هنا : ما في « الدرر المكنونات »[1] لمحمد مراد المنزلي معرِّب « المكتوبات » للإمام الرباني رضي الله عنهما مما هذا نصه :

المكتوب الخامس والتسعون إلى مقصود علي التبريزي في جواب سؤاله عن الكفر الحقيقي .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى . وصلت الصحيفة الشريفة ، ووقع فيها الاستفسار عن بعض كلمات الصوفية .

أيها المخدوم ؛ وإن لم يقتض الوقت والمكان قولاً وكتابة ، ولكن

---

(١) من الجزء الثاني ٤٤ . (منه) .

لا بُدَّ للسؤال من الجواب ، فحرَّرت بالضرورة كلمات ، ومجمل الكلام في حلّ جميع تلك المسائل هو : أنه كما أنّ في الشريعة كفراً وإسلاماً ! في الطريقة أيضاً كفر وإسلام ، وكما أن كفر الشريعة شرّ ونقص ، والإسلام كمال ! كذلك كفر الطريقة أيضاً نقص وشرٌّ ، وإسلامها كمال .

وكفر الطريقة عبارة عن مقام الجمع الذي هو الاستتار ، وتمييز الحق من الباطل مفقود في هذا الموطن ، فإن شهود السالك فيه في المرايا الجميلة والرذيلة هو جمال وحدة المحبوب ، فلا يجد الخير والشر ، والكمال والنقص غيرَ مظاهر لتلك الوحدة وظلالها ، فلا جرم يكون نظر الإنكار الذي نشأ عن التمييز معدوماً في حقه ، فبالضرورة يكون مع الكلّ في مقام الصلح ، ويجد الكل على صراط مستقيم ، وأحياناً يرى المُظهِر عينَ الظاهر ، فيظنّ الخلق عين الحق ، والمربوب عين الربّ ، وكل هذه أزهار تتفتق من مرتبة الجمع .

قال الحلاج في هذا المقام . شعر :

كفرت بدين الله والكفر واجب   لـــــديّ وعـند المسلمين قبيح

ولكفر الطريقة هنا مناسبة تامة بكفر الشريعة ؛ **وإن كان كافر الشريعة مردوداً ومستحقاً للعذاب ، وكافر الطريقة مقبولاً ومستوجباً للدرجات ؛** فإن هذا الكُفر والاستتار ناشىء **من غلبة محبة المحبوب الحقيقي ، ونسيان غيره كله** ، فيكون مقبولاً ، وذاك الكفر حاصل من استيلاء الجهل والتمرُّد ، فيكون مردوداً بالضرورة .

وإسلام الطريقة عبارة عن مقام الفرق بعد الجمع ؛ الذي هو مقام التمييز ، والحق والخير متميزان هنا من الباطل والشر ، ولإسلام الطريقة هذا[1] مناسبة بإسلام الشريعة ، بل إذا بلغ إسلام الشريعة كماله تحصل له

---

(١) وفي نسخة : هنا مناسبة .

نسبة الاتخاذ[1] بهذا الإسلام ، بل كلا الإسلامين إسلام الشريعة ، والفرق بينهما بظاهر الشريعة ؛ وباطن الشريعة ، وبصورة الشريعة ؛ وحقيقة الشريعة ، ومرتبة كفر الطريقة أعلى من مرتبة إسلام صورة الشريعة ، وإن كانت أدونَ بالنسبة إلى إسلام حقيقة الشريعة ! شعر :

متى قسنا السما بالعرش ينحط   وما أعلاه إن قسنا بأرض

وكل مَن تكلَّم من المشائخ قدس الله أسرارهم ، بالشطحيات من الكلمات المخالفة لظاهر الشريعة ؛ كل ذلك في مقام كفر الطريقة الذي هو موطن السكر وعدم التمييز ، والكبراء الذين تشرَّفوا بدولة إسلام الحقيقة فهم منزَّهون ومبرؤون من أمثال هذه الكلمات ، ومقتدون بالأنبياء ، ومتابعون لهم ظاهراً وباطناً ، فالشخص الذي يتكلم بالشطحيات ، ويكون في مقام الصلح مع الكل ، ويظن الجميع على صراط مستقيم ، ولا يثبت التمييز بين الحقّ والخلق ، ولا يقول بوجود الإثنينية ، فإن وصل هذا الشخص إلى مقام الجمع ، وتحقق بكفر الطريقة ، ونسي السوى ؛ فهو مقبول ، وكلماته ناشئة من السكر ومصروفة عن الظاهر ، وإن تكلم بهذه الكلمات بدون حصول هذا الحال ، وبلا وصول إلى الدرجة الأولى من الكمال ، وزعم الكل على حقّ وعلى صراط مستقيم ؛ ولم يميِّز الباطل من الحق ! فهو من الزنادقة والملاحدة الذين مقصودهم إبطال الشريعة ، ومطلوبهم رفع دعوة الأنبياء الذين هم رحمة للعالمين عليهم الصلوات والتحيات . فهذه الكلمات الخلافية تصدر من المحق ، وتصدر من المبطل ، **وهي للمحقِّ ماء الحياة ، وللمبطل سم قاتل ؛ كماء النيل** حيث كان لبني إسرائيل ماء زلالاً ، وللقبط دماً ونكالاً .

وهذا المقام من مزلة الأقدام ؛ قد انحرف جمّ غفير من أهل الإسلام

---

(١) وفي نسخة : الاتحاد بهذا الإسلام .

عن الصراط المستقيم بتقليد كلمات أكابر أرباب السكر ، ووقعوا في بوادي الضلالة والخسارة ، وجعلوا دينهم هباءً منثوراً ، **ولم يعلموا أنّ قبول هذا الكلام مشروط بالشرائط** ، وهي موجودة في أرباب السكر ، ومفقودة في هؤلاء ، **ومعظم هذه الشروط نسيان ما سوى الحق** سبحانه الذي هو دهليز القبول ، **ومصداقُ امتياز المحق من المبطل : الاستقامةُ على الشريعة** ، وعدم الاستقامة عليها ، والذي هو محق لا يرتكب خلاف الشريعة مقدار شعرة مع وجود السكر وعدم التمييز . **كان الحلاج مع صدور قول** « **أنا الحق** » **عنه يصلي كل ليلة في السجن خمس مائة ركعة مع قيد** ثقيل ، وكان لا يأكل الطعام الذي مسَّه يد الظلمة ؛ ولو كان من وجه حلال ، والذي هو مبطل يكون إتيان الأحكام الشرعية ثقيلاً عليه مثل جبل قاف ﴿ **كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ** ﴾ علامة حالهم ﴿ **رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا** ﴾ والسلام على من اتبع الهدى . انتهى عبارته . ١٤٤ ج٢ .

البرج الرابع عشر

في بيان جواز التوسُّل بالأنبياء والأولياء والصالحين

اعلم أيها الأخ قد كان فيما ذكر في البُرْج الذي قبل هذا كفاية لمن تأمّل وتدبّر في جواز التوسّل؛ بيد أنّ السائل لما أفرد السؤال عن قول صاحب « البغية » لا بدّ من أن يجعل الجواب فصلاً مستقلاًّ .

كتب السائل بهذه العبارات :

قال في « بغية المسترشدين » : وأما جعل الوسائط بين العبد وبين ربّه ! فإن صار يدعوهم كما يدعو الله تعالى في الأمور ، ويعتقد تأثيرهم من دون الله ؛ فهو كفر ، وإن كان مرادُه التوسُّلَ بهم إلى الله تعالى في قضاء

مهماته الدنيوية والأخروية ؛ مع اعتقاد أن الله تعالى هو النافع الضارُّ المؤثّر في الأمور كلها ! فالظاهر عدم كفره ؛ وإن كان هذا الفعل منه قبيحاً . انتهى .

وهذه الصورة الثانية عين ما يكون بين الأستاذ ومريده ، فبين كون هذا قبيحاً وبين وجوب اتخاذ الشيخ تضادٌّ وتعارض ، فهل جميع المشائخ والمريدين على فعل القبيح مع أن قصد جميعهم أنهم على هدى ؟ ! فالجواب لا يُعْقَلُ من عنديته ! ! انتهى .

فنقول في الجواب ـ حامداً لله ، ومصليّاً على نبيه عليه السلام ، ومستعيناً منه سبحانه وتعالى - :

اعلم أيها الأخ المحترم ؛ أن الكلام المذكور قد ذكره صاحب « البغية » في الردة لكن نقلاً عن غيره ، كما أشار إليه بقوله : **مسألة** (ك)[1] - قبل ذلك الكلام إشارة إلى أنه كلام الكردي - ويحتمل أن يكون

(١) قوله مسألة (ك) إشارة إلى ما قاله محمد بن سليمان الكردي ، كما بيَّنه مؤلف « بغية » في ديباجه فافهم . (منه رحمه الله إفلاسه) .

* نقل السيد المرتضى في الجزء الثاني من شرح « الإحياء » في الصفحة العاشرة عن الإمام السبكي كلاماً طويلاً في أوصاف الحشوية ؛ من جملته قوله رضي الله عنه في حق ابن تيمية : ثم جاء في أواخر المائة السابعة رجل له فضل ذكاء واطلاع ولم يجد شيخاً يهديه وهو على مذهبهم ، وهو جسور متجرّد لتقرير مذهبه ويجد أموراً بعيدة فبجسارته يلتزمها ، فقال بقيام الحوادث بذات الرب سبحانه وتعالى ، وإن الله سبحانه وتعالى ما زال فاعلاً ، وإن التسلسل ليس بمحال فيما مضى ، كما هو فيما سيأتي وشق العصا ، وشوّش عقائد المسلمين وأغرى بينهم ولم يقتصر على العقائد في علم الكلام حتى تعدّى ، وقال : إن السفر لزيارة قبر النبي ﷺ معصية ، وقال : إنّ الطلاق الثلاث لا يقع ، وإن من حلف بطلاق امراته وحنث لا يقع عليه طلاق . **واتفق العلماء على حبسه الحبس الطويل ، فحبسه السلطان ومنعه من الكتابة في الحبس وأن لا يدخل عليه بدواة ومات في الحبس** . ثم حدث من أصحابه من يشيع عقائده ، ويعلّم مسائله ، ويلقي ذلك إلى الناس سراً ويكتتمه جهراً ، **فعمّ الضرر بذلك** . ثم ذكر الإمام السبكي أنه اطلع على قصيدة نونية طويلة لأحد تلاميذه=

قائله قد صادف شيئاً من بقايا آثار ابن تيمية الذى نقل عنه أنه قال مثل ذلك ، بل أشد منه من الكلمات التي تقشعرّ منه جلود المؤمنين ؛ كما بيَّنَه ابن حجر في خاتمة « الفتاوى » في بيان أقواله المخالفة لأقوال أهل السنة والجماعة ، والعالم العلامة يوسف النبهاني[1] في ديوانه « المدائح

=واسمه ابن زفيل ؛ كفّر فيها غير طائفته من الشافعية والمالكية والحنفية وموافقيهم من الحنابلة . قال السبكي : وهؤلاء مسلمون ، وليسوا بكافرين . فالقول بأنّ جميعهم كفار وحمل الناس على ذلك كيف لا يكون كفراً وقد قال ﷺ : « إذا قال المسلم لإخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما » . ذكر السبكي جميع ذلك في شرحه على قصيدة مذكورة التي ردّ بها ضلال صاحبها عليه . (يوسف النبهاني المصري ثمّ البيروتي رحمه الله تعالى) .

(١) قال المحقق العالم العلامة الرباني المداح الماهر المعاصر يوسف النبهاني في ديوانه المدائح النبوية في قصيدته الهائية في ص ٢١٤ ردّاً على أهل البدع والضلال :

ولابــن تيمية لِلمصطفى خِدَمٌ ... لــكنّه لــم يـوفق في تأدّبه

يقول كالمشركين الـمستغيثُ به ... وقـد عصى زائر يسعى لِيَثْربه

وقد كان ابن تيمية علمه أكبر من عقله ، كما قاله العلماء . ولذلك صدر منه ما صدر ، من قلة الأدب في مسألة الزيارة والإستغاثة في حق سيد الوجود ﷺ . انتهى . وقال أيضاً في شرح البيت الثاني : تعبير ابن تيمية بالمشركين في حق الزوار والمستغيثين قصد به أنهم كالمشركين وإلا فهو لم يكفّرهم بذلك . فجاء من بعده محمد بن عبد الوهاب النجدي شيخ الطائفة الوهابية فتبع ابن تيمية بذلك وزاد عليه هو وطائفته تكفير المسلمين بذلك ، حتى كانوا يجاهدون فيهم في الحجاز وغيره ، كجهادهم بالكفار ، وتبعهم في هذه الأيام على عقيدتهم جماعة فساق مجرمون ، نفتهم مذاهب الأئمة الأربعة أركان الإسلام ، مثل جماعة محمد عبده المصريّ الذين انتشروا في بلاد مصر والشام ، ولم يقتصروا على مذهب الوهابية وبدع ابن تيمية بل زادوا ضلالات كثيرة ، كادوا يخرجون بها من الإسلام . انتهى . وقال المداح المذكور قبل هذا في صحيفة ٣٧٠ من القصيدة الرائية : يرى لفتى تيمية بابتداعه * وزلاته في الدين منقبة كبرى * ويمدح وهابية لمسائل * بها قد أتوا نُكْراً وضلوا بها فكراً .

فتى تيمية هو الإمام تقي الدين بن تيمية صاحب الأراء الفاسدة التي ابتدعها في دين الإسلام ؛ مع كونه من العلماء الأعلام رحمه الله وعفا عنه . والوهابية منسوبون إلى محمد بن عبد الوهاب النجدي التابع لابن تيمية في بدعه التي خالف بها أئمة الإسلام ، وزاد عليه أنه كفّر كل من يستغيث بالأنبياء والأولياء الكرام . كما

النبوية » في قصيدته الهائية في ٤١٢ و« شواهد الحق » ، فتابعه في ذلك واستروح[١] ؛

القول في ابن تيمية

وقد قال ابن جحر في حقه ما نصُّه : **ابن تيمية عبدٌ خذله الله ، وأضله وأعماه ، وأصمَّه وأذله . انتهى .**

وقال أيضاً : **والحاصل أن لا يقام لكلامه وزن ، بل يرمى فى كل وعر وحزن ، ويعتقد فيه أنه مبتدع ضالٌّ ومضلٌّ ، جاهل غالٌّ** ، عامله الله بلطفه . انتهى من « الفتاوى الحديثية » راجع في ٨٦ ومثله في « التحفة » ، و« الرملي » ؛ في كتاب الطلاق ، وكيف كان حال قائله ؛ فقد يردُّه ويعارضه كلام مؤلف « بغية المسترشدين » نَفْسِهِ بهذا النص :

ذكره العلماء الأعلام كابن عابدين في « حاشية الدر » والسيد أحمد دحلان في « الفتوحات الإسلامية » وغيرها . وابن تيمية إنما كان يبدّع من استغاث بغير الله ويمنع ذلك منعاً شديداً لا يبلغ به درجة التكفير وإن كان هو أيضاً يسميهم المشركين لكن شرك دون شرك . انتهى . وكان لابي الحسن السبكي كتاباً مسمى بـ« شفاء السقام » في زيارة خير الأنام عليه الصلاة والسلام ، ألّفه في الرد على ابن تيمية وغيره من أئمة بدعة الذين يمنعون الزيارة والإستغاثة به . قال القسطلاني فشفى به صدور المؤمنين كما صرّحه ذلك المداح المذكور. **فالحاصل لم ينكر أحد على الزوارين والمستغيثين بالأنبياء والأولياء وغيرهم إلاّ هذه الطائفة الشنيعة** وقد بقيت شعبتهم في ديار مصر والشام في هذه الأيام والأيام الخالية كمحمد عبده المصري وشيخه جمال الدين الأفغاني ورشيد رضا صاحب « مجلة المنار » وشكري الألوسي البغدادي وعبد الباقى وعلي أفندي ونعمان أفندي وإخوته مصطفى أفندي وعارف أفندي ورشدى أفندي وأضرابهم التابعين بهم إلى يومنا هذا . ولعل السائل البرجي لا يميل قط إلى اعتقاداتهم الفاسدة وأهويتهم الكاسدة . والسلام على من اتبع الهدى (لمحرره العوري غازي محمد) .

(١) من الاستراحة ؛ أي طلب الراحة ؛ باختصار الكلام (مختار) .

جواز التوسُّل بالأنبياء والأولياء

مسألة (ج)[1] : التوسل بالأنبياء والأولياء في حياتهم وبعد مماتهم مباح شرعاً ؛ كما وردت به السنة الصحيحة ؛ كحديث آدم عليه السلام حين عصى ، وحديث من اشتكى عينيه ، وأحاديث الشفاعة .

والذى تلقيناه من مشائخنا ؛ وهم عن مشائخهم ؛ وهلمَّ جرّاً : أن ذلك جائز ثابت في أقطار البلاد ، وكفى بهم أسوة ، وهم الناقلون لنا الشريعة ، وما عرفنا إلا بتعليمهم لنا ، فلو قدَّرنا أن المتقدمين كفروا - كما يزعمه هؤلاء الأغبياء - لبطلت الشريعة المحمدية .

وقول الشخص المؤمن (يا فلان) عند وقوعه في شدة ؛ داخلٌ في التوسُّل بالمدعوّ إلى الله تعالى ، وصرف النداء إليه مجازٌ ؛ لا حقيقة !

والمعنى : يا فلان أتوسَّل بك إلى ربي أن يقيل عثرتي ، أو يردَّ غائبي مثلاً ، فالمسؤول في الحقيقة هو الله تعالى ، وإنما أطلق الاستعانة بالنبيّ أو الوليّ مجازاً ؛ والعلاقة بينهما : أن قصد الشخص التوسلَ بنحو النبي صار كالسبب ، وإطلاقه على المسبَّب جائز شرعاً وعرفاً ، وارد في القرآن والسنة ، كما هو مقرّر في علم المعاني والبيان .

نعم ؛ ينبغي تنبيه العوام على ألفاظ تصدر منهم تدلُّ على القدح في توحيدهم ، فيجب إرشادهم وإعلامهم بأن لا نافع ولا ضارّ إلا الله تعالى ، لا يملك غيره لنفسه ضرّاً ولا نفعاً إلا بإرادة الله تعالى .

قال تعالى لنبيّه عليه الصلاة والسلام ﴿ **قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا** ﴾ انتهى .

---

(١) قوله مسألة (ج) هو إشارة إلى ما قاله علوي بن سقاف بن محمد الجفري ، كما بيَّنه صاحب « البغية » في ديباجه . فافهم . (منه) .

قلت : وقال بعض المحققين : ولا يظهر لي : أنّ حكمة توسُّل عمر بالعباس - رضي الله عنهما - دون النبي ﷺ هي مشروعية جواز التوسل بغيره عليه السلام ، وذلك لأن التوسل به أمر معلوم محقق عندهم ، فلو توسل بالنبي عليه السلام لأخذ منه عدم جواز التوسّل بغيره ﷺ .

وعبارة (ك) : وأما التوسل بالأنبياء والصالحين ! فهو أمر محبوب ثابت في الأحاديث الصحيحة ، وقد أطبقوا على طلبه ، بل ثبت التوسُّل بالأعمال الصالحة ، وهي أعراض ، فبالذوات أولى ! انتهى عبارته .

ثم ذكر مثل ما مرَّ من الكلام المذكور الذي ذكره في (الردة) فراجعه في ٣٢٩ . هذا كلام صاحب « البغية » ، والحقير لا يرى في الكلامين[١] إلا التعارض الظاهر ، والتخالف البيِّن ، والله أعلم . ونسأله التوفيق .

وأما أقوال سائر الأكابر من العلماء العارفين ! فكثيرة لا تحصى ، فقد قال الشيخ الصاوي - رحمه الله تعالى - في تفسير قوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ : فمن الضلال البين والخسران الظاهر ؛ تكفير المسلمين بزيارة أولياء الله ؛ زاعمين أن زيارتهم من عبادة غير الله ، كلا[٢] ! بل هي من جملة المحبة في الله التي قال فيها

---

(١) أي : في الكلام الذي ذكره في الردة ، والكلام الذي ذكره في موضع آخر . (منه) .

(٢) وسئل رضي الله عنه عن زيارة **قبور الأولياء** في زمن معين مع الرحلة إليها : هل يجوز مع أنه يجتمع عند تلك القبور مفاسد كثيرة كاختلاط النساء بالرجال ، وإسراج السراج الكثيرة وغير ذلك ، **فأجاب** بقوله : زيارة **قبور الأولياء قربة** مستحبة وكذا الرحلة إليها . وقول الشيخ أبي محمد : لا تستحب الرحلة إلا لزيارته ﷺ ، ردّه الغزالي بأنه قياس ذلك على منع الرحلة لغير المساجد الثلاثة مع وضوح الفرق ، فإنّ ما عدا تلك المساجد الثلاثة مستوية في الفضل ، فلا فائدة في الرحلة إليها . وأما الأولياء فإنهم متفاوتون في القرب من الله تعالى ونفع الزائرين بحسب معارفهم وأسرارهم ، فكان للرحلة إليهم فائدة أيّ فائدة ، فمن ثم سنت الرحلة إليهم للرجال فقط ، بقصد ذلك . **وانعقد** نذرها كما بسطت الكلام على ذلك في شرح « العباب »=

رسول الله ﷺ : « ألا لا إيمان لمن لا محبة له » . والوسيلة التي قال الله تعالى فيها ﴿ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ انتهى عبارته من سورة المائدة .

وقال الشيخ الصاوي أيضاً في تفسير آية ﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ أرباباً « جلال » ؛ من صورة الكهف . وبتفسير[1] (الأولياء) أرباباً رفعت شبهة من يزعم أن محبّة الأولياء وزيارتهم إشراك . واستدلوا بمثل هذه الآية ، فيقال : إن كان اعتقاد الأولياء على سبيل أنهم يضرُّون الخلق وينفعونهم بذواتهم ؛ فمسلَّم أنه إشراك ، وأما إن كان على سبيل أنهم عباد اختاروا خدمة ربهم وعبادته ، واختارهم وأحبَّهم ؛ فهذا الاعتقاد مُنْجٍ من المهالك ، ومورث للفوز بصحبتهم ومرافقتهم في دار السلام ؛ لما ورد « المرء مع من أحب » . انتهى عبارته .

وفي « الصاوي » أيضاً في سورة التوبة في آية ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ

=بما لا فريد على حسنه وتحريره . وما أشار إليه السائل من تلك البدع أو المحرمات فالقربات لا تترك لمثل ذلك بل على إنسانٍ فعلها وإنكار البدع وإزالتها إن أمكنه . وقد ذكر الفقهاء في الطواف المندوب فضلاً عن الواجب : أنه يفعل ولو مع وجود النساء ، وكذا الرملي لكن أمروه بالبعد عنهن . فكذا الزيارة إلا مع وجود تلك المفاسد ، فإن تيسرت مع عدم المفاسد فتارة يقدر على إزالته كلها أو بعضها ، فيتأكد له الزيارة مع وجود تلك المفاسد ليزيل منها ما قدر عليه . وتارة لا يقدر على إزالة شيء منها ، فالأولى له الزيارة في غير زمن تلك المفاسد ، بل لو قيل يمنع منها حينئذ لم يبعد . ومن أطلق المنع من الزيارة خوف ذلك الاختلاط يلزمه إطلاق منع نحو الطواف والرمل بل والوقوف بعرفة أو مزدلفة والرمي إذا خشي الاختلاط أو نحوه ، فلما لم يمنع الأئمة من شيء من ذلك مع أن فيه اختلاط أيّ اختلاط ، وإنما منعوا نفس الاختلاط لا غير ، فكذلك هنا . **ولا تغتر بخلاف من أنكر الزيارة** خشية الاختلاط فإنه يتعين حمل كلامه على ما فصلناه وقررناه ، وإلا لم يكن له وجه . **وزعم : أن زيارة الأولياء بدعة لم تكن في زمن السلف ، ممنوع . فبتقدير تسليمه فليس كل بدعة منهياً عنها بل قد تكون البدعة واجبة** فاضلاً عن كونها مندوبة كما صرّحوا به « فتاوى الكبرى » لابن حجر ٣٢ ج٢ .

(١) مقول .

مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ﴾ الآية و(صلوات الرسول) أي : دعواته . لأنه الوسيلة العظمى في كل نعمة ، فتجب ملاحظته في كل عملٍ لله ، لأنّ الله تعبَّدنا بالتوسل به ، قال تعالى ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ فمن زعم أنه يصل إلى رضى الله بدون اتخاذه ﷺ واسطة ووسيلة بينه وبين الله تعالى ضل سعيه .

قال العارف ابن مشيش : **ولا شيء إلا وهو به منوط ، إذ لولا الواسطة لذهب - كماقيل - الموسوط .**

و قال بعضهم :

وأنت باب الله أيُّ امرءٍ أتاه من غيرك لا يدخل

حضرة الله وحضرة رسول ﷺ واحدة

فهو باب الله الأعظم وسره الأفخم ، والوصول إليه وصول إلى الله ، لأنّ الحضرتين واحدة ، ومن فرق لم يذق للمعرفة طعماً . انتهى عبارته .

وفيه في تفسير قوله تعالى ﴿ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ من الصنم « جلال » ﴿مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ﴾ الآية ، قوله (من الصنم) لامفهوم له ، بل مثله كل مخلوق .

والحاصل : **أن العبرة بعموم اللفظ** ، لا بخصوص السبب . فهذه الآية تقال أيضاً لمن التجأ للمخلوق وترك الخالق : معتمداً على ذلك المخلوق ، **وأما الالتجاء للمخلوق من حيث أنه مهبط الرحمات كمواصلة أهل البيت والأولياء والصالحين ! فهو مطلوب** وهو في الحقيقة التجاء للخالق ، يقرب ذلك : أنّ الله تعالى أمرنا بالجلوس في المساجد ، والطواف بالبيت ، وقيام ليلة القدر ونحوها ، وما ذاك إلا للتعرُّض للرحمة النازلة في تلك الأماكن والأزمان ، فلا فرق بين الأشخاص وغيرها ، فهم مهبط

الرحمات ، لامنشؤها ! ! تأمل . انتهى ، فراجعه في سورة الحج . وقال سيدي عمر بن سعيد الغوثي الطوري الكدوي - رحمه الله - في كتاب « رماح حزب الرحيم » : اعلم أن التعلق بأولياء الله ، واللياذ[1] بجنابهم ، والانحياز إليهم تعلق بجنابه الكريم ، ووقوف ببابه العظيم ، **لأنهم أبواب رحمة** الله تعالى دنياً وأخرى ، وعلى أيديهم تنزل الرحمة من الرحمن إلى كل مرحوم ، وهم الوسائل ، ولولاهم لهلك الكل ؛ كما قيل : **لولا الواسطة لذهب الموسوط** . قال تعالى ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ** ﴾ قال الترمذي : **إن أكرمتم أوليائي أكرمتكم** . انتهى . وقال تعالى ﴿ **وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا** ﴾ .

ثواب الدنيا وثواب الآخرة

قال بعض العارفين ؛ على طريق الإشارة ؛ ثواب الدنيا صحبة الأولياء ، وثواب الآخرة صحبة الحق .

وقال تعالى ﴿ **وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ** ﴾ .

قال بعضهم : وتعاونوا على البرَّ والتقوى وهو طاعة الأكابر من السادات والمشائخ ، ولا تضيِّعوا حظوظكم منهم ، ومن معاونتهم خدمتهم ، ولا تعاونوا على الإثم ؛ وهو الاشتغال بالدنيا ، والعدوان : موافقة النفس على هواها ومرادها . انتهى ١٨ ج١ .

وقال فيه : وفي « تنبيه المغترين » للشيخ الشعراني : وكان أبو هريرة يقول : يؤتى بالعبد يوم القيامة فيوقف بين يدي الله عز وجل ، فيقول الله عز وجل : هل أحببت لي ولياً حتى أهبك له ؟ ! فأحبوا يا إخواني الصالحين ، واتخذوا عندهم أيادي ، فإنّ لهم دولة يوم القيامة . انتهى .

---

(١) لاذ به : التجأ له « مختار »(هامش الأصل) .

وفي الطبراني : « إن لربكم في أيام دهركم نفحات . ألا فتعرضوا لها ، لعل أن تصيبكم نفحة منها فلا تشقون بعدها أبداً » فيا فوز الذين نهضوا إليها وتعرضوا لها ، واستمدوا من تلك النفحة مدداً .

وإذا كان عند ذكرهم كما في الأثر الموقوف والخبر المعروف تتنزل الرحمات وعواطر النسمات ؛ فما بالك بمحبتهم وخدمتهم ، والانحياز إليهم واللياذ بهم ، ومصاحبتهم ومخالطتهم ، ودوام النظر إلى طلعتهم البهية ؟ ! انتهى ٢٠ ج١ .

وفي« الرماح » أيضاً قبيل هذا : وقال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ قال شيخنا - رضي الله تعالى عنه وأرضاه ، وعنا به - : يؤخذ من هذه الآية على طريق أهل الإشارة : وابتغوا إليه الوسيلة التي لا تنقطعون بها عن غيره لتتصلوا به ، **ولا وسيلة أعظم من النبي** ﷺ ، ولا وسيلة إلى النبي ﷺ أعظم من الصلاة عليه ﷺ .

ومن جملة ما يبتغى من الوسيلة إلى الله تعالى : الشيخ الكامل ، فإنه من أعظم الوسائل إلى الله تعالى انتهى . و« المرء مع من أحب »[(١)] ، و« من أحب قوماً فهو معهم » . انتهى ١٩ .

من شرط الشيخ أن يسمع نداء مريده

وفي « الفتاوى العمرية » وأما قوله (يا شيخ عبد القادر) فهو نداء ، وإذا أضيف إليه (لله) ؛ فهو طلب شيء إكراماً لله تعالى ، فما الموجب

(١) وقال ﷺ « مثل المؤمن كمثل الروح من الجسد » ومن السنة أن لا يواخي إلا من يثق بدينه وأمانته ، ويعرف صلاحه وتقواه ، فإن المرء مع من أحب وإن لم يلحقه بعمله . وإن الله ربما يرى في قلب وليّه إنساناً فيرحمه ويلحقه به « شرعة الإسلام » . ولا يشترط في الانتفاع بمحبة الصالحين أن يعمل عملهم إذ لو عمل لكان منهم ومثلهم ، ثم إنه لا يلزم من كونه معهم أن يكون منزلته وجزاؤه مثلهم من كلّ وجه ، (شرح (م)) .

لحرمة ذلك ؟« فتاوى خليلي » عبارته .

وفي مناجاة زين العابدين :

فيا أقطاب ويا أوتاد ويا أسياد أجيبونا

ذوي الأمـداد . . . . .إلخ

وقد سمعت واحداً يسأل شيخنا العسلي – قدس سره – : هل يجوز نداء المشائخ ؟ فقال : نعم يجوز ، ويسمعون ذلك ويجيبونه . انتهى .

وهو[1] مستنبط مما قيل : من شرط الشيخ أن يسمع نداء مريده ، ولو كان بينه وبينه مسافة ألف سنة ، أو ما هذا معناه .

وقال محمد أبو الهدى ابن السيد حسن وادي الصيادي الرفاعي – رحمه الله تعالى – في « نور الإنصاف في كشف ظلمة الخلاف » : أما الاستغاثة بالنبي ﷺ وبإخوانه النبيين والمرسلين وبالأولياء والصالحين ؟ !

فالجواب : أنه لا يخفى أن الاستغاثة به ﷺ عبارة عن سؤال الشفاعة[2] من الأنبياء والأولياء لقضاء الحوائج ، ودفع النوائب ، وتفريج الكرب ، والأخذ بالثأر ، ولاريب أن كل من يناديهم من أمة محمد ﷺ فهو عالم حق العلم أنه لا يعبد إلا الله ، ولا يدعي للعبادة إلا الله ، ولا يفعل ما يراد ولا يمنح ما يطلب إلا الله .

---

(١) أي : قوله .

(٢) وقد ورد في الحديث : « استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة » . قال المناوي : فكلما كثرت إخوانكم كثرت شفعاؤكم ، وخرج بالأخيار غيرهم ، فلا يندب مؤاخاتهم ، بل يتعيَّن اجتنابهم ، وبذلك يجمع بين الأخبار . فصحبة الأخيار تورث الخير ، وصحبة الأشرار تورث الشر ؛ كالريح إذا مرت على النتن حملت نتناً ، وإذا مرَّت على الطيب حملت طيباً . كذا في « السراج المنير » في شرح هذا الحديث . راجعه في ٧٩١ ج ١ . (منه رحم الله إفلاسه ، آمين) .

وقد أرشدنا رسول الله ﷺ للاستعانة بعباد الله ؛ فيما رواه الحافظان الجزري والسيوطي – طاب ثراهما – أن رسول الله ﷺ أمر لمن انفلتت دابته بأرض فلاة أن يقول : يا عباد الله احبسوا . (ثلاث مرات) . وفي رواية أخرى : وإذا أراد عوناً فليقل : يا عباد الله أعينوني .

وأخرج ابن عساكر في « تاريخه » وابن الجوزي في « مثير الغرام » ، وابن النجار بأسانيدهم إلى محمد بن حرب الهلالي قال : أتيت قبر النبي ﷺ فزرته ، فجلست بحذائه ، وذكر نحو ما يأتي .

وروى السمعاني عن أمير المؤمنين سيدنا علي – كرم الله وجهه ، ورضي الله عنه – أنه قال : قدم علينا أعرابي بعدما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام ، فرمى بنفسه على قبره ، وحثا من ترابه على رأسه ، وقال : يا رسول الله ؛ قلت فسمعنا قولك ، ووعيت عن الله سبحانه وما وعينا عنك ، وكان فيما أنزل عليك ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ ﴾ الآية ، وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي . فنودي من القبر : إنه قد غفر لك .

وقد أطبق المسلمون من عهده عليه الصلاة والسلام على التوسل به ، والالتجاء في المهمات إليه صلوات الله عليه .

هذه السيدة زينب الطاهرة بنت البتول[1] – عليها السلام – لما مرت

---

(١) والبتول من النساء : العذراء المنقطعة من الأزواج ، وقيل : هي المنقطعة إلى الله تعالى عن الدنيا . « مختار » . (هامش الأصل) .

* فائدة : ورد أنه ﷺ قال « من صلى عليّ في يوم خمسين مرة صافحته يوم القيامة » . وذكر ابن المظفر أنه لو قال : اللهم صلّ على محمد خمسين مرة ؛ أجزأه إن شاء الله تعالى وإن كرر ذلك فهو أحسن . انتهى . قال ع ش : ولم يتعرض لصيغة الصلاة على النبي ﷺ ، وينبغي أن تحصل بأيّ صيغة كانت . « بغية » ٧٧ .

* أوحى الله إلى داود : (ما من عبد يعتصم بي) – أي : يتمسك بي (دون خلقي) – أعرف ذلك من نيته – (فتكيده السموات بمن فيها) – من الملائكة وغيرهم وكذلك الأرض ومن فيها – (إلا جعلت من ذلك مخرجاً) – أي : مخلصاً من خداعهم له=

بمصرع الحسين – عليه السلام – صاحت : يا محمداه ! ! صلى عليك ملائكة السماء ، هذا الحسين بالعراء مزيَّل بالدماء . كما ذكر ذلك ابن الأثير وغيره . والقصة شهيرة متواترة ، والقائلة لهذا بنت المصطفى ، وقد شكت الحال لجنابه الكريم ، ونادته واستشفعت به ؛ فغار الله لنبيّه ، وما مضى يسير من الزمان حتى قطع الله دابر أعدائهم ، ومزقهم كل ممزّق ، وثبتت نصرة الله لأوليائه .

وقد استفاض بين المسلمين توسل آل النبي ﷺ ؛ طبقة بعد طبقة به عليه الصلاة والسلام ، وبذريته وآل بيته ، وهم بيت النبوة ، ومعدن أسرار الوحي وكنوز الشريعة[١] .

وقد نقش بعض الأئمة منهم خواتمهم بمثل هذا ، فكتبوا فيها :

ظـــني بـالله حسن   وبالنبي ذي الـمنن

وبالوصي المؤتمـن   وبالحسين والحسن

وما ذلك إلا أنهم جعلوهم شفعائهم ووسائلهم إلى الله سبحانه .

=ومكرهم به – (وما من عبد يعتصم بمخلوق دوني أعرف ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السماء بين يديه) – أي : حجبت ومنعت عنه الطرق والجهات التي يتوصل بها إلى نيل مطلوبه – (وأسخت الهوى من تحت قدميه) – فلا يزال متباعداً عن أسباب الرحمة – (وما من عبد يطيعني) – باجتناب الكبائر – (إلا وأنا معطيه قبل أن يسألني ومستجيب له قبل أن يدعوني ، وغافر له) – ذنوبه الصغائر – (قبل أن يستغفرني) .

* (إن للمسلم حقاً إذا رآه أخوه) – في الدين – (أن يتزحزح له) – أي : يتنحى عن مكانه ويجلسه بجنبه إكراماً له فيندب ذلك سيما للنحو عالم أو صالح أو ذي شرف . « سراج » ١١ ج٢ ، أي : يوسع له ، أي : فينبغي له أن يوسع له وإن كان في المجلس اتساع تعظيماً له لا سيما العلماء والصلحاء إكراماً لهم : وولاة الأمور اتقاء شرّهم ، فإنه ينبغي تعظيمهم بما يرونه تعظيماً لئلا يحقدوا عليه .

(١) ويستحب أن يستسقى بالأكابر وأهل الصلاح لاسيما من أقارب رسول الله ﷺ وأن يذكر كل أحد في نفسه خيراً فعله ويجعله شفيعاً « أنوار » .

قال في « الكشاف » عند الكلام على قوله تعالى ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ ألا كُلُّ ذي لبٍّ إلى الله واسل .

وقد توسل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بنبينا ﷺ قبل خلقه ، كما صحّح ذلك عمدة الثقات ؛ منهم الحاكم وصحح إسناده .

وعن أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لما اقترف آدم الخطيئة ، قال يا رب ؛ أسألك بحق محمد لما غفرت لي . فقال الله تعالى : يا آدم ؛ كيف عرفت محمداً ولم أخلقه ! قال : يارب ؛ لأنك لما خلقتني بيدك ، ونفخت فيّ من روحك ، رفعت رأسي ، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فعرفت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحبّ الخلق إليك . فقال الله تعالى : صدقت يا آدم ، إنه لأحبّ الخلق إليّ ، إذا سألتني بحقه[1] فقد غفرت لك ، ولو لا محمد ما خلقتك » . رواه الطبراني وزاد : وهو آخر الأنبياء من ذريتك » .

التوسل بالنبي ﷺ وبمن أحبّه جائز

قلت : ومن هنا يعلم أن التوسل بالنبي ﷺ ، بل وبكل من أحبّه الله تعالى جائز أيضاً ، وهو المقبول المرضي عند الله سبحانه وتعالى ، ولا ريب أن سيد المخلوقين وأكرم المقربين إلى الله إنما هو نبينا المصطفى ﷺ .

ومما يثبت جواز الاستغاثة بعباد الله الصالحين خاصة : ما أخرجه

---

(١) **والمراد بحقه** ﷺ : رتبته ومنزلته لديه تعالى ، أو الحق الذي جعله الله سبحانه وتعالى على الخلق ، أو الحق الذي جعله الله تعالى بفضله له عليه . كذا في « شواهد الحق » . فراجعه في ٦٦ . (منه) .

الطبراني في « الكبير » بسنده إلى عقبة بن غزوان ، عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا ضلّ أحدكم شيئاً ، أو أراد عوناً ، وهو بأرض ليس بها أنيس ، فليقل (ياعباد الله أعينوني) فإن لله عباداً لا تراهم » . وقد جرب ذلك . انتهى ما قاله الطبراني .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - مرفوعاً « إذا انفلتت دابته فليناد يا عباد الله رحمكم الله » .

ومن الأخبار التي جاءت بالتوسل بالجناب النبوي عليه الصلاة والسلام حال حياته في الدنيا : ما رواه جماعة ؛ منهم النسائي ، والترمذي ؛ في الدعوات ، والبيهقي عن عثمان بن حنيف : أن رجلاً ضريراً أتى النبي ﷺ فقال : ادع الله أن يعافيني . قال : « إن شئت دعوتُ ، وإن شئت صبرتَ ؛ فهو خير لك » قال : فادع . فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء : « اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة ، يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي لتقضى لي ، اللهم شفِّعه فيّ » . فقام وقد أبصر[1] .

وقد توسل ﷺ بنفسه الطاهرة ، وبإخوانه الذين من قبله عليهم الصلاة والسلام ، وذلك فيما أخرجه الطبراني في « الكبير » و« الأوسط »[2] ؛ عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : لما ماتت فاطمة بنت أسد ، دخل عليها رسول الله ﷺ ، فجلس عند رأسها ، فقال : « رحمك الله يا أمي بعد أمي » وذكر ثناء عليها ، وتكفنها ببرده ؛ قال : ثم دعا رسول الله ﷺ أسامة

---

(١) وفي رواية : قال ابن حنيف : فوالله ما تفرقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأن لم يكن به ضرّ قط . وخرّج هذا الحديث البخاري في« تاريخه » ، وابن ماجه ، والحاكم في « المستدرك » بإسناد صحيح . « الأساليب البديعة » . (هامش الأصل) .

(٢) وابن حبان ، والحاكم ، وصححوه . « الأساليب البديعة » ٦٧ .

بن زيد وأبا أيوب الأنصاري ، وعمر بن الخطاب وغلاماً أسود ، يحفرون فحفروا قبرها فلما بلغوا اللحد ، حفره رسول الله ﷺ بيده ، وأخرج ترابه بيده ، فلما فرغ دخل رسول الله ﷺ فاضطجع فيه ثم قال : « الله الذي يحيي ويميت . وهو حي لا يموت ؛ اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ، ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبله ، فإنك أرحم الراحمين » وكبّر عليها أربعاً ، وأدخلها اللحد هو والعباس وأبو بكر الصديق رضي الله عنهم .

أقول : فإذا توسّل هو ﷺ بنفسه الطاهرة وبإخوانه الأنبياء الذين من قبله ، فكيف تمنع أمته ﷺ من التوسل به وبإخوانه النبيّين والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين ؟ !

وأما التوسل به ﷺ بعد وفاته ! فقد سبق لك خبر الأعرابي الذي حثا على رأسه من تراب قبره ﷺ ، وخاطبه من قبره الكريم قائلاً : إنه قد غفر لك . وذلك بمشهد من الصحابة الكرام ، وقد رويت هذه القصة الشريفة بمحاضر أعيانهم ، وأكابر تابعيهم ، فما أنكرها منهم أحد ! مع أنهم أهل الحق ، ولا ينحرفون[1] مقدار شعرة من الصدق .

وروى الطبراني عن عثمان بن حنيف : أن رجلاً كان يختلف[2] إلى عثمان - رضي الله عنه - في حاجة له ، فكان لا يلتفت إليه ، ولا ينظر في حاجته ، فلقي ابن حنيف ، فشكى إليه ذلك ؛ فقال له : ائت الميضأة فتوضأ ، ثم ائت المسجد فصل ركعتين ، ثم قل : اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة ، يا محمد ؛ إني أتوجه بك إلى ربك لِتُقْضَى حاجتي ، وتذكر حاجتك . فانطلق الرجل فصنع ما قال ، ثم أتى

---

(١) وفي نسخة : يتحرفون .

(٢) أي : يجيء خلفه .

باب عثمان – رضي الله عنه – فجاءه البواب ، حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان فأجلسه على الطنفسة ؛ فقال : حاجتك ! فذكر حاجته وقضاها له . ثم قال : ما ذكرت حاجتك حتى كان الساعة ، وقال : ما كانت لك حاجة فاذْكُرْها .

أقول : كان ذلك ببركة توسّله بنبيّنا المكرم الوجيه الوجه عند الله صلى الله عليه وسلم .

وقد أرشدنا المصطفى – عليه الصلاة والسلام – للتوسل والاستعانة بعباد الله الصالحين ، وقد سبق لك أمره ﷺ لمن انفلتت دابته أن يقول : « يا عباد الله احبسوا » . (ثلاثاً) ولمن أراد عوناً : « ياعباد الله أعينوني » . وغير ذلك من الأخبار الشريفة ، والآثار اللطيفة .

فال سيدنا القطب السيد أحمد عز الدين الصياد سبط الإمام الرافعي – رضي الله عنهما – في « الوظائف الأحمدية » : ولا بدع[1] فإن الله يفرِّج كروب المكروبين حرمة لأوليائه وأحبابه ، ويقضي لهم بشفاعتهم عنده حوائجهم .

ونقل عن الخطيب البغدادي – قدس الله روحه – ما رواه بسنده عن الحسن بن إبراهيم الخلال أنه قال : ما همّني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسلت به ، إلا سهّل الله سبحانه لي ما أحبّ .

جعل الوسيلة إلى الله إعظام لجانب التوحيد

وقال في« الوظائف الأحمدية » : لايخفى عليك أن جعل الوسيلة لله إنما هو من إعظام جانب التوحيد ، فإن العبد يشهد سوء حاله وكثرة ذنوبه ، فلا يجد له وجهاً ولا سبيلاً للسؤال من ربّه الفعال المطلق ، فتجتمع

(١) أي لاشك . (هامش الأصل) .

همته على جعل وسيلة لله من أوليائه وأحبابه ؛ اعترافاً بالذنب ، وانكساراً للرب ، وإعظاماً لقدرته ، وإيماناً بأنه هو الفعَّال لا غيره ، وأحبابه الوسائل المرضية عنده ؛ لاتِّباعهم نبيَّه الكريمَ ، ولوقوفهم عند أمره العظيم .

ثم قال - رضي الله عنه - : وهذا أدب[1] الأحمديين - رضي الله عنهم - ، فلا يخرقون لظاهر الشريعة سياجاً ، ويعتقدون بكرامات الأولياء ، ويجزمون بإكرام الله لهم ، وغيرته لأجلهم ، ولا يقولون بتأثير مخلوق . انتهى .

قلت : يريد أنهم لا يثبتون استبداداً في الأفعال لمخلوق إلا بقدرة الله تعالى ، وإذنه سبحانه ، ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ .

وقد ذكر الإمام ابن الجوزي في « صفوة الصفوة » : أن إبراهيم الحربي كان يقول : قبر معروف الكرخي الترياق المجرب . **أقول** : وذكر مثل هذا الخطيب البغدادي - رحمه الله تعالى - في « تاريخه » .

وصحَّ أن الإمام الشافعي - رضي الله عنه - **قال : قبر موسى الكاظم ترياق مجرب .**

وأما من أفرط ؛ واعتقد أن الأنبياء والأولياء والصالحين متصرفون مستبدون ، قادرون بأنفسهم على الفعل ، والقطع والوصل ، من غير التجاء إلى الله تعالى وتوجه إليه ، فهو ممكور مبعود ، وقوله مردود ، وهو من الضلال بمكان ، والعياذ بالله تعالى .

ومن فرطوا وقاسوا الأنبياء والأولياء والصالحين بالأصنام ، والمسلمين المستمدين منهم الذين اتخذوهم شفعاء إلى الله تعالى بعبدة الأوثان ! فهم أقبح من أولئك ، وأسوأ وأضل سبيلاً ، ويقال بشأن[2] مثلهم

---

(١) وفي نسخة : دأب .

(٢) وفي نسخة : شأن .

قول القائل : ويل لمن شفعاؤه خصماؤه ! . اللهم إنا نعوذ بك من الشيطان الرجيم ، اهدنا الصراط المستقيم .

وملخَّص ما قاله شيخ الأمة مولانا وسيدنا السيد أحمد الكبير الرفاعي -رضي الله عنه - في « برهانه » و« حكمه » وكثير من كتبه : أنّ التوسّل بالأولياء إنما هو بمحبة الله تعالى لهم ، ومحبة الله لعباده الصالحين صفة له سبحانه ، ونعم الوسيلة إليه تعالى صفته جل وعلا ، وما بقي بعد هذا إلا العناد ، واختراع التأويلات الباطلة على غير المراد .

وأما اطلاع الميت بحاسة بصره وسماعه لكلام الحي!

للميت اطلاع ببصره وسمعه

فالجواب فيه أن ابن الهمام - رحمه الله - ذكر في « فتح القدير » أنهم قالوا في زيارة القبور : الأولى أن يأتي الزائر من قبل رجلي المتوفى ، لا من قبل بصره ، فإنه أتعب لبصر الميت ، بخلاف الأول ، لأنه يكون مقابلاً لبصره ، ناظراً إلى جهة قدميه إذا كان على جنبه[1] . انتهى .

وبهذا أثبت - قدس الله روحه - **للميت اطِّلاعاً بحاسة بصره ، وأنّ أطباق الثرى لا تمنع بصره عن رؤية الزائر** ، وعلى هذا فبالأولى أن لا تمنع حاسة السمع ، **لأن حاسة البصر أضعف من حاسة السمع .**

وقد خرج الشيخان عن أنس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال « العبد إذا وضع في قبره وتولّى عنه أصحابه حتى إنه يسمع قرع نعالهم ؛ أتاه ملكان فأقعداه . . . . » . الحديث .

وقد أمر الشارع الكريم عليه الصلاة والسلام بخطاب أهل القبور

---

(١) وراجع « شواهد الحق » في٦٤ ففيه نظيره ، وإلى « بغية المسترشدين » في ٧٩ ففيه زيادة . (منه) .

بقول : السلام عليكم ، وقد سلّم ﷺ على أهل البقيع ، وحاشا أن يكون من العبث ، ومع كل هذا فالعلم ثابت حصوله ، على أن العلم يكون بالروح ، وهو باق لتعلقه بالروح ، ولا مجال لإنكار سماع الأموات وعلمهم بعد الأدلة الصحيحة المصرّحة بذلك عند أهل السنة والجماعة البتة .

ميت يقرأ القرآن

كيف وقد ثبت للموتى ما هو فوق السماع والإبصار ؛ وهو الكلام وقراءة القرآن ؟ ! فقد ثبت فيما أخرجه الترمذي وحسّنه عن سيدنا عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال : ضرب بعض أصحاب النبيﷺ خباءه على قبر ، وهو لا يحسب أنه قبر ، فإذا فيه إنسان يقرأ سورة ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ حتى ختمها ، فأتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ؛ إني ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر ، فإذا إنسان يقرأ سورة ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ حتى ختمها ، فقال النبي ﷺ : « هي المانعة ، هي المنجية ؛ تنجيه من عذاب القبر » .

أقول : **وهذا** كاف لإثبات كلام الموتى وشعورهم وقراءتهم القرآن ، وكم من مثل هذا من الأخبار والروايات الوثيقة التي كادت تخرج عن دائرة الحصر ! .

نداء الغائب والميت

وأما جواز نداء غير الله ، وجواز نداء الغائب والميت ، والتوسّل بالنبي ﷺ وبالأنبياء والأولياء ! **فالجواب** : أخرج ابن السني في « **عمل اليوم والليلة** » عن أبي سعيد - رضي الله عنه - قال : كنت أمشي مع ابن عمر ، فخدرت[1] رجله فجلس ، فقال له رجل : اذكر أحبّ الناس

---

(١) خدر العضو خدراً ؛ من باب تعب : استرخى فلا يستطيع تحريكه . « مصباح » . (هامش الأصل) .

إليك ، فقال : يا محمداه : فقام فمشى .

وأخرج أيضاً عن الهيثم قال : كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص فخدرت رجله ؛ فقال له رجل : اذكر أحب الناس إليك . فقال : يا محمد . فقام كأنما نشط من عقال . فمن هذا وأمثاله يعلم جواز نداء غير الله ، بل وجواز نداء الميت بعد موته ، قريباً كان منه أو بعيداً عنه ، وليعلم أن كل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر يتحقق أنه لا يدعي للعبادة إلا الله سبحانه وتعالى ، وإنما المسلمون ينادون من ينادون من أحباب الله وأوليائه على جهة الشفاعة عنده ، ونداء المخلوق للمخلوق سواء كان ميتاً أو حياً ، غائباً أو حاضراً لا بأس به ، **أما نداء الحاضر! فلا يشك في جوازه عاقل** .

وأما نداء الغائب ! فكافٍ في جوازه نداء سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يخطب على منبر المدينة لسارية[1] رضي الله عنه وهو غائب في بلاد العجم ، وأمر النبي ﷺ لمن أراد عوناً أن يقول : « يا عباد الله أعينوني » كما سبق .

وأما نداء الميت! فيكفي في جوازه **نداء النبي ﷺ أصحاب القليب**[2] **يوم بدر** بأسمائهم واحداً بعد واحد ، وهو يقول : « إني وجدت ما وعدني ربي حقّاً ، فهل وجدتم ما وعد ربكم حقّاً ؟ ! » فقيل له عليه الصلاة والسلام : كيف تناديهم وهم أموات ؟ ! فقال : « والذي نفسي بيده ؛ ما أنتم بأسمع لكلامي منهم[3] » .

---

(١) وبينهما مسيرة شهرين . كما في « الصاوي » (منه) .

(٢) القليب : البئر . « قاموس » . (هامش الأصل) .

(٣) وكون الميت لا يقرأ عليه ، ممنوع لبقاء إدراك روحه فهو بنسبة لسماع القرآن وحصول بركته كالحي إلخ ؛ ابن حجر من الجنائز . وسماع الموتى هو الحق ؛ ابن حجر وراجع « البغية » في ٧٩ صحيفة ، ففيه زيادة من الوصية .

مطلب : الفرق بين النداء والدعاء

وهنا سرّ لطيف : وهو أن النداء من المخلوق للمخلوق ليس بعبادة له أصلاً ، والدعاء أخصّ من النداء وهو خاص بالله جل وعلا ، ومثاله قول العبد : يا رب ، يا الله ، ونحو ذلك . والطلب إن كان من المخلوق للخالق تعالى سمي دعاءَ عبادةٍ ، وإن كان من المخلوق لمن هو مثله أو أعلى رتبة من المخلوقين سمي نداء .

نعم؛ يتضمن بعض النداء من المخلوق للمخلوق طلب الإعانة والإغاثة والشفاعة منه ، وهذا لا بأس به أصلاً ، لأن الأحاديث والأخبار قد صرّحت بأن الأنبياء والأولياء لهم الشفاعة عند الله على قدر مراتبهم في الدنيا والآخرة ، ففي الدنيا : بإجابة الدعاء ، ودفع البلاء ، ونزول الغيث ، وحلّ المشكلات . وفي الآخرة : بتفريج كربات القيامة وأهوالها . وكلٌّ ثابتٌ بالأحاديث الشريفة ، والأخبار المنيفة ، قال ﷺ : « إن الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مئة أهل بيت من جيرانه البلاء » ، فإذا كان الأمر كذلك ، فكيف لا يستشفع بالرجل الصالح في المهمات ؟ !

وفي « الأوسط » قال ﷺ : « لن تخلو الأرض من أربعين رجلاً مثل خليل[1] الرحمن ، فبهم تسقون ، وبهم تنصرون ، ما مات منهم أحد إلا بدّل الله مكانه آخر » .

وبهذا ثبت أن السماء تمطِر ببركاتهم ، والنصرة على الأعداء تحصل بعنايتهم ، فكيف لا يستغاث بهم إلى الله ، ويتوسَّل بجاههم ، ومحبة الله لهم ، وهم أحبابه وأهل حضرته ؟ ! ولم يَرد في الكتاب ولا في السنة أن الله تعالى أو نبيّه الأعظم ﷺ قال : لا تنادوا نبياً ولا ولياً على جهة الشفاعة ، والذي احتجَّ به البعض من قوله تعالى ﴿**فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ**

---

(١) أي : في المشرب . فافهم ! (منه) .

أَحَدًا ﴾ ، وقوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾ ، ونحو ذلك من الآيات الكريمة الفرقانية ، فالخطاب فيها للمشركين الذين يدعون مع الله غيره ؛ أي يعبدونه ، ويفسِّر هذا قوله تعالى ﴿ وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾ ، وقد تقدم الفرق بين النداء والدعاء .

وعلى كل حال ؛ فالتوسُّل إلى الله بأنبيائه وأوليائه من سيرة السلف الصالح ، ومن الأسباب المأمور بتعاطيها شرعاً وعقلاً ، **والمؤثر الحقيقي هو الله تعالى ، والأسباب لا تأثير لها** باعتقاد جميع المسلمين ، وما المنادي المتوسِّل إلا كمريض تناول دواء فأكله وهو يعتقد أن الدواء سبب ، والله هو الشافي المعافي حقيقة ، والدواء لا تأثير له البتة .

ولا يقول عاقل من خَدَمَةِ الشريعة في مشارق الأرض ومغاربها لشارب الدواء : أشركتَ . ولا يقدر أن يمنعه عن تناول الدواء .

قول : أدركنا يا رفاعي وأمثاله

وما بقي بعد هذه الأدلة الواضحة إلا الصمم عن الحق ، والانحراف عن الطريق الأحق ، فإن المنادي يقول مثلاً : أدركنا يا رفاعي ، أو أغثنا يا وليَّ الله ، ويعتقد أنه سبب لحصول الخير ، والنجاة من الضرّ ، والله هو المعطي المانع ، الضار النافع ، والوليّ بمنزلة الدواء ، فمن الذي ينقض كلامَه ، أو يُفَرِّقُ له بالطعن سهامه ، والمثال ظاهر لا نزاع فيه ؟

وأما من قال بالنداء معتقداً تأثير المنادى من دون الله ! فهو من الممكورين ، ولا عدوان إلا على الظالمين . انتهى .

ورأيت في « آثار » اليراغي قدس سره ما نصّه : ثم إنَّا لما رأينا كثرة التَّباعد والتَّباين بيننا وبين ذلك المَفزع إليه ؛ المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام الأوفي ، قصدنا إهداء المدائح إلى مشائخنا الكرام ، سادتنا

النقشبندية الفخام؛ بمدح كل واحد منهم توسُّلاً إلى جاه حِبِّنَا[1] رسول الثقلين ﷺ ، ثمَّ به إلى حضرة خالق الكونين؛ اقتداء بقول « البهجة » :

والأفضل استسقاؤهم بالأتقياء   لاسيما مِنْ آل خير الأنبياء

الاستشفاع بفعل الخير

وقد قال الشربيني في « إقناعه » : ويسنّ لكلِّ أحد ممن يستسقي أن يستشفع[2] بما فعله[3] من خير؛ بأن يذكره في نفسه؛ فيجعله شافعاً ، لأن ذلك لائق بالشدائد ، كما في خبر الثلاثة[4] الذين أووا إلى الغار . **وأن يستشفع بأهل الصلاح ، لأنَّ دعاءهم أقرب للإجابة ، لا سيما أقارب النبي** ﷺ ، كما استشفع عمر بالعباس رضي الله عنهم فقال : اللهم إنَّا كنا إذا قَحِطنا نتوسَّل إليك بنبيّنا فسقينا ، وإنا نتوسَّل إليك بعمِّ نبينا فاسقنا . قال : فيسقون . رواه الشيخان . انتهى .

وفي « البهجة » قبل البيت المذكور :

ويــذكر الإنـسان سرّا عمله   مــن الجــميل شفيعاً جعله

انتهى

---

(١) الحِب - بالكسر - الحبيب . « مختار » . (هامش الأصل) .

(٢) أي يتوسّل « بجيرمي » ١٠٢ (هامش الأصل) .

(٣) وفي « غرائب القرآن » في قوله تعالى ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ من سورة مريم : ثم إنه توسَّل إلى الله عزَّ وجلَّ بما سلف له معه من الاستجابة قائلاً ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ . كما حُكي أن محتاجاً قال لكريم : أنا الذي أحسنت إليَّ وقت كذا . فقال : مرحباً بمن توسَّل إلينا ، وقضى حاجته .

تقول العرب : سعد فلان؛ إذا ظفر بها ، وشقي بها؛ إذا خاب ولم ينلها . ومعنى بدعائك : أي بدعائي إياك . انتهى . فراجعه . (منه رحم الله إفلاسه) .

(٤) وقصّتهم مذكورة في « البجيرمي » فراجعه في صلاة الاستسقاء في ١٠٢ ، وكذا في « البيضاوي » من سورة الكهف فراجعه . (منه) .

وقال الشيخ العارف ؛ الإمام الفقيه المحدِّث ؛ عبد الله اليافعي في « نشر المحاسن » : **قد جرت العادة أنَّ مَن له حاجة قد يتوسَّل بوجيه ، وفوقه مَن هو أوجه منه**[1] ، **ثم يتوسَّل ذلك الوجيه بالأوجه إلى مَنْ يُراد منه قضاء الحاجة** ، كما يتوسَّل إنسان من الرعيَّة بالأمير ، والأمير يتوسَّل بالوزير ، والوزير يَشْفَع عند السلطان في قضاءِ حاجةِ ذلكَ الإنسان ، فكذلك يتوسَّل إلى الله الكريم بنبيِّنا عليه أفضل الصلاة والسلام .

الأولياء يتوسَّلون بالنبي الكريم ﷺ

وقد يتوسَّل بالأولياء في نادر من الأوقات في قضاء بعض الحاجات ، والأولياء يتوسَّلون بالنبي الكريم ﷺ ، فيشفع عند الله عزَّ وجل ، فيسمع الله سبحانه شَفَاعَتَهُ بفضله ويقبل . انتهى عبارته ١٢ .

ومِنْ هَهُنا قال بعض الأولياء : ادعوا الله بلسانٍ لمْ تعصوا الله به ، يعني – والله أعْلَمُ – : توسَّلوا إلى الله واستشْفِعُوا بالصُلحاء ، فإن أَلْسِنتهم هي التي لمْ يَعصوا الله بها . فافهم .

وفي « البجيرمي » : وقد روى الطبراني وابن سعد : أنَّ عبد المُطلب استسْقى بالنبي ﷺ حين تَتَابَعَتْ عليهم سنون أهلكتهم ، فَسَمِعوا قائلاً يقول : يا مَعْشَرَ قريش إنَّ فيكم نبيّاً آنَ أوانُ خُروجِهِ ، به يأتيكم الحيا[2] والخصب ، فاخرجوا إلى جبل أبي قبيس . فتقدم عبد المطلب ومعه النبي ﷺ ، فرفع يديه يدعو ويطلب الغَوْثَ – أي : الإجابة – بوجه النبي ﷺ – أي : متوسِّلاً به – ، فسقوا . ولذلك يقول فيه عبد المطلب :

---

(١) وراجع « شواهد الحق » . (منه) .

(٢) المطر . (هامش الأصل) .

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثِمَال[1] اليَتَامى عصمة للأرامل

انتهى ١٠٢ .

وفي « ترشيح المستفيدين » : ويستشفع كلٌّ بخالص عمله ، وبأهل الخير ، سيما أقاربه ﷺ . انتهى ٩٩ فراجعهما من صلاة الاستسقاء .

الغزالي مجاب الدعوة

وقال الشيخ محمد مرتضى الزبيدي النقشبندي قدّس سره في « إتحاف السادة المتقين شرح الإحياء » للإمام الغزالي : وقد كان – يعني : الإمام الغزالي – مُجابَ الدعوة ، مقبولَ الشَّفاعة ، وذكر غير واحد أنَّ من توسَّل به إلى الله تعالى في حاجةٍ قُضِيَت له ، فها أنا متوسِّل به إلى المولى جلَّ شأنُهُ أنْ يُعيدَ عليّ وعلى سائر المسلمين مِنْ بركات هذا الكتاب ، ومؤلفه ، ويميتنا على كلمة الإخلاص إلخ . انتهى فراجعه في ٥٥٧ من الجزء العاشر .

منفعة الدعاء بالنبي ﷺ وبالأولياء

وقال الشَّعراني في « لواقح الأنوار » بعد كلام في إتيان الحمد والصلاة على النبي ﷺ قبل الدعاء : فإذا حمدنا الله تعالى رضي عنّا وإذا صلَّينا على النبي ﷺ شَفِعَ لنا عند الله في قضاء تلك الحاجة ، وقد قال تعالى ﴿ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ ، وتأمّل بيوت الحكام تجدها لا بدَّ لك فيها من الواسطة الذي له قُربٌ عند الحكام وإدلال عليه ؛ ليمشي في قضاء حاجَتِكَ ، ولو أنَّك طلبت الوصولَ إليه بلا واسطة لم تصل إلى ذلك . وإيضاح ذلك : أنَّ مَنْ كان قريباً من الملك فهو أعْرَف بالألفاظ التي

---

(١) الثمال – ككتاب – : الغياث ، والذي يقوم بأمر قومه . وقيل : الثمال : المُطعِم في الشدة ، والثمل – محرَّكة – : الشكر . « مجمع البحرين » . (هامش الأصل) .

يُخاطِب بها الملك ، وأعْرَف بوقت قضاء الحوائج . **ففي سؤالنا للوسائط سلوك للأدب معهم ، وسرعة لقضاء حوائِجِنا** ، ومن أين لأمثالنا أن يَعْرف أَدَبَ خِطاب الله عزَّ وجلّ ؟ ! .

وقد سمعت سيدي علياً الخواص رحمه الله يقول : **إذا سألتم الله حاجة فاسألوه بمحمد** ﷺ ، وقولوا : اللهم إنا نسألك بحق محمد أن تفعل لنا كذا وكذا ، فإن لله ملكاً يبلغ ذلك لرسول الله ﷺ ، ويقول له : إن فلاناً سأل الله تعالى بحقك في حاجة كذا ، فيسأل النبي ﷺ ربه في قضاء تلك الحاجة ، فَيُجاب ، **لأن دعاءَه** ﷺ **لا يُرَدُّ** .

قال : وكذلك القول في سؤالِكم الله تعالى بأوليائه ، فإنَّ الملك يبلغهم ، فيشفعون له في قضاء تلك الحاجة . والله عليم حكيم . انتهى عبارته ٢ ج٢ .

وقد قال مصطفى البكري الصِّدِّيقي في قصيدته اليائية في التوسُّل بالنبي ﷺ وأصحَابِه وآله والأئمَّة وأهل الطريقة ، حتى قال :

بالشاذِليِّ الحبر مَنْ ... أبدى الشموس المغربية

وامــتدَّ نـور طريقه ... فَـهَدى البدور المشرقية

وبـكل من نسبوا له ... حــتى سُمُـوا بالشاذلية

إلى آخره[1] .

وقال تاج الدين السبكي في « القصيدة المنفرجة » :

يارب بهـم وبآلـهم ... عـجِّل بـالنصر وبالفرج

انتهى .

---

(١) من هامش « مجموعة الأحزاب » في ٦٨١ ج٢ . (منه) .

وقال البويصري :

يا أكرم الخَلْقِ مالي مَن ألوذ به   سواك عند حلول الحادث العمم

انتهى .

وأمثالها في الأحزاب والدعوات كثيرة لا تحصى .

وقال القطب عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه في أبيات له :

فمُـــريدي إذا دَعَــاني بِشـــرقٍ   أو بِغَربٍ أو غَار في بحر طامي

فأغيثه لـو طـــار فـــي هــواء   أنـــا سيف القضاء كل خصامي

أنا عَبْد القادِرِ طابَ[1] وقــتـــي   جَــدِّي المصطفى حبيبي إمامي

انتهى .

وقال رضي الله عنه في قصيدة له أيضاً :

أنا قطب أقطاب الوجـود حقيقة   علـى سائر الأقطاب قولي وحُرمَتي

تَوَسَّل بنا في كل هولٍ وشـدةٍ   أغــيثُكَ فـي الأشياء دهْراً بِهِمَّتي

أنـا لمريدي حافظاً ما يخــافه   وأَحْرُسُهُ فــي كــل شـــرٍّ وفتنةِ

مُريدي إذا ما كانَ شرقاً ومغرباً   أغِثْه إذا مــا ســارَ في أيِّ بلدةِ

مرتبة محمد النقشبندي

ورأيت في « مناقب الأحمدية » ما لفظه : وقال - يعني محمد النقشبندي رضي الله عنه - : **أُعطيتُ من الحقِّ سبحانه مرتبة عظيمة؛ تقضى بي الحوائج** ، وتدفع بي البلايا ، فالتجئوا إليّ تقض حوائجُكم بفعلِ الله سبحانه . انتهى عبارته ٦ .

---

(١) وفي نسخة : قد طاب .

وفي « البريقة المحمودة » في ٣٣٤ ج٢ وجوّز في « البزازية » أن يقول : بحُرمة فلان .

وفي « المنية » وفي « الآثار » ما يدل على الجواز .

أقول : بل الاستِحباب كما نقل عن بعض العارفين : إذا سألتم مِن الله شيئاً فاسألوه بي ، فإنّي أنا الواسطة الآن بينكم وبينه .

وعن أبي العباس المُرسي : **مَن كانت له حاجة إلى الله فليتوسَّل لقضائها بالغزالي** . ونحوه كثير في الكتب كـ« الحصن الحصين » انتهى عبارته .

وفي « الفتاوى العمرية » : وأما التوسُّل بالأنبياء والأولياء والعلماء ؛ فقد نص أئمَّتنا أنه يجوز التوسُّل بأهل الخير والصلاح ؛ سواء كانوا أحياء أو أمواتاً ، **ولا ينكر ذلك إلا من ابتلي بالحرمان وسوء الخاتمة والعقيدة** . انتهى عبارته .

وفي « ذخيرة المعاد » : وقد سئل الإمام عمر بن عبد الكريم بن عبد الرسول العطار المكِّيّ رحمه الله تعالى ، ونَفَع به - عَن التوسُّل بالأنبياء والأولياء والعلماء والصالحين هل هو مُسْتَحَبٌّ ؟ ولا فرق بين كَونِهِم أحياء وأمواتاً ! وهل يجوز إسناد الفعل إليهم مِن غير اعتقاد تأثير ؟ . . . إلخ فأجاب بجوابٍ شافٍ جامع ، نقل فيه من الدلائل الصحيحة الصريحة ، في جواز ذلك ، ومن جملة ما استدلّ به الحديث القدسي : « ما زال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل . . » إلى آخره . ثم قال بعده : ولأن الله تعالى اجتباهم وارتضاهم واصطفاهم ، واختصّهم بكمالات ومعارف ومزيّات لم يجعلها لغيرهم ، فمن قال : « اللهم إنّي أتوسَّل إليك برُسُلِك وأنبيائِك وأوليائِك » ونحو ذلك ، فإنَّما يريد باجتبائك وارتضائِك واصطِفائِك واختصاصِك إياهم بالرسالة والنبوَّة والولاية ، ونحو ذلك ، **وهذه صفات أفعال الله**

تعالى . **فالتوسُّل بها ليس توسُّلاً بغيره تعالى** ، وحينئذٍ فلا فرق بين النبي ﷺ وغيره مِنَ الأنبياء والأولياء ، ولا بين كونهم أحياء وأمواتاً[1] **على أن** الشهداء أحياءٌ بالنصّ ، **فالأنبياء أولى** . هذا حاصل ما ذكره .

وقال ابن علان رحمه الله تعالى في « حاشية الأذكار النووية » على الكلام على حديث « اللهم إنِّي أسألك بحق السائلين عليك »[2] ، أي : بالحق الذي جعلته لهم عليك من محض فضلك بوعدك الذي لا يخلف ، وفيه التوسُّل بحق أرباب الخير على سبيل العموم من السائلين ، ومثلهم بالأولى الأولياء والمرسلون[3] ، أما السؤال بحق معين ! فمنعه ابن عبد السلام إلا بحقه ﷺ ، لمزيد كرامته دون غيره ، وأجازه آخرون ، وحتى بالأولياء والعارفين .

قال العارف بالله تعالى أبو العباس المرسي : من له إلى الله تعالى حاجة فليتوسَّل[4] إليه بحق حجة الإسلام الغزالي . انتهى[5] عبارته ٣٢ .

أصل مشروعية الزيارة

وفي « ذخيرة المعاد » : أيضاً : والزائر والمزور ينتفعان بالزيارة ،

---

(١) كرامات الأولياء ثابتة ، وتصرُّفهم لا ينقطع بالموت ، ويجوز التوسُّل بهم إلى الله تعالى ، والاستغاثة بالأنبياء والمرسلين وبالعلماء والصالحين بعد موتهم ، لأنّ معجزة الأنبياء وكرامة الأولياء لا تنقطع بعد موتهم . كذا نقله يوسف النبهاني عن الشمس الشوبري في « شواهد الحق » . فراجعه في ٦٥ . (منه) (هامش الأصل) .

(٢) قال صاحب « البريقة » : وقد وقع مثله في بعض الدعوات المأثورة نحو : « اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك ، وبحقِّ محمد عليك » آمين . كما في « الحزب الأعظم » لعلي القاري الذي التزم أن لا يجعل فيه شيئاً غير الحديث . انتهى ٣٣٣ ج٢ . (منه رحمه الله إفلاسه) (هامش الأصل) .

(٣) وفي نسخة : المرشدون .

(٤) وهذا القول بعينه مذكور في « الطبقات » أيضاً (منه) .

(٥) من هامش « عقد اليواقيت » .

وفي الجمع أولى ، إذا كان غير مصحوب بشيء من المنكرات ، فقد نقل السيد المذكور وغيره عن الفخر الرازي رحمه الله تعالى في « المطالب » في بيان كيفية الانتفاع بزيارة القبور والموتى : أنَّ الإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسانٍ قويّ النفسِ ، كاملِ الجوهرِ ، ووقفَ هناكَ ساعة ، وحصل تأثّر في نفسه من تلكَ التربة ، حتى حصل من نفس الزائر تَعَلُّق بتلك التُربَة .

ولا يخفى أن لنفسِ ذلك الميت تعلقاً بتلك التربة أيضاً ، فحينئذٍ يحصل لنفس الزائر الحي ، ولنفس ذلك الميِّت ملاقاة بسبب اجتماعهما على تلك التربة ، فصار هاتان النفسان شبيهتين بمرآتين صقيلتين وُضِعَتا بحيث ينعكس الشعاع عن كل واحدة منهما إلى الأخرى ، فكل ما حصل في نفس هذا الزائر الحي ؛ من المعارف البُرهانية ، والعلوم الكَسبية ، والأخلاق الفاضلة ، من الخشوع لله ، والرضاء بقضاء الله ؛ ينعكس منه نور إلى روح ذلك الإنسان الميت من العلوم المشرقة ، والآثار القويَّة الكاملة ، ينعكس فيها نور إلى روحِ هذا الزائر الحي .

وبهذه الطريقة تصير تلك الزيارة سبباً لحصول المنفعة الكبرى ، والبهجة العظمى لروح هذا الزائر ، ولروح المزور ، **فهذا السبب والأصل في مشروعية الزيارة** .

ولا يبعد أن يحصل أسرار أخرى أدق وأخفى ، كما ذكرنا . وتمام الحقائق ليس إلا عند الله تعالى . انتهى عبارته ٣٧ .

وقد أطلتُ الكلام في حقِّ هذا الأمر ؛ نظراً إلى أن السائل قد سأل عما ذكر مؤلف « البغية » بما يخالف أقوال السادات[١] ، فوقع الاحتياج لتكثير الأدلَّة ببيان ما قالوه مما يعارضه مِن الكُتب العديدة ، التي صَرَّحَ مؤلفوها بجواز التوسُّل بالأولياء والصالحين . ويكفي للمنصف المحق ما

---

(١) بل يعارض ما ذكره فيه في موضع آخر كما مرّ . (منه) ، (هامش الأصل) .

ذكرناه في هذا البرج .

وأما المعاند المنكر ؛ فلا ينفعه ، ولو قُرئَ عليه جميع الكتب الإلهية ، والأخبار النبويَّة ﴿ **رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا** ﴾ .

ثمَّ إن كاتب المسائل - أرشده الله تعالى إلى كل ما فيه صلاحه في الدارين . آمين - كتب في آخر مسائله بما لَفْظه : ليس قصدي بهذا - والله - امتحانٌ وعناد إلى هذه الجهة ، بل غاية قصدي إزالة الإشكال ، وتوضيح المقال ؛ من رَشْفَة بحر الحبر الكامل . انتهى عبارته من خطه .

ومن هنا هممْتُ أن أضع نُبْذة مما ذكره المشائخ في كتبهم في المنع عَن الإنكار والاعتراض على الطائفة الصوفية ، فأقول :

البرج الخامس عشر
في بيان أن الإنكار على الصوفية سم قَاتِلٌ

قال العارف بالله القطب الحقيقي أحمد ضياء الدين : واعلم أن الإنكار على السادات الصوفيّة والطريقة العليّة ، المتّبعين للسنّة السنيّة ، والدافعين للبدعة الرديّة ، خصوصاً أهل العلم النافع ، والعمل الرافع ، والمعارف والأسرار ، والكشف الصحيح والأَنوار ، سَمٌّ قاتلٌ ، وهلاك عظيم ، وقد ورد به الوعيد الشديد ، وهو أمر خطير ، وهو علامة إعراض القلب عن الله تعالى وحشوه بالأمراض ، **ويُخْشى على فاعِله سوء الخاتمة** - والعياذ بالله - ، **وهو لا يصدر غالباً إلاّ منْ بعض المُتَفَقِّهَة القاصرين** . كما قال العارف عبد الغني النابلسي .

وقد اعتاد المتفقِّهة في كل زمان على التفتيش عن عيوب الناس

الشرعية ، بحيث لا يؤوِّلون ما يجدونه مخالفاً لعلمهم : وإن كان له ألف تأويل ، بل ينكرون بمقتضى علمهم ما يكون محتملاً للخطأ ؛ ولو بوجه ضعيف ؛ وإن كان صوابه ظاهراً ، بل ربما بعضهم يجهّل مذهب الآخر ، فَيُنْكِر عليه ما خالف مذهبه ، بل ينكرون أصل الطريق وأربابها كلها ! **وهذه طريق المتفقِّه المتعصِّب ، والسفهاء ؛ لا الفقهاء** ، فإنهم قاصرون ؛ مرادهم أن يُعرفوا بين الناس بالعلم والفقه والرياسة لأغراض شيطانيَّة يريدون إنفاذها ، وشهواتٍ نفْسَانية يحاولونَ إيجادها ، فيضطرهم الأمرُ إلى التَّفتيش عن عيوب النّاس ، فكيف يؤوِّلون شيئاً مقصودهم التفتيش عليه ؟ ! ومتى ظفروا بوجه فاسدٍ في حال إنسان فكأنهم ظفروا بِمُلك الدُّنيا ، ويفرحون شديداً ؛ إن رأوا حسنةً في الكامل دفنوها ، وإن رأوا سيِّئةً أفشوها ، فمن المحال أن يقبلوا عثرةَ مؤمنٍ ، أو يتغافلوا عن زلّة مسلم ، لأنهم في زعمهم لا يرتقون ولا بشيء لا يرتفعون إلا بإنكار المناكر ؛ خصوصاً على الكامل الخاشع ، والعابد الذاكر ، فيكونون ضالِّين ومضلِّين .

وأمَّا الفقهاء أصحاب القدم الراسخ في العلوم على حسب المذاهب الأربعة ، فإنَّ قلُوبَهم متجافية عن الدُّنيا ، مُقبِلة على الآخرة ، وبسبب ذلك لا حسد عندهم ولا تكبُّر ، ولا عداوة ولا حِقد ، ولا رياء ولا سُمعة ، يعلمون أحكامَ الله تعالى على وجه التحقيق أصولاً وفروعاً . انتهى « متممات » فراجعه ١٩٤ .

المنكر على أولياء الله ساقط من عين الله

وقال عمرو بن سعيد الغوثي الطوري الكدوي – رحمه الله تعالى – في كتابه « رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم » في الفصل السادس :

اعلم أن المُنكر على الأولياء ساقط من عين الله ، وهالك في الدُّنيا والآخرة ، وأنَّه في لعنة الله ومحاربته ، قال الله تعالى ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا** ﴾ ومعنى الآية عند المفسِّرين : أن الذين يؤذون أولِياء الله .

وروى البخاري عن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – أنَّه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى قال من عادى لي وليّاً فقد آذنْته بالحَرْبِ »

وفي « شرح الفشني على الأربعين النّوويّة » : « مَنْ آذى[1] لي وليّاً » أي اتخذه عدوّاً « فقد آذنته بالحرب » : أي أعلمته بأني محارب له عنه ، بمعنى : أني مهلكه . ثم قال بعد كلام :

تنبيه : قال الفاكهاني رحمه الله تعالى : من حاربه الله أهلكه .

وقال غيره : **إيذاء أولياء الله علامة على سوء الخاتمة ، كأكل الربا** – عافانا الله تعالى من ذلك – **فمن والى أولياء الله أكرمه الله ومن عادى أولياء الله أهلكه الله .**

قال أبو تراب النخشبي رحمه الله تعالى : إذا ألف القلب ثمر الإعراض عن أهل الله ؛ صحبته الوقيعة في أولياء الله . ثم ذكر تنبيهاً يناسب المقام .

---

(١) يعني من أغضب وآذى واحداً من أوليائي فقد آذنته ؛ أي أعلمته بأني سأحاربه ؛ أي سأقهره وأعذبه . وأولياء الله هم المطيعون له ، وليس المراد بالولي هنا الولي المعهود بين المشائخ ، بل كلُّ مُتّقٍ داخل في هذا الحديث لقوله تعالى ﴿ **وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ** ﴾ « مفاتيح شرح المصابيح » .

وضابط الولي : أنه المواظب على فعل الطاعات ، واجتناب المنهيات ، المعرض عن الانهماك في اللذات . انتهى .

قال علي بن أبي طالب : أولياء الله قوم صفر الوجوه من السهر ، عمش العيون من العبر ، خمص البطون من الجوع ، يبس الشفاه من الذكر « مدابغي على فتح المبين » .

قصة جرجيش مع الملك الظالم

روى حاتم الأصم عن جماعة من أصحاب العلم والهمم أن جرجيش نبي من أنبياء بني إسرائيل ، كان في زمانه ملك كثير الفساد ، مصر على مظالم العباد ، فمنع الله عنه المطر ، حتى أشرف هو ومن معه على الهلاك والضرر ، فركب هذا الكافر الظالم الغادر في عساكره حتى أتى جرجيش ، فوجده في صومعته وهو يكثر التسبيح والتقديس ، فقال له : يا جرجيش ؛ إني أحملك رسالة ربك . فقال جرجيش : وما تلك ؟ قال : أن تقول لربك يأتينا بالمطر ، وإلا ! آذيته إذاية يسمعها سائر البشر . فدخل جرجيش في محرابه ، وقد خرس من خوف الله عن جوابه ، فجاء جبريل بأمر الملك الجليل ، فقال له : هات الرسالة التي معك على الوجه الذي قال لك ، فقال : إني أخاف من الله ذي الجلال عند مقال ذلك القول على مقال[1] ، فقال جبريل : يا جرجيش ؛ قل كما قال ، هكذا أمر الملك المتعال . فقال جرجيش : يأتينا بالمطر ، وإلا آذيته إذاية يسمعها سائر البشر . فقال جبريل : يا جرجيش ؛ ربك يقول لك : قل له بم تؤذيه ؟ ! فمضى جرجيش وأعاد الرسالة عليه ، فقال الملك : لا قدرة لي على إذايته إلا من وجه واحد ، لأني ضعيف وهو قوي ، وأنا عاجز وهو قادر ، وإنما أؤذي أحباءه ، ومن آذى أحباءه فقد آذاه . فجاء جبريل عليه السلام فقال : يا جرجيش قل له : لا تفعل ، فنحن نأتيك المطر ، ثم جاءت السماء بالسحاب ، وامتلأت الصحارى بالسيول من كل جانب ، مدة ثلاثة أيام بإذن ربِّ الأرباب . وأَمَرَ الله تعالى النبات في تلك الأيام الثلاثة أن يطلع . فلما طلعت الشمس نظر إلى الحياض مرتعة ، والفلوات مُشرقة ، والزروع إلى صدر الإنسان طالعة ، والرياض مروّقة ، فرَكِبَ الملك ، وأتى إلى باب جرجيش ، وهو في صومعته يكثر من التسبيح والتقديس ، فخرج إليه

---

(١) وفي نسخة : مقالي .

وقال : يا هذا ؛ ما تريد مني ؛ لِمَ لا تشتغل بملكك عني ؟ لا تحمِّلني مثل تلك الرسالة ؛ فإن فيها فظاعة ! فقال : يا نبي الله ما أتيت حرباً ، فقد أتيت سلماً ، وقد انفتح بصر الضعيف الأعمى ، **فإن من عمل الإحسان مع عدوه لأجل وليه يجب أن تسجد الجبال لعظمته** ، وإني أريد المصالحة ، لتكون صفقتي رابحة ، فقد ظهر لي أن أسرار التوحيد لائحة ، إني أشهد أن لا إله إلا الله ، ولا معبود بحق سواه .

إخواني دَلَّ الحديث الإلهي أن عدوّ وليّ الله عدوٌّ لله ، فمن عاداه كان كمن حاربه ، نعوذ بالله تعالى من الإنكار والحرمان . انتهى كلام الفشني .

وفي « لطائف المنن » : فأصغِ - رحمك الله - إلى ما تضمنه هذا الحديث من غزارة قدر الولي ، وفخامة رتبته ، حتى ينزل الحق سبحانه وتعالى هذه المنزلة ، ويحلّه هذه الرتبة ، فقوله ﷺ عن الله تعالى « **من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب** » لأن الولي خرج عن تدبيره إلى تدبير الله ، وعن انتصاره لنفسه إلى انتصار الله له ، وعن حوله وقوته بصدق التوكّل على الله عز وجل ، فقد قال سبحانه وتعالى ﴿ **وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ** ﴾ ، وقد قال الله عز وجل ﴿ **وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ ، وإنما كان ذلك لهم لأنهم جعلوا الله تعالى مكان همومهم ، فدفع عنهم الأغيار ، وقام لهم بوجود الانتصار .

وقال بعد كلام : ولقد سمعت شيخنا أبا العباس رضي الله تعالى عنه يقول : **ولي الله مع الله كولد اللَّبْوة في حجرها ، أتراها تاركة ولدها لمن أراد اغتياله ؟!** ، وقد جاء في بعض الأحاديث : أنه ﷺ كان في بعض غزواته وامرأة تطوف على ولدها الرضيع ، فلما وجدته حنت إليه وألقمته الثدي ، فنظر الصحابة إليها متعجبين ، فقال رسول الله ﷺ : « الله أرحم بعبده المؤمن من هذه بولدها » . ومن هذه الرحمة برز انتصارُ الحق لهم

ومحاربة من عاداهم ، إذ هم حمال أسراره ، ومعادن أنواره ، وقد قال الله سبحانه وتعالى ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ ، وقال الله سبحانه لمن آذى أولياءه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾ .

مهم

غير أن مقاتلة الحق سبحانه لمن آذى أولياءه ليس يلزم أن تكون معجلة لقصر مدة الدنيا عند الله ، **ولأن الله لَمْ يرض الدنيا أهلاً لعقوبة أعدائه ، كما لم يرضها لإثابة أحبائه .**

وإن كانت معجلة ! فقد تكون قسوة في القلب ، أو جموداً في العين ، أو تعويقاً عن طاعة ، أو وقوعاً في ذنب ، أو فترة في الهمة ، أو سلب لذاذة خدمة .

وقد كان رجل في بني إسرائيل أقبل على الله ثم أعرض عنه ، فقال : يا رب كم أعصيك ولا تعاقبني ! ! فأوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان أن قُلْ لفُلان : **كم عاقبتك ولم تشعر !!** ألم أسلبك حلاوة ذكري ولذاذة مناجاتي ؟ !

قال ابن عطاء الله : وفائدة هذا البيان أن لا يحكم لإنسان آذى وليّاً من أولياء الله تعالى بالسلامة ؛ إذا لم ير عليه محنة في نفسه وماله وولده ؛ فقد تكون محنته أكبر من أن يطلع العباد عليها . انتهى .

وقال ابن عطاء الله في « لطائف المنن » أيضاً وصيَّة وإرشاداً : إياك أيها الأخ ؛ أن تصغي إلى الواقعين في هذه الطائفة والمستهزئين ، لئلا تسقط من عين الله ، وتستوجب المقت من الله ، فإن هؤلاء القوم جلسوا مع الله على حقيقة الصدق وإخلاص الوفاء ، ومراقبة الأنفاس مع الله ، قد سلَّموا قيادهم إليه ، وألقوا أنفسهم سِلْماً بين يديه ، تركوا الانتصار لأنفسهم حياء من ربوبيته لهم ، واكتفوا بقيُّوميته ، فقام لهم بأوفى ما

يقومونَ به لأنفسهم . **وكان هو المحارب عنهم لِمَن حَارَبَهُم** ، والغالب لمن غالبهم ، ولقد ابتلى الله سبحانَه هذه الطائفة بالخلق ، خصوصاً بأهل العلم الظاهر ؛ فقَلَّ أن تجد منهم مَن شرح الله صدْرَه للتصديق بوليّ معيّن ، بل يقول لك : نعم نعلم أن الأولياء موجودون ، ولكن أين هم ؟ ! فلا تذكر له أحداً إلا وأخذ يدفع خصوصية الله فيه طَلْق اللسان بالاحتجاج ، عارياً من وجود نور التصديق ، **فاحذر ممَّن هذا وصفه ، وفِرَّ منه فرارك من الأسد** ، جعلنا الله وإياك من المصدِّقين بأوليائه بمنِّه وكرمه ، إنه على كلِّ شيء قدير . انتهى عبارته . ٥٣ ج١ .

وفي « العهود المحمدية » : أخبرني سيِّدي علي الخواص أن شخصاً من القضاة كان يؤذي سيدي إبراهيم المتبولي وينكر عليه ، وكان القاضي سيء الخلق ، فلما مات تصور سوء خلقه كلباً أسود ، فجلس على نعشه والناس ينظرون ، إلى أن نزل معه في القبر . انتهى .

قصة ابن السقا

وفي « حياة الحيوان » للدميري عند ذكر الذباب : وفي « تاريخ ابن خلكان » في ترجمة الإمام يوسف بن أيوب بن زهرة الهمداني الزاهد ؛ صاحب المقامات والكرامات والأحوال الباهرات : أنه جلس يوماً للوعظ ، فاجتمع إليه العالم ، فقام من بينهم فقيه يعرف بابن السقا ، وأتاه وسأله عن مسألة ، **فقال له الإمام يوسف : فإني أجد من كلامك رائحة الكفر ، ولعلك تموت على غير دين الإسلام !** فقدِمَ رسولُ ملك الروم إلى الخليفة ، فخرج ابن السقا مع الرسول إلى بلاد القسطنطينية فتنصر ومات نصرانيّاً . وكان ابن السقا قارئاً للقرآن ، مجوّداً في تِلاوته ، وحَكى من رآه في القسطنطينية قال : رأيتُه مريضاً ملقى على دكان ، وبيده مِرْوحةٌ[1] يدفع

---

(١) كمكنسة : آلة يتروّح بها . « قاموس » (هامش الأصل) .

بها الذباب عن وجهه ، فقلت : هل القرآن باق على حفظك ؟ قال : ما أذكر منه إلا آية واحدة وهي : ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ والباقي نسيته . انتهى . نعوذ بالله من سَخَطه وخذْلانه ، ونسأله حسن الخاتمة .

حِراب العلماء العارفين مسمومة

قال : فانظر يا أخي ؛ كيف هلك هذا الرجل ، وخذل بالانتقاد وترك الاعتقاد ؟ ! نسأل الله السلامة . فعليك يا أخي بالاعتقاد على المشائخ العارفين ، والعلماء العاملين والمؤمنين الصالحين ، فإن حرابهم[1] مسمومة ، فقلّ من تعرَّض لها وسَلِمَ ، فسلِّمْ تَسْلَمْ ، ولا تنتقد فتندم ، واقتدِ بإمام العارفين في وقته الشيخ محيي الدين عبد القادر الجيلاني ، لما عزم على زيارة الغوث بمكة ، وقال رفيقاه : ما بالنا ؟ فقال : أما أنا فذاهب على قدم الزيارة والتبرك ؛ لا على قدم الإنكار والامتحان ، فآل أمره إلى أن قال (قدمي هذه على رقبة كل ولي لله تعالى) ، وآل أمر رفيقِهِ إلى الكفر ، وترك الإيمان بالانتقاد ، وترك الاعتقاد ، كما اتفق في هذه الحكاية . وآل الأمر للآخر اشتغاله بالدنيا ، وترك خدمة المولى ، لقلة التوفيق نسأل الله التوفيق والهداية ، والإماتة على الإيمان به وبرسوله ﷺ ، والاعتقاد الحسن في أوليائِه وأصفيائِه ، بجاه محمَّد وآله . انتهى . كلام الدميري ٢٣ . « رماح » .

وقد ذكر ابن حجر في خاتمة « الفتاوى » القصة المذكورة بكيفية أخرى بالتمام ، فقال : وحكى إمام الشافعية في زمنه أبو سعيد عبد الله بن أبي عصرون قال : دخلت بغداد في طلب العلم ، فوافقت

---

(١) الحربة : كالرمح ، وتجمع على حراب ، مثل كلبة وكلاب . « مصباح » (هامش الأصل) .

ابن السقا ، ورافقته في طلب العلم بالنظامية ، وكنا نزور الصالحين ، وكان ببغداد رجل[1] يقال له الغوث ؛ يظهر إذا شاء ، ويختفي إذا شاء ، فقصدنا زيارته أنا وابن السقا والشيخ عبد القادر ، وهو يومئذ شاب ، فقال ابن السقا - ونحن سائرون - : لأسألنَّه مسألة لا يدري لها جواباً . وقلت : لأَسْأَلَنَّهُ مسألة وأنظر ماذا يقول فيها ! وقال الشيخ عبد القادر : معاذ الله أن أسأله شيئاً ، أنا بين يديه أنتظر بركة رؤيته . فدخلنا عليه ، فلم نره إلا بعد ساعة ، فنظر الشيخ إلى ابن السقا مغضباً وقال : ويحك يا ابن السقا تسألني مسألة لا أدري لها جواباً ! هي كذا وجوابها كذا . **إني لأرى نار الكفر تلتهب فيك** . ثم نظر إليّ وقال : يا عبد الله أتسألني عن مسألة لتنظر ما أقول فيها ! هي كذا وجوابها كذا . لتخرنّ الدنيا عليك إلى شحمة أذنيك بإساءة أدبك . ثم نظر إلى شيخ عبد القادر وأدناه منه وأكرمه ، وقال : يا عبد القادر **لقد أرضيت الله ورسوله بحسن أدبك ، كأني أراك ببغداد وقد صعدت الكرسي متكلّماً على الملأ ، وقلتَ : قدمي هذه على رقبة كلّ ولي لله** ، وكأني أرى الأولياء في وقتك وقد حنّوا رقابهم إجلالاً لك . ثمَّ غاب عنَّا فلم نره . قال : وأما الشيخ عبد القادر فقد ظهرت أمارات قربه من الله ، وأجمع عليه الخاص والعام . وقال : قدمي . . . . إلخ ، وأقرت الأولياء في وقته له بذلك ، وأما ابن السقا فإنه اشتغل بالعلوم الشرعية حتى برع فيها ، وفاق فيها كثيراً من أهل زمانه ، واشتهر بقطع من يناظره في جميع العلوم ، وكان ذا لسان فصيح ، وسَمْتٍ بهيّ ، فأدناه الخليفة منه ، وبعثه رسولاً إلى ملك الروم ، فرآه ذا فنون وفصاحة وسمت فأعجب به ، وجمع له القسيسين والعلماء بالنصرانية ، فناظرهم وأفحمهم ، وعجزوا ، فعظم عند الملك ، فزادت فتنته ، فتراءت له بنت الملك فأعجبته ، وفُتِنَ بها ، فسأله أن يزوجها له ! فقال : إلا إن تتنصَّر . فَتَنَصَّر وتزوَّجها ، ثُمَّ

---

(١) وهو يوسف الهمداني . (هامش الأصل) .

مرض ، فألقوه بالسوق يسأل القوت فلا يجاب ، وعَلَتْهُ كآبة وسواد ، حتى مر عليه من يعرفه فقال له : ما هذا ؟ قال : فتنة حَلَّت بي بسببها ما ترى . قال له : هل تحفظ شيئاً من القرآن ؟ قال : لا إلا قوله تعالى ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ . قال : ثم خرجت عليه يوماً فرأيته كأنه قد حرق وهو في النزع ، فقلّبته إلى القبلة ، فاستدار إلى الشرق ، فعُدْتُ فعاد ، وهكذا إلى أن خرجت روحه ؛ ووجهه إلى الشرق ، وكان يذكر كلام الغوث ويعلم أنه أصيب بسببه .

قال ابن أبي عصرون : وأما أنا فجئت إلى دمشق ، فأحضرني السلطان الصالح نور الدين الشهيد وأكرهني على ولاية الأوقاف ، فوليتها ، وأقبلت عليّ الدنيا إقبالاً ، فقد صدق قول الغوث فينا كُلِّنا .

وفي هذه الحكاية التي كادت أن تتواتر في المعنى لكثرة ناقليها وعدالتهم ؛ فيها أبلغ زجر ، وآكد ردع عن الإنكار على أولياء الله تعالى ؛ خوفاً من أن يقع المنكر فيما وقع فيه ابن السقا من تلك الفتنة المهلكة الأبدية التي لا أقبح منها ولا أعظم منها . فنعوذ بالله من ذلك ، ونسأله بوجهه الكريم وحبيبه الرؤوف الرحيم أن يؤمننا من ذلك ، ومن كل فتنة ومحنة ، بمنّه وكرمه . وفيها أيضاً أتم حث على اعتقادهم ، والأدب معهم ، وحسن الظن بهم ما أمكن . انتهى عبارته ٢٣١ .

وقال ابن حجر في موضع من « الفتاوى الحديثية » في ٢٤٣ - بعد ذكره طرفاً من هذه القصة المذكورة - : وإن إمام العارفين ، وتاج الخلفاء الوارثين ، محيي الدين عبد القادر الجيلاني رضي الله تعالى عنه وهؤلاء الثلاثة جاؤا للوليّ معاً ، فوقع للأولين ما ذكر ، وأما الشيخ عبد القادر لما تأدب معه دعا له ، ووعده بالولاية ، بل القطبية ! وأن قدمه سيصير على عنق كل ولي لله تعالى ، فانظر شؤم قلة الأدب ، وفائدة الأدب والاعتقاد .

وجاء من المشائخ العارفين والأئمة الوارثين أنهم قالوا : **أقل عقوبة المنكر على الصالحين أن يحرم بركتهم . قالوا : ويخشى عليه من سوء القضاء .**

وقال بعض العارفين : من رأيتموه يؤذي الأولياء ، وينكر مواهب الأصفياء ، فاعلموا أنه محارب لله ، مبعد مطرود عن حقيقة قرب[1] الله .

وقال الإمام المجمع على جلالته وإمامته أبو تراب النخشبي رضي الله عنه إذا ألف القلب الإعراض عن الله صحبته الوقيعة في أولياء الله تعالى .

وقال الإمام شاه بن شجاع الكرماني : **ما تعبد متعبد بأكثر من التحبب إلى أولياء الله ، لأن محبتهم دليل على محبة الله عز وجل .** وقال أبو القاسم القشيري :قبول قلوب المشائخ للمريد أصدق شاهد لسعادته ، ومن ردّه قلب شيخ من الشيوخ فلا محالة يرى غِبّ ذلك ولو بعد حين ، ومن خذل بترك حرمة الشيوخ فقد أظهر رقم شقاوته ، وذلك لا يخطىء . انتهى .

ويكفي في عقوبة المنكر على الأولياء قوله ﷺ في الحديث الصحيح : « من آذى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب » أي : أعلمته أني محارب له ، ومن حاربه الله لا يفلح أبداً .

وقد قال العلماء : لم يحارب الله عاصياً إلا المنكر على الأولياء ، وآكل الربا ، وكل منهما يخشى عليه خشية قريبة جدّاً من سوء الخاتمة ، **إذ لا يحارب الله إلا كافراً** . انتهى عبارته .

---

(١) وراجع « الطبقات » للشعراني في صحيفة ٧٩ وفي ٤٦ (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

حكاية الشيخ الصنعاني

حكاية ينبغي روايتها في هذا الموضع: قال مؤلف «تفريج[1] الخاطر»: ذكروا أن الغوث - يعني عبد القادر الجيلاني - لما قال (قدمي هذه على رقبة كل ولي لله) فبأمر من الله وضع جميع الأولياء الحاضرين والغائبين رقابهم، تعظيماً لجلاله، وانقياداً لكماله، إلا ذلك الرجل الشيخ في أصفهان[2]، فكشف للغوث عدم انقياده، فقال في حقه: فعلى رقبة رجل الخنزير[3]. فبعد مدة نوى ذلك الشيخ زيارة بيت الله مع المريدين الكاملين: الشيخ محمود المغربي، والشيخ محمّد فريد الدين العطار، فوقع مرورهم على بلدة من بلاد الكفار، فوقع نظر الشيخ على بنت بديعة الحسن والجمال، ليس لها شبيه ولا مثال، قائمة على القصر، تنظر الأطراف، وعينها تصيد الأشراف، فبمجرد رؤيته إياها وقع الشيخ مغشيّاً عليه، وراح العقل من يديه، وبمشاهدة حسنها وجمالها لم يطق أن يبرح من مكانه، فلما رأت البنت محبته، تمكنت في قلبها مودته، ولم تبرح هي أيضاً من مكانها، وانقطعت عن أكلها ومنامها، فعلم والدها بحالها، وتفكر كيف يكون بالها، واضطرب اضطراباً شديداً، ولم ير غير الازدواج[4] رأياً سديداً، وأخبر الشيخين بما في باله، فاختار الشيخ طريق ضلاله، فأخبره أبوها أن قاعدة ازدواجهم حين إعطاء بنتهم إلى أحد: أن يجعلوه راعي الخنازير، ويأتي لهم كل يوم بالخِنوص[5]، ليأكلوا لحمه على شعارهم، إلى حين الازدواج، ثم يوقدون السراج، ويجعلون

---

(١) راجعه في ٧٢.

(٢) أي: الشيخ الصنعاني. (منه).

(٣) فعلى رقبة رجل الخنزير: كذا في نسخة التى نقلناه منها فتدبّر. (منه).

(٤) أي: الاجتماع بالزواج (هامش الأصل).

(٥) وهو ولد الخنزير (هامش الأصل).

بإحدى يديه لحم الخنزير مع الشراب ، وبيده الأخرى ذيل العروس بلا حجاب ، ففرح الشيخ ذلك الخبر ، ووَفَّى خدمته بلا حذر[1] ، ووضع الخنوص على رقبته في كل صباح حين إتيانه به إليهم ، فبعد انقضاء المدة جعلوا بإحدى يدي الشيخ لحم الخنزير مع القدح ، وبيده الأخرى ذيل حبيبته بالفرح ، فلما أراد الشيخ أن يشرب الشراب ، ويأكل لحم الخنزير بلا اجتناب ، نادى الشيخ فريد الدين : يا سلطان يا سيدي عبد القادر يروح الشيخ من أيدينا ! ! الأمداد الأمداد يا محيي الدين . فبسماعه النداء وقعت الرعدة في جسده ، وسقط القدح واللحم من يده ، وتنبّه من نوم الغفلة ، وتوجّه إلى الصحراء بلا مهلة ، فسأله الشيخ فريد الدين : إلى أين المفرّ ؟ فأجابه : إلى مَنْ سَهْمُهُ أثَّر ؛ للاعتذار من سوء أدبي ، والاستغفار عند منقلبي ، فلما وصل إلى بغداد سود وجهه بالسواد ، وشد يديه بالشدة ، ووقف مع الخدم في السدة[2] فتضرع بالقلب قبالة الغوث الأعظم ، فعطف الغوث عليه وعفا عما تقدم ، وأمر بغسل وجهه ، وفك الوثاق من يديه ، وتوجه الغوث إلى الله الكريم أن يغفر ما تقدم من ذنبه العظيم ، فجاءه الخطاب من الله العزيز الوهاب : بإساءة الأدب في حقك صار مردوداً . فتضرَّع الغوث في حقه تضرُّعاً معدوداً ، حتى جاء النداء من الفرد الصمد : لا أقبل شفاعة من أحد . فحينئذ كف يده عن تصرّف أمور الكونيّة ومراسم الغوثية وقال[3] : إلهي إذا ما قبلت في حقه شفاعتي وشفاعة الأولياء كيف يكون يوم القيامة حال المريد ؟ ولهذا الخطر العظيم منعت نفسي عن مثل هذا الأمر الجسيم ، وفوضت أمور عبادك إليك ، وأنت العليم القادر

---

(١) أي : بلا خوف .

(٢) السدة - بالضم - : العتبة . (هامش الأصل) .

(٣) وقال عبد القادر الجيلاني (هامش الأصل) .

والأمر إليك ، فجاءه الخطاب من الملك المالك[1] : قبلت توبته وعفوت عنه لأجلك ، **وأعطيك عهداً أن لا أخرج أحداً من مريديك من الدنيا بغير توبة من العصيان ، ولا أقبض أرواحهم إلا على الإيمان** . وسمع الحمد من الملكوت للحي الذي لا يموت ، الحمد لله حمداً متوافراً والشكر له شكراً متكاثراً .

وذكر في بعض الرسائل أن الغوث الأعظم لما صار مأموراً أن يقول : (قدمي هذه . . . إلخ) وضع جميع الأولياء رقابهم سوى الشيخ الصنعاني ، وقال : أنا أيضاً من المحبين ، لا يقتضي لي أن أضع رقبتي لقوله ، وكشف للغوث عدم انقياده ، فقال : فعلى رقبة رجل الخنزير . ثم قصد ذلك الشيخ زيارة مكة المعظمة مع أربع مائة من المريدين ، فبتقدير القادر المطلق

---

(١) من مالك الملوك ، عله . (هامش الأصل) .

فهذه مهمات ينبغي للعاقل أن يوقفها قبالة عينه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله

* قال أبو إسحق إبراهيم بن شيبان القرميسيني رحمه الله تعالى : **من ترك حرمة المشائخ ابتلي بالدعاوي الكاذبة فافتضح بها** . « طبقات الكبرى » ج١ في ٧٩ .

* وكان أبو الحسين علي بن هند القرشي الفارسي رضي الله عنه يقول : من أكرمه الله تعالى بحرمة الأكابر أوقع حرمته في قلوب الخلق ، ومن حرم ذلك نزع الله حرمته من قلوب الخلق فلا تراه إلا ممقوتاً وإن حسنت أخلاقه وصلحت أحواله . « الطبقات الكبرى » ٧٩ ج١ .

* وقيل لأحمد بن حنبل رضي الله عنه : إن الحرث المحاسبي يتكلم في علوم الصوفية ويحتج لها بالآي والحديث ، فهل لك أن تسمع كلامه من حيث لا يشعر ؟ فقال : نعم ، فحضر معه ليلة إلى الصباح ولم ينكر من أحواله ولا من أحوال أصحابه شيئاً . « طبقات » عبارته ٤٦ ج١ .

* وكان أبو محمد سهل بن عبد الله رحمه الله يقول : إياكم ومعادات من شهره الله تعالى بالولاية وإنه إن كان بالبصرة وليّ لله تعالى فعاداه قوم وآذوه فغضب الله عليهم ، فأهلكهم أجمعين في ليلة . وكان يقول : طوبى لمن تعرف بالأولياء فإنه إذا عرفهم استدرك ما فاته لأنهم أهل الفتوة . « طبقات » عبارته ٧٩ ج١ .

وقع نظر الشيخ على امرأة نصرانية ، فتعشق ولم يبق له قرار ، ووقع في شدة واضطرار ، وكانت تلك المرأة بائعة للخمور ، وأطاعها الشيخ بالفرح والسرور ، حتى أمرته يوماً برعي الخنازير ، وقالت : أيها الشيخ الكبير ؛ ضع على رقبتك الخنوص ، ليأمن في المشي من الدوس[1] فوفّى هذه الخدمة كما أمرته الحبيبة ، **وتفرقت المريدون عنه حين رأوا هذه الحالة العجيبة ، إلا المريدان الصادقان الكاملان** وهما : الشيخ محمد فريد الدين ، والشيخ محمود المغربي ، وقالا : يلزم إطفاء نار هذا البلاء من مكان اشتعالها ، وكانا يعرفان أن هذه البلية العظيمة بعدم انقياده لقول الغوث الأعظم ، فبقي الشيخ محمود عند شيخه ، وتوجه الشيخ فريد الدين إلى بغداد ، فلما وصل راح إلى التكية العلية ، وفحص عن محل خدمة الشيخ ليخدم ، فلم ير محلاًّ خالياً عن المأمورين ، فاختار أن يحمل سلة[2] البراز[3] ورمي ما فيها إلى الصحراء ولم تقع له تلك الخدمة من المأمورين ، فتربَّص حتى وقعت تلك الخدمة بيده ، وبعد أيام شكا الخدمة المذكورون إلى الغوث الأعظم ؛ بأنْ صِرْنا محرومين من خدمتنا . فقال : أفيكم درويش غريب جاء جديداً ؟ ! قالوا : بلى وأخذ خدمتنا . فقال : هو يكون في هذه الخدمة . فقام الغوث إلى الطهارة ، فرأى شاباً حاملاً فوق رأسه سلة البراز ، والمطر نازل ، والنجاسة تقطر عليه ، فقال الغوث : أنت من ؟ ! فقال : خادم الشيخ الصنعاني . فترفق الغوث بحال الشاب ؛ فقال : اطلب . فقال : أنت أعلم . فقال الغوث : اطلب مقاماً

---

(١) الدائس : الذي يدس الطعام ويدقه ليخرج الحبّ من السنبل ، وهو الدياس ، وداس الشيء برجله يدوسه دياسة فانداس « مجمع البحرين » . فالمعنى : ليأمن في المشي من دوس الناس الخنوص بأرجلهم . والله أعلم . (غازي محمد العوري) . وداس الأرض دوساً : إذا شدد وطأه عليها بقدمه . « مصباح » . (هامش الأصل) .

(٢) هي بلساننا : هِهْ - (عجم) .(هامش الأصل) .

(٣) البراز ؛ ككتاب : الغائط « القاموس المحيط » (هامش الأصل) .

عالياً . فقال الشاب : ليس عندي مقام أعلى من العفو عن شيخي . **فقال الغوث** : عفوت عن شيخك لأجلك . فحينما قال الغوث هذا الكلام تنبه الشيخ الصنعاني من نومة الغفلة ، وسَلاَ عن محبة النصرانية ، ووجد حالته الأوّلية ، وفارق معشوقته العيسوية ، وتعشقت هي بالشيخ وتعلق قلبها به ، واختارت موافقته ، فقال لها الشيخ : لا مناسبة بيننا ، أنت كافرة وأنا مسلم ، **فبمجرد هذا الكلام أسلمت مع جميع أتباعها** ، واختارت خدمة الشيخ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين . انتهى عبارته ٣٠ .

فإن قال قائل : إنك قد ذكرت في هذا الكتاب بوجوب الإنكار والاعتراض على المتشيخ الكذاب ، وبينت ما يترتب عليه من المؤاخذة والعقاب ، وذكرتَ أيضاً في هذا البرج آفة الإنكار على الشيخ الكامل ، فإذا كان الأمر كذلك ، واختلط الكاذب في كل وقت بالصادق ؛ فماذا نفعل الآن ؟ وكيف يتميز بينهما ؟ ! وهل لذلك ميزان ؟ !

أقول – والله أعلم ، ومنه نستمد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم – : اللهم ؛ نعم لذلك ميزان ، ليزن من يريد اتباع الحق أحوال متبوعه ، ولأجل ذلك وقع الاحتياج لوضع البحث المستقل في بيانه ، **فليتدبر** العاقل فيما سنذكره .

البرج السادس عشر

في بيان مراتب الطرق المشهورة في ديارنا وذكرها بالإجمال ليكون سبباً لمعرفة المتشيخ الغرّار والشيخ المتحقِّق المتمسِّك بطريق الأبرار

أيها الأخ المحترم ، إن الطرق إلى الله كثيرة ، ولكلِّ سالك فيها أذكار وأوراد والمشهور منها في ديارنا هذه الطرق الآتية :

فأولها وأفضلها وأسهلها وأقربها هي الطريقة النقشبندية العلية ، وأوّل قدم يضعونه فيها في الذكر : القلب بتلقين لفظة الجلالة[1] (الله) ، ثمّ بعد حصول نتيجته ؛ وهي رسوخ الذكر في القلب ؛ بحيث لو تكلّف بإخطار غير الله لا يخطر يلقِّن الشيخ الذكر إلى الروح ، ثمَّ إلى السرِّ ، ثمَّ إلى الخفي ، ثمَّ إلى الأخفى ، ثمَّ إلى لطيفة النفس ، ثمَّ إلى لطيفة الجسد ، فحينئذ تتَّحد اللطائف . وتصير جميع أجزاء البدن تذكر الله تعالى ، حتَّى يجد المريد نفسه وقتئذ تتحرَّك بحركات عجيبة ؛ كالطير المذبوح المطروح إلى الأرض ، **ولا يفهم من كلّ صوت ـ حتى من صوت الكلب النائح ـ إلا الذكر ، ويتخيَّل أيضاً مع كلّ متحرك الذكر القلبي ، فهذه الأمور ممّا لايعرفها بالإخبار أو بالكتبة إلا من ذاقه ،** ثمَّ يلقِّن الشيخ بعد ذلك (لاإله إلا الله) .

وقد كان عادة مشائخنا أنَّهم يأمرون بذلك باللسان إلى أن يبلغ

---

(١) من غير فرق بين مريد ومريد ، على ما اختاره الإمام الرباني أخيراً ، (منه) .

* وفيها أيضاً – أي « الرسالة المدنية »– : إذا تأملت مجرّد ذكر القلب ، لا يعدل عليه شيء . وفيه أيضاً – أي « رسالة المدنية » – : إن عارفاً بالله في شرق الأرض ورجل محبّ له في مغربها لكان له نصيب من ذلك على حسب قسمته وتهذيب محبته . انتهى . « كنز المعارف » ٨٢ .

العدد إلى سبعين ألف مرة ، ثمَّ يلقِّنون ذلك بالقلب مع حبس النَّفس ، وكيفية ذلك : أن يجرَّ (لا) من السرة إلى أم الدماغ ، ويجرَّ (إله) منه إلى الكتف الأيمن[1] ، ومنه يجر (إلا الله) إلى القلب الصنوبري ويضرب لفظة

---

(١) وكيفيته - أي كيفية النفي والإثبات - بالقلب : أن يلصق اللسان بالحنك الأعلى ، وتوضع الأسنان على الأسنان ، والشفة على الشفة كالأول ـ أي : كالكيفية المذكورة في اسم الذات ـ ويحبس النَّفَس تحت السرَّة ـ أي : يحبس الذاكر نفسه في جوفه بحيث لا يضيق عليه حبسه ، ثم إن غمَّض عينيه يكون له أولى ؛ ليحصل له كمال التوجُّه إلى الذكر ، ويتخيل منها ـ أي من السُرَّة ـ من وسط جوفه (لا) بحيث يكون كرسيُّها على السُرَّة ، ويمدُّ طرفيها إلى منتهى الدماغ ، ويلاحظ معها نفي مقصودية ما سوى ذات الحق سبحانه ؛ من حسن وقبيح ، ومنه ـ أي : ثم منتهى الدماغ ـ يتخيل (إلَه) ، وينزل بها إلى الكتف الأيمن ، ويلاحظ معها انتفاء مقصودية غير ذات الحق وبطلانها ، ومنه ـ أي : ثم من الكتف الأيمن ـ يتخيل (إلا الله) ، وينزل بها بحسب التخيل من عرق نوراني إلي القلب ، ويضربها على رأس القلب بالنَفَس الدائر في الجوف ، ويلاحظ معها مقصودِّية ذات الحق سبحانه ، فيحيط هذه التخيلات الثلاثة على محالّ اللطائف كلها بصورة (لا) المعكوسة ـ هكذا ....

قلب
سرة

ـ التي يكون أحد طرفيها في السُرَّة وطرفها الآخر في القلب ، وكرسيّها بين الدماغ وبين الكتف ، ويلاحظ الذاكر مع هذه التخيلات معناها ـ أي : معنى كلمة (لا إله إلا الله) ـ بأن لا مقصود إلا ذات الله . . . إلخ ، فإن نفي المقصودية أبلغ من نفي المعبودية لأن كل معبود مقصود ، وإن لم ينعكس ، لأن المقصودية أهم من المعبودية ،فنفي الأعمِّ يستلزم نفيَ الأخصِّ ، دون عكسه . . . إلخ ، وفي آخرها ـ أي : وفي آخر كلمة (لا إله إلا الله) ـ يتخيل : (محمد رسول الله) ويريد به التقيُّد بالاتباع ـ أي : باتباع النبي ﷺ بحسب الظاهر والباطن ، في جميع الأحوال والمقامات ، ويكرره ـ أي : يكرر كلمة (لا إله إلا الله محمد رسول الله) - على قدر قوة النفس على الذكر من غير تضايق النَّفس عن الحبس المخلّ عن الحضور ، ويطلقه عند حضور التضايق المُخلِّ من الفم أوْ من الأنف على الوتر - أي عند وقوفه على العدد الوتر - إلى أحد وعشرين . قال بهاء الدين - قدس سره - :إن حبس النَفَس والوقوف على العدد الوتر ليس بلازم في النفي والإثبات ، وإنما اللازم نفي البشرية ، وهو يحصل بمجرد النفي والإثبات .

وأما فائدة حبس النَفَس : فهي انشراح الصدر ، واطمئنان القلب ، وحصول الحلاوة=

الجلالة عليه ثمَّ إذا حصلت النتيجة من هذا الذكر ؛ **وهي الغيبة والذهول والفناء** ، يلقِّن الشيخ **مراقبة الأحدية** ، وبعد حصول نتيجتها يلقن **المراقبة المعيَّة** ، ثمَّ **مراقبة القلب** ، ثم **مراقبة الروح** ، ثم **مراقبة السرِّ** ، ثمّ **مراقبة الخفي** ، ثمّ **مراقبة الأخفى** ، ثم **المراقبة الأقربية** ، ثمّ وثمَّ وثمّ ويطول الكلام بذكرها وذكر نتائجها . وكلّها مذكورة في الكتب ، معلومة عند أهلها ، مجهولة لدى المتشيِّخين وأصحابهم ، ولا يعلمون ما ذكر القلب وما ذكر اللطائف ! ! . بل يقول بعضهم : هل للقلب لسان يذكر الله ؟ ! كما

=الروحانية ، ونفي الخواطر .

وأما فائدة مراعاة العدد : فهي جمع الخواطر عن التفرقة .

ويقول بعد إطلاقه نفسه إلهي أنت مقصودي ، ورضاك مطلوبي .« تحفة الأحباب على مسلسلة الذهب » للشيخ محمد مراد (هامش الأصل) .

*** أنواع المراقبات** . ففي **ولاية الصغرى** : مراقبة الأحدية ، ثم مراقبة المعيّة – نوره أخضر – ، ثم مراقبة القلب – آدميّ المشرب ؛ نوره أصفر – ، ثم مراقبة الروح – إبراهيميّ المشرب ؛ نوره أحمر – ، ثم مراقبة السر – موسويّ المشرب ؛ نوره أبيض – ، ثم مراقبة الخفي – عيسوي المشرب ؛ نوره أسود – ، ثم مراقبة الأخفى – محمدي المشرب ؛ نوره أخضر – ، وهذه المراقبات في الولاية الصغرى ، وفي **الولاية الكبرى** : مراقبة أقربية ثم مراقبة محبّة . وفي **الولاية العليا** – وهي ولاية الملائكة – . . إلخ .

ثم اعلم أن كيفية المراقبة أن يكون السالك طاهر البدن والثياب وحضور القلب والفؤاد في مكان طاهر بحيث لا يحصل له أصوات الحيوان ، ولا يدخل فيه الإنسان ثم يجلس فيه على ركبتيه مستقبل القبلة ، مغمض العينين ثم يخرج عن حوله وقوته ، وينسى جميع علمه ومعرفته ، ويعطل حواس ظاهره وفؤاد باطنه ، ثم يتوجّه بالقلب المطلق مع الجذبة إلى جناب ذات الحق سبحانه وتعالى على طريق الاستهلاك فيه ، ولا ينفك عن المراقبة بهذه الكيفية في جميع الأوقات بعد أداء الفرائض والسنن الراتبات حتى تزول عنه تزاحم الخواطر وتثاقل العناصر وتتزكّى نفسه ويعتدل طبعه وتغلب روحانيته على جسمانيته فبعد ذلك إن استقرت فيه تلك الحالة وكانت له كالصفة اللازمة تستحب له مخالطة الناس ويلزم الاشتغال بنوافل الصلاة وتلاوة القرآن . . إلخ . « رسالة » .

قال ذلك واحد منهم لدى هذا الحقير مشافهة ، وأنكَرَ ذكر القلب بأنَّ ذلك مما لا يكون ، فتعجبتُ به وبقوله ؛ مع كونه رجلاً يظن الناس أنَّه قطب ، حتّى قال بلسانه في مجمع من العلماء : لو كان في الأرض أعلى مني في المشيخة فليتقدَّم . فحين رأينا ما حلَّ به[1] من هذه البلية ؛ كِدْنا أن نبكي رحمة عليه .

واجتمعت أيضاً واحداً منهم يظن الناس أنه قطب ، فأقرَّ في مجمع من العلماء بأن شيخه لم يكن لقَّن له شيئاً ما من الطريقة ، بَيْدَ أنَّه قد قيل : أَذِنَ له قُبَيل موته . فتعجبت بقوله هذا ، وتعجب الحاضرون ، لكنْ لم أقل له قولاً ما يردّ كلامه ، بل سَكَتُّ . ولو قيل له : أيّ شيء تُعَلِّم الناسَ ؟ ! وبأيِّ شيء تلقِّنهم مع أن الإذن إنما يكون لتلقين ما لَقَّنَ لك الشيخ ؟ لسكتَ ، ولا يدري ما يقول .

واعلم أيها الأخ أنَّ أكثر المتصدِّرين في ديارنا كأمثال هذين الشخصين المذكورين ، **وكلّ من تصدَّر باسم الشيخوخة قائلاً** (**إنه مأذون من طرف الثغوري**) ، **فهو مُدّع كذّاب** ، كائناً من كان ، فكيف لا ؛ وقد أخبر واحد منهم بأنَّه ليس بيده إذن من الشيخ الثغوري ! بيد أنَّه يُعَلِّم الناس الخير ظنّاً منه أن الثغوري لا يسخَط عليه بذلك .

فالحاصل : قد أقرَّ جميعهم بعد التفحُّص لدى مَن يعرف مراتب الطريقة بأنَّهم لا يعلّمون أوراد الطريقة ، بل إنَّهم آمرون بالمعروف . فهذا آخر كلامهم عند من يعلم .

وأمَّا عند الجُهَّال ! فإنهم ينطقون بكل ما سَبَقَ على لسانهم ، ولا يتحاشون عن ذلك ، ولا يخفى على الله شيء ، حتّى **قال الحاج أُذُن السلطي** : إنَّه كان لدى الثغوري قُبَيْل موته وقال : يا ولدي لم يحصل

---

(١) وقد وقع رؤيته ، ورؤية أحواله سبباً لتأليف : « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » وهو كتاب ضخم كالجامي (منه) .

في مريدي من يأخذ عصاي بيده . وأنا الآن قريب إلى الممات ، ثمَّ مات رحمه الله بعد أيام ؛ ولم يأذن[1] لأحد ، هكذا أخبره مُشافهة لدى العلماء[2] وأخبروني بعين ما قاله .

وأخبرني شيخنا العسلي قدّس سره أنّ أُذُن حاج قال للككني : إنّ الثغوري لم يأذن لأحدٍ ، فلم تفعل هذا الأمر ؟ ! فقال الككني : إنِّي لم أكن أتشيَّخ ، وإنما أنا آمر بالمعروف . فبعد ذلك تصدر أُذُن حاج لفعل ما فعله قائلاً : إني آمر بالمعروف . انتهى .

وأيضاً قد وجد العلماء في أثناء كتاب مَمَّ دبر الروچي قدس سره مكتوباً كتبه الشيخ جمال الدين الغموقي قدس سره بخطه بهذه العبارات : إلى مَمَّ دبر ؛ إنّي إنما قطعت[3] النظر عن عبد الرحمن الثغوري لاتّباعه الكشف الخديع[4] . . . إلى آخره . وعندي ذلك المكتوب الذي كتبه بعض العلماء من خطه .

وقد كتبها شيخنا الباكني من خطه[5] بتمامه في هامش تخميسه على

---

(١) راجع هامش « تنبيه السالكين » .

(٢) منهم العالم محمد شفيع الهژلِي والعالم الحاج محمد بن إبراهيم القحيِّ الأسترخاني كما أخبراني بذلك مشافهة (منه) . (هامش الأصل) .

(٣) وفي نسخة : إني قطعت .

(٤) اللهم إني رأيت مكتوباً كتبه واحد من خط السيد أبو عبيدة ابن الشيخ السيد نور الدين الغموقي قدس سره : بأن الشيخ سيدي طه الخالدي النقشبندي أذن للثغوري قدس سره لكن لم نجد في ديارنا من علَّمه الطريقة النقشبندية ؛ ولو لواحد (منه) . (هامش الأصل) .

بيد أني رأيت مكتوباً كتبه الشيخ الثغوري إلى الشيخ الفلاني يشكره على أنّه أذن – الشيخ الفلاني – له – أي الشيخ الثغوري – . ورأيت في « سلم المريد » أنه أذن له اليراغي . ولله الحمد والمنة (منه رحم الله إفلاسه) . (هامش الأصل) .

(٥) أي : من خط جمال الدين قدس سره . (هامش الأصل) .

« سلك العين » فراجعه . وقد حكى العالم محمد شفيع الهژلي رحمه الله تعالى أنه قال : اجتمع مع واحد من مشائخ بخارى ، وكان شيخاً كبيراً هرماً ، ذا لحية بيضاء ، فقال لي : هل في داغستان مشائخ ؟ فقلت له : نعم . وذكرت له جميع من يتشيخ في ديارنا ؛ بذكر أسماء كلهم : كالحاج محمد الككّني ، وأُذُن السلطي ، ورجبلو الكنوي ، وسراج الدين الإنخوي ، وإلخ إلخ ، فأطرق ذلك الشيخ رأسه ملياً ، وغمَّض عينيه كأنه يتفكر في حقهم ثم نظر وقال : المذكورون أولياء لا مرشدون ليس لهم سلسلة ؛ سوى الحاج عبد الرّحمن العسوي فسلسلته متصلة إلى النبي عليه السلام هكذا - فمد يديه قبالته يشير بذلك[1] إلى استقامة سلسلته ، وكونه مرشداً كاملاً - . انتهى .

واعلم أيها الأخ ؛ أنَّ شيخ الثغوري كان جمال الدين الغموقي رحمه الله تعالى وكان هو نقشبنديّاً وقادريّاً ، وإذا كان الأمر كذلك ! فلم نجد في نواحينا ولو واحداً لُقِّن له شيء ما من أوراد هذين الطريقين ، بل إنما أمروهم[2] بـ(لا إله إلا الله) كما يقول العوام ، لا على الكيفية التي قرَّرَها

* لكن ذكر الشيخ إلياس في « سلّم المريد » أنه - أي : الشيخ الثغوري - أذن له - أي : الشيخ إلياس - وكتب الشيخ العالم مَمَّلْ علي الأقوشي بأنه قدس سره أذن له . والله أعلم بحقيقة الحال (منه) . (هامش الأصل) .

(١) أي بمد يدين . (هامش الأصل) .

(٢) أي الزاعمون أنهم خلفاء خلفائه ، فافهم . (هامش الأصل) .

*وقع بيني وبين واحد من المتشيخين كلام في خصوص المشيخة والإجازة على وجه المجادلة في محضر من الناس المحترمين ، فسألته ؛ أيّ شيخ أذن لك لتلقين الذكر ؟ فأجاب : أذنَتْ لي الحاجة مريم بنت الشيخ عبد الرحمن الثغوري ، فقلتُ له : هل تكون للنساء ولاية ما . فقال : إني سألتها كيفية تلقين أبيها الذكر للمريدين فأخبرتني تلك الكيفية ولي بها أسوة حسنة في التلقين ، ثم قال ذلك المتشيخ بعد كلام كثير وأهل المجلس يضحكون علينا : (هَنْج دِصَكِ تَنَ هِبْ طَرِيقَتْلِ قِّ مَرْيَمْ حَجِلْ بَرْكَتْ شُنْ) فتضاحك المجلس . وإن هذا ممن يزعم المشيخة زعماً شديداً (لمحرره العوري غازي محمد) . (هامش الأصل) .

المشائخ ! فبهذا الميزان المذكور يعرف الفرق بين الشيخ والمتشيخ في ديارنا .

وأيضاً إن عادة المشائخ كتابة صك الإجازة ، كما ذكره الإمام الرباني في بعض مكاتيبه ، وعثمان الزاخوري في « تحفته » ، فتفحَّص منهم أيها الصديق ، هل في يد واحد منهم صك الإجازة أم لا ؟ ! فإن وجدت ، فقل لهم : إنما يحتاج إلى الإجازة لتلقين أوراد الطريقة ، لا لتلقين ما أَرَدْتُمْ ! فلا يدرون لهذا القول جواباً . وهذا ميزان آخر أيضاً لتعليم المحق والمبطل في هذه الطريقة النقشبندية وفي غيرها .

أوراد الشاذلية

وثانيها : الطريقة الشاذلية

وأورادها – على ما لقننا شيخنا قدّس سره – :

١ – **أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه** (مائة مرة) وهذه الصيغة الشريفة المسماة بـ(روح الصلاة) ؛ كما في « جواهر المعاني » .

٢ – **اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم** (مائة مرة) .

٣ – **ولا إله إلا الله** (مائة مرة) سيدنا محمد رسول الله ﷺ مرة واحدة .

٤ – وقراءة الصلاة المشيشية الممزوجية ويفعلها صباحاً ومساء في المَلَوَيْن .

ومثله في « النور الساطع » و« الأنوار القدسية » .

ولِلشّاذليّة أوراد أخرى يُلقّنُونها في منازل طريقتهم ، وهي : (لا

إله إلا الله) في النفس الأمارة ، (الله الله) في اللوّامة ، (هُو هُو هُو) في الملهمة ، (حقٌّ حقٌّ حقٌّ) في المطمئنة ، (حيٌّ حيٌّ حيٌّ) في الراضية ، (قَيُّوم قَيُّوم قَيُّوم) في المرضية ، (قَهّار قَهّار قَهّار) في الكاملة .

كتب شيخنا سيف الله قدّس سره في بعض مكاتيبه بعد ذكره هذه الأذكار المذكورة وسَيْرها وعَالَمها هذه العبارات الآتية :

وهذه الأسماء أئمة الأسماء ، ويقال لها الأسماء الإلهية ، وهي أيضاً أصول الأسماء ، فلكل نَفس اسم خاص ، وأصحاب الطرق الذين كانوا للشاذلية كالخلوتية كذلك ، ولكن غنينا عن ذكر البسط لكون ذلك خارجاً عن مرادكم ، وإن بسطنا الكلام لاحتاج إلى أرجوزة مستقلة . انتهى . من خطه .

ولهذا الحقير إجازة في هذه الطريقة ، وهي أفضل الطرق بعد النقشبيدية ، كما ذكره أحمد ضياء الدين قدس سره ، فَزِنْ أيها المخدوم حال مَن لَقِيتَ ممن يزعم أنه شاذلي على هذا الميزان المذكور ؛ تعرف الحقيقة ، ويتبين الصادق والكاذب .

وثالثها : الطريقة القادرية قدس الله أسرار أهلها ، فإذا كان في ديارنا مَن يزعم أنه قادري ، وأن ما يلقنه من أوراد القادرية ، احتجنا أن نذكر طرفاً مما يستعمله أرباب هذه الطريقة العلية قدس الله أسرارهم آمين ، ليكون ميزاناً يعرف به أن يتميَّز المحق والكاذب .

أوراد الطريقة القادرية

قال في « الأنهار الأربعة » **اعلم** أن مشائخ هذه الطريقة قدس الله تعالى أرواحهم يأمرون الطالب أولاً بالذكر جهراً متوسطاً .

وهو على قسمين : اسم الذات ، والنفي والإثبات .

الأول متنوع إلى أربعة أنواع :

النوع الأول : ما كان بضربة واحدة .

وصفته : أن يقول (الله) بالشدِّ والمد ، والجهر بقوة القلب والحلق ، ثم يتوقف حتى يستقر النَّفَس ، ثم يقول أيضاً على طريق المذكور ، ولم يزل هكذا متخذاً ذلك ورداً .

النوع الثاني : ما كان بضربتين .

وطريقه : أن يجلس جلسة الصلاة على ركبتيه ، ويضرب باللفظ المبارك مرة على الركبة اليمنى ، وأخرى القلب ، ويكرر ذلك بلا فصل ، وينبغي أن يكون كل من الضربتين بكمال القوة والشدة ؛ خصوصاً الضربة التي تكون على القلب لتأثر القلب وتحصل الجمعية .

النوع الثالث : ما كان بضربات ثلاث .

وكيفيته : أن يجلس مربعاً ، ويضرب باسم الذات مرة على الركبة اليمنى ، ومرة على الركبة اليسرى ، ومرة على القلب ، وليكن الضربة الثالثة أشد وأجهر .

النوع الرابع : ما كان بضربات أربع ، وفي هذا كذلك : أن يجلس مربعاً ، ويضرب باسم الذات مرة على الركبة اليمنى ، ومرة على الركبة اليسرى ، ومرة في القلب ، ومرة أمامه ، وليكن الرابع أشد وأجهر من الأوليات .

القسم الثاني : النفي والإثبات وهو قولنا (لا إله إلا الله) .

وصفته : أن يجلس على ركبتيه ، متوجهاً إلى القبلة ، ويغمض عينيه ، ويقول : (لا) كأنه يخرجها من سُرَّته ، ثم يمدها حتى يبلغ إلى المنكب الأيمن ، فيقول (إله) كأنه يخرجها من أم الدماغ ، ثم يضرب

(إلاّ الله) بالشدة والقوة على القلب ، ويلاحظ نفي المحبوبية والمقصود والوجود عن غير الله ، وإثباتها له تبارك وتعالى .

واعلم أن الحكمة في اشتراط الضربات الشديدات ومراعاة مواضعها في الذكر ؛ أن الإنسان لما كان مجبولاً على رؤية الجهات الست ، واستماع الأصوات والنغمات ، ومبتلى بخطور الخواطر على قلبه وحديث النفس ، قرَّر مشائخ الطريقة قدس الله تعالى أرواحهم - تلك الشروط والأوضاع ؛ سدّاً للتوجه إلى غير نفسه ، حتى يخلو بذلك من الخطرات الخارجية ، ويتوجه إلى الذات الإلهية .

وينبغي لأهل السلوك أن يجتمعوا ويقعدوا حلقة بعد صلاة العصر ؛ يذكرون الله تعالى على وجه الجمعية ، لأن في الاجتماع فوائدَ كثيرة لا توجد في الانفراد ، فإذا ظهر للسالك أثر الذكر الجلي ، وشوهد فيه نور الذكر متى ما كان نقد وقته الذوق والشوق ، وارتفاع الخواطر ، وانتفاء حديث النفس ، واطمئنان القلب باسم الله تعالى ، وإيثار الحق على كل ما عداه ، فحينئذ يأمره الشيخ بالذكر الخفي ؛ وهو على قسمين :

اسم الذات مع أمهات الصفات **وصفته** : أن يغمض عينيه ، ويضم شفتيه ، ويقول بلسان القلب : (الله سميع ، الله بصير ، الله عليم) ، كأنه يخرجها من سُرَّته إلى صدره ، ومن صدره إلى دماغه ، ومنه إلى العرش ، ثم يقول : (الله عليم ، الله بصير ، الله سميع) ، هابطاً على تلك المنازل كما صعد عليها ، فهذه دورة واحدة ، ثم يفعل هكذا وهكذا . ومن أهل هذا الشأن من يزيد (الله قدير) .

والنفي والإثبات وصفته : إما كما ذكرنا في الجهر ، وإما بأن يكون متيقِّظاً مطَّلعاً على أنفاسه ، فإذا خرج النَّفَس بطبيعته من غير قصده وإرادته قال مع خروجه (لا إله) بلسان القلب ، وإذا دخل قال مع دخوله (إلا الله) وهذا يسميه الأكابر (باش أنفاس) ، وله أثر عظيم في نفي

الخواطر وزوال حديث النفس ، فإذا ظهر أثر الذكر الخفي ، وشوهد في الطالب نوره ؛ يأمره الشيخ بالمراقبة ، والمراد من ظهور هذا الأثر : غلبة الشوق والمحبة ، وانصراف عنان عزيمته إلى الفكر ، وإيثار الله عز وجل ، واجتماع الهمة على طلبه ، ووجدان الحلاوة في السكوت ، وكمال النفرة عن الكلام والاشتغال بأمر الدنيا . انتهى عبارته .

وفي « الأنهار الأربعة » بسط مرضي في كيفية المراقبات فراجعه .

فهذه هي أوراد الطرق المشهورة في ديارنا ، وهي ميزان صادق ، **وقلَّ فينا مَن له إجازة صحيحة فيها من أربابها** ، وقد سألت بعضاً يتصدر لتعليم القادرية : من شيخك ؟ فقال : فلان . فقلت له : ومن شيخه ؟ فقال : عبد القادر الكيلاني . ولم يدْر أن يذكر من سلسلة تلك الطريقة غيرهما ، فكيف يكون الشيخ قادرياً مع عدم استعماله شيئاً ما من أورادها ؟ ! وكيف يكون نقشبنديّاً أو شاذليّاً مَن لا يشتغل بشيء من أذكارهما ؟ ! فكما لا يصير الحنفي شافعيّاً إلا بعد استعماله مذهب الشافعي ؛ فهكذا لا يكون الشخص نقشبنديّاً أو شاذليّاً أو غيرهما إلا بعد أخذ التلقين والعهد من أربابها وقطع منازلها ، إلى أن يصل إلى مقام الإجازة ، ثم إعطاء[1] الإجازة للتلقين والإرشاد ، **فافهم** يا أخي ، ولا تظن أن هذا الحقير الداعي لكم بالخير إنما يتكلم لحظِّ نفس أو غرض من الأغراض ! حاشا ذلك وكلا ، والله على ما يقول شهيد ، بل هو الناصح الأمين للخلق بعد علمه بالعلم اليقيني حقيقة حال أهل الزَعْم ، خوفاً من أن يكون شيطاناً أخرس ، لأنه قد ورد أن : « الساكت عن الحق شيطان أخرس » ، أو ما هذا معناه .

ولعدم شهرة سائر الطرق في نواحينا أعرضت عن ذكرها ، والكتب التي ذكر فيها جميع الطرق فمذكورة في « جامع أصول الأولياء » فراجعه من أوله فهذا والسلام ، وأوصيكم بالدعاء .

---

(١) أي إعطاء الشيخ الإجازة . (منه) (هامش الأصل) .

البرج السابع عشر
في ذكر أوصاف الشيخ المرشد

قال في « الفتاوى العمرية » : وشرط المرشد الذي يصح[1] له الإرشاد : أن يكون عالماً بموجب الشريعة المطهَّرة على وجه الاستقامة ؛ بلا ميل ولا انحراف ولا إعراض ، ويرشد الناس إلى اتباع الشريعة . وذكر الله **مع الحضور** ، وأن ينصح الجميع بما أمكنهم ؛ فيدلَّهم على التقوى والاستقامة ، وينهاهم عن المنكر ، وينظر لكافة الخلق بعين الشفقة والرحمة ، ويرحم صغيرهم ، ويوقِّر كبيرهم ، وأن يكون عالماً بما يحتاج إليه المريدون ؛ من فقه وعقائد التوحيد بقدر ما يزيل به الشبهة التي في البداية تعرض للمريدين ، وأن يستر ما اطَّلع عليه من عيوب المريدين ، وأن يكون عالماً بكمالات القلوب وآدابها ، وآفات النفوس وأمراضها ؛ بالكشف إن كان من أهل الكشف ، أو بالحال الذي يعرض للمريد إن لم يكن له كشف ، أو بالدلائل الخارجية ، وأن يكون في الحالة الوسطى في جميع أحواله - أي : ما بين الإفراط والتفريط - وأن يكون غنيّ النفس ، وحسن الخُلُق ، لا يغضب إلا لله ، وإذا جاءه أحد يريد الإرشاد لا يكون في وجهه عَبْسٌ ، وأن يكون جلاله ممزوجاً بجماله ، وقهره ممزوجاً بلطفه .

والحاصل : أن جميعها يجمع قولنا (الاستقامة) .

وقال الشاذلي[2] : ولا يشترط للشيخ في الطريق سوى ترك المعاصي

---

(١) وفي نسخة : يصلح .

(٢) وكان يقول - يعني : الشاذلي - : لا تُعطى الكراماتُ مَن طلبها وحدَّث بها نفسه ، ولا مَن استعمل نفسه في طلبها ، وإنما يعطاها من لا يرى نفسه ولا عمله ، وهو مشغول بمحابِّ الله تعالى ، ناظر لفضله ، آيس من نفسه وعمله ، وقد تظهر الكرامة على من استقام في ظاهره ، وإن كانت هنات النفس في باطنه . . . إلخ .

وكان يقول : ما ثَمَّ كرامة أعظم من كرامة الإيمان ، ومتابعة السنة ، فمن أعطيهما=

كلها ، والمحافظة على الواجبات وما تيسر من المندوبات ، وذكر الجلالة الشريفة مهما أمكن ، وأقلُّ ذلك ألف مرة في كل يوم ، والاستغفار مائة مرة ، والصلاة على النبي ﷺ مائة مرة . « روح البيان » .

الكرامة ليست بشرط في المرشد

وأما الكرامة ! فليست بشرط للمرشد ، لأن الكرامة ما نقلت عن الصحابة والتابعين ، إلا عن بعضهم نادراً ، حتى لم تنقل من الصِدِّيق الأعظم ، مع أنه أفضل الأمة ! .

والحاصل : أن **أفضل الكرامة الاستقامة** ، كما قالت به رابعة العدوية ، **حتى إن بعض الأولياء لم يقبل الكرامة أصلاً** ، ولم يشرب الماء الذي ارتفع من البئر كرامة له ، وقال : لا أشربه إلا بإخراجي بيدي بالحبل والدلو . « روح اليان » .

وقال عبد الله القرشي : مَن لم يكن كارهاً لظهور الكرامات والآيات وخوارق العادات كراهية ظهور المعاصي فهو حجاب في حقه ، وسترها عنه رحمة ، والخوارق كلها ؛ كما إنها سبب السعادة ؛ فهي أيضاً سبب الشقاوة ، ولذا قيل : **الكرامة**(١) **حيض الرجال** . « روح البيان » .

وفي « طفل المعاني » الولي من أُيِّد بالكرامات وغيب عنها ، لا يرى الإفشاء ، لأن **إفشاء سرّ الربوبية كفر** .

قال في « المرصاد » : **أصحاب الكرامات محجوبون** ، والكرامة

=وجعل يشتاق إلى غيرهما فهو عبد مغترّ كذاب . « طبقات » . (هامش الأصل) .

(١) أي تطلبها والميل إليها حيض الرجال المانع عن القرب إلى الله تعالى . « المشرب النقشبندية » للشيخ الرباني الحاج بالحرمين عبد الرحمن الثغوري رحمه الباري .

حيض الرجال ، **فالولي له ألف مقام** ؛ أوله باب الكرامة ، مَن جاوز منها[1] نال الباقي ، وإلا ؛ فلا[2] .

قد ذكرنا في كتابنا « تنبيه السالكين » ما نصه : **أن الولي المجذوب الغير السالك لا يجوز أن يكون مرشداً للغير** ، لأنه في قبضته تعالى مسلوب الاختيار عن نفسه ، وإذا كان مسلوبَ الاختيار عن نفسه فلا يصلح أن يكون مربِّياً للغير ، **لأن التصرُّف في غيره يستدعي ولاية التصرُّف في نفسه** ، وهذا الولي مجذوب في نفسه ، مسلوب التصرف في نفسه ، فكان مسلوبَ التصرف في غيره . والكلام على هذا مبسوط في « جامع الأصول » .

و ذكرنا فيه أيضاً ، نقلاً من « المواهب البريقة » : أن المجذوب لايصلح أن يكون مسلكاً للمريدين لجهله بتحقيق مقامات الطريق ، فحكمه كمن خطف من مصر في الهواء فوجد نفسه بمكة ، فإذا سئل من مناهل[3] الطريق ومراحلها ربما جهل شيئاً منها ،بخلاف من سافر مع دليل الحجاج . انتهى .

ونقلنا فيه أيضاً من « مكتوبات » القطب محمود أفندي قدّس سرّه ما نصه :وإن باشروا – يعني :المجاذيب – إلى التربية يفسدون الطالب بسراية أحوالهم وأخلاقهم الغير المتممة بقوة إخلاص . انتهى . وقد بسطنا الكلام في ذلك الكتاب المذكور في الباب الثاني فراجعه .

---

(١) بترك الإفشاء .

(٢) أي : وإن أفشا فلا ينالها . فافهم . (منه) .

(٣) ويسمى المنازل التي في المفاوز على طرق السُفَّار : مناهل ؛ لأن فيها ماء . « مختار » . والمنهل – بفتح الميم – المورد ؛ وهو عين الماء . « مصباح » . (هامش الأصل) .

ولا يظن عاقل عالم - إن شاء الله - أنَّ هذا الحقير ينفي الولاية بالكلية عن المتشيخين ، فكيف ؛ وفي الحديث القدسي « أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري » بل إنما يقول : إنهم ليسوا من أهل السلوك الذين سلكوا على يد شيخ مربٍّ ، وقطعوا مقامات الطريق إلى أن يصلوا إلى مقام يجوز للشيخ أن يجيز لهم بالإرشاد ؛ وإن جاز أن يكونوا من المجاذيب الذين لا يجوز أن يؤخذ منهم ، ومعلوم أن **العصمة إنما هي من خصائص النبوة . فافهم** يا أخي ولا تعجل ، فإن العَجَلَةَ من الشيطان .

فائدة أخرى : قد بسطنا الكلام في ذلك الكتاب المذكور في الباب الثالث نقلاً من كتب السادات بما حاصله :

وربما يجيز الكامل ناقصاً بتعليم الطريقة للطالبين ، **وغرضه من ذلك أن يبلغ الكتابُ الأجلَ باجتماع أهل الذكر عليه** ، كما أجاز خواجه بهاء الدين النقشبندي ليعقوب الچرخي قدّس سرّه قبل الوصول لدرجة الكمال ، وقال : يا يعقوب ؛ ما وصل مني إليك . فليصلْ منك إلى الناس ، ثم تكمّل بعد ذلك على يد حضرة الشيخ علاء الدين . انتهى .

وينبغي أن يُعلم أنَّ النقص ؛ وإن كان ينافي الإجازة لما فيه من ضرر الطالبين ، لكن لمَّا صدر من كامل مكمل يكون هذا نائباً منابه ؛ وتكون يدُه يدَه ، فلا يتعدّى ضرره . انتهى فراجعه .

وأما الأخذ من الشيخ الناقص الذي لم يأذن له الشيخ في التلقين والإرشاد!! فمضرٌّ للطالبين ، كما هو مذكور في الكتب كـ« الإبريز » وغيره ، وقد مرَّت الإشارة إليه في هذا الكتاب .

البرج الثامن عشر

في بيان أن الشيخ الكامل كالنبي في أمته وأن مبايعته كمبايعته ﷺ لكونه نائباً عنه عليه السلام وبيان أن محبة الشيخ يجب أن تكون خالصة لله لا لغرض سواه

قال أحمد الزركراني رحمه الله تعالى في « رسالته » في الفصل التاسع : **الرسل نوعان** : **الرسل الأصلي وهم الأنبياء ، والرسل الفرعي وهم أولياء هذه الأمة** الذين يرسلون من عند الله بأمر الله بواسطة سيد المرسلين ، وقد أضاف الله تعالى إليه رسل عيسى عليه السلام إلى قرية أنطاكية بقوله ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾ انتهى . وقال بُعيد هذا : فيجب الإطاعة لأولياء أمة محمد ﷺ لأمر الله ؛ كما قال الله تعالى ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ **والمراد بأولي الأمر في الحقيقة هم الأولياء المرشدون** ، وللعامة الظاهرة : العلماء والأمراء الظاهرية ، ولأهل الله : العلماء الباطنية من الأولياء السنيين التابعين للنبي ﷺ المشاهدين له في مشاهدهم لصدق أحوالهم . انتهى .

مهم

وقال أيضاً بُعيد هذا : وهم بمنزلة أنبياء بني إسرائيل ، كهارون مع موسى في الدعوة إلى الله بشريعة النبي ﷺ ، كما قال الله تعالى ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾ . انتهى عبارته . فراجعه .

وفي « بيان الأسرار » للسهروردي : **فإنَّ الأولياء مرسلون للخواصِّ ؛ لا للعوام! فرقاً بين النبيِّ** ﷺ **والوليّ** ، فإنَّ النبيَّ ﷺ يرسل إلى العوام والخواص جميعاً مستقلاًّ بنفسه ، والوليّ المرشد يرسل للخواص غير مستقل بنفسه ، فإنه لا يسعه إلا متابعة النبي ﷺ . انتهى عبارته فراجعه في

الفصل الخامس تجد البسط .

وقال مؤلف « رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم » في الفصل الثامن عشر ما نصه هذا : وقال في « الخلاصة المرضية » : روى السهروردي بسنده أنَّ النبي ﷺ قال : « والذي نفس محمد بيده لئن شئت لأقسمنَّ لكم أنَّ أحَبَّ عبادِ الله إلى الله الذين يحببون اللهَ إلى عباد الله ويحببون عبادَ الله إلى الله ، ويمشون في الأرض بالنصيحة » . قال : وهذا الذي ذكره رسول الله ﷺ هو رتبة المشيخة والدعوة إلى الله ، لأن الشيخ يحبب الله تعالى إلى عباده حقيقة ، ويحبب عبادَ الله إلى الله ، **ورتبة المَشْيَخة من أعلى الرتب في طريق الصوفية ، ونيابة النبوة في الدعاء إلى الله تعالى .**

فأمَّا كون الشيخ يحبب عباد الله تعالى ! فلأن الشيخ يسلك بالمريد طريق الاقتداء برسول الله ﷺ ، ومَن صح اقتداؤه برسول الله ﷺ وأتباعه ، أحبه الله تعالى ، قال الله تعالى ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ** ﴾ ووجه كونه يحبِّبُ الله إلى عباده : أنه يسلك بالمريد طريق التزكية والتحلية ، فإذا تزكَّت النفس انجلت مرآة العبد وانعكس فيها أنوار العظمة ، ولاح فيها جمال التوحيد ، فأحبَّ العبدُ ربَّه لا محالة .

والشيخ من جنود الله تعالى يُرشدُ به المريدين ، ويهدي به الطالبين ، فعلى المشائخ وقار الله ، وبهم يتأدب المريد ظاهراً وباطناً . قال الله تعالى ﴿ **أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ** ﴾ ، فالمشائخ لما اهتدوا أهِّلوا للاقتداء بهم ، وجعلوا أئمة للمتقين ، فيسوسُ[1] الشيخ نفوسَ المريدين كما كان يسوس نفسه من قبل بالتأليف والنصح ، فبذلك يصير المريد

---

(١) ساس زيد الأمر : دبَّره وقام بأمره « مصباح » . وسُسْتُ الرعية : أمرتها وندبتها . « قاموس » . (هامش الأصل) .

كالجزء من الشيخ ، كما أن الولد جزءٌ من الوالد في الولادة الطبيعية ، وتصير هذه الولادة ولادة معنوية ، كما ورد عن عيسى عليه السلام : « لن يلج ملكوت السماء مَن لم يولد مرتين »[1] . ومَن صرف اليقين على الكمال يصل لهذه الولادة ، وبهذه الولادة يستحق ميراث الأنبياء ، ومَن لم يصله ميراث الأنبياء ما وُلِدَ .

وقال بعد كلام : ومن شرط المريد أن لا يصحب من الشيوخ إلا مَن تقع له حرمة في قلبه ، وأن يبايعه على المنشط والمكره . انتهى .

وقال في باب آداب الذكر : الخامس : أن يرى استمداده من شيخه هو استمداده من النبي ﷺ لأنه نائبه . انتهى .

مطلب

وفي « البحر المورود » للشعراني : أُخِذَ علينا العهد أن لا نأخذ العهد على فقير بالسمع والطاعة لما نأمره به من الخير إلا إن كنا نعلم منه يقيناً أنه لا يقدِّم علينا في المحبة أحداً من الخَلْق مطلقاً ؛ حتى أهلَه وولده ! **وراثة نبوية** ؛ لا استقلالاً . قال :

واعلم أنه لولا علم رسول الله ﷺ أن لصُحبةِ الناصح مدخلاً في حصول الهداية والانقياد بسرعة دون بُطْءٍ ؛ ما قال : « لا يؤمن أحدُكم حتى

(١) المراد منه : تولد طفل المعاني الروحاني من حقيقة قابلية الإنسان ، وهو سرُّ الإنسان ؛ يظهر علوقه من اجتماع علم الشريعة والحقيقة ، لأن الولد لا يحصل إلا من اجتماع النطفتين من الرجل والمرأة . « بيان الأسرار » .

والمراد من الولادة : هو ظهور طفل المعاني ، والخروج من عالم الجسمانية إلى عالم الروحانية ، وهو سرُّ الإنسان مقابل اللاهوت . إلا نادراً مثل عيسى عليه السلام حصل بلا أب في الظاهر ، بل جبرائيل أب له في المعنى لأنه بنفخه نشأ ، ولذلك قال عيسى عليه السلام حين عروجه : إني ذاهب إلى أبي جبرائيل . « لب الغرائب » (هامش الأصل) .

أكونَ أحبَّ إليه من أهله وولده والنَّاسِ أجْمعين » **ومن المعلوم أن جميع الدُعاة إلى الله تعالى من هذه الأمة إنما هم نوَّاب له** ﷺ ، فلهم من الأدب معهم ، والمحبة لهم - بحكم الإرث - نحو ما كان له ﷺ ، وذلك ليحصل للمريد كمال الانقياد ، ويعتقد في شيخه أنه أشفق عليه من نفسه ، كما أن النبي ﷺ كذلك ، قال الله تعالى ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ ﴾ .

وأما إذا علم الشيخ من المريد تقديمَ أحد عليه في المحبة نفض يده منه .

ومن كلام العارف بالله تعالى سيدي عدي بن مسافر - أحد أركان الطريق قدّس الله سره - : **اعلم** أنك لا تنتفع قط بالشيخ إلا إن كان اعتقادك فيه فوق اعتقادك في أمثاله ، وهناك يجمعك في حضوره ، ويحفظك في مغيبه ، ويهذِّبك بأخلاقه ، ويؤيِّدُك بإطراقه ، وينوِّرُ باطنك بإشراقه ، وإذا كان اعتقادك فيه ضعيفاً لم تشهد منه شيئاً من ذلك ، بل تنعكس ظلمة باطنك ، فتشهد صفاته هي صفاتك ، فلا تنتفع منه بشيء ، ولو كان من أعلى الأولياء .

قلوب الرجال كالجبال

وقد ذكر سيدي عليّ ابن وفا رحمه الله تعالى . في كتابه المسمى بـ« الوصايا » : **اعلم** أن قلوب الرجال أمثال الجبال ؛ فكما أن الجبال لا يزيلها عن أماكنها إلا الشرك بالله كما قال عز وجل ﴿وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴿٩١﴾﴾ فكذلك قلوب الرجال لا سيما الولي لا يزيل قلبه إلا الشرك الواقع من تلامذته[1] معه من إشراك أحد معه في المحبة ، لا

---

(١) وتوحيد قبلة التوجه من الشروط وتفريق التوجه موجب للخسران - عياذاً بالله سبحانه - . وأيضاً إنّي كنت قلت لك مكرراً ومؤكداً : أن قلِّل الأشغال ليحصل المقصود بسرعة ، فإن ترك الأمور الضروري والاشتغال بما لا طائل فيه بعيد عن طور العقل ولكنك معتقد برأي نفسك ، قلّ ما يؤثر فيك كلام غيرك ، وأنت تعلم=

يزيله إلا ذلك ، لا تقصيره في الخدمة ولا غير ذلك ، فافهم .

قال الشعراني : ثم لا يخفى عليك أن جميع الأشياخ إنما طلبوا من المريد كثرة الإجلال والتعظيم لهم ، والرضا بكل ما يرونه ؛ تمريناً له وطلباً لترقِّيه ، إذ الشيخ كالسُلَّم للترقي ، يترقى المريد بالأدب معه إلى الأدب مع الله تعالى ، فمَن لم يُحْكِمْ باب الأدب مع شيخه لا يشمّ رائحة الأدب مع الله تعالى ، فيستفيد المريد بالرضا عن شيخه إذا حرمه دنيا كان يترصَّد حصولها - مثلاً - الرضا عن الحق تعالى إذا حرمه رزقاً أو وظيفة ، أو نزل عليه بلاء ، أو أزال عنه نعمة ، ومتى لم يرضَ **فحرمان**[1] **شيخه لا يصح**[2] **له الرضا عن الحق تعالى** إذا حرمه شيئاً كان يحبه . ويستفيد بصبره على تحمُّل غضب شيخه وهجره له وثباته تحت هجره وقطيعته الإدمانَ على تحمُّل ذلك لو وقع من جانب الحق - والعياذ بالله - ويستفيد بمراقبة شيخه له في الخدمة له وعدم غفلته عنها وكثرة ملاحظته له عدم الغفلة عن عبادة الحق جلَّ وعلا ، وكثرة ملاحظته بالقلب . وهكذا .

قال : وينبغي لك يا أخي أن تمتحن نفسك إذا ادَّعت أنها تسمع لشيخها ما يأمرها به كما هو واقع من أكثر المريدين ، فيقولون : نحن أول من يطيع ، ثم إذا قال له شيخه : طلِّق زوجتك التي قلتَ : إنها تشغلك عن الله تعالى ، وتُحوجك إلى تناول الحرام والشبهات . هو خير لك ، أو ائتنا بشطر مالك لنفرِّقَه[3] على إخوانك هؤلاء الفقراء ، أو أسقط حقك من سائر وظائفك من إمامة وخطابة وتدريس ووقادة[4] وفراشة وأذان وخلوة وثياب

=ما على الرسول إلا البلاغ المبين . والسلام كذا في « المكتوبات » في ٣٣١ ج١ (منه رحمه الله) .

(١) عله بحرمان (هامش الأصل) .

(٢) وفي نسخة : يصلح .

(٣) وفي نسخة : لتفرقه .

(٤) هي : إيقاد سرج المسجد وفَرشُه .

ونحو ذلك لا يرضى ، بل يظهر على وجهه العبوسة ، حتى يشهد ذلك منه جميع الحاضرين ويفتضح ، **ولو أنه أجاب شيخه لكان أولى ، فإن الأشياخ لا تغش أبداً** ، وماذا يفوت المريد إذا سمع لشيخه وصار الحق تعالى عوضاً عن كل شيء ؟ ! **وماذا حصل مَن باع جلوسه في حضرة ربه عز وجل بقطعة دبغت بالدم والبول ولا تساوي في السوق درهماً ولا بعضَه إذا قطعتْ ؟ فعُلِم أن مَن لم يعتقد في شيخه أنه أشفق عليه من نفسه ، وأنه لا يأمره قط بترك شيء إلا ليعطيه أنفسَ منه ؛ فمحبته نفاق ، ولا يمكن للشيخ أن يطلعه على سرٍّ من الأسرار** التي يترقى هو بها ، فإن مَن لم يصلح لأن يكون محلاًّ للأسرار المكتومة عند الفقهاء يصير كأنه ما صحبهم ، وكذلك إذا كان الشخص[1] يصحب الشيخ أكثر من ثلاثين سنة لا ينتفع بشيء من أخلاقه .

ثم قال بعد كلام : وقد سئل الشيخ أبو السعود الجارحي رحمه الله تعالى يوماً عن شيء من أسرار الفقراء فقال : والله لا آمنكم على إخراج ريح ، فكيف آمنكم على أسرار أهل الطريق ؟ ! **ولهذا تجد الشيخ يلقن عشرة آلاف نفس وأكثر لا يفلح منهم أحد بعده ؛ لعدم الصدق** . والله تعالى أعلم .

وفي « جواهر المعاني » : وسألته رضي الله عنه عن قولهم رضي الله تعالى ، عنهم **إن دائرة الوليّ أوسع من دائرة النبي** ﷺ : فأجابَ رضي الله تعالى عنه بقوله : المراد بالولي أولياء هذه الأمة فقط ، والمراد منه مَن أُمر بالدعوة إلى الله تعالى من رجالهم ، فهم الذين دوائرهم أوسع من دوائر الأنبياء ، واتساع الدوائر وضيقها باعتبار الطوائف الذين يدعونهم إلى الله تعالى ، فكل رسول من الرسل غير نبينا ﷺ رسالته خاصة بموطن أو

---

(١) وفي نسخة : المريد .

جنس أو بلد ، لا يتعدى إلى غيره ، ورسالة نبينا ﷺ عامة في سائر البلدان والأقطار ، وفي جميع الأجناس والأمم وفي جميع الأعصار ، فالأولياء الداعون إلى الله تعالى من أمته دعوتهم تعمّ كعموم رسالة نبيهم ﷺ ، فلا تختص ببلد ولا جنس ولا أمة ، بل هي عامة كعموم رسالة نبيهم ﷺ **فهذا اتساع دائرة الولي عن دائرة النبي**[1] ، ثم هذه الدعوة إلى الله تعالى في حق الأولياء هي ملزومة لهم بطريق الشرع الظاهر ، لقوله ﷺ : « مروا بالمعروف وانهَوا عن المُنكَر » لكن هذه الدعوة المذكورة هنا إنما هي بالإذن الخاص كإذن الرسالة ، **فمن نهض**[2] **إلى الخلق يدعوهم إلى الله تعالى بالإذن الخاص له من الله سرت كلمته في جميع القلوب ، ووقع الإقبال من الخلق عليه ، والاستجابة عنه ، ووقع امتثال أمره ونهيه في الخلق ، وحلا كلامه في القلوب ، ومن نهض إلى دعوة الخلق إلى الله تعالى بالإذن العام ، وليس له شيء من الإذن الخاص؛ لم يُنْتَفَعْ بكلامه ، ولم يقع عليه إقبال** ، فإن لسان الحق يقول له بلسان الحال في بساط الحقائق : ما أمرناك بهذا ، أو ما أنت له بأهل ، بل إنما أنت فضولي . فمن وقف هذا الموقف ابتلي بحظوظ نفسه من الرياسة والرياء والتصنّع ، وليس من الله في شيء .

قال ابن الفارض رضي الله تعالى عنه :

فعالِمُنا منهم نبيّ ومن دعا   إلى الحق منّا قام بالرسيلة[3]

قال ابن عطاء الله : من أُذِنَ له في التعبير فُهِمَتْ في مسامع الخلق عبارته ، وحُلَّتْ لديهم إشارته .

---

(١) يعني : ليس معناه أن الوليّ أفضل من النبي . فافهم . (منه) . (هامش الأصل) .

(٢) أي قام « مختار » .

(٣) وفي « تزيين أسواق في أخبار العشاق » : بالرُسُلِية .

وحكاية الشيخ الجيلاني رضي الله تعالى عنه معلومة ؛ قال : قد كنت بالأمس صائماً ، فوضعتْ أم يحيى بُوَيْضَاتٍ إلى فطوري على طرف السرير ، فأتت هرَّةٌ فخطفتها ، فأخذ النساء في البكاء على عادتهن . . . إلى آخر الحكاية ، **ومَن ادعى الإذن الخاص من الله تعالى وهو كاذب ، وانبسط للخلق بالدعوة فإنه يموت كافراً ، إلا أن يتوب** ، نسأل الله تعالى السلامة والعافية بجاه النبي وآله . انتهى .

وقال شيخ الطريقة ، الجامعُ بين الشريعة والحقيقة ، المختار بن أحمد الكنتي : وما قيل أنه - يعني : المريد - ، لا اختيار له ! إنما ذلك في الأمور الدنيوية ، فلا يدخل بنفسه ، بل يدخل ما دخله بربّه وشيخه ، فيكون مع سؤاله مفوضاً متأدباً ، غير متكاسل ولا متساهل ، ممتثلاً لأمر الشيخ كائناً ما كان ، وإن رأى فيه العطب ، فإنّ فيه النجاة ، قال الله تعالى ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ** ﴾ .

الوليُّ في قومه كالنبيِّ في أُمَّته

وقد ثبت وصحَّ في الأثر **أنَّ الوليَّ في قومه كالنبيِّ في أمَّته** ، لأنهم ورثتهم ، وللوارث ما للمورِّث[1] .

قال الجنيد : لولا أن الله تبارك وتعالى ستر عن العامة حقائق الأولياء لهلكوا بعدم الاتباع والاقتداء بهم ، ولكانوا عليهم حجة يوم القيامة ، لكن الله تعالى بفضله ورحمته سترهم بهذه الصورة البشرية ، **فلا يعرفهم إلا مَن هو مثلهم ، أو مَن أراد الله أن ينفعه ببركاتهم** ، فيطوي عنه الصورة البشرية ويشهده الحقيقة الربانية ، فيدرك إدراكاً قطعياً ، لا ظنياً ولا حسبانياً ؛ فينتعش بمشاهدته ، وتبقى مسافة المسير إلى الدرجات

---

(١) وفي نسخة : للموروث .

العليَّة ، فتكون سرعتهم على قدر رِقَّة طباعهم وكثافتها ، وعلى قدر المتجليات وهِمَّة الشيخ وإقباله عليهم ، **ولا يكون إقباله عليهم إلا بقدر إقبالهم عليه** .

قال ابن عطاء الله : **لا تطلب من الشيخ أن تكون بباله ، ولكن أُطلبْ من نفسك أن يكون الشيخُ ببالك . فبقدر ما يكون ببالك تكون بباله** ، فذلك أول قدم تضعه في السلوك ، فمنهم مَن يرتقي في ساعة ، ومنهم مَن يرتقي في يوم ، ومنهم مَن يرتقي في شهر ، ومنهم من لا يرتقي إلا في سنة ، ومَن[1] لا يبلغ إلا بعد أمدٍ مديد ، يختصّ برحمته من يشاء ، فمنهم المجذوب والسالك ، ومنهم المطرود والهالك . انتهى عبارته ١٢٩ .

ثم قال صاحب « الرماح »[2] بعد كلام : فإذا ظفر التلميذ بواحد منهم ، فليعلم أنه قد ظفر بمراده ، فلا يبغي به بدلاً ، ومهما مال عن قدوته بظاهره وباطنه ولو لمحة ؛ فإن ذلك وَبالٌ عليه ونقصانٌ له ، وإن محبته لا تصفو ، ولا يستعدُّ باطنه لسراية حال القدوة ، فإن التلميذ كلما أيقن بتفرد الشيخ بالمشيخة عرف فضله ، وقويت محبته . والمحبة هي الواسطة بين القدوة والتلميذ ، فعلى قدر حسن ظنه به تكون محبته ، **وعلى قدر محبته تكون سراية حال الشيخ عنده** ، فالمحبة علامة التعارف الحسي الداعي إلى التأليف المعنوي . وبالله التوفيق . انتهى[3] عبارته ١٣٠ .

قواطع المريد عن أستاذه

وفي « الرماح » أيضاً في الفصل السابع عشر : قال شيخنا رضي الله تعالى عنه وأرضاه وعنا به : **وأمَّا ما يقطعه – يعني : المريد – عن أستاذه**

---

(١) وفي نسخة : ومنهم من .

(٢) نقلاً عن « بغية السالك » . (منه) . (هامش الأصل) .

(٣) من هامش « جواهر المعاني » ج١ . (منه) . (هامش الأصل) .

فأمور ؛

منها : الأغراض ؛ سواء كانت دنيوية أو أخروية ، وذلك أن الشيخ لا يُصْحَبُ ولا يُعْرَفُ إلا لله عز وجل ؛ لا لشيء سواه .

وهي - يعني الصحبة - ، في أمرين :

١ - إمَّا أن يواليَهُ لله تعالى بأن يقول : هذا ولي لله ، وأنا أُوَالِيه لله ، وذلك في قوله ﷺ مخبراً عن الله تعالى : « مَنْ عَادَى لي وَليًّا فقد آذنته بالحرب » وفي طيِّه : **من والى لي وَلِيّاً ؛ لأجل أنه وليّ اصطفيته واتخذته وَلِيّاً ، وهذا هو السر الأكبر الجاذب للمريدين إلى حضرة الله تعالى .**

٢ - والأمر الثاني : أن يعلم أنَّ الشيخ من عبيد الحضرة ، ويعلم ما يجب للحضرة من الأدب ، وما يفسد المرءَ فيها من الأوطار والأَرَب ، فإذا علم هذا يصحبه ليدُلَّه على الله تعالى وعلى ما يقرِّبه إليه ، **والصحبة في هذين الأمرين** لا غير .

ومَن صحب لغيرهما خسر الدنيا والآخرة ، فإذا عرفت هذا فاعرف أنَّ الرب سبحانه وتعالى يُعْبَدُ لا لغرض ، بل لكونه إلهاً يستحق الألوهية والعبودية لذاته ؛ لما هو عليه من محامد الصفات العلية ، والأسماء البهية ، وهذه هي العبادة العليا ، وكذلك الشيخ يُصحب لا لغرض ، بل لتجليه[1] موالاته إلى ولاية الله تعالى ، ويتعرف منه الآداب المرضية ، وما يشين العبد في حضرة الله تعالى .

وقال أيضاً رضي الله عنه وأرضاه ، وعنا به ، في قول ابن عطاء رضي الله تعالى عنه : **سبحان مَن لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليلُ عليه ، ولم يوصل إليهم إلا مَن أراد أن يوصله إليه .**

---

(١) وفي نسخة : لتجلية .

ومعنى الحكمة : هو أنه إذا وصّل الله عبداً إلى وليّ ، وأقرَّ سبحانه في قلب ذلك العبد أنَّ هذا من الأولياء قطعاً لا يتردَّد ولا يشكُّ ، ثمّ خَدَمَه بالصدق والأدب ، وأشرقت محبة ذلك الولي في قلبه ، وكانت فيه من حيث أنه من أهل حضرة الله ، وممن اصطفاه الله تعالى لنفسه ، فأحبه لأجل هذا الغرض لا لغرض آخر ؛ فلا شك أن هذا يصل إلى الله ؛ ولو بعد حين .

وأمَّا إذا وصل إلى الولي ، وأقبل على أغراضه وشهواته ، ولم ينل من الولي إلا ما طابق أغراضه ! فليس هذا من أهل الوصول إلى الله تعالى ، ولا من أهل الوصول إلى الولي[1] ، غاية الولي في هذا أنه يديم معاشرته من باب الإحسان إلى الخلق الذي أمره الله تعالى به ، ومعاشرتهم بالمعروف ، ويقبض عنه أسراره ، **فهذا ولو بقي مع الولي ألف عام لم ينل منه شيئاً ،** لأن لسان حال الولي يقول له : ما وصلتنا لله ، ولا وصلتنا لأجلنا ، وإنما وصلتنا لغرضك الذي كنت تناله ، لا نسبة بيننا وبينك . والسلام انتهى عبارته ١٢٢ ج١ . فهذه المذكورات مما يجب على المريد أن يَقِفَها[2] نصب عينه ، فقد رأينا كثيراً من المريدين يضعف طلبهم وإرادتهم يوماً فيوماً لأجل كونهم يطلبون الأحوال ، فإذا لم يحصل لهم شيء منها يفترون في الطلب ، ويرجعون قهقرى ، فكيف يحصل لهم الحال مع أنهم كاذبون في صحبة الشيخ ومحبته لله ؟ ! وقد فُهِم مما ذكرناه أن انعكاس حال الشيخ إلى المريد إنما يكون إذا كانت صحبته ومحبته لله تعالى ، لا لغرض ولا لعوض ، ومن ها هنا قيل : **إنَّ طالب الأحوال ليس بطالب الحق تعالى .**

---

(١) وفي « الطبقات » للشعراني : لا تشمُّ رائحة الولاية ؛ وأنت غير زاهد في الدنيا وأهلها . انتهى . كذا قاله الشيخ أبو الحسن الشاذلي قدس سره . انتهى . راجعه . (هامش الأصل) .

(٢) وفي نسخة : يوقفها .

ومَن صحت نيته لا يفتر في الطلب ، ظهر له الحال أو لم يظهر ، وغياب الحال في حقه أولى وأسلم .

مهم

وقد كتب شيخنا سيف الله قدّس سرّه في مكتوبه : فالعدم المحض أسنى الأحوال . انتهى .

وقد بسطنا الكلام في حق هذا في « تنبيه السالكين » ، ومن أراد الزيادة فليراجع إليه . اللهم اجعلنا من عبادك المخلصين ، ولا تجعلنا عَبَدة الحظوظ والأحوال . آمين .

وقد رأيت في « كنز المعارف »[1] لشيخنا القطب الصمداني سيف الله الحسيني ما لفظه : وقال ابن بنت ميلق قدّس سره :

وليس ينفع قطبُ الوقت ذا خلل ... في الاعتقاد ولا مَن لا يواليه

إلا إذا سبقت للعبد سابقة ... يعود من بعد هذا من يواليه

أي : وليس ينفعك أيها الطالب ملاقاة القطب والاجتماع به إذا لم تنكسر له ، وتخشع بين يديه وتتذلل ، فلذلك قيل : **من أشدّ الحرمان أن تجتمع بالولي ولم ترزق القبول عنده** ، وما ذاك إلا لسوء أدبك في الظاهر والباطن ! ! فإنهم يدخلون في باطن الإنسان ، ويعلمون ما تحويه سرائره من غير أن يشعر ذلك ، فلهذا يجب على الحاضر بين يدي أولياء الله تعالى أن يحفظ سره عما لا يعني ، فكيف بالمعاصي ؟ ! فإذا خطرت ووقعت خطرة من خطرات السوء بين يدي الولي فينبغي للطالب أن يتلافى[2] ذلك ،

---

(١) وهو كتاب نفيس ضخم كـ « المحلي » قد بقي على المسوّدة بموته (منه) . (هامش الأصل) .

(٢) تلافاه : تداركه « مختار » . (هامش الأصل) .

ويغسل تلك الخطرة بالاستغفار ، والرجوع إلى مولاه بالذلة والانكسار ، وهذا هو الذي أشار إليه الناظم بقوله :

إلا إذا سبقت للعبد سابقة . . . إلخ إذا سبقت العناية الإلهية للطالب تلافى ذلك الخاطر ، وعالج سوء الأدب الواقع منه بالاستغفار ، والعودة إلى موالاة ذلك الولي وحسن الأدب معه ، **فإن سيماهم السماحة** ، وهم متخلِّقون بأخلاق مولاهم ؛ يحبون التائب ، ويغفرون الذَلَّة[١] ، ويقيلون العثرة .

والحاصل : أن النفع المترتب على الاجتماع بالأولياء إنما يحصل بلزوم الأدب معهم ، وحسن الاعتقاد[٢] فيهم . انتهى عبارته من خطه رضي الله عنه .

---

(١) وفي نسخة : الزلة .

(٢) **مهم ؛ أخذ الخير والفيض من الباطن مشروط بالشروط**

وقد رأيت في « طيب الحبيب » ما حاصله : أن أخذ الخير من باطن الغير مشروط ، ومسبوق بحسن الاعتقاد ورعاية الأدب معه ، وعدم الاعتراض عليه ، ووجوب الموافقة العادلة الفاضلة ، وقطُّ لا يسري من باطن إلى باطن شيء من الحقائق إلا برعاية ما ذكرت من الشرائط ، فليلازمها المسترشد العاقل إذا وجد باطناً ذا عقائد . انتهى . فراجعه . (منه ، رحم الله إفلاسه آمين) .

*وكان - يعني الشيخ إبراهيم الدسوقي - يقول : يا ولدي ، إن صح عهدك معي فأنا منك قريب غير بعيد ، وأنا في ذهنك وأنا في سمعك ، وأنا في طرفك ، وأنا في جميع حواسّك الظاهرة والباطنة وإن لم يصح لك عهد لا تشهد منِّي إلا البعد . وكان رضي الله عنه يقول : فإذا أخذت يا ولدي وصيتي بالقبول وجاهدت في سرّك وراقبته سمعت كلام شيخك ولو كنت بالمشرق ؛ وهو بالمغرب ورأيت شَبَح شخصه . فمهما ورد عليك من مشكلات سرك أو شيء تستخير فيه ربك أو أحد يقصدك بأذى أو غير ذلك فوجه شيخك وصف سرّك وأطبق عين حسّك وافتح عين قلبك ، فإنك ترى شيخك وتستشيره في جميع أمورك وتطلب منه حاجتك فمهما قال لك فاقبله منه ، وامتثله . « الطبقات الكبرى » ١٥٠ .

البرج التاسع عشر

في بيان مذمَّة علماء السوء الذين هم في أسْرِ محبة الدنيا ومدح العلماء الزهَّاد الذين يرغَبون عن الدنيا

قال الإمام الرباني مجدّد الألف الثاني أحمد الفاروقي السرهندي رضي الله عنه : إن محبة الدنيا من العلماء ورغبتهم فيها كلَفٌ[1] على وجه جمالهم ، وإن كان يحصل منهم فوائد للخلائق ، لكن لا يكون علمهم نافعاً في حقهم ، وإن كان تأييد الشريعة وتقوية الملَّة مرتباً عليهم ، لكن لا اعتبار على ذلك ، **فإن التأييد والتقوية يحصل من أهل الفجور وأرباب الفتور أحياناً** ، كما أخبر سيد الأنبياء - عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات - عن تأييد الفاجر قال : « إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » ، وهم كحجر الفارس ؛ حيث كلما يلصق به من الشيء الأملس والحديد يكون ذهباً ؛ وهو باقٍ على حجريّته ، وكالنار المودعة في الحجر والشجر ، فإنه يحصل منها منافع للعَالَم ؛ ولكن لا نصيب للحجر والشجر من تلك النار المودعة في باطنهما ، بل أقول : إن ذلك العلم مضرٌّ في حقهم ، لأنه به تَمَّتْ الحُجَّةُ عليهم ، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام : « إنَّ أشَدَّ النّاسِ عَذَاباً يومَ القيامة عَالِمٌ لم ينفعه الله بِعِلْمِهِ » فكيف لا يكون مضرّاً ؟ ! فإن العلم الذي هو أعزّ الأشياء عند الله وأشرف الموجودات ، جعلوه وسيلة لجمع حُطَام الدنيا الدنيئة ؛ من المال ، والجاه ، والأحباب ، والحال أن الدنيا ذليلة عند الله تعالى ، وحقيرة ، وأبغض المخلوقات عند الله ، وإذلال ما هو عزيز عند الله ، وإعزاز ما هو ذليل عنده في غاية القباحة ، بل هو معارضة مع الحق سبحانه في الحقيقة ، والتدريس والإفتاء إنما يكونان نافعين إذا كانا خالصَيْن لوجه الله تعالى ، وخاليين عن

---

(١) أي : الوسخ المنتشر على البشرة .

شائبة حب الجاه والرياسة ، وطمع حصول المال والرفعة .

وعلامة خلوِّهما عن تلك المذكورات : الزهد في الدنيا ، وعدم الرغبة فيها .

علماء الدنيا لصوص الدين

فالعلماء الذين هم مبتلون بهذا البلاء ، ومأسورون في أسْرِ محبة الدنيا ، **فهم من علماء الدنيا ، وهم علماء السوء ، وشرار الناس ، ولصوص الدين** ، والحال أنهم يعتقدون أنفسهم مقتدى بهم في الدين ، وأفضل الخلائق أجمعين ﴿ **وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ (١٨) ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ (١٩)** ﴾ .

رأى واحدٌ من الأكابر الشيطانَ قاعداً ، فارغ البال عن الإغواء والإضلال ، فسأله عن سرِّ قعوده بفراغ البال ، فقال اللعين : إن علماء السوء في هذا الوقت قد أمدّوني في أمري مدداً عظيماً ، وتكفلوا لي بالإضلال ، حتى جعلوني فارغ البال .

والحق أن كل ضعف ووهن وقع في أمور الشريعة في هذا الزمان ، وكل فتور ظهر في ترويج الملة وتقوية الدين ، إنما هو من شؤم علماء السوء وفساد نيَّاتهم .

علماء الآخرة ورثة الأنبياء

نعم ؛ إن كان العلماء راغبين عن الدنيا ، ومحرَّرين من أسر حب الجاه والرياسة ، وطمع المال والرفعة ، **فهم من علماء الآخرة ، وَوَرَثة الأنبياء** عليهم الصلوات والتسليمات ، **وهم أفضل الخلائق ، وهم الذين يُوزن مِدادُهم يوم القيامة بدم الشهداء** في سبيل الله ، فيترجح مدادهم ،

و« نوم العالم عبادة » متحقق في حقهم ، وهم الذين استحسن في نظرهم جمال الآخرة ونضارتها ، وظهرت قباحة الدنيا وشناعتها ، فنظروا إلى الآخرة بنَظَر البقاء ، ورأوا الدنيا متسمة بسمة الزوال والفناء ، فلا جرم هربوا من الفاني ، وأقبلوا على الباقي ، **وشهودُ عظمة الآخرة إنما هو ثمرة شهود الجلال اللايزالي** ، وإذلال الدنيا وتحقير ما فيها من لوازم شهود عظمة الآخرة ، لأن الدنيا والآخرة ضَرَّتان ؛ إن رضيت إحداهما سخطت الأخرى ، فإن كانت الدنيا عزيزة فالآخرة حقيرة ، وإن كانت الدنيا حقيرة فالآخرة عزيزة ، وجمع هذين الأمرين من قبيل جمع الأضداد .

ما أحسن الدين والدنيا لو اجتمعا . . . . !

نعم ؛ قد اختار جمع من المشائخ الذين تخلَّصوا عن أسْر نفوسهم ومقتضيات طبائعهم بالكلية صورة أهل الدنيا بواسطة نياتٍ حقَّانية ، تراهم في الظاهر راغبين فيها ، ولكن لا علاقة لهم بها في الحقيقة أصلاً ، بل هم فارغون عن الكل ، ومتخلِّصون عن الجميع ، ﴿ **رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ** ﴾ فلا يمنعهم البيع والشراء عن ذكر الله ، فهم في عين التعلُّق بهذه الأمور غيرُ متعلِّقين بشيء .

قال الخواجه بهاء الدين النقشبند قدّس سرّه : **رأيت في سوق منى تاجراً اتَّجر بمقدار خمسين ألف دينار تقريباً ، ولم يغفل قلبه عن الحق سبحانه لحظة** . انتهى « الدرر المكنونات » ٤٧ ج١ .

وفي « الأنوار القدسية » : قال تعالى مادحاً للكمَّل ﴿ **رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ** ﴾ فأخبر أنهم مع قيامهم في الأسباب التي يحجب بها غيرهم لا يغفلون عن ذكر الله تعالى لأنّ الدنيا خرجت من قلوبهم ، وصارت في يدهم ؛ لا غير !

وما ذمَّ الله تعالى حبَّ الدنيا إلا إذا كان حبها بحكم الطبع ، ويبخل

العبد بها عن المحتاجين .

وأما إذا وسَّع بها على المساكين ، وستر بها نفسه ، **وكفَّها بها عن سؤال الناس ؛ فنعمت الدنيا حينئذ ، وبئس رميها** ، ولذلك ما ذمَّ الله تعالى ذات الدنيا ، وإنما ذمَّ الميل إليها فقط ، إذ لو كانت مذمومة لذاتها لم نؤمر بمسكها في حال من الأحوال فافهم .

الدنيا المذمومة هي الزائدة عن الحاجة

ولا يخفى أن مرادَ كلٍّ من ذمَّ الدنيا من الشارع ﷺ أو غيره من صالحي المؤمنين الدنيا الزائدةُ على الحاجة ، أما ما يحتاج إليه ؛ فليس من الدنيا في شيء ، بل هو مطلوب ، إذ النكتة في ذمّ [الدنيا] إنما هو الاشتغال عن عبادة الله عز وجل لا غير ، فمن عصمه الله أو حفظه عن الوقوع فيما يلهي عنه تعالى فلا حرج عليه ، ولذلك طلب أيوب وسليمان الدنيا ، ومعلوم أنهما معصومان من طلب ما يشغلهما عن الله فافهم . انتهى عبارته ١٥٠ ج٢ .

العلم النافع علم الآخرة

اعلم أيها الأخ في الله ، لله بالله ؛ أني ذكرت قبيل البرج الحادي عشر بأنه **ما ثمَّ عالمٌ إلا وهو يعمل بعلمه ولو بوجه من الوجوه** ما دام عقله حاضراً . انتهى . لكن ينبغي أن يعلم أن العلم النافع هو علم الآخرة لا غير ، ومعلِّم هذا العلم هو الذي يُدْعى في ملكوت السماء عظيماً .

التعليم على قصد الدنيا هلاك وإهلاك

قال في « الإحياء » : وإنما المعلِّم هو المفيد للحياة الأخروية الدائمة ؛ أعني معلِّم علوم الآخرة ، أو علوم الدنيا على قصد الآخرة ؛ لا على قصد الدنيا ! **فأما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك وإهلاك** . نعوذ

بالله منه . انتهى عبارته ٤٢ ج١ .

الغرض من طلب العلم هو القرب إلى الله تعالى

وفيه بعيد هذا : ثم ينبهه[١] على أن الغرض بطلب العلوم القربُ إلى الله تعالى ، دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ، ويقدم تقبيح ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن ، فليس ما يصلحه العالم الفاجر بأكثرَ مما يفسده ، فإن علم من باطنه أنه لا يطلب العلم إلا للدنيا ؛ نظر إلى العلم الذي يطلبه ، فإن كان هو علم الخلاف في الفقه ، والجدل في الكلام ، والفتاوى في الخصومات والأحكام ؛ فيمنعه من ذلك ، فإن هذه العلوم ليست من علوم الآخرة ، ولا من العلوم التي قيل فيها : (تعلّمنا العلم لغير الله ، فأبى العلم أن يكون إلا لله) . وإنما ذلك علم التفسير ، وعلم الحديث ، وما كان الأولون يشتغلون به من علم الآخرة ، ومعرفة أخلاق النفس وكيفية تهذيبها ، فإذا تعلَّمه الطالب وقصدُه الدنيا ؛ فلا بأس أن يتركه ، فإنه يثمر له طمعاً في الوعظ والاستتباع ، ولكن قد يتنبه في أثناء الأمر أو آخره ، إذ فيه العلوم المخوِّفة من الله تعالى ، المحقِّرة للدنيا ، المعظِّمة للآخرة ، وذلك يوشك أن يؤدي إلى الصواب في الآخرة ، حتى يتعظ بما يعظه غيره ، ويجري حب القبول والجاه مجرى الحب الذي ينثر ويرمي حوالي الفخ[٢] ليقتنص[٣] به الطير ، وقد فعل الله ذلك بعباده ؛ إذ جعل الشهوة ليصل الخلق بها إلى بقاء النسل ، وخلق الجاه أيضاً ليكون سبباً لإحياء العلوم ، وهذا متوقع في هذه العلوم ، فأما الخلافيات المحضة ، ومجادلات الكلام ، ومعرفة التفاريع الغريبة ! فلا يزيد التجرد لها مع الإعراض عن غيرها إلا قسوة في القلب ، وغفلة عن الله تعالى ، وتمادياً في الضلال ، وطلباً للجاه ، إلا مَنْ

---

(١) يعني ينبّه المعلمُ المتعلم (منه) . (هامش الأصل) .

(٢) الفخ : آلة يصاد بها . « مصباح » . (هامش الأصل) .

(٣) الذى ينصب ليقتنص أي يصطاد . « إتحاف » . (هامش الأصل) .

تداركه الله تعالى برحمته ، أو مزج به غيره من العلوم الدينية . ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة ! فانظر واعتبر واستبصر ؛ لتشاهد تحقيق ذلك في العباد والبلاد . والله المستعان .

وقد رؤي سفيان الثوري رحمه الله حزيناً ، فقيل له : مالَكَ[1] ؟ ! فقال : صِرْنَا متّجراً لأبناء الدنيا ، يلزمنا أحدهم[2] ، حتى إذا تعلَّم جعل قاضياً أو عاملاً أو قهرماناً . انتهى ٤٣ ج١ .

مهم لنا

ومن أجلِّ العلوم النافعة : علم السلوك الذي يعلم به صفات القلب . وقد قال في « شرح سلك العين » : **إن علم السلوك فرض عين بلا خلاف** ، على الذكور والإناث والعبيد والأشراف ، وصرَّح به ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » في ٢٢٨ .

ومن الكتب التي قال ابن حجر في « الفتاوى الحديثية » في ٢١٦ : (إنها من الكتب النافعة في الدنيا والآخرة) : كتب الغزالي ، وأبي طالب المكي .

قال الشيخ السيد أحمد بن المرحوم سيدي زيني دحلان بعد ذكره كلاماً في المهلكات والمنجيات :

وقد تكفل الإمام الغزالي رضي الله عنه في « إحياء علوم الدين » ببيان ذلك كله ، فذكر حقائقها وأسبابها وعلاجاتها ، فمن أراد كمال معرفة الله ، وسلامة دينه ، فلا بدَّ له من معرفة ذلك .

وطريق السادات الصوفية كلها مبناها على العلم والعمل ، والتخلِّي

(١) أي : لأي شيء أراك محزوناً ؟ ! « إتحاف » . (هامش الأصل) .
(٢) في طلب علم الحديث « إتحاف » . (هامش الأصل) .

من الصفات الذميمة ، والتحلِّي بالصفات الحميدة .

قال الإمام القطب سيدنا عبد الله العيدروس رضي الله عنه : ليس لنا طريق ومنهاج سوى الكتاب والسنة .

فضيلة « الإحياء »

وقد شرح ذلك سيد المصنفين ، وبقية المجتهدين ؛ حجة الإسلام الغزالي في كتابه « أعجوبة الزمان العظيم الشأن » الملقب « إحياء علوم الدين » ؛ الذي هو عبارة عن شرح الكتاب والسنة ، والطريقة والحقيقة ، فعليكم بالكتاب والسنة أولاً وآخراً ، ظاهراً وباطناً ، واعتباراً واعتقاداً . وشرح الكتاب والسنة مستوفى في كتاب « إحياء علوم الدين » .

ولو بعث الله تعالى الموتى لما أوصوا الأحياء إلا بما في « الإحياء » .

وقال : أشهد سرّاً وعلانية **أن مَن طالع « الإحياء » كان من المهتدين** . انتهى ٧ .

وفي « عقد اليواقيت » : وعليك بقراءة كتب الفقه ؛ سيما كتب الشيخ ابن حجر ، والرملي ، و« إحياء علوم الدين » ففيه الخير الكثير ، وبركة فيه كثيرة ، وفتح لأسلافنا ببركة قراءته ونوره .

وقد أطنب فيه سيدنا العيدروس الأكبر ، وبَخْ بَخْ[1] فيه إلى غاية ونهاية ، وهو كما قال بعضهم : **كاد الإحياء أن يكون قرآناً** . وقرىء على الشيخ عَلِيّ أربعين مرة ، وقرأه أربعين مرة ، فيا لها من مزية ، ويا لها من بركة . انتهى عبارته ١١٦ .

---

(١) بخ بخ : كلمة تقال عند الرضى والإعجاب بالشيء أو الفخر والمدح . (القاموس المحيط) .

ورأيت في « تعريف الأحياء فضيلة الإحياء » ما عبارته : وقال السيد الكبير ، العارف بالله الشهير ؛ علي بن أبي بكر ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف : **لو قلّب أوراق « الإحياء » كافر لأسلم ، ففيه سرٌّ خفيٌّ يجذب القلوب شبه المغناطيس** .

قلت : وهو صحيح ، فإني مع خسيس قصدي وقساوة قلبي أجد عند مطالعتي له من انبعاث الهمّة وعزوف النفس عن الدنيا ما لا مزيد عليه ، ثم يفتر برجوعي إلى ما أنا فيه ومخالطة أهل الكثافات ، ولا أجد ذلك عند مطالعة غيره من كتب الوعظ والرقائق ، وما ذاك إلا لشيء أودعه الله فيه ، وسرِّ نفس مصنِّفِهِ ، وحسن قصده .

والمراد بالكافر هنا - فيما يظهر - : الجاهل بعيوب النفس ، المحجوب عن إدراك الحق ، أي : **فبمجرد مطالعته الكتاب المذكور يشرح الله صدره ، وينوِّر قلبه ، وذلك لأن الوعظ إذا صدر عن قلب متَّعظ كان حريّاً أن يتعظ به سامعه** . وكما أن الله تعالى جعل لعباده الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون رتبة فوق غيرهم ؛ كذلك جعل لما يبرز منهم ويؤخذ عنهم بركة زائدة على غيره ، لأن ألسنتهم كريمة ، وأنوار قلوبهم عظيمة ، وهممهم عليَّة ، وإشاراتهم سنية ، حتى يكون للقرآن أثر عظيم عند سماعه منهم ، وللأحاديث بهجة وجلالة زائدة إذا أخذت عنهم ، وللمواعظ منهم تأثير في القلوب ظاهر ، ولعلومهم وفقههم أنوار ونفع متظاهر ، حتى تجد الرجل له العلم القليل وبعد ذلك ينتفع به كثير لحسن نيته ، ووجود بركته ، وغيرُه له أكثر من ذلك العلم ؛ ولم ينتفع به مثلَه ! لأنه دونه في منزلته . ومَن تأمل ذلك وجده أمراً ظاهراً معهوداً ، وشيئاً مجرَّباً موجوداً . انتهى عبرته ٢١ من هامش « الإحياء » ج١ .

وفي « تعريف الأحياء » أيضاً : وقال فيه النووي : **كاد الإحياء**(١) **أن**

(١) « إحياء علوم الدين » للإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي=

يكون قرآناً .

وقال الشيخ أبو محمد الكازروني : **لو محيت جميع العلوم لاستخرجت من « الإحياء »** . انتهى عبارته ١٤ .

وفيه : ومن كلامه ؛ - يعني : من كلام الشيخ قطب الأولياء عبد الله العيدروس رضي الله عنه - **اعلموا** أن مطالعة « الإحياء » يحضر القلب الغافل في لحظة ؛ كحضور سواد الحبر بوقوع الزاج في العفص[1] والماء . وتأثير كتب الغزالي واضح مجرب عند كل مؤمن .

ومن كلامه : **أجمع العلماء العارفون بالله على أنه لا شيء أنفع للقلب وأقرب إلى رضا الرب من متابعة حجة الإسلام الغزالي ، ومن محبة كتبه** ، فإن كتب الإمام الغزالي لُبَاب الكتاب والسنة ، ولباب العقول والمنقول . انتهى عبارته ١٦ .

وفيه : أثنى على « الإحياء » عالَم من علماء الإسلام ، وغير واحد من عارفي الأنام ، بل جميع أقطاب وأفراد . انتهى عبارته ١٣ .

وفيه كلام كثير في الثناء على « إحياء علوم الدين » . وكذا أشبع صاحب « الإتحاف » القول في مدح الغزالي ، ومدح « الإحياء » ، وردّ قول كل معترض عليه بأجوبة مرضية ، فمن طالع إليهما تحصل الرغبة في قراءته ومطالعته .

وقد رأى الحقير من مطالعته أثراً عظيماً ، ونفعاً كثيراً ، ولذا حثّ أولاده وأحبابه على قراءته . رزقنا الله التوفيق والاستقامة .آمين يا مجيب .

=الشافعي ، المتوفَّى بطوس سنة ٥٠٥ خمس وخمس مائة وهو من أجلِّ كتب المواعظ وأعظمها ، حتى قيل فيه : إنه لو ذهبت كتب الإسلام وبقي « الإحياء » لأغنى عما ذهب . « كشف الظنون » ٨٥ ج١ . (هامش الأصل) .

(١) والعَفْصُ : الذي يتّخذ من الحبر مولَّد وليس من كلام أهل البادية .

البرج العشرون

في ذكر مجاهدة النفس والهوى وترك الشهوات

اعلم أن الله تعالى قد جعل الهداية منوطة بالمجاهدة ، وقال ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ الآية ، **والنفس من كل أحد سوى الأنبياء هي الصنم الأكبر ، والهوى إلهٌ يُعْبد ، وأكثر الخلق عن هذا غافلون** . قال تعالى ﴿ أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ .

وفي « الصاوي » في تفسير قوله تعالى ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ ﴾ الآية : أي أعدائكم الظاهرية والباطنية !

الأعداء الظاهرية والباطنية

فالظاهرية : فِرَق الضلال والكفر ، ومجاهدتها معلومة ، ويُسمى **الجهاد الأصغر** .

والباطنية : النفس والهوى والشيطان ، ومجاهدتها : الامتناع من شهواتها شيئاً فشيئاً ، ويسمى **الجهاد الأكبر** كما في الحديث .

ووجه تسميته أكبر : أن الأعداء الظاهرية تحضر تارة ، وتغيب أخرى ، وتصالح ، وإذا قتلها الشخص أو قتلته فهو في الجنة ، بخلاف الأعداء الباطنية ؛ فلا تغيب أصلاً ، ولا يمكن الصلح معها ، وإذا قتلت صاحبها وغلبته فهو في النار . انتهى عبارته . فراجعه في سورة المؤمنين .

فإذا كان الأمر كذلك ؛ لازم على العبد أن يخالف النفس والهوى ، ويجتنب عن المألوفات والمأنوسات ، كما درج السلف الصالح على عداوتها وعدم موافقتها .

قال الإمام البوصيري رضي الله عنه :

وَالنَّفْسُ كَالْطِفْلِ إِنْ تُهْمِلْهُ شَبَّ على حُـبِّ الرِضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمُ

فاصرفْ هواها وحـاذرْ أَنْ تُـوَلِّيَهُ   إِنَّ الهوى ما تولَّى يُصْمِ أو يَصِمِ
وراعها وَهْي في الأعمــال سـائمةٌ   وإن هي استَحْلَتِ المَرْعَى فلا تُسم

قال الشعراني في « تنبيه المغترين » في ١١١ : ومن أخلاقهم رضي الله عنهم كثرة مجاهدة نفوسهم في العبادات ، وترك الشهوات ، وعدم رضاهم بعد ذلك عنها إلى أن يموتوا . وهذا مجمع عليه عند القوم .

خرق الإجماع حرام

فمن خالفهم في ذلك فقد خرق إجماعهم ، وذلك حرام ؛ لأنه من قاعدة : (ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب) .

وقد قالوا : مَن ظن أنه بغير الجهد في الطاعات يبلغ شيئاً من الدرجات ، فقد رام المحال .

وقيل أيضاً : لا تخرق لعبد العادات إلا إن زاد على الناس في العبادات ، وذلك **لأن الكرامات فرع المعجزات** ، فكما تميز النبي ﷺ بكثرة الطاعات والمعجزات ، فكذلك الولي لا يقع له كرامة إلا إن جاوز أقرانه في الجد والطاعات .

وفي الحديث « المجاهد من جاهد نفسه في الله عز وجل » انتهى .

وقد كان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه يقول : أول ما تنكرون من الجهاد جهادُ نفوسكم .

وكان أبو مالك الأشعري رضي الله عنه يقول : **ليس عدوك الذي إن قتلته آجرك الله عليه ، ولكن عدوك الذي بين جنبيك - يعني : النفس - وامرأتك التي تضاجعك ، وولدك الذي من صلبك ، فهؤلاء أعدى عدوٍّ لك .**

وكان خضر القارئ رحمه الله تعالى يقول : نحت الجبال بالأظافر

حتى تنقطع الأوصال أهون من مخالفة الهوى إذا تمكَّن في النفس .

ما يفسده قرين السوء

وكان بشر الحافي رحمه الله تعالى يقول : ستون من مردة الشياطين لا يفسدون ما يفسده قرين السوء في لحظة ، وستون من قرناء السوء لا يفسدون ما تفسده النفس في لحظة ، وإذا جعلت الأمور كلها على وفق المراد للعبد أتاه الخلل فيها من قبل نفسه . وقد أجمع سائر الملل على أن رضا الرب جلّ وعلا في مكروه النفس .

وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول : الدنيا كلها محشوة بالعجائب ، وأعجب العجائب نجاة نفوس[1] أمثالنا من النار ، وكيف ينجو من النار مَن كل أعماله تجرُّه إليها ؟ !

وكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى يقول : أصاب شخصاً من الزهاد سهمٌ فذبحه ، فقال : الحمد لله الذي أخذ لي بثأري من نفسي ، فكم ذَبَحَتْني من ذبح ! !

وكان يحيى بن معاذ يقول : أنا أعلم شقاوتي من الآن . فقيل له مرة : وكيف ذلك ؟ قال : لأنهم قالوا : علامة **سعادة المرء أن يكون عدوه عاقلاً ، وأنا أرى خصمي لا عقل له** . فقال : ومَن هو خصمك ؟ ! قال : نفسي . فقيل له : أنت بحمد الله ذو عقل . فقال : كيف عقلي وأنا أبيع الجنة بشهوة نومة أو لقمة أو كلمة ؟ ! انتهى .

وكان بشر الحافي رحمه الله تعالى يقول : الهوى كمين في النفس لا نؤمن اتباعه . قال تعالى ﴿**أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ**﴾ الآية .

وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول : نحن اليوم لا نرى أحداً يعمل على وفق السنة ، وإنما كلٌّ يعمل على موافقة الهوى ، ما بين عالم

---

(١) وفي (خ) نفوسنا ونفوس أمثالنا .

وجاهل ، وعابد وزاهد ، وشيخ وشاب ، كل يعمل ليحمد على ذلك ؛ إمّا عند الله ، وإما عند الناس ، وكذلك يترك المعاصي خوفاً من ازدراء الناس له ؛ لا خوفاً من الله تعالى . **ومَن ذا الذي منا لا يغضب ممن ذكره بسوء بين الناس ؟! اصطلحنا والله على المداهنة ، وتحاببنا بالألسن ، وتباغضنا بالقلوب ، وطلبنا العلم لغير العمل ، بل للتزيُّن والمباهاة والرياسة على الناس ، لنحن أول مَن تُسَعَّر بهم النار .**

وقد بلغنا أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه الصلاة والسلام : يا داود ؛ إن أردت محبتي لك فعادِ نفسك ووِدّني بعداوتها . انتهى .

وكان عبد العزيز بن أبي رواد رحمه الله تعالى يقول : إذا ذكر أحوال السلف بيننا افتضحنا كلنا .

وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول : والله لو أنكم تجدون للعاصي ريحاً لما استطاع أحد منكم أن يجلس إليَّ من خبث ريحي .

وكان عطاء السلمي رحمه الله تعالى إذا أصاب أهلَ بلدٍ ريحٌ أو غلاء ، أو فناء أو بلاء يقول : كل هذا من أجل ذنوب عطاء ، لو مات عطاء لاستراح الناس منه .

وكان سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى يقول : ينبغي للعبد أن يكون عند الله من أجلِّ الناس ، وعند نفسه من أشرِّهم .

وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول : **كل مَنْ ادَّعى درجة سقط منها** ، وإذا كان الرجل في أعلى درجة فمن حقه أن يحقر نفسه .

وكان أبو معاوية الأسود رحمه الله تعالى يقول : **كل مَنْ فضَّلني على نفسه من أصحابي فهو خير مني .**

وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى إذا جلس إليه أحد وثقل

على قلبه يوبخ نفسه ، ويقول لها : إنك لا تحبين الصالحين ، ولما رأيت هذا خيراً منك كرهته ، وثقل عليك مجالسته .

الفسق أهون من الرياء

وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى كثيراً ما يقول : **مَن أحب أن ينظر إلى مراءٍ فلينظر إليّ** . ثم يمسك لحيته بيده ويبكي ، ويقول : كنت يا فضيل في شبابك فاسقاً ، ثم صِرْت في كُهُولَتِك مرائياً ، والله للفسق أهون من الرياء .

وقد قال شخص مرة لمالك بن دينار رحمه الله تعالى : يا مرائي ؛ فقال له مالك : لقد عرفت يا أخي لقبي الذي أضلَّه أهل البصرة .

وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول : كل مَن زعم أنه يحب الله وهو يحب نفسه فقد كذب .

وقد كان الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى يقول : لا يكمل العابد حتى يصير يرى إخلاصه رياءً ، والله لو قيل لي : إن الخليفة داخل عليك الساعة . فسوَّيت لحيتي بيدي لقدومه ؛ لخفت أن أكتب في جريدة المنافقين . انتهى .

وأما تَرْكُ القوم رضي الله عنهم للشهوات فدليلهم في ذلك الأخبار من الكتاب والسنة .

وقد كان وهب بن منبه رحمه الله تعالى يقول : تصدَّى الشيطان لعنه الله لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فقال : ما أنت صانع بأمة محمد ﷺ إن أنت أدركتهم ؟ ! فقال : أزيّن لهم الدنيا ، حتى يكون الدينار والدرهم أشهى لأحدهم من شهادة أن لا إله إلا الله .

وكان وهيب بن الورد رحمه الله تعالى يقول : **مَنْ غلب شهوتَه فهو خير من الملائكة** ، لأنهم عليهم الصلاة والسلام عقول بلا شهوة ، **ومَن غلبته شهوته فهو شرّ من البهائم** ، لأنهم شهوة بلا عقول .

وكان الأحنف بن قيس رحمه الله تعالى يقول : مَن أكل الشهوات وطلب حفظ فرجه فقد رام المحال .

وقد كان أبو حازم رحمه الله تعالى يمرُّ على الجزَّار ، فيقول له الجزَّار : خذ لك لحماً وأنا أصبر عليك . فيقول له : أنا أولى منك بالصبر على نفسي .

محاربة الزاهدين مع الشهوات

وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول : محاربة الزاهدين تكون مع الشهوات ، ومحاربة التوابين تكون مع السيئات ، ومن أراد حماية نفسه من دخول النار فليترك سائر ما تشتهيه نفسه في الدنيا .

وقد قال عتبة الغلام يوماً لعبد الواحد بن زيد رحمهما الله تعالى : إن فلاناً يصف نفسه بأخلاق لا نذوقها وهو صادق عندنا ، فما سبب عدم فهمنا بحاله ؟ ! فقال : لأنه يأكل خبزة بلا إدام ، وأنتم تأكلونه بالإدام ، وكل ما زاد على الخبز فهو شهوة .

وكان أبو العباس الموصلي رحمه الله تعالى يقول : مَن زعم أن أكل الشهوات لا يضرُّه فقد أعظم الفِرْيَة[1] على الله تعالى .

وكان الداراني رحمه الله تعالى يقول : من المحال أن يجد أحد لذة الطاعات وهو يتناول الشهوات .

---

(١) أي : الكذب . (هامش الأصل) .

الملائكة لا تمرض لعدم الأكل

وقد كان طاووس رحمه الله تعالى يصف للمريض قلة الأكل ، ويقول : لم يجعل الله تعالى لصحيح ولا لمريض دواءً أعظم من ترك الأكل ، وما أتى المرض لمريض إلا من جهة الأكل ، ولذلك كانت الملائكة لا تمرض ؛ لعدم أكلهم عليهم الصلاة والسلام .

وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول : مَن نظر إلى قصر ، أو بستان أو غير ذلك فاستحسنه إلا نقص من عقله بقدر ما استحسن .

وكان وهيب بن الورد رحمه الله تعالى يقول : مَن تناول الشهوات فليتهيأ للذُلّ في الدنيا والآخرة .

وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول : شهوات النفس نيرانها ، وحطبها لذتها ، والجوع ماؤها التي تطفأ به .

وقد كان يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام من أطيب الناس طعاماً ؛ كان يأكل الجراد وقلوب[1] النخل .

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يجوّع نفسه ويميتها ، ويقول لها : الأكل أمامك .

وكان بشر بن السَّريِّ رحمه الله تعالى يقول : لأن أترك ذرة من غدائي أو عشائي ؛ أحب إليَّ من عبادة العابدين ، وصلاة المصلين ، وحجِّ الحاجِّين ، وصوم الصائمين ، وجهاد المجاهدين .

الجوع مذهب الصالحين

وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول : مذهب جميع الصالحين

---

(١) قلب النخل بفتح القاف ، وضمها ، وكسرها : لبُّها . « مختار » . (هامش الأصل) .

الجوع ، فمن فرَّ منه فهو من الفاسقين ، ولقد أدركنا العلماء وهم ربيع ، فصاروا الآن مزابل للدنيا ، وإذا رأيتم الزاهد يرخِّص أكل الشهوات فاعلموا أنه قد رجع عن الزهد ، لأنَّ التبسُّط في الدنيا معدود من فسق العارفين . ووالله ما بقي أحد من زهَّاد هذا الزمان تقرُّ العين برؤيته ، ولقد أدركنا أقواماً كانوا يحرصون على ترك الدنيا أكثر مما يحرص هؤلاء على تحصيلها .

واعلموا أن مَن كان شبعه بالطعام لم يزل جائعاً ، ومن كان استناده إلى الخلق دون الله تعالى لم يزل مخذولاً .

وقد كان يزيد الرقاشي رحمه الله تعالى لا يشرب الماء البارد أبداً ، ويقول : أخاف أن أُحْرم شربهُ غداً إن شربته اليوم يعني في الآخرة .

وكان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول : الناس يقولون : إن مَن ترك اللحم أربعين يوماً قلّ عقله . وإني قد تركته سنين ، وما نقص من عقلي شيء ولله الحمد .

وكان رحمه الله تعالى لا يأكل من رطب البصرة شيئاً ، وإذا مضى زمنه يقول : يا أهل البصرة ؛ هذا بطني ما نقص ترك أكل الرطب منه شيئاً ، ولا زاد في بطونكم شيئاً .

وكان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول : صاحب الشهوات معذَّب في الدنيا والآخرة ؛ في الدنيا في تحصيلها ، وفي الآخرة في الحساب عليها .

آفات الشبع

واعلموا أن مَن كثر أكله كثر لحم بطنه ، ومن كثر لحم بطنه . كثرت شهواته ، ومن كثرت شهواته كثرت ذنوبه ، ومن كثرت ذنوبه قسا قلبه ، ومن قسا قلبه غرق في الذنوب والآفات ، ومن غرق في الذنوب

والآفات دخل النار .

وقد اشتهى مالك بن دينار رحمه الله تعالى في مرض موته خبزاً أبيض ولبناً ، فلما أتوه به ، نظر إليه وقال : دافعت نفسي عن الشهوات طول عمري ، أفأوافقها في آخره ؟ ! ثم قال : اذهبوا به إلى يتيم بني فلان . ولم يأكله .

وقد مكث معروف الكرخي رحمه الله تعالى ثلاثين سنة يشتهي أن يغمس جزرة في دبس ، ثم مات رحمه الله تعالى ولم يفعل ذلك .

قال : وقُدِّم بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إناء فيه لبن وعسل ، فردَّه ولم يأكل منه ، وقال : تذهب لذته ، وتبقى تبعته .

وقد رأى ابنه عبد لله رضي الله عنهما يوماً يأكل خبزاً وسمناً ، فعَلاَهُ بِالدِرَّة ، وقال له : كل خبزاً وملحاً ، واترك السمن لغيرك . انتهى .

فتأمل يا أخي نفسك ، وابك على حالك ، فإن سُدَاكَ ولحمتك شهوات ، فأنت محجوب عن ربك في عموم الأوقات ، لا تلتذُّ بشيء من العبادات ، ولا تراقب ربّك في الخلوات ، فكيف تدَّعي أنك من الصالحين وأنت قد خالفتهم في جميع أحوالهم ؟ ! فإن لم توافقهم في الأمور الباطنة يا أخي فانزع زيَّهم الظاهر ؛ من عمامة صوف وجبة وعذبة .

وقد رأيت شخصاً بهذه الصفة في وليمة يمدُّ يده يميناً وشمالاً ؛ فيلتقط اللحم وأطايب الطعام من بين يدي إخوانه ، وربما يدعى إلى أكلة واحدة إلى المرطوبة[1] خارج مصر أو بلبيس ، فيسافر إليها ، وربما يدَّعي أنه يفعل ذلك جبراً لخاطر من يدعوه ، لا لأجل شهوة بطنه ! والناقد

---

(١) وفي نسخة : مطربة - مرطبة .

بصير ، والحمد لله رب العالمين . انتهى[1] .

وفي « الإحياء » : **والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات** ، ومنبت الأدواء والآفات . انتهى ٦٤ .

ترك شهوة أنفع من صيام سنة

وفيه : قال سليمان : ترك شهوة من الشهوات أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها . وفَّقنا الله تعالى لما يرضيه . انتهى ٧٦ .

وقال بشر : **إن الجوع يُصفِّي الفؤاد ، ويميت الهوى ، ويورث العلم الدقيق** . انتهى « عوارف المعارف » .

وفيه : وقال ذو النون : ما أكلت حتى شبعت ، ولا شربت حتى رويت ، إلا عصيت الله ، أو هممت بمعصية . انتهى .

وفيه : وقال فتح الموصلي : صحبت ثلاثين شيخاً ؛ كلٌّ يوصيني عند مفارقتي إياه بترك عِشْرَة الأحداث[2] ، وقلة الأكل . انتهى .

وفيه : وقال يحيى بن معاذ : إذا ابتلي المريد بكثرة الأكل بكت عليه الملائكة رحمة له .

ومَن ابتلي بحرص الأكل فقد أحرق بنار الشهوة .

مطلب : في نفس الآدمي ألف عضو بيد الشيطان

وفي نفس ابن آدم ألف عضو من الشرِّ ؛ كلها في كفِّ الشيطان متعلق بها ، فإذا جوّع بطنه ، وأخذ حلقه ، وراض نفسه ، يَبِسَ كلُّ عضو واحترق بنار الجوع ، وفرَّ الشيطان من ظلّه . وإذا أشبع بطنه ، وترك حلقه في لذائذ

---

(١) ما قاله الشعراني في « تنبيه المغترين » .

(٢) وهم الأمراد . (هامش الأصل) .

الشهوات ، فقد رطَّب أعضاءه ، وأمكن الشيطان . انتهى عبارته .

وفيه : **وينهزم الشيطان من جائع نائم** ، فكيف إذا كان قائماً ؟ ! **ويعانق الشيطان شبعاناً قائماً** ، فكيف إذا كان نائماً ؟ ! فقلب المريد الصادق يصرخ إلى الله من طلب النفس الطعام والشراب . انتهى عبارته .

وفيه : وقيل : الدنيا بطنك ، فعلى قدر زهدك في بطنك زهدك في الدنيا . انتهى عبارته .

وفيه : وقال بعضهم : أعوذ بالله من زاهد قد أفسدت معدته ألوان الأغذية .

فيكره للمريد أن يوالي في الإفطار أكثر من أربعة أيام ، فإن النفس عند ذلك تركن إلى العادة ، وتتسع بالشهوة . انتهى عبارته .

شهوة الرياء أضرُّ من شهوة الطعام

ومن الدقائق : أن الرجل يأكل الشهوات إذا كان في خلوة عن الناس ، ويتركها عند الناس ، وذلك عين الرياء ! .

فقد قال الغزالي رحمه الله تعالى في « الإحياء » ما لفظه هذا : وبالجملة من ترك شهوة الطعام ، ووقع في شهوة الرياء ، كان كمن هرب من عقرب وفزع إلى حية ، لأن شهوة الرياء أضرُّ كثيراً من شهوة الطعام . والله ولي التوفيق . انتهى عبارته ٧٣ ج ٣ فراجعه .

اللهم إنا نسألك التوفيق لترك الشهوات ، وهجر المألوفات والمأنوسات ، لا طاقة لنا لجهاد هذه النفس الأمَّارة التي هي الصنم الأكبر ؛ إن تكلنا إلى أنفسنا . اللهم اعصمنا من فتنها وغرورها . آمين .

البرج الحادي والعشرون

في ذكر معاتبة النفس وتوبيخها

اعلم أيها الأخ المرجو لحوز السعادة ؛ أن النفس مجبولة على حبِّ الجاه والرياسة ، **وجميع همَّتِها الترفُّع على جميع الأقران ، ومُتَمَنَّاها بالذات أن يكون الخلائق كلُّهم محتاجين إليها** ، ومنقادين إلى أوامرها ونواهيها ، ولا تريد أن تكون هي محتاجة إلى الشيئ ، ومحكومة لأحد أبداً . وهذه كلها دعوى الألوهية منها ، والشركة مع خالقها المُنَزَّه عن المثل والشبه جلَّ سلطانه ، بل هي البعيدة عن السعادة ؛ غير راضية بالشركة ، بل تريد أن تكون هي الحاكمة فقط لا غير . كما قال مثله الإمام الرباني ، وإذا كان الأمر كذلك ؛ ينبغي للعاقل تعجيز هذه النفس الأمَّارة ،وتخريبها باللوم والتوبيخ ؛ بتكرار النظر إلى ما يذكر آنفاً ، وترداد الفكر ، والتدبُّر في هذه المواعظ المهمة .

النفْس الأمَّارة والنفس اللوَّامة

قال الغزالي في « الإحياء[1] » : اعلم أن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك ، وقد خُلِقَت أمَّارة بالسوء ، ميَّالة إلى الشر ، فرَّارة من الخير ، وأُمِرْتَ بتزكيتها وتقويمها ، وقودها بسلاسل القهر إلى عبادة ربها وخالقها ، ومنعها عن شهواتها ، وفطامها عن لذَّاتها ، فإن أهملتها جمحت ولم تظفر بها بعد ذلك ، وإن لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والعذل والملامة كانت نفسك هي النفس اللوَّامة التي أقسم الله بها ، ورجوت أن تصير النفس المطمئنة ؛ المدعوَّة إلى أن تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية ، فلا تغفلنّ ساعة عن تذكيرها ومعاتبتها ، ولا تُشغَلنّ بوعظ غيرك ما لم تشتغل أوّلاً بوعظ نفسك .

---

(١) في ٦٢٣ ج ٤ .

أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام : يا ابن مريم ؛ عظ نفسك ،فإن اتَّعظت فعظ الناس ،وإلا ! فاستحي مني . وقال تعالى ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . وسبيلك أن تُقْبِلَ عليها ؛ فتقرر عندها جهلها وغباوتها ، وأنها أبداً تتعزَّز بفطنتها وهدايتها ، ويشتد أَنَفُها واستنكافها إذا نسبت إلى الحمق ، فتقول لها : يا نفس ما أعظم جهلك ؛ تدَّعين الحكمة والذكاء والفطنة وأنت أشد الناس غباوة وحمقاً ، أما تعرفين ما بين يديك من الجنة والنار ، وأنك صائرة إلى إحداهما على القرب ؟ ! فما لك تفرحين وتضحكين ، وتشتغلين باللهو وأنت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم ؟ وعساك اليوم تُختَطَفين ، أو غداً ، فأراك ترين الموت بعيداً ؛ ويراه الله قريباً .

أما تعلمين أن كل ما هو آت قريب ، وأن البعيد ما ليس بآت .

أما تعلمين أن الموت يأتي بغتة من غير تقديم رسول ، ومن غير مواعدة ومواطأة ، وأنه لا يأتي في شيء دون شيء ، ولا في شتاء دون صيف ، ولا في صيف دون شتاء ، ولا في نهار دون ليل ، ولا في ليل دون نهار ، ولا يأتي في الصبا دون الشباب ، ولا في الشباب دون الصبا ، بل كلّ نَفَس من الأنفاس يمكن أن يكون فيه الموت فجأة ، فإن لم يكن الموت فجأة ، فيكون المرض فجأة ثم يفضي إلى الموت ، فما لك لاتستعدِّين للموت وهو أقرب إليك من كل قريب ؟ ! أما تتدبَّرين قوله تعالى ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ﴾ !

ويحك يا نفس ؛ إن كانت جراءتك على معصية الله لاعتقادك أن الله تعالى لا يراك ؛ فما أعظم كفرك ! وإن كان مع علمك باطِّلاعه عليك ؛ فما

أشدَّ وقاحَتَكِ[١] وأقل حياءك .

ويحك يا نفس؛ لو واجهك عبد من عبيدك ، بل أخ من إخوانك بما تكرهينه؛ كيف كان غضبك عليه ومقتك له ، فبأي جَسَارة[٢] تتعرَّضين لمقت الله وغضبه وشديد عقابه ؟ ! أفتطيقين عذابه ؟ ! هيهات هيهات ! !جرّبي نفسك إنْ ألهاك البَطَر[٣] عن أليم عذابه ، فاحتبسي ساعة في الشمس ، أو في بيت الحمام ، أو قرِّبي إصبعك من النار ؛ لتبيَّن لك قدر طاقتك ، أم تَغْتَرِّين بكرم الله وفضله ، واستغنائه عن طاعتك وعبادتك ؟ ! فما لك لا تعوِّلين على كرم الله تعالى في مُهمَّات دنياك ؟ ! فإذا قصدك عدوٌّ فَلِمَ تستنبطين الحيل في دفعه ، ولا تَكِلِينَه إلى كرم الله تعالى ؟ ! وإذا رَهِقَتك[٤] حاجة إلى شهوة من شهوات الدنيا مما لا ينقضي إلا بالدينار والدرهم ، فما لك تنزعين الروح في طلبها وتحصيلها من وجوه الحيل ؟ فلم لا تُعَوِّلين إلى كرم الله تعالى ؛ حتى يعثر بك على كنز ، أو يسخِّر عبداً من عبيده فيحمل إليك حاجتك ؛ من غير سعي منك ولا طلب ؟ ! أفتحسبين أنَّ الله كريم في الآخرة دون الدنيا ؟ ! وقد عرفت أنَّ سُنَّةَ الله لا تبديل لها ، وأن ربَّ الآخرة والدنيا واحد ، ﴿ **وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ** ﴾ ؟

ويحك يا نفس ؛ ما أعجب نفاقك ودعاويك الباطلة ، فإنك تدَّعين الإيمان بلسانك ، وأثر النفاق ظاهر عليك . ألم يقل لك سيدك ومولاك ﴿**وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا**﴾ ؟ ! وقال في أمر الآخرة ﴿ **وَأَن**

---

(١) وَقُحَ الرجل ؛ من باب ظرُفَ : قلّ حياؤه ، فهو وقح . « مختار » . (هامش الأصل) .
(٢) جسارة : شجاعة . (هامش الأصل) .
(٣) البَطَر : كفر النعمة فلم يشكرها . « مصباح » . والبَطَر : الأشَر ، والأشر : البَطَر . (منه) . (هامش الأصل) .
(٤) رَهِقْتَ الشيئ رَهَقَاً ـ من باب تعب ، : قربتَ منه . « مصباح » . (هامش الأصل) .

﴿ لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ ؟ ! فقد تكفَّل لك بأمر الدنيا خاصة ، وصرفك عن السعي فيها ، فكذَّبْتِهِ بأفعالك ، وأصبحت تتكالبين[1] على طلبها تكالب المدهوش المستهتر[2] ووكل أمر الآخرة إلى سعيك ، فأعرضت عنها إعراض المغرور المستحقر ، ما هذا من علامة الإيمان ! لو كان الإيمان باللسان ؛ فلم كان المنافقون في الدرك الأسفل من النار ؟ ! ويحك يا نفس ؛ كأنك لا تؤمنين بيوم الحساب ، وتظنين أنك إذا متِّ انفلتِّ[3] وتخلَّصت ، وهيهات ! أتحسبين أنك تتركين سدى ؟ ! ألم تكوني نطفة من منيٍّ يمنى ؟ ! ثم كنت علقة فخلق فسوى ؟ أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ؟ !

فإن كان هذا من إضمارك ؛ فما أكفركِ وأجهلك !

أما تتفكرين أنه مما ذا خلقك ؟ ! من نطفة خلقك فقدَّرك ، ثم السبيل يسَّرك ، ثم أماتك فأقبرك ، أفتُكذِّبينه في قوله ﴿ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴾ ؟ ! فإن لم تكوني مكذبة ، فما لك[4] لا تأخذين حذرك ؟ !

وإن يهوديّاً أخبرك[5] في ألذِّ أطعمتك بأنه يضرك في مرضك ، لصبرتِ عنه وتركْتِهِ ، وجاهدتِ نفسك فيه ، أفكان قول الأنبياء المؤيَّدين بالمعجزات ، وقول الله تعالى في كتبه المنزلة ، أقلَّ عندك تأثيراً من قول اليهودي ؛ يخبرك عن حَدْسٍ وتخمين وظنٍّ مع نقصان عقل وقصور علم ؟ !

---

(١) تكالب القوم تكالباً : تجاهروا بالعداوة . « مصباح » . (هامش الأصل) .
(٢) يقال : فلان مستهتر بالشراب ـ بفتح التاءين ـ أي : مولع . (هامش الأصل) .
(٣) انفلت : خرج بسرعة . « مصباح » . (هامش الأصل) .
(٤) وفي نسخة : فما بالك .
(٥) وفي نسخة : لو أخبرك .

والعجب أنه لو أخبرك طفل بأن في ثوبك عقرباً ؛ لرميت ثوبك في الحال ، من غير مطالبة له بدليل وبرهان ! أفكان قول الأنبياء والعلماء والحكماء وكافة الأولياء أقل عندك من قول صبيّ من جملة الأغبياء ؟ ! أم صار حرُّ جهنم ، وأغلالها ، وأنكالها ، وزقُّومها ، ومقامعها ، وصديدها ، وسمومها ، وأفاعيها ، وعقاربها ؛ أحقر عندك من عقرب لا تحسِّين بألمها إلا يوماً أو أقل منه ؟ ! ما هذه فِعال العقلاء ! بل لو انكشف للبهائم حالك لضحكوا منك وسخروا من عقلك !

فإن كنت يا نفس قد عرفت جميع ذلك ، وآمنت به ؛ فما لك تُسَوِّفين العمل ، والموت لك بالمرصاد ! ولعله يختطفك من غير مهلة فيما إذا أمنتِ استعجال الآجل ! وهَبْكِ[1] أنك وُعِدْت بالإمهال مائة سنة ، أفتظنين أن مَن يطعم الدابة في حضيض العقبة[2] يفلح ويقدر على قطع العقبة بها ؟ ! إن ظننت ذلك فما أعظم جهلك !

أرأيت لو سافر رجل ليتفقَّه في الغربة ، فأقام فيها سنين ؛ متعطِّلاً بطّالاً ، يعد نفسه بالتفقُّه في السنة الأخيرة عند رجوعه إلى وطنه ، هل كنتِ تضحكين من عقله وظنه أن تفقيه النفس مما يطمع فيه بمدة قريبة ؟ ! أو حسبانه أن مناصب الفقهاء تنال من غير تفقُّه اعتماداً على كرم الله سبحانه وتعالى ؟ !

ثم هبي أن الجهد في آخر العمر نافع ، وأنه موصل إلى الدرجات العلى ، فلعل اليوم آخر عمرك ! فلم لا تشتغلين فيه بذلك ؟ ! فإن أوحيَ إليك

---

(١) وهَبْكِ : أي احسبي . (هامش الأصل) .

(٢) والعقبة : في الجبل ونحوه ، جمعها : عِقاب . مثل : رقبة ، ورقاب . « مصباح » . (هامش الأصل) .

بالإمهال ، فما المانع من المبادرة ؟ ! وما الباعث لك على التسويف ؟ ! هل له سبب إلا عجزك عن مخالفة شهواتك ؛ لما فيها من التعب والمشقة ؟ ! أفتنتظرين يوماً يأتيك لا تعسر فيه مخالفة الشهوات ؟ ! هذا يوم لم يخلقه الله قط ، ولا يخلقه ، فلا تكون قط إلاّ محفوفة بالمكاره ، ولا تكون المكاره قط خفيفة على النفوس ، وهذا محال وجوده .

مهم : الشهوات كالشجرة الراسخة

أما تتأملين مُذْ كَمْ تَعِدِين نفسك ، وتقولين غداً غداً ؟ فقد جاء الغد ، وصار يوماً ، فكيف وجدته ؟ ! أما علمت أن الغد الذي جاء وصار يوماً كان له حكم الأمس ؟ لا بل تعجزين عنه اليوم ، فأنت غداً عنه أعجز وأعجز ، **لأن الشهوات كالشجرة الراسخة التي تعبّد العبد بقلعها** ، فإذا عجز العبد عن قلعها للضعف وأخَّرها ، كان كمن عجز عن قلع شجرة وهو شاب قوي ، فأخَّرها إلى سنة ، مع العلم بأن طول المدة يزيد الشجرة قوة ورسوخاً ، ويزيد القالع ضعفاً ووَهَناً ، فما لا يقدر عليه في الشباب لا يقدر عليه قط في المشيب ، **بل من العناء رياضة الهرم** ، ومن التعذيب تهذيب الذيب[1] ، والقضيب الرطب يقبل الانحناء ، فإذا جفَّ وطال عليه الزمان لم يقبل ذلك فإذا كنت ـ أيتها النفس ـ لا تفهمين هذه الأمور الجلية ، وتركنين إلى التسويف ، فما بالك تدَّعين الحكمة ! ؟ وأي حماقة تزيد على هذه الحماقة ! ؟ ولعلك تقولين : ما يمنعني عن الاستقامة إلا حرصي على لذة الشهوات ، وقلة صبري على الآلام والمشقات ، فما أشد غباوتك ، وأقبح اعتذارك ! إن كنت صادقة في ذلك ؛ فاطلبي التنعُّم بالشهوات الصافية عن الكدورات الدائمة أبد الآباد ، ولامطمع في ذلك إلا في الجنة ، فإن كنت ناظرة لشهوتك فالنظر لها في مخالفتها ، **فربَّ أكلة تمنع أكلات** .

---

(١) مخفف ذئب . (مختار) ، (هامش الأصل) .

وما قولكِ في عقل مريض أشار إليه الطبيب بترك الماء البارد ثلاثة أيام ؛ ليصح ويهنأ بشربه طول عمره ، وأخبره أنه إن شرب ذلك مرض مرضاً مزمناً ، وامتنع عليه شربه طول العمر ؟ ! فما مقتضى العقل في قضاء حق الشهوة ، أيصبر ثلاثة أيام ليتنعم طول العمر ؟ ! أم يقضي شهوته في الحال خوفاً من ألم المخالفة ثلاثة أيام ؛ حتى يلزمه ألم المخالفة ثلاث مائة يوم وثلاثة آلاف يوم ؟ وجميع عمرك بالإضافة إلى الأبد ـ الذي هو مدة نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار ـ أقل من ثلاثة أيام بالنسبة إلى جميع العمر ، وإن طالت مدته .

وليت شعري ؛ أَلَمُ الصبر عن الشهوات أعظم شدة وأطول مدة ، أو ألم النار في دركات جهنم ؟ ! **فمن لا يطيق الصبر على ألم المجاهدة ، كيف يطيق ألم عذاب الله ؟!** ما أراك تتوانين عن النظر لنفسك إلاّ لكفر خفيّ ، أو لحمق جليٍّ .

أمّا الكفر الخفيّ : فهو ضعف إيمانك بيوم الحساب ، وقلّة معرفتك بعظم قدر الثواب والعقاب .

وأمّا الحمق الجلي : فاعتمادك على كرم الله تعالى وعفوه ، من غير التفات إلى مكره واستدراجه واستغنائه عن عبادتك ، مع أنك لا تعتمدين على كرمه في لقمة من الخبز ، أو حبّة من المال ، أو كلمة تسمعينها من الخلق ، بل تتوصلين إلى غرضك في ذلك بجميع الحيل ، وبهذا الجهل تستحقين لقب الحماقة من رسول الله ﷺ حيث قال : « الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنّى على الله الأمانيّ » .

ويحك يا نفس ؛ لا ينبغي أن تغرّك الحياة الدنيا ، ولا يغرّنّك بالله الغرور ، فانظري نفسك ، فما أمرك بمهمّ لغيرك ، ولا تضيّعي أوقاتك ، فالأنفاس معدودة ، فإذا مضى منك نفسٌ فقد ذهب بعضك .

فاغتنمي الصحة قبل السقم ، والفراغ قبل الشغل ، والغنى قبل الفقر ، والشباب قبل الهرم ، والحياة قبل الموت ، واستعدِّي للآخرة على قدر بقائك فيها .

يا نفس أما تستعدِّين للشتاء بقدر طول مدته ؟ فتجمعين له القوت ، والكسوة ، والحطب ، وجميع الأسباب ، ولا تتكلين في ذلك على فضل الله وكرمه حتى يدفع عنك البرد من غير جبَّة ولبد وحطب وغير ذلك ؟ ! فإنه قادر على ذلك ، أفتظنين أيتها النفس أنَّ زمهرير جهنم أخفُّ برداً وأقصر مدة من زمهرير الشتاء ؟ أم تظنين أن ذلك دون هذا ؟ كلاَّ أن يكون هذا كذلك ، أو أن يكون بينهما مناسبة في الشدة والبرودة .

الطاعة والمجاهدة هي الطريق إلى النجاة

أفتظنين أن العبد ينجو منها بغير سعي ؟! هيهات! كما لا يندفع برد الشتاء إلاَّ بالجُبَّة والنار وسائر الأسباب ؛ **فلا يندفع حرُّ النار وبردها إلا بحصن التوحيد وخندق الطاعات** ، وإنما كرم الله تعالى في أن عرَّفَكِ طريق التحصُّن ، ويسَّر لك أسبابه ، لا في أن يندفع عنك العذاب دون حصنه ! كما أن كرم الله تعالى في دفع برد الشتاء أن خلق النار ، وهداك لطريق استخراجها من بين حديدة وحجر ، حتى تدفعي بها برد الشتاء عن نفسك ، وكما أن شراء الحطب والجُبَّة مما يستغني عنه خالقك ومولاك ؛ وإنما تشترينه لنفسك إذ خلقه سبباً لاستراحتك ، فطاعاتك ومجاهداتك أيضاً هو مستغن عنها ، وإنما هي طريقك إلى نجاتك ، **فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها ، والله غنيٌّ عن العالمين** .

ويحك يانفس ؛ انزعي عن جهلك ، وقيسي آخرتك بدنياك فـ﴿ **مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ** ﴾ ، و﴿ **كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ** ﴾ ، و﴿ **كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ** ﴾ ، وسنة الله تعالى لا تجدين لها تبديلاً ولا تحويلاً .

ويحك يا نفس ؛ ما أراك إلا أَلِفتِ الدنيا وأنستِ بها ، فعسر عليك مفارقتها ، وأنت مقبلة على مقاربتها ، وتؤكّدين في نفسك مودَّتها ، فاحسبي أنك غافلة عن عقاب الله وثوابه ، وعن أهوال القيامة وأحوالها ، فما أنت مؤمنة بالموت المفرِّق بينك وبين محابِّك ، أفترين أنَّ مَن يدخل دار ملك ليخرج من الجانب الآخر ، فمدّ بصره إلى وجه مليح يعلم أنه يستغرق ذلك قلبه ، ثم يضطر لا محالة إلى مفارقته ، أهو معدود من العقلاء أم من الحمقى ؟ ! .

الدنيا دار ملك الملوك

أما تعلمين أنَّ الدنيا دار لملك الملوك ، وما لَكِ فيها إلا مجاز ، وكل ما فيها لا يصحب المجتازين بها بعد الموت ؟ ! ولذلك قال سيد البشر ﷺ : « إن روح القدس نفث في روعي : أحبب من أحببت فإنك مفارقه ، واعمل ما شئت فإنك مجزيٌّ به ، وعش ماشئت فإنك ميّت » .

ويحك يا نفس ؛ أما تعلمين أنَّ كل مَن يلتفت إلى ملاذِّ الدنيا ويأنس بها ؛ مع أن الموت من ورائه ، فإنما يستكثر من الحسرة عند المفارقة ، وإنما يتزوَّد من السمِّ المهلك وهو لا يدري ؟ أوما تنظرين إلى الذين مضوا ؛ كيف بنوا وعلوا ، ثم ذهبوا وخلوا ؟ ! وكيف أورث الله أرضهم وديارهم أعداءهم ؟ ! أما ترينهم كيف يجمعون ما لا يأكلون ، ويبنون ما لا يسكنون ، ويأملون ما لا يدركون ؟ ! يبني كل واحد قصراً مرفوعاً إلى جهة السماء ، ومقرُّه قبر محفور تحت الأرض ! فهل في الدنيا حمق وانتكاس[1] أعظم من هذا ؟ ! يعمِّر الواحد دنياه وهو مرتحل عنها يقيناً ، ويخرِّب آخرته وهو صائر إليها قطعاً !

أما تستحين يا نفس من مساعدة هؤلاء الحمقى على حماقتهم ؟ !

---

(١) أي : انقلاب ، كذا يفهم من « مصباح » والله أعلم (هامش الأصل) .

واحسبي أنك لست ذات بصيرة تهتدي إلى هذه الأمور ، وإنما تميلين بالطبع إلى التشبُّه والاقتداء ، فقيسي عقل الأنبياء والعلماء والحكماء بعقل هؤلاء المُكبِّين[1] على الدنيا ، واقتدي من الفريقين بمن هو أعقل عندك ؛ إن كنت تعتقدين في نفسك العقل والذكاء .

يا نفس ؛ ما أعجب أمرك ، وأشد جهلك ، وأظهر طغيانك ! عجباً لك كيف تعمين عن هذه الأمور الواضحة الجليَّة !

معنى الجاه

ولعلك يا نفس أسكرك حبُّ الجاه وأدهشك عن فهمها ، أوما تتفكرين أن الجاه لا معنى له إلا ميل القلوب من بعض الناس إليك ؟! فاحسبي أن كلّ مَن على وجه الأرض سجد لك وأطاعك ، أفما تعرفين أنه بعد خمسين سنة لا تبقين أنت ولا أحد ممن على وجه الأرض ممن عبدك وسجد لك ، وسيأتي زمان لا يبقى ذكرك ولا ذكر من ذكرك ، كما أتى على الملوك الذين كانوا من قبلك ؟! ﴿ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ﴾ ؟! فكيف تبيعين يا نفس ما يبقى أبد الآباد بما لا يبقى أكثر من خمسين سنة - إن بقي - ؟! هذا إن كنت ملكاً من ملوك الأرض سلم لك الشرق والغرب ؛ حتى أذعنت لك الرقاب ، وانتظمت لك الأسباب ، كيف ويأبى إدباركِ وشقاوتك أن يسلم لك أهل محلّتك ؟! بل أمر دارك ؛ فضلاً عن محلتك !! فإن كنتِ يا نفسُ لا تتركين الدنيا رغبة في الآخرة لجهلك وعمي بصيرتك ، فما لك لا تتركينها ترفُّعاً عن خِسَّة شركائها ، وتنزُّهاً عن كثرة عنائها ، وتوقِّياً من سرعة فنائها ؟! أم ما لك لا تزهدين في قليلها بعد أن زهد فيكِ كثيرها ؟ وما لك تفرحين بدنيا إن ساعدتك فلا تخلو بلدك من جماعة من اليهود والمجوس يسبقونك بها ، ويزيدون عليك

(١) وأكبَّ على كذا : لازمه . « مصباح » . (هامش الأصل) .

في نعيمها وزينتها ؟ فأفٍّ لدنيا يسبقك بها هؤلاء الأخِسَّاء ، فما أجهلَك وأخَسَّ همَّتَك وأسقط رأيك ؛ إذ رغبت[1] عن أن تكوني في زمرة المقرَّبين من النبيين والصديقين في جوار ربِّ العالمين أبد الآبدين ، لتكوني في صف النعال من جملة الحمقى الجاهلين أياماً قلائل ، فيا حسرة عليك إذ خسرت الدنيا والدين !

فبادري - ويحك - يا نفس ! فقد أشرفت على الهلاك ، واقترب الموت ، وورد النذير ، فمَن ذا يصلي عنك بعد الموت ؟ ! ومَن ذا يصوم عنك بعد الموت ؟ ! ومَن ذا يترضى عنك رَبك بعد الموت ؟ ! .

ويحك يا نفس مالك إلا أيام معدودة هي بضاعتك ؛ إن اتَّجرت فيها ، وقد ضيَّعت أكثرها ! فلو بكيت بقية عمرك على ما ضيَّعت منها لكنت مقصِّرة في حق نفسك ، فكيف إذا ضيَّعت البقية وأصررت على عادتك ؟

أما تعلمين يا نفس أن الموت موعدك ، والقبر بيتك ، والتراب فراشك ، والدود أنيسك ، والفزع الأكبر بين يديك .

أما علمت يا نفس أن عسكر الموتى عندك على باب البلد ينتظرونك ، وقد آلوا[2] على أنفسهم كلهم بالأيمان المغلَّظة أنهم لا يبرحون من مكانهم مالم يأخذوك معهم ؟ !

أما تعلمين يا نفس أنهم يتمنَّون الرجعة إلى الدنيا يوماً ليشتغلوا بتدارك ما فرط منهم ، وأنت في أمنيّتهم ؟ ويوم من عمرك لو بيع منهم بالدنيا بحذافيرها لاشتروه لو قدروا عليه ، وأَنْتِ تضيِّعين يوماً في الغفلة والبطالة ؟ ! .

---

(١) رغب عنه : أعرض . « مصباح » . (هامش الأصل) .
(٢) أي : حلفوا . (هامش الأصل) .

ويحك يا نفس ؛ أما تستحين ؟ ! تزيّنين ظاهرك للخلق ، وتبارزين الله في السر بالعظائم ! أفتستحين من الخلق ولا تستحين من الخالق ! ؟ .

ويحك ، أهو أهون الناظرين عليك ؟ ! أتأمرين الناس بالخير وأنت متلطِّخة بالرذائل ؟ تدعين إلى الله وأنت عنه فارَّة ! وتذكِّرين بالله وأنت له ناسية ! ؟

المذنب أنْتن رائحة من العذرة

أما تعلمين يا نفس أن المذنب أنتن من العذرة ، وأن العذرة لا تطهِّر غيرها ؟ ! فلم تطمعين في تطهير غيرك وأنت غير طيبة في نفسك ؟ !

ويحك يا نفس ! لو عرفتِ نفسكِ حق المعرفة لظننت أن الناس ما يصيبهم بلاء إلا بشؤمك .

ويحك يا نفس ؛ قد جعلت نفسك حماراً لإبليس يقودك إلى حيث يريد ويسخر بك ، ومع هذا فتعجبين بعملك ، وفيه من الآفات ما لو نجوت منه رأساً برأس لكان الربح في يديك ! وكيف تعجبين بعملك مع كثرة خطاياك وزللك ؟ !

ولقد لعن الله إبليس بخطيئة واحدة بعد أن عبد مائتي ألف سنة .

وأخرج آدم من الجنة بخطيئة واحدة مع كونه نبيَّه وصفيَّه .

ويحك يا نفس ما أغدرك .

ويحك يا نفس ما أوقحك[1] .

ويحك يا نفس ما أجهلك ! وما أجرأك على المعاصي .

ويحك كم تعقدين فتنقضين .

---

(١) الوقاحة : بالفتح قلّة الحياء . (هامش الأصل) .

ويحك كم تعهدين فتغدرين .

ويحك يا نفس ؛ أتشتغلين مع هذه الخطايا بعمارة دنياك كأنك غير مرتحلة عنها ! ؟

أو ما تنظرين إلى أهل القبور كيف كانوا ؛ جمعوا كثيراً وبنوا مشيّداً ، وأملوا بعيداً ، فأصبح جمعهم بوراً ، وبنيانهم قبوراً ، وأملهم غروراً ! !

ويحك يا نفس ؛ أما لَكِ بهم عبرة ! ؟ أما لكِ إليهم نظرة ؟

أتظنين أنهم دعوا إلى الآخرة وأنت من المخلَّدين ! ؟ هيهات هيهات ! ساء ما تتوهَّمين ، ما أنت إلا في هدم عمركِ منذ سقطتِ من بطن أمك ، فابني على وجه الأرض قصرك ، فإن بطنها عن قليل يكون قبرك .

أما تخافين إذا بلغت النفسُ منك التراقيَ أن تبدُوَ رسل ربك منحدرة إليك بسواد الألوان وكلح الوجوه وبشرى بالعذاب ؟ ! فهل ينفعك حينئذ الندم ، أو يقبل منك الحزن ، أو يرحم منك البكاء ! ؟

والعجب كل العجب منك يا نفس أنك مع هذا تدَّعين البصيرة والفطنة ، ومن فطنتك أنك تفرحين كل يوم بزيادة مالك ، ولا تحزنين بنقصان عمرك ! وما نَفْع مالٍ يزيد وعمرٍ ينقص ! ؟

ويحك يا نفس تعرضين عن الآخرة وهي مقبلة عليك ؛ وتقبلين على الدنيا وهي معرضة عنك ! فكم من مستقبل يوماً لا يستكمله ! وكم من مؤمّل لغد لا يبلغه ! فأنت تشاهدين ذلك في إخوانك وأقاربك وجيرانك فترين تحسُّرهم عند الموت ثم لا ترجعين عن جهالتك .

فاحذري أيتها النفس المسكينة يوماً آلى الله فيه على نفسه أن لا يترك عبداً أمره في الدنيا ونهاه حتى يسأله عن عمله ؛ دقيقه وجليله ، سره وعلانيته .

فانظري يا نفس بأي بدن تقفين بين يدي الله ! وبأي لسان تجيبين ! وأعدِّي للسؤال جواباً ، وللجواب صواباً ، واعملي بقية عمرك في أيام قصار لأيام طوال ؛ وفي دار زوال لدار مقامة ، وفي دار حزن ونصب لدار نعيم وخلود .

اعملي قبل أن لا تعملي ، اخرجي من الدنيا اختياراً خروج الأحرار ، قبل أن تخرجي منها على الاضطرار ، ولا تفرحي بما يساعدك من زهرات الدنيا ، فرُبّ مسرور مغبون ، ورُبَّ مغبون لا يشعر ؛ فويل لمن له الويل ثم لا يشعر ، يضحك ويفرح ، ويلهو ويمْرَح ، ويأكل ويشرب ، وقد حقَّ له في كتاب الله أنه من وقود النار ، فليكن نظركِ يا نفس إلى الدنيا اعتباراً ، وسعيك لها اضطراراً ، ورفضك لها اختياراً ، وطلبك للآخرة ابتداراً ، ولا تكوني ممن يعجز عن شكر ما أوتي ، ويبتغي الزيادة فيما بقي ، وينهى الناس ولا ينتهي .

ما تزول به القساوة

واعلمي يا نفسُ أنه ليس للدين عِوَضٌ ، ولا للإيمان بدل ، ولا للجسد خَلَف ، ومَنْ كانت مطيَّته الليل والنهار فإنه يُسَارُ به وإن لم يسر ! فاتعظي يا نفسُ بهذه الموعظة ، واقبلي هذه النصيحة ، فإن مَن أعرض عن الموعظة فقد رضي بالنار ، وما أراكِ بها راضية ، ولا لهذه الموعظة واعية ، فإن كانت القساوة تمنعك عن قبول الموعظة ، فاستعيني عليها بدوام التهجُّد والقيام ، فإن لم تَزُل ! فبالمواظبة على الصيام ، فإن لم تزل ! فبقلَّة المخالطة والكلام ، فإن لم تزل ! فبصلة الأرحام واللطف بالأيتام ، فإن لم تزل ! **فاعلمي أن الله قد طبع على قلبك ، وأقفل عليه ، وأنه قد تراكمت ظلمة الذنوب على ظاهره وباطنه ، فوطِّني نفسك على النار ، فقد خلق الله الجنة ؛ وخلق لها أهلاً ، وخلق النار ؛ وخلق لها أهلاً ،** « **فَكُلٌّ مُيسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لهُ** » ، فإن لم يبْقَ فيك مجال للوعظ ! فاقنطي من نفسك ؛

والقنوط كبيرة من الكبائر - نعوذ بالله من ذلك - ، فلا سبيل لكِ إلى القنوط ، ولا سبيل لكِ إلى الرجاء مع انسداد طرق الخير عليك ، فإنّ ذلك اغترار وليس برجاء ، فانظري الآن هل يأخذك حزن على هذه المصيبة التي ابتليت بها ؟ ! وهل تسمح عينك بدمعة رحمة منك على نفسك ! ؟ فإن سمحت ، فَمُسْتَقَى الدمْع من بحر الرحمة ، فقد بقي فيك موضع للرجاء ، فواظبي على النياحة والبكاء ، واستغيثي بأرحم الراحمين ، واشتكي إلى أكرم الأكرمين ، وأدمني[1] الاستغاثة ، ولاَ تَملِّي طول الشكاية ، لعله إنْ يرحم ضعفك يغيثكِ ، فإن مصيبتك قد عظمت ، وبليَّتك قد تفاقمت ، وتماديك قد طال ، وقد انقطعت منك الحيل ، وراحت عنك العلل ، فلا مذهب ولا مطلب ، ولا مستغاث ولا مهرب ، ولا ملجأ ولا منجأ إلا إلى مولاك ! فافزعي إليه بالتضرُّع واخشعي في تضرُّعك على قدر عظم جهلك وكثرة ذنوبك ، لأنه يرحم المتضرِّع الذليل ، ويغيث الطالب المتلهف ، ويجيب دعوة المضطر ، وقد أصبحتِ إليه اليوم مضطرة ، إلى رحمته محتاجة ، وقد ضاقت بك السبل ، وانسدَّت عليك الطرق ، وانقطعت منك الحيل ، ولم تنجح فيك العظات ، ولم يكسرك التوبيخ ، فالمطلوب منه كريم ، والمسؤول جواد ، والمستغاث به برٌّ رؤوف ، والرحمة واسعة ، والكرم فائض ، والعفو شامل ، وقولي : يا أرحم الراحمين ، يا رحمن يا رحيم ، يا حليم يا عظيم ، يا كريم ، أنا المذنب المصرُّ ، أنا الجريء[2] الذي لا أقلع ، أنا المتمادي الذي لا أستحي ، هذا مقام المتضرِّع المسكين ، والبائس الفقير ، والضعيف الحقير ، والهالك الغريب ، فعجِّل إغاثتي وفرجي ، وأرني آثار رحمتك ، وأذقني برد عفوك ومغفرتك ، وارزقني قوة عِصْمتك يا أرحم الراحمين . اقتداء بأبيك آدم عليه السلام .

---

(١) وأدمن فلان كذا إدماناً : واظبه ولازمه . « مصباح » . (هامش الأصل) .

(٢) اجترأ على القول - بالهمز : أسرع بالهجوم عليه إلخ . « مصباح » . (هامش الأصل) .

فقد قال وهب بن منبه : لما أهبط الله آدم من الجنة إلى الأرض مكث لا ترقأ[1] له دمعة ، فاطَّلع الله عز وجل عليه في اليوم السابع وهو محزون كئيب كظيم منكس رأسه ، فأوحى الله تعالى إليه : يا آدم ؛ ما هذا الجهد الذي أرى بك ؟ ! قال : يا رب عظمت مصيبتي ، وأحاطت بي خطيئتي ، وأُخرِجتُ من ملكوت ربي ، فصرت في دار الهوان بعد الكرامة ، وفي دار الشقاء بعد السعادة ، وفي دار النصب بعد الراحة ، وفي دار البلاء بعد العافية ، وفي دار الزوال بعد القرار ، وفي دار الموت والفناء بعد الخلود والبقاء ، فكيف لا أبكي على خطيئتي ؟ ! فأوحى الله تعالى إليه : يا آدم ؛ ألم أصطفِكَ لنفسي ، وأحللتك داري ، وخصصتك بكرامتي ، وحذَّرتك سخطي ؟ ! ألم أخلقك بيدي ، ونفخت فيك من روحي ، وأسجدت لك ملائكتي ؛ فعصيت أمري ، ونسيت عهدي ، وتعرضت لسخطي ؟ ! فوعزّتي وجلالي لو ملأت الأرض رجالاً كلهم مثلك يعبدونني ويسبِّحونني ثم عصوني لأنزلتهم منازل العاصين ! فبكى آدم عليه السلام عند ذلك ثلاث مائة سنة .

مناجاة عبيد الله البجلي

وكان عبيد الله البجلي كثير البكاء ، يقول في بكائه طول ليله : إلهي أنا الذي كلما طال عمري زادت ذنوبي ، أنا الذي كلما هممت بترك خطيئة عرضت لي شهوة أخرى ، واعُبيداه ؛ خطيئة لم تبل وصاحبها في طلب أخرى ! واعُبيداه ؛ إن كانت النار لك مقيلاً ومأوى ! واعُبيداه : إن كانت المقامع لرأسك تهيأ ! واعُبيداه ؛ قضيت حوائج الطالبين ولعل حاجتك لا تقضى .

وقال منصور بن عمار : سمعت في بعض الليالي بالكوفة عابداً يناجي وهو يقول : يا رب ؛ وعزتك ما أردت بمعصيتك مخالفتك ، ولا

---

(١) رقأ الدمع : انقطع . « مصباح » . (هامش الأصل) .

عصيتك إذ عصيتك ؛ وأنا بمكانك جاهل ، ولا لعقوبتك متعرِّض ، ولا لنظرك مستخِفٌّ ، ولكن سوَّلت لي نفسي ، وأعانني على ذلك شقوتي ، وغرَّني سَتْرُكَ المرخى عليَّ ؛ فعصيتك بجهلي ؛ وخالفتك بفِعْلي ، فمن عذابك الآن مَن يستنقذني ؟ ! أو بحبل مَنْ أعتصم إن قطعتَ حبلك عني ؟ ! وَاسوأتاه من الوقوف بين يديك غداً إذا قيل للمخفِّين : جوزوا ، وقيل للمثقلين : حطوا ! أَمَعَ المخفِّين أجوز ؟ ! أم مع المثقلين أحط ؟ ! ويلي ؛ كلما كبرت سني كثرت ذنوبي ! ويْلي ؛ كلما طال عمري كثرت معاصي ! فإلى متى أتوب ، وإلى متى أعود ؟ ! أما آن لي أن أستحيي من ربي ؟ !

فهذه طرق القوم في مناجاة مولاهم ، وفي معاتبة نفوسهم ، وإنما مطلبهم من المناجاة الاسترضاء ، ومقصدهم من المعاتبة التنبيه والاسترعاء ، فمن أهمل المعاتبة والمناجاة لم يكن لنفسه مراعياً ، ويوشك أن لا يكون الله تعالى عنه راضياً . والسلام . انتهى .

فهذه المذكورات وأمثالها مما يلزم العبد تذكيرها للنفس ، وتكريرها عليها ، فإنها لا تطيع إلى خالقها إلا بترغيب وترهيب ، وترجية وتخويف ، فإن الدابة الحرون تحتاج إلى قائد يقودها ، وإلى سائق يسوقها ، فإذا وقعت في مهواة ومهلكة تضرب بالسوط من جانب ، وتلوح وتظهر لها بالشعير من جانب آخر ؛ حتى تنهض وتقوم مما وقعت فيه . فافهم وكن من الشاكرين .

خاتمة

في ذكر أدعية نفيسة منقولة من كتب الأئمة الصوفية

اعلم أيها الأخ المكرَّم ؛ أن أخاك الفقير – غفر الله ذنوبه آمين – لما تفكَّر في نفسه ، ورآها خالية من كل خير وهداية ، ومملوءة بكل شرٍّ ومعصية ، ولم يجد له شيئاً يُرْجَى سوى التضرُّع إلى الله وكثرة الدعوات ؛

أراد أن يكتب هنا نُبْذة من الأدعية التي يتأثَّر القلب بقراءتها فمنها :

حزب التضرُّع للتجاني رحمه الله تعالى

ما ذكره العالم العلاَّمة سيدي علي حرازم ابن العربي بزاده المغربي الفاسي رحمه الله تعالى في « جواهر المعاني » ؛ منقولاً عن الشيخ أبي العباس التجاني رحمه الله تعالى بما نصه : ومن أدعيته رضي الله تعالى عنه :

حزب التضرُّع والابتهال ، وقرع باب الكريم المتعال

قال رضي الله عنه : تقرأ الفاتحة ، بعد البسملة والتعوُّذ أولاً ، ثم صلاة الفاتح لما أغلق . . إلخ (مرة) ، ثم تقول : إلهي وسيّدي ؛ هذا مقام المعترف بكثرة ذنوبه وعصيانه ، وسوء فعله وعدم مراعاة أدبه ، حالي لا يخفى عليك ، وهذا ذلّي ظاهر بين يديك ، ولا عذر لي فأبديه لديك ، ولا حجة لي في دفع ما ارتكبته[1] من مناهيك وعدم طاعتك ، وقد ارتكبتُ ما ارْتكَبْتُه غير جاهل بعظمتك وجلالك وسطوة كبريائك ، ولا غافل عن شدّة عقابك وعذابك ، ولقد علمت أني متعرِّضٌ بذلك لسخطك وغضبك ، ولست في ذلك مُضادّاً لك ولا معانداً ، ولا متصاغراً بعظمتك وجلالك ، ولا متهاوناً بعِزِّك وكبريائك ، ولكن غلبت عليَّ شَقْوَتِي ، وأحدقت بي شهوتي ، فارتكبت ما ارتكبته عجزاً عن مدافعة شهوتي ، فحُجَّتك عليَّ ظاهرة ، وحكمك فيَّ نافذ ، وليس لضعفي مَن ينصرني منك غيرك ، وأنت العفو الكريم ، والبرُّ الرحيم ؛ الذي لا تخيِّب سائلاً ، ولا تردُّ قاصداً ، وأنا متذلِّل لك ، متضرِّع لجلالك ، مستمطر جودك ونوالك ، مُسْتَعْطِفاً[2] لعفوك ورحمتك ، فأسألك بما أحاط به علمك من عظمتك وجلالك وكرمك

---

(١) وفي نسخة : أرتكبه .

(٢) وفي نسخة : مُسْتَعْطِفٌ .

ومجدك ، وبمرتبة ألوهيتك الجامعة لجميع صفاتك وأسمائك : أن ترحم ذلّي وفقري ، وتبسط رداء عفوك وحلمك وكرمك ومجدك على كل ما أحاط به علمك مما أنا متصف به من المساوىء والمخالفات ، وعلى كل ما فرَّطت فيه من حقوقك ، فإنك أكرم مَن وقف ببابه السائلون ، وأنت أوسع مجداً وفضلاً من جميع مَن مُدَّت إليه أيدي الفقراء المحتاجين ، وكرمك أوسع ، ومجدك أكبر وأعظم من أن يمُدَّ إليك فقير يده يستمطر عفوك وحلمك عن ذنوبه ومعاصيه فتردَّه خائباً ! فاغفر لي ، واعف عني ، فإنما سألتك من حيث أنت ؛ لاتِّصافك بعلوِّ الكرم والمجد ، وعلوِّ العفو والحلم والحمد .

إلهي لو كان سؤالي من حيث أنا لم أتوجَّه إليك ، ولم أقف ببابك ؛ لعلمي بما أنا عليه من كثرة المساوئ والمخالفات ؛ فلم يكن جزائي في ذلك إلا الطرد واللعن والبعد ، ولكن سألتك من حيث أنت ! معتمداً على ما أنت عليه من صفة المجد والكرم ، والعفو والحلم ، ولما سمت[١] به نفسك من الحياء على لسان رسولك ﷺ ؛ أن تُمَدَّ إليك يدُ فقير فتردَّها صفراء . وإن ذنوبي وإن عظمت ، وأَرْبَتْ[٢] على الحصر والعدّ ، فلا نسبة لها في سعة كرمك وعفوك ، ولا تكون نسبتها في كرمك مقدار ما تبلغ هيئة من عظمة كورة[٣] العالم .

فبحقِّ كرمك ومجدك ، وعفوك وحلمك ؛ اللواتي جعلتها وسيلة في استمطاري لعفوك وغفرانك اعف عني ، واغفر لي بفضلك وعفوك ، وإن كنت لست أهلاً لذلك ! فإنك أهل أن تعفوَ عمن ليس أهلاً لعفوك

(١) بتخفيف الميم فلا إشكال (نجل ابن القحي) .

(٢) الربا : الفضل والزيادة . « مصباح » . (هامش الأصل) .

(٣) كار الرجل العمامة كوراً – من باب قال – : إذا أدارها على رأسه . وكل دور : كور . « مصباح » . (هامش الأصل) .

وكرمك ، فأنت أهل أن تمحو في كل طرفة عين جميع ما لمخلوقاتك من جميع المعاصي والذنوب ، يا مجيد يا كريم ، يا عفوُّ يا رحيم ، يا ذا الفضل العظيم والطَول الجسيم . انتهى .

ثم صلاة الفاتح لما أغلق إلخ مرة .

ثم قال رضي الله عنه : وآكد التوجُّه به : الثلث الأخير من الليل ، فإنه وقت يبعد فيه الردّ من الله تعالى .

وينبغي أن يدعو به في أوقات الإجابة المعلومة .

وأجاز رضي الله عنه كل مَن يحسن القراءة من أصحابه . انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه ، من حفظه ولفظه بمجلس واحد بدار الصلاة بأبي سمعون ، وأجازنا فيه ، وكتب لنا بخطه في هذا المحلّ رضي الله عنه وأرضاه ومتَّعنا برضاه آمين .

همّة الإنسان قاهرة

وينبغي لمن دعا بهذا الدعاء أن يجمع همَّته ، فقد قال سيدنا رضي الله عنه : **همَّة الإنسان قاهرة لجميع الأكوان**؛ متى تعلَّقت بمطلوب ، وسَعَت في طلب ذلك المطلوب على الجادة المستقيمة ؛ بحيث أن لا ينالها في طلبها سآمة ولا رجوع عن المطلوب ، ولا تصعب عليه صعوبة طلبه ، ولم ينلها شكٌّ ولا تردُّد ، بل باعتقاد جازم أن تناله أو تموت في طلبه ؛ اتصلت بمطلوبها ، ولو كان وراء العرش ! انتهى ما أملاه علينا رضي الله عنه . انتهى عبارته ١٢٤ ج١ .

ومن الأدعية المؤثِّرة بالتجربة :

حزب عبد المالك الضرير الفاسي الحسني رضي الله عنه

ونقل من « الأذكار الطيبة » وهو هذا :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (ثلاثاً)

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٦﴾ ﴾ اَللَّهُمَّ إِنَّكَ غَنِيٌّ لاَ غِنًى عَنْكَ ، وَوَلِيٌّ لاَ عِوَضَ مِنْكَ ، ومِفْضَالٌ بِلاَ سَبَبٍ ، وَمَنَّانٌ قَبْلَ الطَّلَبِ ، أَبْرَزْتَ الوُجُودَ مِنْ العَدَمِ ، وَأَوْدَعْتَهُ دَلاَئِلَ القِدَمِ ، وَوَسِعْتَهُ رَحْمَةً وَعِلْماً ، وَأَحَطْتَ بِهِ سُلْطَاناً وَحُكْماً ، فَلَمْ تَغِبْ ذَرَّةٌ مِنْهُ عَنْ عِلْمِكَ ، وَلَمْ تَخْرُجْ لَحْظَةٌ عَنْ حُكْمِكَ ، وَرَبَّيْتَهُ بِرَحْمَانِيَّتِكَ ، وَتَوَلَّيْتَهُ بِقَيُّومِيَّتِكَ وَحَمَلْتَهُ عَلَى مُقْتَضَى اِخْتِيَارِكَ وَحِكْمَتِكَ وَأَلْزَمْتَهُ الفَقْرَ الذَاتِيَّ وَالعَجْزَ الأَصْلِيَّ فَكَانَ إِفْتِقَارُهُ فِي نَيْلِ غِنَاكَ ظَاهِراً وَلِسَانُ عَجْزِهِ لِقَيُّومِيَّتِكَ ذَاكِراً ، وَكَمَّلْتَ نَقَائِصَهُ بِدَلاَلَتِهَا عَلَيْكَ ، وَحَسَّنْتَ شَدَائِدَهُ بِسَوْقِهَا إِلَيْكَ ، فَمَا انْفَكَّ وَاقِعٌ عَنْ حِكْمَةٍ ، وَلاَ خَلاَ مَوْجُودٌ مِنْ نِعْمَةٍ ، وَأَجْرَيْتَ القُلُوبَ عَلَى وَفْقِ مُرَادِكَ ، فَحَجَبْتَهَا بِإِرَادَتِهَا عَنْ سَابِقِ مُرَادِكَ ، فَصَارَ العَبْدُ مُثَاباً وَمُعَاقَباً بِذَلِكَ ، وَتَعَرَّفْتَ لَهُمْ بِجَمِيلِ صِفَاتِكَ وَبَاهِرِ آيَاتِكَ ، فَأَبْرَقْتَ لَهُمْ مَحَاسِنَ إِحْسَانِكَ ، وَاسْتَحَثَّهُمْ مُنَادَى اِمْتِنَانِكَ ، فَطَارَتْ أَرْوَاحٌ بِأَجْنِحَةِ ﴿ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ إِلَى بِسَاطِ ﴿ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ فَغَابُوا إِذْ شَهِدُوا ، وَجَادُوا إِذْ وَجَدُوا وَسِيقَ آخَرُونَ بِعَصَا الاضْطِرَارِ إِلَى كُنُوزِ الرحْمَةِ وَمَهَبِّ الأَسْرَارِ ، فَحَمِدُوا العَنَا إِذْ ظَفِرُوا بِالمُنَا ، وَاسْتَحْسَنُوا البِدَارَ إِذْ حَامُوا حَوْلَ الدَّارِ ، وَتَاهَ المَخْذُولُونَ فِي مَهَامِهِ الحِيرَةِ ؛ إِذْ حُرِمُوا صَادِقَ الاضْطِرَارِ وَنَافِعَ المَعْذِرَةِ ، وَنَوَّرْتَ بَصَائِرَ المُوَفَّقِينَ بِمَعْرِفَتِكَ فَوَجَدُوكَ فِي كُلِّ جَمِيلٍ ، وَحَمِدُوكَ بِالكَمَالِ وَالتَّكْمِيلِ ، وَانْفَرَدْتَ بِالإِمْدَادِ كَمَا انْفَرَدْتَ بِالإِيجَادِ ، وَتَعَالَيْتَ حَتَى عَجَزَ الكُلُّ عَنْكَ وَتَدَانَيْتَ حَتى لَمْ يَكُنْ أَقْرَبَ مِنْكَ ، وَأَطْمَعَ فَضْلُكَ المُذْنِبِينَ ، وَأَرْجَفَ عَدْلُكَ المُقَرَّبِينَ ، وَاقْتَضَى غِنَاكَ أَنْ خَلَقْتَ الوُجُودَ لِلْجُودِ ، وَزَيَّنْتَ قَهْرَكَ بِالإِحْسَانِ المَشْهُودِ ، وَغَلَبْتَ المَظَاهِرَ حِلْماً وَمِنَناً ، وَجَعَلْتَ رَحْمَتَكَ لِمَا عِنْدِي ثَناً ، وَعَلِمْتَ أَنْ لاَ سَبِيلَ إِلَيْكَ ، وَلاَ غِناً لأَحَدٍ

عَنْكَ ، فَكُنْتَ الدَلِيلَ وَالمَطْلُوبَ ، وَعَظَّمْتَ النِعْمَةَ عَلَى كُلِّ مَرْبُوب ، فَلَمْ يَزَلِ الحَمْدُ لَكَ أَنْ رَحِمْتَ ، وَالحُجَّةُ لَكَ عَلَى مَنْ أَخَذْتَ ، يَا مَنْ لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ .

اللهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ سَبَبَ لِي أَتَمَسَّكُ بِهِ ، وَلاَ حيلَةَ لِي أَرْجِعُ إِلَيْهَا ، وَلاَ قُوَّةَ لِي أتسلّى بِهَا ، وَلاَ رُكْنَ لِي أَفْزَعُ إِلَيْهِ ، وَلاَ سَنَدَ لِي أَعْتَمِدُ عَلَيْهِ ، فَلاَ تَشَوُّفَ لِي إِلاَّ إِلَيْكَ ، وَلاَ عُذْرَ لِي بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَإِنْ رَدَدْتَنِي لِوَصْفِي فَإِلَى أَيْنَ يَذْهَبُ الطَرِيدُ ؟ ! وَإِنْ رَحِمْتَنِي عَلَى مَا فِيَّ فَأَنْتَ أَرْأَفُ رَبٍّ بِالعَبِيدِ .

يَا مَنْ لاَ يَمْقُتُ المُتَرَدِّدِينَ ، وَلاَ يَعَافُ المُتَلَوِّثِينَ ، يَا مَنْ لاَ يَتَثَاقَلُ عَنِ المَلْهُوفِينَ ، وَلاَ يَتَبَرَّمُ عَنِ المَصْرُوفِينَ ، يَا مَن لاَ يَنْهَرُ السَائِلِينَ ، وَلاَ يَمَلُّ القَابِلِينَ ، يَا مَنْ لاَ يُهْمِلُ المُحْتَاجِينَ وَلاَ يَعْتَذِرُ لِلرَاجِينَ ، يَا سَمِيعَ أَنِينِ المُنْكَسِرينَ ، يَا رَحِيمَ حَنِينِ المُضْطَرِينَ ، يَا مَنْ إِغَاثَتُهُ فِي الشَدَائِدِ مَشْهُودَةٌ ، وَأَلْطَافُهُ فِي المَضَايِقِ مَعْهُودَةٌ ، يَا مَنْ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ : كُنْ . فَيَكُون ! ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ .

إِلَهِي قَدْ اِشْتَدَّ حَبْلُ الاضْطِرَارِ ، وَتَعَذَّرَ إِلاَّ إِلَيْكَ الفِرَارُ ، وَانْقَطَعَ مِنْ سِوَاكَ رَجَائِي ، وَضَاعَ إِلَى غَيْرِكَ الْتِجَائِي ، وَحُرِمْتُ فِي غَيْرِ بَابِكَ فَلاَ تُحْرِمْنِي ، وَأَيِسْتُ مِنْ سِوَاكَ فَلاَ تُؤَيِّسْنِي ، وَغَرِقَتْ نَفْسِي فِي جِنَايَتِي ؛ وَعَجَزَ التَدْبِيرُ ، وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنْ مُؤَاخَذَتِي ؛ وَأَنَا إِلَى عَفْوِكَ فَقِيرٌ ، فَبِغِنَاكَ عَنِّي إِلاَّ رَحِمْتَ فَقْرِي ، وَبِتَمَكُّنِكَ مِنِي إِلاَّ قَبِلْتَ عُذْرِي ، وَبِعَظِيمِ عَفْوِكَ إِلاَّ نَسَخْتَ هَجْرِي ، وَبِضِيَاءِ وَجْهِكَ إِلاَّ أَطْلَعْتَ فَجْرِي .

إِلَهِي لَوْ كُنْتَ لاَ تَرْحَمُ إِلاَّ المُسْتَحِقِّينَ مَا رَجَوْتُكَ ، وَلَوْ كُنْتَ لاَ تَقْبَلُ إِلاَّ المُخْلِصِينَ مَا أَتَيْتُكَ ، وَلَكِنْ عَاقَتْنِيَ الأَعْمَالُ ، وَخَانَتْنِيَ الآمَالُ ، وَوَصَلْتَ قَاطِعِي ، وَقَدَّمْتَ مَانِعِي ؛ فَأَوْقَفَتْنِي الذُنُوبُ مَوَاقِفَ الذُلِّ ،

وَأَخْرَجْتَنِي مِنْ حَرَمِ النَجَاةِ إِلَى مَخَاوِفِ الحِلِّ ، وَطَمِعَت فِي مَقَاتِلِي سِهَامُ فِعْلِي ، وَأَثْبَتَتْنِي لِلْمَكَارِهِ زَلاَّتُ نَعْلِي ، وَلَيْسَ لِي مِنْ بَعْدِ جَاهِكَ مُشْتَكى ، وَلاَ مَلاَذُ يَسْمَعُ مَنْ دَعا ، أَوْ يَرْحَمُ مَنْ بَكى ، فَإِلَى مَنْ أَفِرُّ إِنْ لَمْ تَحْمِنِي ؟ ! وَبِمَنْ أَسْتَغِيثُ إِنْ لَمْ تُغِثْنِي ؟ ! وَمَنْ أَرْجُوهُ إِنْ تُخَيِّبْنِي ؟ ! وَمَنْ أَدْعُوهُ إِنْ لَمْ تُجِبْنِي ؟ ! وَمَنْ أَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ إِنْ لَمْ تَرْحَمْنِي ؟ ! وَمَنْ أَتَمَلَّقُ[1] بَيْنَ يَدَيْهِ إِنْ لَمْ تَقْبَلْنِي ؟ ! وَبَابَ مَنْ أَقْرَعُ إِنْ تَكِلْنِي ؟ ! وَمَنْ بِهِ أَتَمَنَّعُ إِنْ لَمْ تَكُنْ لِي ؟ ! .

إِلَهِي مَنْ ذَا الَّذِي أَمَّلَكَ فَحَرَمْتَهُ ؟ ! وَمَنْ ذَا الَّذِي تَعَلَّقَ بِكَ فَصَرَمْتَهُ[2] ؟ ! وَمَنْ ذَا الَّذِي تَرَدَّدَ إِلَيْكَ فَرَدَدْتَهُ ؟ ! وَمَنْ ذَا الَّذِي نَزَلَ بِكَ فَطَرَدْتَهُ ؟ ! وَمَنْ ذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَ بِكَ فَخَذَلْتَهُ ؟ ! وَمَنْ ذَا الَّذِي تَعَزَّزَ بِكَ فَأَذْلَلْتَهُ ؟ ! وَمَنْ ذَا الَّذِي تَسَتَّرَ بِكَ فَفَضَحْتَهُ ؟ ! وَمَنْ ذَا الَّذِي تَطَارَحَ عَلَيْكَ فَطَرَحْتَهُ ؟ ! يَا مَنْ احْتَجَبَ عَنْ الأَبْصَارِ وَلَمْ يَحْتَجِبْ عَنْ حَاجَةِ أَهْلِ الاِضْطِرَارِ ، يَا مَنْ غَلَبَتْ رَحْمَتُهُ القَوَاطِعَ وَتَنَزَّهَ بَابُهُ عَنْ المَوَانِعِ ، ضَرَبَتِ المُلُوكُ حِجَابَهَا وأَنْتَ عَنِ المُضْطَرِّينَ غَيْرُ مَحْجُوبٍ ، وسَدَّت الأَغْنِيَاءُ أَبْوَابَهَا وَبَابُكَ عَن الفُقَرَاءِ غَيْرُ مَسْدُودٍ ، وَوَقَّتَت الأَجْوَادُ نَوَالَهَا وَنَوَالُكَ فِي سَائِرِ اللحَظَات مَعْهُودٌ ، وَمَقَتَت الكِرَامُ مَنْ يُكْثِرُ سُؤَالَهَا وأَنْتَ لاَ تَمْقُتُ مَنْ يَعُودُ ، وَفَقَدَ المُحْسِنِينَ مَنْ لاَ يُحْسِنُ طَلَبَهُمْ ، وأَنْتَ كَيْفَ مَا طَلَبَكَ السَائِلُ مَوْجُودٌ ، وَأَجْمَعَت الأَسْخِيَاءُ عَلَى مَنْعِ عُصَاتِهَا ، وأَنْتَ دَائِماً عَلَى العُصَاةِ تَجُودُ ، وَصُرِفَت الوُجُوهُ عَنِ المُتَمَلِّقِينَ[3] وَوَجْهُكَ عَن مَنْ يَتَمَلَّقُ إِلَيْكَ غَيْرُ مَصْرُوفٍ ، وعُرِفَ المُتَصَدِّقُونَ بِمَنْعِ غَيْرِ المُسْتَحِقِّينَ ؛ وأَنْتَ بِرَحْمَةِ مَنْ لاَ يَسْتَحِقُّهَا مَعْرُوفٌ ، وكَرِهَت الرُحَمَاءُ مَنْ يَدُلُّ عَلَيْهَا ؛ وأَنْتَ تُحِبُّ مَنْ يَدُلُّ عَلَيْكَ ، وأَبْعَدَتِ العُظَمَاءُ مَنْ يُوَصِّلُ إِلَيْهَا وأَنْتَ تُقَرِّبُ مَنْ يُوَصِّلُ إِلَيْكَ ، فَكَيْفَ أَجْزَعُ وَقَدْ

---

(١) أي : أتودد . « مصباح » . (هامش الأصل) .

(٢) وفي نسخة : فصرفته .

(٣) أي : المحتاجين . « مصباح » . (هامش الأصل) .

فُتِحَتْ لِي بَابُكَ إِذْ غُلِّقَت الأَبْوَابُ ، ويَسَّرْتَ جَنَابَكَ إِذْ تَعَذَّرَ كُلُّ جَنَابٍ ؟ ! وكُلَّمَا أَتَيْتُكَ عَبْداً لَئِيماً وَجَدْتُكَ رَبّاً كَرِيماً ، فَمَا فَارَقْتُ وَصْفِي[1] . وَلاَ فَقَدْتُ جَمِيلَ وَصْفِكَ ، ولاَ غُبِنْتُ فِي شِدَّتِي مِنْ تَدَارُكِ لُطْفِكَ ، حَتَّى مَحَتْ مَحَاسِنُكَ وَهْمَ خيَالِي ، وأَثْبَتَ جَمِيلُكَ شَمْساً عَلَى رَغْمِ اللَيَالِي ، فَكَيْفَ أَتَخَلَّى عَنْكَ وأَنْتَ الَّذِي يَسْتَحْيِي أَنْ يُخَيِّبَ يَدَ العُنَاةِ[2] ؟ ! وكَيْفَ أُسِيءُ بِكَ الظَنَّ وأَنْتَ الَّذِي يَقْبَلُ التَوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ويَعْفُو عَن السَيِّئَاتِ ؟ ! وكَيْفَ أُجِيبُ دَاعِيَ اليَأْسِ مِنْكَ وقَدْ تَكَفَّلْتَ بِالإِجَابَةِ لِلْمُضْطَرِّينَ ؟ ! وكَيْفَ تَقْطَعُنِي عَنْكَ الذُنُوبُ وقَدْ أَدْلَلْتَ عَلَى نَفْسِكَ المُتَحَيِّرِينَ ؟ ! يَا مَنْ قَالَ ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ .

إِلَهِي كُلُّ مَنْ اسْتَشَرْتُهُ يَدُلُّنِي عَلَيْكَ ، وكُلُّ مَنْ قَصَدْتُهُ يَدْفَعُنِي إِلَيْكَ ، وقَدْ آيَسَتْنِي التَجَارِبُ مِنْ سِوَاكَ ، ودَفَعَنِي الاِضْطِرَارُ إِلَى غِنَاكَ ، ورَدَّدَنِي لِبَابِكَ حُسْنُ ظَنِّي فِيكَ ، وأَلْجَأَنِي حَرُّ تَلاَفِي إِلَى ظِلِّ تَلاَفِيكَ ، إِنْ تُقْصِنِي فَمَا لِي مِنْ بَعْدِكَ حَبِيبٌ ! وإِنْ تُدْنِنِي فَمَا ضَرَّنِي أَنْ لاَ يَكُونَ لِي مِنْ غَيْرِكَ نَصِيبٌ ! فَكَيْفَ أَغْتَرُّ بِسِوَاكَ وَهُوَ سَرَابٌ ؟ ! وكَيْفَ أَسْلُو بِهِ ومَا عَلَى التُرَابِ تُرَابٌ ؟ ! وكَيْفَ أَعْتَمِدُ عَلَى غَيْرِكَ وَهُوَ زَائِلٌ ؟ ! وكَيْفَ أَمِيلُ سِوَاكَ وَهُوَ مَائِلٌ ؟ !

إِلَهِي مَا لِشِدَّتِي مِنْ بَعْدِكَ انْفِرَاجٌ ، وَلاَ لِي مِنْ أَسْرِ الذُّنُوبِ إِنْ لَمْ تَمُنَّ إِخْرَاجٌ ، وَلاَ يُرْجَى لِعِلَّتِي غَيْرُ دَوَاكَ ، وَلاَ يُبَرِّدُ حُرْقَتِي شَيْءٌ سِوَاكَ ، وقَدْ رَكِبْتُ عِنْدَ تَمَوُّجِ الزَمَانِ فِيمَا أَخْشَاهُ ، وعَزَّتْ سَوَاحِلُ النَجَاةِ يَا رَبَّاهُ يَا رَبَّاهُ ! !

إِلَهِي كَيْفَ أُضِيعُ وأَنْتَ الرَحِيمُ ؟ ! وكَيْفَ أَخِيبُ وأَنْتَ الكَرِيمُ ؟ !

---

(١) عله شنيع وصفي .
(٢) عَنَا عنواً : خضع وذلَّ . « مصباح » والجمع : عناة . (منه) .

وكَيْفَ أُذَادُ ومَالِي إلَى غَيْرِكَ وُصُولٌ ؟ ! وكَيْفَ أُضَامُ وَالعَبْدُ بِعِزَّةِ سَيِّدِهِ يَصُولُ ؟ ! وكَيْفَ أَتعَفَّفُ وأَنْتَ الغَنِيُّ الجَوَّادُ ؟ ! وكَيْفَ لاَ أَعُودُ وأَنْتَ الَّذِي تُحِبُّ العَوَّاد ؟ ! وقَدْ حَمَلَنِي كَرَمُكَ عَلَى طَلَبِكَ ، وعَلَّقَتْ عَوَائِدُ إِحْسَانِكَ القَلْبَ بِكَ ، فَأَبَتِ الرُوحُ أَنْ تَحُنَّ لِغَيْرِكَ ، وَاقْتَضَى فَضْلُكَ أَنْ لاَ أَيْأَسَ مِنْ خَيْرِكَ ، فَلَوْ أَيْأَسْتَنِي لَرَجَوْتُكَ ! فَكَيْفَ إِذْ أَطْمَعْتَنِي ؟ ! وَلَوْ طَرَدْتَنِي مَا بَرَحْتُ عَنْكَ ! فَكَيْفَ إِذْ آوَيْتَنِي ؟ ! وَلَوْ أَوْحَشْتَنِي لَتَسَلَّيْتُ بِكَ[1] ! فَكَيْفَ إِذْ آنَسْتَنِي ؟ ! فَأَنْتَ المَحْمُودُ إِعْطَاءً ومَنْعاً ، والمَحْبُوبُ وَفَاءً وجَمْعاً ، يَا وَلِيِّي فِي غُرْبَتِي ، يَا مُؤْنِسِي فِي وَحْشَتِي ، يَا نُورِي فِي ظُلْمَتِي ، يَا رُكْنِي فِي شِدَّتِي ، يَا كَنْزِي فِي عَيْلَتِي ، يَا رَجَائِي حِينَ تَنْقَطِعُ حِيلَتِي ؛ لاَ تَذَرْنِي فِي حَرِّ الزَمَانِ وأَنْتَ ظِلِّي ، ولاَ فِي وَقْتِ الحِرْمَانِ وأَنْتَ سُؤْلِي ، ولاَ فِي فَقْدِ الهِجْرَانِ وعَلَيْكَ تَلَهُّفِي ، ولاَ فِي صَفْقَةِ الخُسْرَانِ وأَنْتَ تَشَوُّفِي ، ولاَ تَكِلْنِي إِلَى مَنْ لاَ يَرْحَمُ اضْطِرَارِي ولاَ يَقْبَلُ اعْتِذَارِي ، فَلاَ مَفَرَّ لِي مِنْ بَعْدِكَ ، وَلاَ غَوْثَ لِي إلاَّ مِنْ عِنْدِكَ ، وَقَدْ مَالَ كُلُّ مُؤَمَّلٍ عَنِّي ، وَمَلَّ كُلُّ مُسْتَغَاثٍ مِنِّي ، وَأَنْتَ تُغْنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ ؛ وَلاَ شَيْءَ عَنْكَ يُغْنِي ، وَكَيْفَ لاَ أَفِرُّ لِغِنَاكَ مِنْ فَاقَتِي ؟ ! وَكَيْفَ لاَ أَفْزَعُ لِعِزِّكَ مِنْ ذِلَّتِي ؟ ! وَكَيْفَ لاَ أَسْتَغِيثُ وَقَدْ جَارَ التَلَفُ وَلاَ مُجِيرَ ؟ ! وَكَيْفَ لاَ أُنَادِي وَغَيْرُ عِلاَجِكَ فِي هَذِهِ حَقِيرٌ ؟ ! وَكَيْفَ لاَ يَحْمِلُنِي إِلَى الرُكُونِ إِلَيْكَ انْقِطَاعِي ؟ ! وَكَيْفَ لاَ يُلْجِئُنِي للتَعَلُّقِ بِكَ ضِيَاعِي ؟ ! وَكَيْفَ لاَ يُحْسِنُ إِحْسَانُكَ ظَنِّي ؟ ! وَكَيْفَ لاَ تُذْهِبُ شَوَاهِدُ فَضْلِكَ حُزْنِي ؟ ! فَقَدْ رَحِمْتَنِي عَلَى مَا تَعْلَمُ مِنِّي ، وَأَسْرَفْتُ عَلَى نَفْسِي وَلَمْ تُقَنِّطْنِي ، وَرَأَيْتَنِي عَلَى مَا تَكْرَهُ وَلَمْ تُعَاجِلْنِي ، وَمَدَدْتُ إِلَيْكَ يَدَ الضرَاعَةِ[2] فَلَمْ تُؤَجِّلْنِي ، وَوَسِعَ إِحْسَانُكَ طَمْعِي ، وَضَاعَ ضِيَاعِي إِذْ وَجَدْتُكَ مَعِي ؛ فَلَمْ تُحَوِّجْنِي إِلَى تَرْجُمَانٍ ، وَلاَ تَقَيَّدْتَ لِي بِزَمَانٍ ،

---

(١) في نسخة : بمنِّك .

(٢) ضرع : ذلَّ وخضع . « مختار » . (هامش الأصل) .

فَكَيْفَ يَسعُنِي إِلَى غَيْرِكَ الفِرَارُ ؛ وَأَنْتَ أَرْحَمُ مَا تَكُونُ عِنْدَ الاِضْطِرَارِ ؟ ! يَا ذَا الجُودِ العَمِيمِ الَّذِي لاَ يَتَقَيَّدُ بِزَمَانٍ ، وَلاَ يَخْتَصُّ بِمَكَانٍ ، يَا ذَا الفَضْلِ العَظِيمِ الَّذِي تُصِيبُ بِهِ مَنْ تَشَآءُ كَيْفَ مَا كَانَ ، رَفَعَت الشدَائِدُ حِجَابَ الأَوْهَامِ ، وَأَزَالَت المَضَايِقُ الخيَالَ عَنْ الأَفْهَامِ ، فَرَأَيْتُ فِي بَيْتِ العَنْكَبُوتِ مَنْ رَكَنَ لِسِوَاكَ ، وَضَلَّ عَنِّي كُلُّ مَنْ أَدْعُوهُ إِلاَّ إِيَّاكَ .

إِلَهِي ؛ كُنْتُ عَدَماً فَأَوْجَدْتَنِي ، وَغَيْباً فَأَشْهَدْتَنِي ، وَحَائِراً فَأَدْلَلْتَنِي ، وَجَاهِلاً فَأَشْعَرْتَنِي ، وَغَافِلاً فَأَلْهَمْتَنِي ، وَآيِساً فَأَطْمَعْتَنِي ، وَمُعْرِضاً فَتَعَرَّضْتَ لِي ، وَمُنْكِراً فَتَعَرَّفْتَ لِي ، وَزَاهِداً فَتَزَيَّنْتَ لِي ، وَنَاقِصاً فَلَمْ يَكُنْ مِنِّي نَقْصٌ إِلاَّ قَابَلَهُ مِنْكَ كَمَالٌ ، حَتَّى نَفِدَتْ نَقَائِصِي وَلاَ نَفَادَ لِكَمَالِكَ ، فَهَا أَنَا أَتَلَوَّنُ فِي امْتِنَانِكَ ، وَأَتَنَزَّهُ فِي سُلْطَانِكَ ، وَأَجِدُكَ مَهْمَا طَلَبْتُكَ ، وَأُشَاهِدُكَ إِذَا ذَكَرْتُكَ ، حَسْبِي عَدَدِي ، عَظُمَتْ نِعْمَتُكَ عَنْ شُكْرِي ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ عَنْ فِكْرِي وَذِكْرِي ، اِجْعَلْ تَعَلُّقِي فِدَاءً عَنْ التَعَلُّقِ بِغَيْرِكَ ، وَافْتِقَارِي إِلَيْكَ مُحَقِّقاً لِلاِسْتِغْنَاءِ بِكَ .

يَا مَنْ خَلَقَ الخَلْقَ لِيَرْبَحُوا عَلَيْهِ ، يَا مَنْ تَعَرَّفَ لَهُمْ بِالرحْمَةِ لِيَرْجِعُوا إِلَيْهِ ، تَعَالَيْتَ عَنْ مَدَارِكِ الأَفْهَامِ ، فَجَعَلْتَ رَحْمَتَكَ إِلَى مَعْرِفَتِكَ سَبِيلاً ؛ وَجَلَّ سَبِيلُ فَضْلِكَ عَنْ الإِمْكَانِ ، فَجَعَلْتَ فَضْلَكَ عَلَى فَضْلِكَ دَلِيلاً ؛ وَتَنَزَّهْتَ فِي تَصَرُّفِكَ عَنْ ثَانٍ فَجَلَّلْتَ البَاطِنَ بِالظاهِرِ تَجْلِيلاً ، وَنَمَتْ عَلَيْكَ ضُرُوبُ الإِحْسَانِ ، فَصَارَ كُلُّ رَجَاءٍ فِي جَنْبِ فَضْلِكَ قَلِيلاً ، وَتَرَدَّدَتْ إِلَيْكَ أَهْلُ العِصْيَانِ ، فَلَمْ يَذْكُرِ الكُلُّ عَنْكَ إِلاَّ جَمِيلاً ، فَلَمْ يَنْقَطِعْ مِنْكَ رَجَاءُ المُقَصِّرِينَ ، وَلاَ تَعَدَّى فَضْلكَ سُؤَالُ المُجْتَهِدِينَ .

إِلَهِي ؛ إِنْ كُنْتُ أَهْلاً لِلْمَنْعِ فَأَنْتَ أَهْلٌ لِلإِعْطَاءِ ، وَإِنْ كُنْتُ بَادِيَ العَيْبِ فَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ غَطَّى ، وَإِنْ عُرِفْتُ بِالإِسَاءَةِ فَأَنْتَ المَعْرُوفُ بِالإِحْسَانِ ، وَإِنْ عُدْتُ لِلجَهَالَةِ فَأَنْتَ العَوَّادُ بِالْغُفْرَانِ ، وَإِن نَادَيْتُكَ لِفَاقَتِي فَمِنْ أَخْلاَقِكَ إِغَاثَةُ اللَّهْفَانِ ، وَإِنْ عَجَزَ عَنِّي فِعْلِي فَأَنْتَ عَلَى رَحْمَتِي قَدِيرٌ ، وَإِنْ صَغُرَ

حَالِي عَنْ سُؤَالِي فَلاَ شَيْءَ عَلَيْكَ كَبِيرٌ . فَإِنْ عَدَلْتَ فَأَنْتَ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ، وَإِنْ تَفَضَّلْتَ فَمَا عَلَيْكَ تَحْجِيرٌ ، فَبَدِّلْ دَمِي مَعَ أَخْلاَقِي بِخُلُقٍ حَمِيدٍ ، وَحَوِّلْنِي عَمَّا تَكْرَهُ إِلَى مَا تُحِبُّ وَتُرِيدُ ، وَأَسْرِجْ بَاطِنِي مِنْ نُورِ اليَقِينِ ، وَزَيِّنْ ظَاهِرِي بِسِمَاتِ الصَادِقِينَ ، وَغَيِّبْ قَبَائِحِي فِي جَمِيلِ أَوْصَافِكَ ، وَتَدَارَكْنِي قَبْلَ نُفُوذِ القَضَاءِ بِأَلْطَافِكَ **يَا لَطِيفُ** (عدد ١٢٩ مرة) ، وَتَوَلَّنِي حِينَ تَنْقَطِعُ الأَسْبَابُ وَالعَلاَئِقُ وَيَسِّرْ لِي الشَهَادَةَ عِنْدَ المَوْتِ بِلاَ عَائِقٍ .

إِلَهِي ؛ إِلَيْكَ أَشْكُو مَا تَنَزَّهَ عَنْ سُؤْلِي[١] ، وَكَبُرَ عَنْ حَالِي ، وَغَلَبَ صَبْرِي ، وَعَلاَ عَنْ ذِكْرِي ، وَإِنْ جَاوَزَ حَدَّ الإِمْكَانِ ؛ فَمَا جَاوَزَ الإِحْسَانَ ، فَإِنْ نَطَقْتُ كَانَ سَفَهاً مِنِّي ، وَإِنْ سَكَتُّ مَا سَكَتَ حُبُّهُ عَنِّي ، وَكُلَّمَا هَجَمَتْ جِنَايَتِي عَلَى نَفْسِي أَبَى فَضْلُكَ أَنْ يَسْتَقِرَّ إِيَاسِي[٢] ، فَكَمْ جَازَ فِي رَجَائِكَ المحَالُ ؛ وَمَا أَثَّرَ فِي فَضْلِكَ سُوءُ حَالٍ !

يَا أَوَّلُ بِغَيْرِ ابْتِدَاء ، يَا آخِرُ بِغَيْرِ انْتِهَاء ، يَا ظَاهِرُ بِلاَ تَكْيِيفٍ ، يَا بَاطِنُ بِلاَ تَشْبِيهٍ ، يَا ذَا القُوَّة المَتِين ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِلاَ مُعِينٍ ، يَا سُبُّوحُ لَهُ تَأْثِيرٌ فِي الأَشْيَاءِ جَلَّ شَأْنُهُ ، يَا قُدُّوسُ عَنْ تَخَيُّلاَتِ الأَوْهَام تَنَزَّهَ سُلْطَانُهُ ، يَا مَنْ ﴿ **يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ** ﴾ (ثلاثاً) أَغْنِنِي عَنْ خَلْقِكَ بِمُشَاهَدَتِكَ فِي رِزْقِكَ ؛ حَتَى لاَ أَرَى عَلَيَّ مِنَّةً لِغَيْرِكَ ، وَلاَ تُهِنِّي فِي طَلَبِي ، وَتَوَلَّنِي فِي كَسْبِي ، وَاغْفِرْ لِي مَا رَجَفَ[٣] مِنْهُ قَلْبِي ، وَذَهِلَ مِنْهُ عَقْلِي ، وَبَارَتْ[٤] فِيهِ حِيلَتِي ، وَانْقَطَعَتْ مِنْهُ حُجَّتِي ، وَبَطَلَتْ

---

(١) في نسخة : سؤالي .

(٢) مقلوب من يئس . راجع « المصباح » . (هامش الأصل) .

(٣) رجف الشيء رجفاً ورجيفاً ورجفاناً : تحرك واضطرب . « مصباح » . (هامش الأصل) .

(٤) بار الشيء بواراً : كسد . على الاستعارة ، لأنه إذا ترك صار غير منتفع به ، فأشبه للهالك من هذا الوجه . « مصباح » . (هامش الأصل) .

مِنْهُ مَعْذِرَتِي ، وَسُقِطَ فِي يَدِي ، وَأَيْقَنْتُ أَنْ لاَ مَلْجَأَ إِلاَّ إِلَيْكَ .

يَا مَنْ سَمَّى نَفْسَهُ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ ﴿**رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ**﴾ وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَى مَطْلَعِ شَمْسِ القِدَمِ ، وَفَائِقِ رَتْقِ العَدَمِ ، وَدَلِيلِ الكَنْزِ الأَعْظَمِ ، وَسَبِيلِ الملك الأَرْحَمِ ، وَلِسَانِ عِلْمِ القَلَمِ ، وَإِمَامِ كُلِّ مُقَدَّمٍ ، وَأَصْلِ نِعَمِ العَالَمِ ، الَّذِي جَعَلْتَ بَاطِنَهُ لِوَحْدَتِكَ ، وَظَاهِرَهُ لِرَحْمَتِكَ ، وَآخِرَتَهُ لِشَفَاعَتِكَ : سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وسَلِّمْ تَسْلِيماً كَثِيراً إِلَى يَوْمِ الدِينِ ، وَاغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ ، وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ . انتهى .

مناجاة ابن عطاء الله رضي الله عنه

ومن الأدعية النافعة : مناجاة ابن عطاء الله رضي الله عنه .

قال في « تقريب الأصول » : قال بعض العارفين : إنَّ فيها سرّاً عجيباً ، وتأثيراً كبيراً في قلب ذاكرها مع الحضور ، وإذا كان ذلك في وقت السحر يكون أولى ، فإن لم يتيسَّر ! ففي آخر النهار ، أو في أيّ وقت . انتهى عبارته ٢٢٧ .

وهي هذه :

إِلَهِي ؛ أَنَا الفَقِيرُ فِي غِنَايَ ، فَكَيْفَ لاَ أَكُونُ فَقِيراً فِي فَقْرِي ؟ !

إِلَهِي ؛ أَنَا الجَاهِلُ فِي عِلْمِي ، فَكَيْفَ لاَ أَكُونُ جَهُولاً فِي جَهْلِي ؟ !

إِلَهِي ؛ إِنَّ اخْتِلاَفَ تَدْبِيرِكَ ، وَسُرْعَةَ حُلُولِ مَقَادِيرِكَ ، مَنَعَا عِبَادَكَ العَارِفِينَ بِكَ عَنْ السكُونِ إِلَى عَطَاءٍ ، وَاليَأْسِ مِنْكَ فِي بَلاَءٍ .

إِلَهِي ؛ مِنِّي مَا يَلِيقُ بِلُؤْمِي[1] ، وَمِنْكَ مَا يَلِيقُ بِكَرَمِكَ[2] .

---

(١) بلؤمي : وهو مبارزتي إياك بالمعاصي . ولؤم - بضم الهمزة - لؤماً فهو لئيم ، يقال ذلك للشحيح والدنيء والمهين . « مصباح » . (هامش الأصل) .

(٢) وهو التجاوز والعفو ، وقبول الاعتذار . « شرح الحكم » . (هامش الأصل) .

إِلَهِي ؛ وَصَفْتَ نَفْسَكَ بِاللُّطْفِ وَالرأفَةِ بِي قَبْلَ وُجُودِ ضُعْفِي ، أَفَتَمْنَعُنِي مِنْهُمَا بَعْدَ وُجُودِ ضُعْفِي ؟ !

إِلَهِي ؛ إِنْ ظَهَرَت المَحَاسِنُ مِنِّي فَبِفَضْلِكَ وَلَكَ المِنَّةُ عَلَيَّ ، وَإِنْ ظَهَرَت المَسَاوِىءُ مِنِّي فَبِعَدْلِكَ وَلَكَ الحُجَّةُ عَلَيَّ[1] .

إِلَهِي ؛ كَيْفَ تَكِلُنِي إِلَى نَفْسِي وَقَدْ تَوَكَّلْتَ لِي ؟ ! وَكَيْفَ أُضَامُ وَأَنْتَ النَاصِرُ لِي ؟ ! أَمْ كَيْفَ أُخِيبُ وَأَنْتَ الحَفِيُّ بِي ؟ ! هَا أَنَا أَتوسَّلُ إِلَيْكَ بِفَقْرِي إِلَيْكَ ، وَكَيْفَ أَتَوسَّلُ إِلَيْكَ بِمَا هُوَ مُحَالٌ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ ؟ ! أَمْ كَيْفَ أَشْكُو إِلَيْكَ حَالِي وَهِيَ لاَ تَخْفَى عَلَيْكَ ؟ ! أَمْ كَيْفَ أُتَرْجِمُ لَكَ بِمَقَالِي وَهُوَ مِنْكَ بَرَزَ وَإِلَيْكَ ؟ ! أَمْ كَيْفَ تُخَيِّبُ آمَالِي وَهِيَ قَدْ وَفَدَتْ إِلَيْكَ ؟ ! أَمْ كَيْفَ لاَ تُحْسِنُ أَحْوَالِي وَبِكَ قَامَتْ وَإِلَيْكَ ؟ !

إِلَهِي ؛ مَا أَلْطَفَكَ بِي مَعَ عَظِيمِ جَهْلِي ! وَمَا أَرْحَمَكَ بِي مَعَ قَبِيحِ فِعْلِي !

إِلَهِي ؛ مَا أَقْرَبَكَ مِنِّي وَمَا أَبْعَدَنِي مِنْكَ !

إِلَهِي ؛ مَا أَرْأَفَكَ بِي ، فَمَا الَّذِي يُحْجِبُنِي عَنْكَ ؟ !

إِلَهِي ؛ قَدْ عَلِمْتُ بِاخْتِلاَفِ الآثَارِ ، وَتَنَقُّلاَتِ الأَطْوَارِ ، إِنَّ مُرَادَكَ مِنِي أَنْ تَتَعَرَّفَ إِلَيَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى لاَ أَجْهَلَكَ .

إِلَهِي ؛ كُلَّمَا أَخْرَسَنِي لُؤْمِي أَنْطَقَنِي كَرَمُكَ ، وَكُلَّمَا آيَسَتْنِي أَوْصَافِي أَطْمَعَتْنِي مِنَّتُكَ .

إِلَهِي ؛ مَنْ كَانَتْ مَحَاسِنُهُ مَسَاوِي[2] ، فَكَيْفَ لاَ تَكُونُ مَسَاوِئُهُ مَسَاوِئَ ؟ ! ومَنْ كَانَتْ حَقَائِقُهُ دَعَاوِيَ ، فَكَيْفَ لاَ تَكُونُ دَعَاوِيهِ دَعَاوِي ؟ !

---

(١) بأن تقول : لم فعلت هذا يا عبدي . (هامش الأصل) .

(٢) في نسخة : مساوئ .

إِلَهِي ؛ حُكْمُكَ النافِذُ ، وَمَشِيئَتُكَ القَاهِرَةُ ؛ لَمْ يَتْرُكَا لِذِي مَقَالٍ مَقَالاً ، وَلاَ لِذِي حَالٍ حَالاً .

إِلَهِي ؛ كَمْ مِنْ طَاعَةٍ بَنَيْتُهَا وَحَالَةٍ شَيَّدْتُهَا هَدِمَ اِعْتِمَادِي عَلَيْهَا عَدْلُكَ ، بَلْ أَقَالَنِي مِنْهَا فَضْلُكَ !

إِلَهِي ؛ أَنْتَ تَعْلَمُ وَإِنْ لَمْ تَدُمِ الطَاعَةُ مِنِّي فِعْلاً جَزْماً فَقَدْ دَامَتْ مَحَبَّةً وَجَزْماً[1] .

إِلَهِي ؛ كَيْفَ أَعْزِمُ[2] وَأَنْتَ القَاهِرُ ؟ ! وكَيْفَ لاَ أَعْزِمُ وأَنْتَ الآمِرُ ؟ !

إِلَهِي ؛ تَرَدُّدِي فِي الآثَارِ يُوجِبُ بُعْدَ المُزَارِ ، فَاجْمَعْنِي عَلَيْكَ بِخِدْمَةٍ تُوصِلُنِي إِلَيْكَ .

إِلَهِي ؛ كَيْفَ يَسْتَدِلُّ عَلَيْكَ بِمَا هُوَ فِي وُجُودِهِ مُفْتَقِرٌ إِلَيْكَ أَيَكُونَ لِغَيْرِكَ مِنَ الظُهُورِ مَا لَيْسَ لَكَ ، حَتَّى يَكُونَ هُوَ المُظْهِرُ لَكَ ؟ ! مَتَى غِبْتَ حَتَّى تَحْتَاجَ إِلَى دَلِيلٍ يَدُلَّ عَلَيْكَ ؟ ! ومَتَى بَعُدْتَ حَتَّى تَكُونَ الآثَارُ هِيَ الَّتِي تُوصِلُ إِلَيْكَ ؟ !

إِلَهِي ؛ عَمِيَتْ عَيْنٌ لاَ تَرَاكَ عَلَيْهَا رَقِيباً ، وخَسِرَتْ صَفَقَةُ عَبْدٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ حُبِّكَ نَصِيباً .

إِلَهِي ؛ أَمَرْتَ بِالرُّجُوعِ إِلَى الآثَارِ ، فَارْجِعْنِي إِلَيْهَا بِكِسْوَةِ الأَنْوَارِ ، وهِدَايَةِ الاِسْتِبْصَارِ ، حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ مِنْهَا كَمَا دَخَلْتُ إِلَيْكَ مِنْهَا ؛ مَصُونَ السِرِّ عَنِ النَّظْرِ إِلَيْهَا ، ومَرْفُوعَ الهِمَّةِ عَنِ الاِعْتِمَادِ عَلَيْهَا . إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

---

(١) في نسخة : عزماً .

(٢) عزم على الشيء ، وعزمه عزماً ؛ من باب ضرب : عقد ضميره على فعله . وعزم عزيمة وعزمة : اجتهد وجدَّ في أمره . « مصباح » . (هامش الأصل) .

إِلَهِي ؛ هَذَا ذُلِّي ظَاهِرٌ بَيْنَ يَدَيْكَ ، وهَذَا حَالِي لاَيَخْفَى عَلَيْكَ ، مِنْكَ أَطْلُبُ الوُصُولَ إِلَيْكَ ، وبِكَ أَسْتَدِلُّ عَلَيْكَ ، فَاهْدِنِي بِنُورِكَ إِلَيْكَ ، وأَقِمْنِي بِصِدْقِ العُبُودِيَّةِ بَيْنَ يَدَيْكَ .

إِلَهِي ؛ عَلِّمْنِي مِنْ عِلْمِكَ المَخْزُونِ ، وصُنِّي بِسِرِّ اسْمِكَ المَصُونِ .

إِلَهِي ؛ حَقِّقْنِي بِحَقَائِقِ أَهْلِ القُرْبِ ، واسْلُكْ بِي مَسَالِكَ أَهْلِ الجَذْبِ .

إِلَهِي ؛ أَغْنِنِي بِتَدْبِيرِكَ عَنْ تَدْبِيرِي ، وبِاخْتِيَارِكَ لِي عَنْ اِخْتِيَارِي ، وأَوْقِفْنِي عَلَى مَرَاكِزِ[1] اضْطِرَارِي .

إِلَهِي ؛ أَخْرِجْنِي مِنْ ذُلِّ نَفْسِي ، وطَهِّرْنِي مِنْ شَكِّي وشِرْكِي قَبْلَ حُلُولِ رَمْسِي ، بِكَ أَسْتَنْصِرُ فَانْصُرْنِي ، وعَلَيْكَ أَتَوَكَّلُ فَلاَ تَكِلْنِي ، وإِيَّاكَ أَسْأَلُ فَلاَ تُخَيِّبْنِي ، وفِي فَضْلِكَ أَرْغَبُ فَلاَ تَحْرِمْنِي ، ولِجَنَابِكَ أَنْتَسِبُ فَلاَ تُبَعِّدْنِي ، وبِبَابِكَ أَقِفُ فَلاَ تَطْرُدْنِي .

إِلَهِي ؛ تَقَدَّسَ رِضَاكَ عَنْ أَنْ تَكُونَ لَهُ عِلَّةٌ مِنْكَ ، فَكَيْفَ تَكُونُ لَهُ عِلَّةٌ مِنِّي ؟ ! أَنْتَ الغَنِيُّ بِذَاتِكَ عَنْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ النفْعُ مِنْكَ ، فَكَيْفَ لاَ تَكُونُ غَنِيّاً عَنِّي ؟ !

إِلَهِي ؛ إِنَّ القَضَاءَ والقَدَرَ غَلَبَنِي ، وإِنَّ الهَوَى بِوَثَائِقِ الشَهْوَةِ أَسَرَنِي ، فَكُنْ أَنْتَ النَصِيرَ لِي حَتَّى تَنْصُرَنِي ، وتَنْصُرَبِي ، وأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ حَتَّى أَسْتَغْنِيَ بِكَ عَنْ طَلَبِي .

أَنْتَ الَّذِي أَشْرَقْتَ الأَنْوَارَ فِي قُلُوبِ أَوْلِيَائِكَ حَتَّى عَرَفُوكَ ووَحَّدُوكَ ، وأَنْتَ الَّذِي أَزَلْتَ الأَغْيَارَ مِنْ قُلُوبِ أَحْبَابِكَ حَتَّى لَمْ يُحِبُّوا سِوَاكَ ، ولَمْ يَلْجَؤُوا إِلَى غَيْرِكَ .

أَنْتَ المُؤْنِسُ لَهُمْ حَيْثُ أَوْحَشَتْهُم العَوَالِمُ ، وأَنْتَ الَّذِي هَدَيْتَهُمْ

---

(١) والمراكز - على وزن مسجد - : موضع الثبوت . « مصباح » . (هامش الأصل) .

حَتَّى اسْتَبَانَتْ لَهُم المَعَالِمُ .

مَاذَا وَجدَ مَنْ فَقدَكَ ؟ ! ومَا الَّذِي فَقَدَ مَنْ وَجدَكَ ؟ !

لَقَدْ خَابَ مَنْ رَضِيَ دُونكَ بَدَلاً ، ولَقَدْ خَسِرَ مَنْ بَغَى عَنْكَ مُتَحوِّلاً .

إِلَهِي ؛ كَيْفَ يُرْجَى سِوَاكَ وأَنْتَ مَا قَطَعْتَ الإِحْسَانَ ؟ ! وكَيْفَ يُطْلَبُ مِنْ غَيْرِكَ وأَنْتَ مَا بَدَّلْتَ عَادَةَ الامْتِنَانِ ؟ !

يَا مَنْ أَذَاقَ أَحِبَّاءَهُ حلاَوَةَ مُؤَانَسَتِهِ ؛ فَقَامُوا بَيْنَ يَدَيْهِ مُتَمَلِّقِينَ ، ويَا مَنْ أَلْبَسَ أَوْلِيَاءَهُ مَلاَبِسَ هَيْبَتِهِ ؛ فَقَامُوا بِعِزَّتِهِ مُسْتَعِزِّينَ .

أَنْتَ الذَّاكِرُ مِنْ قِبَلِ الذاكِرِينَ ، وأَنْتَ البَادِىءُ بالإِحْسَانِ مِنْ قِبَلِ تَوَجُّهِ العَابِدِينَ ، وأَنْتَ الجَوَّادُ بالعَطَاءِ قَبْلَ طَلَبِ الطالِبِينَ ، وَأَنْتَ الوَهَّابُ ثُمَّ أَنْتَ لِمَا وَهَبْتَنَا مِن المُسْتَقْرِضِينَ .

إِلَهِي ؛ اُطْلُبْنِي بِرَحْمَتِكَ ، حَتَّى أَصِلَ إِلَيْكَ وَاجْذِبْ بِي بِمِنَّتِكَ ، حَتَّى أُقْبَلَ عَلَيْكَ .

إِلَهِي ؛ إِنَّ رَجَائِي لاَ يَنْقَطِعُ عَنْكَ ؛ وَإِنْ عَصَيْتُكَ ! كَمَا أَنَّ خَوْفِي لاَ يُزَايِلُنِي ؛ وَإِنْ أَطَعْتُكَ !

إِلَهِي ؛ قَدْ دَفَعَتْنِي العَوَالِمُ إِلَيْكَ ، وَقَدْ أَوْقَفَنِي عِلْمِي بِكَرَمِكَ(١) .
إِلَهِي ؛ كَيْفَ أُخِيبُ وَأَنْتَ أَمَلِي ؟ ! أَمْ كَيْفَ أُهَانُ وَعَلَيْكَ مُتَّكِلِي ؟ !

إِلَهِي ؛ كَيْفَ أَسْتَعِزُّ وَأَنْتَ فِي الذِّلَّةِ أَرْكَزْتَنِي ؟ ! أَمْ كَيْفَ لاَ أَسْتَعِزُّ وَإِلَيْكَ نِسْبَتِي ؟ ! أَمْ كَيْفَ لاَ أَفْتَقِرُ وأَنْتَ الَّذِي فِي الفَقْرِ أَقَمْتَنِي ؟ ! أَمْ كَيْفَ أَفْتَقِرُ وَأَنْتَ الَّذِي بِجُودِكَ أَغْنَيْتَنِي ؟ !

أَنْتَ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُكَ ، تَعَرَّفْتَ لِكُلِّ شَيْءٍ ؛ فَمَا جَهِلَكَ شَيْءٌ ،

---

(١) في نسخة : بكرمك عليك .

وَأَنْتَ الَّذِي تَعَرَّفْتَ إِلَيَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ ؛ فَرَأَيْتُكَ ظَاهِراً فِي كُلِّ شَيْءٍ ، فَأَنْتَ الظَاهِرُ لِكُلِّ شَيْءٍ .

يَا مَنْ اسْتَوَى بِرَحْمَانِيَّتِهِ عَلَى عَرْشِهِ ؛ فَصَارَ العَرْشُ غَيْباً فِي رَحْمَانِيَّتِهِ ، كَمَا صَارَتْ العَوَالِمُ غَيْباً فِي عَرْشِهِ .

مَحقْتَ الآثَارَ بِالآثَارِ ، وَمَحَوْتَ الأَغْيَارَ بِمُحِيطَاتِ أَفْلاَكِ الأَنْوَارِ .

يَا مَن احْتَجَبَ فِي سُرَادِقَاتِ عِزِّهِ عَنْ أَنْ تُدْرِكَهُ الأَبْصَارُ ، يَا مَنْ تَجَلَّى بِكَمَالِ بَهَائِهِ فَتَحَقَقَتْ عَظَمَته الأَسْرَار .

كَيْفَ تَخْفَى وَأَنْتَ الظَاهِرُ ؟ ! أَمْ كَيْفَ تغِيبُ وَأَنْتَ الرقِيبُ الحَاضِرُ ؟ !

انتهى عبارته .

تذنيب

في ذكر مكفِّرات الذنوب والأحزاب النافعة لتفريج الكروب وذكر سندها وسند أشياخنا في العلوم الظاهرة والباطنة

ثم اعلمْ أيها الأخ أنَّ ولدي محمد عارف ـ حماه الله من فتن الدارين ـ طلب منِّي أن أكتب في هذا الموضع شيئاً من الأدعية التي تدفع عن قارئها البلايا والمصائب ، فصوَّبت رأيه ، وحسَّنت كلامه ، ولذا شرعت أن أجيب لما طلبه ، وأكتب شيئاً مما أمله ؛ فأقول :

استمع أيها الولد؛ وتيقَّن أن سبب اشتداد الفاقة والبلية بالعباد ، وانقطاع أسباب المعاش والمعاد ، وظهور الفتن في الأرض وتكاثر الفساد ، ووقوع الأمر إلى يد غير أهله من أهل العناد ، إنما هو بما كسبت أيدي الناس من شمول العصيان ، واستيلاء الغفلة على الأفئدة والأركان .

وقد نطق بذلك الآيات والأحاديث ، قال تعالى ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾ ، وقال ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾ .

وورد[1] : « إنَّ سبب المصائب الذنوب » ، وفي الخبر « ما أنكرتم من زمانكم ، فبما غيّرتم من أعمالكم » ، فإذا كان الأمر كذلك ؛ ينبغي أن يُقَدَّم ذكر ما يُكفِّر الذنوب ، ثم يُذكَر بعده شيءٌ من الأحزاب ؛ ليقرأه الولد المذكور أو غيره ، ليكون حرزاً من الآفات .

فمن ذلك : ما قاله صاحب « الإتحاف » في شرح « الإحياء » بما لفظه :

تنبيه ؛ روى ابنُ السني والديلميُ من حديث ابن عباس رفعه : « مَنْ

---

(١) حفني ٢٤٢ ج٣ .

قال بعد صلاة الجمعة قبل أن يقوم من مجلسه : سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم وبحمده ، وأستغفر الله . (مائة مرة) ، غفر الله له مائة ألف ذنب ، ولوالديه أربعة وعشرين ألف ذنب » .

وفي « طبقات الحنفية » للمجد الشيرازي صاحب « القاموس » ما نَصُّه :

روى صاحب « الهداية » عن محمد بن أحمد بن عبد الله الخطيبي حديثاً بسنده :

« من قال بعد أن يصلي الجمعة : سبحان الله العظيم وبحمده . مائة مرة غفر الله له مائة ألف ذنب ، ولوالديه أربعة وعشرين ألفاً » . انتهى عبارته ٢٧١ ج ٣ .

قال العزيزي في « السراج المنير » في شرح حديث : « مَنْ قرأ إذا سلَّم الإمام يوم الجمعة ، قبل أن يثني رجليه ـ أي : قبل أن يصرف رجليه ـ عن حالته التي هو عليها في التَّشَهُّد : فاتحة الكتاب ، وقل هو الله أحد ، وقل أعوذ بربِّ الفلق ، وقل أعوذ بربِّ الناس ، سبعاً من المرات ، غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر »[(١)] .

قال المناوي : أي من الصغائر إذا اجتنبت الكبائر .

قال العلقمي : فائدة : أَلَّفَ الحافظ ابن حجر كتاباً سماه « الخصال

---

(١) وفي رواية : « وقبل أن يتكلَّم ، حفظ له دينه ودنياه ، وأهله وولده » .

قال الغزالي : وقل : اللهم ؛ يا غني يا حميد ، يا مبدئ يا معيد ، يا رحيم يا ودود ، أغنني بحلالك عن حرامك ، وبفضلك عمَّن سواك ، وبطاعتك عن معصيتك . قال الشرقاوي : مَن واظب عليه أربع مرات مع ما تقدَّم أغناه الله ، ورزقه من حيث لا يحتسب ، وغفر له ما تقدَّم وما تأخَّر ، وحفظ له دينه ودنياه ، وأهله وولده . كذا في « ترشيح المستفيدين » فراجعه في ٧٢١ . (منه رحمه الله تعالى) .

المكفِّرة للذنوب المتقدِّمة والمتأخِّرة » وسبقه إلى ذلك الحافظ المنذري .

وقد رأيت أن أُلخِّص الأحاديث هنا لتُسْتفاد .

إسباغ الوضوء

أخرج[1] ابن أبي شيبة في « مسنده » و« مصنفه » ، وأبو بكر بن المِرْوزي في مسند عثمان ، والبزَّار عن عثمان بن عفان : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يسبغ عبدُ الوضوء إلا غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه ، وما تأخَّر » .

وأخرج أبو عوانة في « صحيحه » عن سعد بن أبي وقاص : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قال حين يسمع المؤذن يقول : (أشهد أن لا إله إلا الله) : رضيت بالله ربّاً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبيّاً ـ وفي لفظ رسولاً ـ ، غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر » .

وأخرج ابن وهب في « مصنفه » عن أبي هريرة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إذا أمَّنَ الإمام فأمِّنُوا ، فإن الملائكة تؤمِّنُ ، فَمَنْ وافق تأمينُه تأمينَ الملائكة غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه ، وما تأخَّر » .

سبحة الضحى

وأخرج آدم بن أبي إياس في كتاب « الثواب » عن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ صلى سبحة[2] الضحى ركعتين ؛ إيماناً واحتساباً ، غفر له ذنوبه كلها ، ما تقدّم منها ، وما تأخَّر ، إلا القصاص ! » .

---

(١) أي كتب « قاموس » .

(٢) وهو يسبح : أي يصلي . « مصباح » (هامش الأصل) .

قراءة السبعيات

وأخرج أبو الأسعد القشيري في « الأربعين » عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قرأ إذا سلَّم الإمام يوم الجمعة قبل أن يثني رجليه : فاتحة الكتاب ، وقل هو الله أحد ، وقل أعوذ بربِّ الفلق ، وقل أعوذ بربِّ الناس ، سبعاً سبعاً ، غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه وما تأخَّر » .

فضيلة الصيام والقيام

وأخرج أحمد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ صام رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه ، وما تأخَّر » .

وأخرج النسائي في « الكبرى » ، وقاسم بن أصبغ في « مصنفه » عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : « مَنْ قام شهر رمضان إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه ؛ وما تأخَّر ، ومَنْ قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه ؛ وما تأخَّر » .

وأخرج أبو سعيد النقَّاش الحافظ في « أماليه » عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ صام يوم عرفة غُفِرَ له ما تقدّم من ذنبه ، وما تأخَّر » .

وأخرج أبو داود والبيهقي في « الشعب » عن أم سلمة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أَهَلَّ بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه ، وما تأخَّر ، ووجبت له الجنة » .

وأخرج أبو نعيم في « الحلية » عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مَن جاء حاجّاً يريد وجه الله غفر له ما تقدَّم من ذنبه ، وما تأخَّر » .

وأخرج أحمد بن منيع ، وأبو يعلى في مسنديهما عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قضى نسكه ، وسَلِمَ المسلمون من لسانه ويده ، غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه ، وما تأخَّر » .

قراءة آخر سورة الحشر

وأخرج الثعلبي في تفسيره عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قرأ آخر سورة الحشر غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه ، وما تأخَّر » .

وأخرج أبو عبد الله بن ساعدة في « أماليه » عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قاد مكفوفاً[1] أربعين خطوة غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه ، وما تأخَّر » .

وأخرج أبو أحمد الناصح في « فوائده » عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ سعى لأخيه المسلم في حاجة غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه ، وما تأخَّر » .

فضيلة المصافحة

وأخرج الحسن بن سفيان ، وأبو يعلى في مسنديهما عن أنس ؛ عن النبي ﷺ أنه قال : « ما من عبدين يلتقيان ؛ فيتصافحان ، ويصلِّيان على النبي ﷺ لم يتفرَّقا حتى يغفر الله لهما ذنوبهما ؛ ما تقدَّم منها ، وما تأخَّر » .

وأخرج أبو داود عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ أكل طعاماً ثم قال : الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ، ورزقنيه من غير حول منِّي ولا قوة غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه ، وما تأخَّر » .

وقد تلخَّص من هذه الأحاديث الستة عشر ، وقد نظمتها في أبيات على وزن « يا سلسلة الرّسل » :

---

(١) وكف بصره إذا عمي . .الخ مكفوفاً « مصباح » . (هامش الأصل) .

قَدْ جَاءَ عن الهادي وهوَ خيرُ نبي أَخْـبَارٌ مسانيدُ قَدْ رُوينا بإيصالِ

في فَضْلِ خِصالٍ وغافراتِ ذنوبٍ ما قدَّمَ أَوْ أَخَّرَ للمماتِ بأفْضَال

حجٌّ ووضوءٌ قيام لـيلـةِ الـقدر والشـهر وصومٌ له وَوَقفُه إقبال

آمينُ وقارىءُ آخرِ حشرٍ ومَنْ قادَ لأعمى وشهيدْ إذا المؤذِّنْ قَدْ قال

سَعَى لأخ والضُحى وعند لباسٍ حمدٌ ومجيءٌ مِنْ إِيْلِيَاءَ بإهلال

في جُمعةٍ يَقْرأُ قُلْ ويصافحْ عبداً مَعَ ذكرِ صلاةٍ على النبيْ مَعَ الآل

انتهى عبارته ٣٥٥ ج ٣ .

وقد بسط صاحب « الرماح » الكلام في ذكر مكفِّرات الذنوب ، وقال بعد ذكره أمثال ما تقدَّم من العزيزي رحمه الله :

وأخرج ابن منصور الديلمي ، عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ لله عزَّ وجلَّ بحراً من نور ، حوله ملائكة من نور ، على خيل من نور ، بأيديهم حراب من نور ، يُسبِّحون حول ذلك البحر : سبحان ذي الملك والملكوت ، سبحان ذي العزَّة والجبروت ، سبحان الحيِّ الذي لا يموت ، سبُّوح قدُّوس ربُّ الملائكة والروح . فَمَنْ قالها في يوم مرَّة ، أو في شهر مرَّة ، أو في سنة مرَّة ، أو في عمره مرَّة ، غفر الله تعالى له ما تقدَّم من ذنبه ، وما تأخَّر ، ولو كانت ذنوبه مثل زبد البحر ! ومثل رمل عالج ، أو فَرَّ من الزحف ! ! » انتهى عبارته ٢٦٤ ج ٢ .

فضيلة التسبيح

وقال بعيد هذا : ومن مكفِّرات الذنوب : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم ؛ ملء ما علم ، وعدد ما علم ، وزنة ما علم ، فإن المرَّة الواحدة منها تكفِّر جميع الذنوب ، وتؤمن العبد من عذاب الله تعالى . انتهى عبارته .

وقال أيضاً : ومن مكفِّرات الذنوب دعاء : يا مَنْ أظهر الجميل ، وستر القبيح . . . . إلخ . فإن الخبر ثبت أنه يمحو جميع الذنوب ، ويعطى صاحبُه ثوابَ جميع الخلائق في كل مرَّة منه . انتهى .

وقال فيه : **واعلموا أن الذنوب في هذا الزمان لا قدرة لأحد عن الانفصال عنها ، فإنها تنصبُّ على الناس كالمطر الغزير ، لكن أكثروا من مكفِّراتها ، وآكد ذلك : صلاة الفاتح** لما أغلق . . إلخ ، فإنَّها لا تترك من الذنوب شاذَّة ولا فاذَّة . انتهى عبارته ٢٦٥ ج ٢ نقله من رسالة شيخه ـ رحمه الله تعالى ـ فراجعه .

ومَنْ أراد أن ينجو من البلايا والآفات ؛ فليلازم على التوبة والاستغفار ، وليواظب على الاشتغال بمكفِّرات الذنوب ، **وليعلم أنّ العبد أكثر ما يرد عليه من البلايا من شؤم الذنوب ، فإنَّ الكون كلَّه ظلُّ الشخص ، فإن استقام ! يستقيم ، وإلا ! فلا . فافهم** . وادخل البيوت من أبوابها .

ومما ينبغي أن يكتب هنا ما في « جواهر المعاني » بما نصُّه :

ومما كتب[1] به إلى كافة الإخوان أينما كانوا ونصُّه : قال ـ رضي الله عنه ـ بعد البسملة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ :

وبعد ؛ فأوصيكم بما أوصى الله به ؛ قال سبحانه وتعالى ﴿ **وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ** ﴾ ، وقال سبحانه وتعالى ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا** ﴾ إلى قوله ﴿ **كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ** ﴾ ، وقال سبحانه وتعالى ﴿ **وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟** ﴾ ، وقال سبحانه وتعالى ﴿ **وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا** ﴾ إلى قوله ﴿ **قَدْرًا** ﴾ ، وقال سبحانه وتعالى ﴿ **وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا** ﴾ إلى قوله ﴿ **وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا** ﴾ .

---

(١) يعني : الشيخ أحمد التجاني رضي الله عنه . (منه) . (هامش الأصلِ) .

واعلموا أن التقوى قد صعب مرامها ، وتناءت بُعداً عن أن تمدَّ بيد أحد خطامها واحتكامها ، وكلَّت الهمم دونها ، فلا يصل بيد أحد أساسها واحتكامها ، إلاّ الفرد الشاذُّ النادر ، لما طبعت عليه القلوب والنفوس من الإدبار عن الله وعن أمره بكل وجه واعتبار ، ووَحْلُها في رتع أحوال البشرية وحْلاً لا مطمع لها في الانفكاك عنه ، وهذا حال أهل العصر في كل بلد من كل ما على الأرض ، إلا الشاذّ النادر الذي عصمه الله تعالى ، **وبسبب ما ذكرنا هاج بحر الأهوال والفتن ، وَطَما بحر المصائب والمحن ، وغرق الناس فيه كل الغرق** ، وصار العبد كلما سأل النجاة من مصيبة وعصم منها ؛ اكتَنَفَتْه[1] مصائب ، وفي هذا قيل : سيأتي على الناس زمان تتراكم فيه بحور المحن والفتن ، فلا ينفع فيها إلاّ دعاء كدعاء الغريق .

وليكن ملازمتكم الأمر المنجي لما ذكرنا ، أو مطفىء لأكثر نيرانه ، وهو كثرة الاستغفار ، والصلاة على النبي ﷺ ، وذكر (لا إله إلا الله) مجرَّدة ، وذكر : (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) ، وقول : (حسبنا الله ونعم الوكيل) ، فإنه بقدر الإكثار من الأذكار ؛ تتناءى عن العبد كثرة المصائب وشرور الأوزار ، وبقدر تقليله منها ؛ يقلُّ بعده عن المصائب والشرور .

وليكن لكل واحد منكم قدرٌ من الأذكار على قدر الطاقة ، وعليكم بكثرة التضرُّع والابتهال ، لمَن له كمال العزِّ والجلال ، فإنَّ الله رحيم بعباده ودود ، فإنه أكرم وأعظم فضلاً من أن يتضرَّع إليه متضرِّع أحاطت به المصائب والأحزان ، ومدَّ إليه يديه مستعطفاً نواله ، راجياً كرمه وأفضاله ، أن يردَّه خائباً ، أو يعرض عنه برحمته ، والعاجز مَن عجز حتى

---

(١) واكتنفه القوم : كانوا منه يُمنة ويسرة . « مصباح » . (هامش الأصل) .

عن التضرُّع والابتهال ! **ومَنْ ضَيَّع نَفسه مِنَ الله فلا جابر له .**

وليكن لكم بباب الله لمَّات[1] ، على مرور الساعات ، وكرور الأوقات ، فإنَّ مَنْ اعتاد ذلك في كرور أوقاته ؛ غشيه من رحمة الله ونفحاته ما يكون ماحقاً لمصائبه وكدوراته ، ومسهِّلاً لثقل أعباء ما ثقل عليه من ملمَّاته ، فإنه سبحانه وتعالى غني كريم ، يستحي لكرمه إذا رأى عبداً قد تعوَّد الوقوف ببابه ؛ ولو في أقلِّ الأوقات ، أن يسلمه للمصائب التي لا مخرج له منها ، أويكدحه[2] بهلَكَة يعسُرُ عليه الخلاص منها .

احفظوا هذا العهد ، واركضوا[3] في هذا الميدان ، ولو في أقلِّ قليل من مرور اليوم والليلة ، تجدوا التيسير في جميع الأمور ، والخلاص من كثير من الشرور ، وإن قدر الواحد على أن يكون تضرُّعه في كل ليلة بهذا الدعاء وهو :

إلهنا أنت المحرِّك والمسكِّن لكل ما وقع في الوجود من الخيرات والشرور ، وفي حكمك الحلُّ والعقد لجميع الأمور ، وبيدك وعن مشيئتك تصاريف الأقدار والقضاء المقدور ، وأنت أعلم بعجزنا وضعفنا ، وذهاب حولنا وقوتنا ، عن تباعُدِنا مما يحلُّ بنا من الشرور ، وعن اتصالنا بما نريد الوقوع فيه من الخيرات ، أو ما يلائم أغراضنا في جميع الأمور ، وقد وقفنا ببابك ، والتجأنا بجنابك ، ووقفنا على أعتابك ؛ مستغيثين بك في صرف ما يحلُّ بنا من الشرور ، وما ينزل بنا من الهلاك مما يجري به تعاقب الدُّهور مما لا قدرة لنا على تحمُّله ، ولا قوة بنا على طَلِّه[4] ؛ فضلاً

(١)ألَمَّ بالقوم إلماماً : أتاهم ، ونزل بهم . (منه)

(٢)كدح وجهه : خدش أو عمل به ما يشين ، أو أفسده . « القاموس المحيط » . (هامش الأصل)

(٣) في نسخة : اركزوا .

(٤) شُبْ : (عجم) . (هامش الأصل) .

عن وَبْله[1] ، وأنت العفو الكريم ، والمجيد الرحيم ؛ الذي ما استغاث بك مستغيث إلا أغثته ، ولا توجَّه إليك مكروب يشكو كربه إلا فرَّجته ، ولا ناداك ضرير من أليم بلائه إلا عافيته ورحمته ، وهذا مقام المستغيث بك والملتجيء إليك ، فارحم ذلِّي وتضرُّعي بين يديك ، وكن لي عوناً وناصراً ، ودافعاً لكل ما يحلُّ بي من المصائب والأحزان ، ولا تجعل عظائم ذنوبي حاجبةً لما ينزل إلينا من فضلك ، ولا مانعة لما تتحفنا به من طَوْلك ، وعاملنا في جميع ذنوبنا بعفوك وغفرانك ، وفي جميع زلاَّتنا وعثراتنا برحمتك وإحسانك ، فإنَّا لفضلك راجون ، وعلى كرمك معولون ، ولنوالك سائلون ، ولكمال عزِّك وجلالك متضرِّعون ، فلا تجعل حظَّنا منك الخيبة والحرمان ، ولا نَيْلنا من فضلك الطرد والخذلان ، فإنَّك أكرم مَنْ وقف ببابه السائلون ، وأوسع مجداً من كل مَنْ طمع فيه الطامعون ، فإنَّه لك المنُّ الأعظم ، والجناب الأكرم ، وأنت أعظم كرماً ، وأعلى مجداً من أن يستغيث بك مستغيث فتردَّه خائباً ، أو يستعطف أحدٌ نوالك متضرِّعاً إليك ، فيكون حظُّه منك الحرمان .

لا إله إلا أنت يا عليّ يا عظيم ، يا مجيد يا كريم ، يا واسع الجود ، يا بَرُّ يا رحيم . (عشرين مرة) تذكر هذه الأسماء من قولك لا إله إلا أنت . . . إلخ .

ثم صلاة الفاتح لما أغلق . . . إلخ . عشراً في أوله ، وعشراً في آخره .

فإنَّ المداومة لهذا الدعاء في كل ليلة سبعاً ، أو خمساً ، أو ثلاثاً تدفع عنه كثيراً من المصائب والأحزان ، وإن تحتَّم نزولها ! نزل به لطف عظيم فيها . انتهى من إملائه رضي الله عنه انتهى عبارته ١٤٧ ج ٢ .

---

(١) ژَدْ : (عجم) . (هامش الأصل) .

وفي « جواهر المعاني » في مكتوب آخر كتبه التجاني ـ رضي الله عنه ـ إلى فقراء فاس ما نصُّه : وسلِّموا للعامة وولاة الأمر ما أقامهم الله فيه ، من غير تعرُّض لمنافرة أو تبغيض أو تنكير ، فإنَّ الله هو الذي أقام خلقه فيما أراد ، ولا قدرة لأحد أن يُخرج الخلق عما أقامهم الله فيه ، واتركوا التعرُّض للرياسة وأسبابها ، فإنَّها كعبة تطوف بها جميع الشرور ، وهي مقرُّ الهلاك في الدنيا والآخرة .

ومَنْ ابتلي منكم بمصيبة ، أو نزلت به من الشرور نائبة ، فليصبر ، بانتظار الفرج من الله ، فإنَّ كلَّ شدة لا بُدَّ لها من غاية ، وكل كرب لا بُدَّ له من فرج ، وإن ضاق به الحال ! فعليه بالتضرُّع والابتهال ؛ حتى يبلغ بالفرج من الله غاية الآمال .

ولا تجزعوا من المصائب والبليَّات ؛ فإنَّ الله سبحانه وتعالى ما أنزل العباد في دار الدنيا إلا لتصاريف الأحكام الإلهية ، والأقدار الربانية ، مما تضيق به النفوس ، من أجل البلاء والبؤس ، ولم يجد العباد مصرفاً عن هذا ، ولا إمكان للعبد من التمكُّن من الراحة من كل بلاء في الدنيا ، بل على العاقل أن يعلم أنَّ أحوال الدنيا أبداً متعاقبة بين ساعات انقباضٍ وانبساطٍ ، وخيراتٍ وشرورٍ ، وأفراحٍ وأحزان ، لا يخرج أحد ممن سكن الدنيا عن هذا المقدار ، فإن نزلت مصيبة ، أو ضاقت نائبة ، فليعلم أنَّ لها وقتاً تنتهي إليه ، ثم يعقبها الفرح والسرور ، فإنَّ مَنْ عقل هذا عن الله في تصاريف دنياه تَلَقَّى كل مصيبة بالصبر والرضا بالقضاء ، والشكر التامِّ على النعماء . والسلام عليكم ورحمة الله تعالى . من إملائه رضي الله عنه . انتهى ١٤٢ ج ٢ .

وفيه : فيما كتبه ـ قدس سره ـ لكافة الفقراء ما نصُّه : وليكن في

علمكم أنَّ جميع العباد في هذه الدار أغراض لسَهْم مصائب الزمان ؛ إما بمصيبة تنزل ، أو بنعمة تزول ، أو بحبيب يفجع بموته ، أو هلاك ، أو غير ذلك مما لا حدَّ لحَمْله وتفصيله .

فَمَنْ نزل به منكم مثل ذلك ! فالصبر الصبر لتجرُّع مرارتها فإنَّه لذلك نزل العباد في هذه الدار .

للفرج والخلاص من الديون

ومَنْ كَبا[1] بِهِ منكم جواده عن تحمُّل ثقلها ، ومقاومة ما يطرأ عليه من أعبائها ، فعليه بملازمة أحد الأمرين ، أو هما معاً ، وهو أكمل :

الأول : ملازمة (يا لطيف) ألفاً خلف كل صلاة إن قدر ، وإلا ! ألفاً في الصباح ، وألفاً قي المساء ، فإنَّه بذلك يسرع خلاصه من مصيبته .

والثاني : مائة صلاة على النبي ﷺ بالفاتح لما أغلق . . . إلخ . ويهدي ثوابها للنبي ﷺ ، إن قدر مائة خلف كل صلاة ، وإلا ! مائة صباحاً ، ومائة في الليل .

وينوي بهما ـ أعني يا لطيف ، والصلاة على النبي ﷺ التي يهدي ثوابها له ﷺ ـ أن ينقذه الله تعالى من جميع وَحْلَته ، ويعجِّل خلاصه من كُربته ، فإنَّها تسرع له الإغاثة في أسرع وقت .

وكذا مَنْ كثرت عليه الديون وعجز عن أدائها ، أو كثر عياله واشتد فقره وانغلقت عليه أبواب أسباب المعاش ، فليفعل ما ذكرنا من أحد الأمرين ، أو هما معاً ، فإنه يرى الفرج من الله عن قريب .

ومَنْ دهاه خوف هلاك متوقع نزوله ؛ من خوف ظالم ولا يقدر على مقاومته ، أو خوف من صاحب دَيْنٍ لا يجد منه عذراً ولا إمهالاً ولا

---

(١) كبا : كببتُ الإناء – قلبته على رأسه (مصباح) . (هامش الأصل) .

يجد من المال ما يؤديه له ، أو كلا الأمرين ، ومن كل مخوف ، فليلازم ما ذكرنا من أحد الأمرين أو معاً ، فإنه ينقشع[1] عنه عن قريب ، وإن أسرع مع ذلك بصدقة ـ قلَّت أو كثرت ـ بنية دفع ما يتوقعه من المخوف ، أو بنية تعجيل الخلاص من ألمه وكربه ، كانت أجدر في إسراع الخلاص والفرج . إلى آخر ما فيه . انتهى عبارته ١٤٣ ج ٢ .

وفي « جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني »[2] ـ رضي الله عنه ـ للعالم العلاَّمة ، القدوة الفهَّامة ، سيدي علي حرازم ابن العربي بزاده المغربي الفاسي ـ رحمه الله تعالى – :

ومما كتب به إلى كافة تلامذته ، ونصُّه : بعد البسملة والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ والحمدلة قال رضي الله عنه : بعد السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ، أما بعد ؛ فالذي أوصيكم به وإياي المحافظة على قوله ﷺ : « ثلاث منجيات ، وثلاث مهلكات ، فأما المنجيات ! فهي : تقوى الله في السر والعلانية ، وكلمة الحق في الرضا والغضب ، والقصد في الغنى والفقر . وأما المهلكات ! فشحٌّ مطاع ، وهوى مُتَّبَع ، وإعجاب المرء برأيه » .

وعلى قوله ﷺ : « ما تحت قُبَّة السماء إلهٌ يعبد من دون الله أعظم من هوى مُتَّبَع » .

وعلى قوله ﷺ : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » .

وعلى قوله ﷺ : « لا تَتَمنَّوا لقاء العدو ، واسألوا الله العافية ، فإذا لقيتموهم فاصبروا » . . الحديث .

---

(١) قشع – انكشف (مصباح) . (هامش الأصل) .
(٢) في ٧٤١ ج١ . (هامش الأصل) .

وهذا وإن ورد في ميادين الجهاد في قتال الكفَّار ؛ فهو منقلب في هذه الأزمنة في الصفح عن شرِّ الناس ، فمن تمنَّى بقلبه ، أو أراد تحريك الشر منه على الناس ، سلَّطهم الله عليه من وجه لا يقدر على دفعهم .

وعلى العبد أن يسأل الله تعالى العافية من تحريك شر الناس وفتنتهم ، فإن تحرك عليه من غير سبب منه **فالوجه الأعلى الذي تقتضيه رسوم العلم مقابلتهم بالإحسان في إساءتهم** ، فإن لم يقدر ! فبالصفح والعفو عنهم إطفاء لنيران الفتنة ، فإن لم يقدر ! فبالصبر لثبوت مجاري الأقدار ، **ولا يتحرك في شيء من إذايتهم لإساءتهم** ، فإن اشتعلت عليه نيران شرهم ، فليدافع بالتي هي أحسن بلين ورفق ، **فإن لم يُفِدْ ذلك! فعليه بالهرب إن قدر والخروج عن مكانه** ، فإن عَوَّقَت العوائقُ عن الارتحال ولم يجد قدرة ! فليدافع بالأقلِّ فالأقلِّ من الإذاية ؛ فليفعل ذلك ظاهراً ، ويكثر التضرُّع إلى الله تعالى والابتهال سرًّا في رفع شرِّهم عنه ؛ مداوماً ذلك حتى يفرِّج الله عليه ، فإنَّ هذه الوجوه التي ذكرناها هي التي تقتضيها رسوم العلم . والحذر الحذر لمن تحرَّك عليه شرُّ الناس منكم أن يبادر إليه بالتحرك بالشرِّ ؛ لمقتضى حرارة طبعه ، وظلمة جهله ، وعزة نفسه ! فإنَّ المبادر للشرِّ بهذا ـ وإن كان مظلوماً فاضت عليه بحور الشرِّ من الخلق ـ يستحق الهلاك به في الدنيا والآخرة ، وتلك عقوبة لإعراضه عن جناب الله أولاً ، **فإنَّه لو فزع[1] إليه بالتضرُّع والشكاية واعترف بعجزه وضعفه ، لدفع الله عنه ضرر الخلق بلا سبب** ، أو بسبب لا تعب عليه فيه ، أو يشغلهم الله بشاغل يعجزون عنه ، فإما أن يفعل الله له هذا ، وإما أن ينزل عليه اللطف العظيم أو الصبر الجميل ، فيكابد غصص تلك الشرور بما هو فيه من اللطف والصبر ، حتى يَرِد عليه الفرج من الله تعالى ؛ فيكون مثاباً دنيا وأخرى ، أما ثواب الدنيا ! فبحمد العاقبة ، وظهور نصره في الخلق على

---

(١) فزعت إليه : لجأت . « مصباح » . (هامش الأصل) .

قدر رتبته ، وأما ثواب الآخرة ! فبالفوز بما لا غاية له من ثواب الصابرين الذي وعده الله تعالى ، قال سبحانه وتعالى ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ ، وقال سبحانه وتعالى ﴿ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ ، وقال تعالى حاكياً عن نبيّه يوسف عليه الصلاة والسلام ﴿ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ ، وقال تعالى ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾ إلى غير ذلك من الآيات ، ولعدم اعتبار الناس لما ذكرنا ترى الناس أبداً في عذاب عظيم من مكابدة[1] شرور بعضهم بعضاً ، ووقعوا بذلك في المهالك العظام في الدنيا والآخرة ، إلا مَن حَفَّته عناية عظيمة إلهية ، فإن العامَّة لا يرون في تحريك الشرِّ عليهم إلا صورة الشخص الذي حرَّكه عليهم ؛ لغيبتهم عن الله سبحانه وتعالى وعن غالب حكمه ، فنهضوا في مقابلة الشرور ، وحُبسوا في سجن العذاب على تعاقب الدهور ، **فإن الكيِّس العاقل إذا نصب عليه الشرُّ من الناس ، أو تحرَّكوا له به ؛ رآه تجلِّياً إلهياً لا قدرة لأحد على مقاومته إلا بتأييد إلهي** ، فكان مقتضى ما دلَّه عليه علمه وعقله الرجوعَ إلى الله بالهرب ، والالتجاء إليه ، وتتابع التضرُّع والابتهال لديه ، والاعتراف بعجزه وضعفه ، فنهض معتصماً بالله في مقابلة خلقه ، فلا شك أنَّ هذا يدفع عنه الشرور بلا تعب منه ، ولو التهبت عليه نيرانُ الشرور من الخلق لعجزوا عن الوصول إليه ؛ لاعتصامه بالله تعالى ، فإنَّ منْ تعلق بالله تعالى لا يقوى له شيء ، قال سبحانه وتعالى ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ إلى قوله ﴿ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ **وهذا الباب الذي ذكرناه كل الخلق محتاجون إليه في هذا الوقت ، فمن أدام السير على هذا المنهاج سعد في الدنيا والآخرة** ، ومَنْ فارقه وكَلَه الله إلى نفسه ، فنهض إلى مقابلة الشرور بحوله واحتياله ، **فهلك كلَّ الهلاك في عاجله وآجله** ، وفيما ذكرناه كفاية .

---

(١) مكابدة الشيء : تحمل المشاق في فعله « مصباح » . (هامش الأصل) .

الشكر يكون بطاعة الله

وعليكم بشكر النعم الواردة من الله تعالى بسبب أو بلا سبب ، والشكر يكون في مقابلتها بطاعة الله تعالى إن قدر ، على أن تكون كلية ، وإلا ! فالأبقع خير من الأسود ، وأقل ذلك شكر اللسان ، فلا أعجز ممن عجز عن شكر اللسان ، وليكن ذلك بالوجوه الجامعة للشكر ، فأعلى ذلك في شكر اللسان : تلاوة الفاتحة في مقابلة ما أنعم الله عليه شكراً ، وليَنْوِ عند تلاوتها أنه يستغرق شكر جميع ما أحاط به علم الله من نعمه عليه ؛ الظاهرة والباطنة ، والحسية والمعنوية ، والمعلومة عند العبد والمجهولة لديه ، والعاجلة والآجلة ، والمتقدِّمة والمتأخِّرة ، والدائمة والمنقطعة ، **ويتلو بهذه النية ما قدر عليه من الفاتحة من مرة إلى مائة** ، فمن فعل ذلك كتبه الله تعالى شاكراً ، وكان ثوابه المزيد من نعمه على قدر رتبته بحسب وعده الصادق .

أما وجوه المحامد الجامعة ؛ فهي كثيرة لا نطوِّل بذكرها ، مثل قوله ﷺ : « لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك » .

ومنها : « إلهي لك الحمد ، ولك الشكر ، مثل جميع ما أحاط به علمك من صفاتك وأسمائك ، وجميع محامدك التي حمدت بها نفسك بكلامك ، والتي حمدك بها كل فرد من خلقك ؛ بأيِّ لفظ ذكروك به ، كل حمد من ذلك منك ومن جميع خلقك ، عدد ما أحاط به علمك ، على جميع ما أحاط به علمك من نعمك عليَّ » فهو حمد جامع لأنواع المحامد ، مستغرق للشكر على جميع النعم . . . إلخ . انتهى عبارته ١٥٠ .

ورأيت في « الدرّ النظم » ما ينبغي إلحاقه هنا وهو هذا ؛ قال القاضي أبو بكر العربي : الدعاء مناجاة الله تعالى لما يريد العبد من جلب منفعه أو دفع مضرّه . ومن القضاء ردّ البلاء بالدعاء ، فهو سبب لذلك . استجلاب[١]

(١) هكذا في الأصل ، ولعله ولاستجلاب رحمة المولى .

لرحمة المولى كما أنّ الترس سبب لردّ السهم والماء سبب خروج النبات من الأرض والدعاء سلاح المؤمن . فإذا كان العبد دائم الذكر والدعاء والتضرّع إلى الله تعالى ، فإن الملائكة تحفظه من جميع المكاره ، فإذا جاءه ضرر أو مكروه من أحد من المخلوقين منعته الملائكة وصدّت عن وجهه المكاره ، فلا يزال محفوظاً من جميع الجهات إلا من جهة فوق . فإن القضاء والقدر نازلان منه ، فإذا نزل القضاء والقدر أسلمته الملائكة لذلك . فينبغي أن تحرس جهة الفوق بالعمل الصالح ، فإنه لا بدّ لكلّ عبد طريق إلى السماء يصعد منه عمله وينزل منه رزقه ومنه تقبض روحه ومنه تصعد . فإذا كان العبد مواظباً على الطاعات كثير الدعاء مملوءة سبله بالخيرات . فإذا نزل البلاء من السماء نزل على طريقة العبد المعيّنة له فيجدها معمورة بالخيرات مملوءة بالطاعات ، فيحتبس ذلك البلاء عن النزول ولا يجد منفذاً إليه ، فيكون دعاؤه وعلمه قد حجب عنه البلاء لأنّ الدعاء من الله تعالى بالمكان العالي فيتصادم البلاء والدعاء ، فتارة يغلب الدعاء وتارة يغلب البلاء فهما كالمتصارعين ، فإن غلب الدعاء رفع البلاء وخرق السموات وارتقى إلى الله تعالى وإن غلب البلاء أزال الدعاء ونزل على العبد . وإليه الإشارة بقوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ ﴾ وقال عليه الصلاة والسلام « لا يزال البلاء والدعاء يقتتلان إلى يوم القيامة » فهذا معنى كون الدعاء سبباً لردّ البلاء . وروي « ليس شيء أكرم على الله من الدعاء » . وقال عليه الصلاة والسلام « من لم يسأل الله تعالى يغضب » . وفي الصحيحين : أنّ النبي عليه الصلاة والسلام قال : الدعاء هو العبادة ثم قرأ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ وقال عليه الصلاة والسلام « الدعاء مخ العبادة » . انتهى فراجعه في ١٥٢ فإنّه مهمّ أيّ مهمّ .

وهذا أوان الشروع في ذكر الأحزاب المنجية من شر الأشرار ،

الواقية من الآفات والبليَّات ، ولم أكتب منها ما هو المشهور والمكتوب في نسخة « دلائل الخيرات » ، وإن ذكرت خواصها اعتماداً على ما هنالك ، ولكن أردت أن أذكر سندها رجاء أن تحصل البركة بذكر سلسلتها ، جعلنا الله تعالى من الذين يدعون الله تعالى سرّاً وجهراً . آمين .

اعلم أيها الولد أن المشائخ وضعوا أحزاباً لدفع البلايا ورفع الرزايا .

فمن ذلك :

حزب الإمام النووي رضي الله عنه

قال في « مطالع المسرات شرح دلائل الخيرات » بعد قوله[1] : (ولابارّاً ولا فاجراً) هذا نحو ما نقل عن الشيخ القطب جمال الدين ؛ سيدي يوسف بن عبد الله ابن عمر بن علي بن خضر الكوراني العجمي نزيل مصر ؛ فيمن واظب على قراءة حزب النووي بعد الصبح والمغرب ، أو قال بعد الصبح والعشاء ، أنه لا يقدر أن يتصرَّف فيه لا من أهل الباطن أرباب القلوب المتصرِّفين بالحق ـ أو قال بالأحوال الصحيحة ـ ، ولا من أهل الظاهر ؛ أهل الشطارة والسحر والمكر والحرب والخصام والعداوة ، والله تعالى أعلم . انتهى عبارته ٢٦١ .

وهذا الحزب من أجلِّ الأحزاب ، وأوله : بسم الله الرحمن الرحيم ، بسم الله ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر . أقول : . . إلخ . وهو مكتوب على هامش « دلائل الخيرات » ، **ولهذا الحقير إجازة صحيحة لقراءته وتلقينه ، وسلسلته هذه :**

١ ـ الإمام النووي رحمه الله تعالى .

٢ ـ الإمام أبي الخباز .

---

(١)أي : في الدعاء الذي هو في آخر « دلائل الخيرات » . فافهم . (منه) . (هامش الأصل) .

٣ ـ الشيخ زين الدّين الصافي .

٤ ـ الشيخ البرهان أبي شريف المقدسي .

٥ ـ الشيخ البدر الغَزِّي .

٦ ـ الشيخ النجم الغَزِّي ولد الشيخ البدر .

٧ ـ الشيخ عبد الغني النابلسي النقشبندي القادري .

٨ ـ الشيخ المحدِّث عبد الرحمن الكزبري الكبير .

٩ ـ الشيخ مُحدِّث الشام محمد الكزبري ابن الشيخ عبد الرحمن المذكور .

١٠ ـ الشيخ مولانا خالد قدس سره .

١١ ـ الشيخ أحمد بن سليمان الطرابلسي .

١٢ ـ الشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانوي .

١٣ ـ الشيخ العارف مرشدنا زين الله بن حبيب الله النقشبندي .

١٤ ـ الشيخ سيف الله الحسيني .

٥ ـ عبد الوهّاب الشعراني .

٦ ـ الشيخ علي الشنَّاوي .

٧ ـ الشيخ أحمد بن علي الشناوي .

٨ ـ الشيخ أحمد القشاشي .

٩ ـ الشيخ إبراهيم الكوراني .

١٠ ـ الشيخ العلاَّمة البُدَيْري .

١١ ـ العلاَّمة محمد الحفني .

١٢ ـ الأمير الكبير .

١٣ ـ الشيخ أحمد منَّة الله المالكي .

١٤ ـ الشيخ علي بن ظاهر الوتري المدني .

١٥ ـ الشيخ ملاًّ زين الله بن حبيب الله النقشبندي .

١٦ ـ الشيخ سيف الله الحسيني النژبكري النقشبندي الشاذلي القادري الأويسي .

١٧ ـ و**آخرهم** الحقير الفقير حسن حلمي القحي رحم الله إفلاسه ، آمين .

حزب البحر

ومن ذلك : حزب البحر للشيخ أبي الحسن الشاذلي الذي اشتهر فضله في الأقطار ، وطار في الآفاق كل مطار ، ويكرِّره الأولياء والصلحاء ، في الحاجات ، وعند الضرورات ، ويستعيذ به العباد عند المخوِّفات ، وقد

ذكر صاحب كتاب « الرماح » أنه هو العُدَّة الوافية ، والجُنَّة الواقية ، التي فيها تفريج الكروب بلطائف الغيوب ، وما قرىء في مكان إلا سلم من الآفات ، وحفظ من حوادث العاهات ، وفي ذكره لأهل البدايات أسرار شافية ، ولأهل النهايات أنوار صافية . انتهى .

وخواصه ومنافعه مذكورة في « المناقب الأحمدية » و« كشف الظنون » و« رماح حزب الرحيم » ، وقد نقلنا ما في جميعها في كتابنا « تلخيص المعارف في ترغيب محمد عارف » ، فمن أراد التفصيل فليراجع إليه ، ففيه ما يشفي العليل .

فمَنْ أراد الأمن من حوادث دهره ، وتسهيل أمور السعادة في حركاته وسكناته ، **فعليه مواظبة قراءة هذا الحزب مع الإذن الصحيح** من أربابه ، ومَن لم يأخذ الإجازة فهو كراكب البحر من غير سفينة ، **فالنفع التام لا يكون إلا بالإذن** ، كما هو مذكور في الكتب .

وهو الحزب الذي أخذه الشاذلي ، وكذا[1] التجاني من النبي ﷺ .

والسلسلة لحزب البحر لسيدنا أبي الحسن الشاذلي قدس الله سره هذه :

١ ـ الشيخ أبو الحسن الشاذلي الحسني[2] علي بن عبد الله بن عبد الجبار .

٢ ـ الشيخ أحمد بن عمر المرسي المشهور بأبي العباس المرسي المدفون في الإسكندرية .

٣ ـ الشيخ أحمد بن عطاء الله المرسي ، مُصَنِّف « الحِكَم العطائية » .

٤ ـ الشيخ تاج الدين بن علي السبكي ، أي : ابن تقي الدين السبكي .

---

(١) كما هو مذكور في « الرماح » . فراجعه . (منه) . (هامش الأصل) .

(٢) في نسخة : حسيني .

٥ ـ الشيخ عبد الرحيم بن خَرَّاط التونسي .

٦ ـ الشيخ شيخ الإسلام زكريا محمد الطرابلسي الأنصاري .

٧ ـ الشيخ نجم الدين محمد الغَيْطي .

٨ ـ الشيخ محمد بن أحمد السالم السُنْهُوري .

٩ ـ الشيخ محمد البابلي .

١٠ ـ الشيخ أحمد[١] النخلي .

١١ ـ الشيخ أبو طاهر المدني الكوراني .

١٢ ـ الشيخ وليُّ الله الدهلوي محدث ديار الهند ، مُصَنِّف « الحجة البالغة » ابن ملا عبد الرحمن تلميذ مرزا زاهد ، وهو تلميذ أبيه محمد أسلم ، وهو تلميذ مولانا كلان .

١٣ ـ الشيخ عبد العزيز الدهلوي ابن وليّ الله الدهلوي المذكور ، مصنف ترجمة « التحفة الاثني عشرية » .

١٤ ـ الشيخ مولانا خالد البغدادي الشامي ، وهو أخذ أيضاً عن عبد الله الدهلوي ، وهو أخذ أيضاً عن عبد العزيز المذكور .

١٥ ـ الشيخ أحمد بن سليمان الطرابلسي .

١٦ ـ الشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانوي الإستنبولي .

١٧ ـ الشيخ مولانا وأولانا ومرشدنا ذو الجناحين زين الله بن حبيب الله الشريفي .

١٨ ـ ملا سيف الله بن ملا حسين الداغستاني .

١٩ ـ **وآخرهم** الفقير حسن أفندي النقشبندي الشاذلي ، سامحه الله تعالى من فرطاته . آمين .

---

(١) في نسخة : محمد .

طريق آخر لحزب البحر

قال شيخنا سيف الله ـ قدس سره ـ وأخذ شيخنا ومولانا :

زين الله بن حبيب الله أيضاً عن الشيخ فتح الله الأورالي ، عن الشيخ محمد صادق الشاشي ، عن الشيخ تاج الدين السمرقندي ، عن الشيخ الدرويش محمد الهندي المشهور بشافعي إيشان المقتول بشهر سبز ، عن الشيخ عبد العزيز الدهلوي . . . إلى آخر السلسلة الأولى .

سلسلة حزب البحر من طريق آخر :

١-الشيخ أبو الحسن الشاذلي قدس الله سره .

٢-الشيخ أبو العباس المرسي .

٣-الإمام الميدومي .

٤-الإمام الواسطي

٥-الحافظ القلقشندي .

٦-النور القرافي .

٧-علي الأجهوري .

٨-محمد الزرقاني .

٩-الأستاذ السكندري الصباغ

١٠-يوسف الشباش .

١١-الضرير محمد البهيسي المالكي .

١٢-الأمير الكبير المالكي المشهور أحمد منَّة الله المالكي .

١٣-السيد علي بن ظاهر الوتري المدني .

١٤-الشيخ الأستاذ زين الله بن حبيب الله الشريفي .

١٥-الشيخ ملا سيف الله الغازي الغموقي طبيب الأجساد والأرواح رضي الله عنه وعن الجميع آمين .

١٦-**خادمهم** وخادم الفقراء حسن ولد محمد القحي رحم الله إفلاسه .

وللشاذلي أحزاب أخر نافعة[1] ، ولنا فيها إجازة .

كتب شيخنا سيف الله ـ قدس سره ـ في الثبت ما يفهم منه هذا الترتيب الآتي في السلسلة : ١- سيف الله قدس سره ، ٢- ملا زين الله رضي الله عنه ، ٣- محمد علي بن ظاهر الوتري المدني ، ٤- الشيخ أحمد مِنَّة الله المالكي ، ٥- الشيخ يوسف الشباش الضرير ، ٦- عن الأستاذ السكندري المعروف بالصَبَّاغ ، ٧- عن سيدي محمد الزرقاني ، ٨- عن العلاَّمة سيدي عليّ الأجهوري ، ٩- عن النور القرافي ، ١٠- عن الحافظ القَلْقَشَنْدي ، ١١- عن الإمام الواسطي ، ١٢- عن الإمام الميدومي ، ١٣- عن سيدي أبي العباس المرسي ، ١٤- عن القطب الشاذلي ، ١٥- وأجاز الشيخ المذكور فيها لهذا العبد الضعيف القحى ، غفر الله له ولأهل بيته وأحبابه . آمين يا مجيب .

خواص حزب الدور الأعلى

ومنها : حزب الدور الأعلى للشيخ الأكبر[2] : وهو حزب نافع لدفع البلاء ، وقهر الأعداء ، والنجاة من الأهوال .

---

(١) منها حزب البر وحزب النصر ، فمن أراد الاطِّلاع عليها فليراجع إلى « مجموعة الأحزاب » للقطب الغوث أحمد ضياء الدين . (هامش الأصل) .

(٢) وهو محيي الدين بن العربي (هامش الأصل) .

قال صاحب « الفيوضات الربانية » : فمَنْ حمله كان آمناً من البليات الأرضية والسماوية ، ومصوناً من جميع البليّات والأذيَّات الشيطانية والإنسيَّة ، وينفع من الطعن والطاعون ، ومن الريح الأحمر ، والسحر ، وعسر الولادة ، ولحلِّ المربوط ، **وهو حصن حصين ، وحرز مكين ، وكنف أمين ؛ من كيد الأعداء ، والنصرة عليهم تكون ظاهرة وباطنة ، خصوصاً لمن واظب على قراءته** بعد فريضة الصبح ؛ يفتح له الطاعة من العالم العلوي والسفلي ، ويرى العجائب والعجب من نفوذ الكلمة وتوجُّه الناس إليه ، وإقبالهم عليه بالمحبة والمعزَّة ، والمودة والإجلال والهيبة ، لأنه سرٌّ من أسرار الله العجيبة ، وكنوزه المصونة الغريبة ، **لكن يحتاج وقت قراءته إلى حضور القلب ، وإخلاص النية** ، والمواظبة عليه ، والفوائد في العقائد ! فاعرف قدره تر بركته وخيره إن شاء الله تعالى .

ويحتاج أيضاً قبل الشروع في قراءته أن يقرأ الفاتحة ، وآية الكرسي مرة مرة ، وأول سورة الأنعام ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ إلى . . ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ ، وبعد الختام يقرأ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ﴾ (ثلاثاً) ، ويصلي على النبي ﷺ (ثلاثاً) ، وهو هذا :

الدور المبارك المسمى بـ « **الدور الأعلى** » :

بسم الله الرحمن الرحيم ، اللهم يا حي يا قيوم بك تحصَّنت ، فاحمني بحماية كفاية وقاية حقيقة برهان حرز أمان سور بسم الله . . . إلى آخره .

وهو أيضاً مكتوب في « دلائل الخيرات » ، فمَنْ أراد الاشتغال بقراءته فليطلب ثمة .

ولهذا الحقير أيضاً إجازة مطلقة في هذا الحزب . والسلسلة هذه :

١- **الشيخ الأكبر محيي الدين العربي رضي لله عنه .**

٢- أبو الحسن علي الواني .

٣- إسماعيل الجبردي .

٤- أبو الفتح المراغي .

٥- زكريا الأنصاري .

٦- عبد الوهَّاب الشعراني .

٧- أحمد بن علي الشناوي .

٨- سيدي أحمد القشاشي .

٩- إبراهيم الكوراني .

١٠- العلاَّمة البُدَيْري .

١١- الأستاذ الحفني .

١٢- العلاَّمة محمد الأمير الكبير .

١٣- العلاَّمة الشيخ أحمد مِنَّة الله المالكي الأزهري .

١٤- الشيخ محمد بن ظاهر الوتري المدني .

١٥- الشيخ قطب وقته زين الله الشريفي .

١٦- ذو الجناحين سيف الله الحسيني قدس الله أرواحهم عن الالتفات إلى ما سواه تعالى . آمين .

١٧- **خادم** الفقراء أضعف العباد أرزل الخلق ، البَهْلَوَان **حسن** القحي الهدلي عفى الله عنه . آمين .

وأحزاب الشاذلي مذكورة بالتمام في « مجموعة الأحزاب » و« الأنوار القدسية » .

وحزب النصر ، وحزب البحر ، وحزب البر ، فهذه الثلاثة وحزب الدور الأعلى مكتوبة في نسخة « **دلائل الخيرات** » التي جمعها القطب الحقيقي أحمد ضياء الدين[1] الكمشخانوي .

مهم

ومَن أراد قراءة هذه الأحزاب فعليه أن يأخذ الإذن من المجيز المجاز : والعاقل مَنْ أتى البيوت من أبوابها ، فافهم .

ومنها : حزب الحصين للغزالي ـ رضي الله عنه ـ كما نسبه إليه الكمشخانوي في « مجموعة الأحزاب » لكن مؤلف « إغاثة اللهفان » قال بما نصه : وهو من إملاء الشيخ العارف ، الزاهد الناسك ، وحيد دهره ، وفريد عصره ؛ الشيخ سريّ الدين محمّد بن تاج الدين عبد الرزاق المراكسي ، نفعنا الله بعلومه وبركاته في الدنيا والآخرة ، وقال : هذا الحصن لا يسع شرح خواصِّه أوراق .

ولكن **من بعض خواصه** : تسهيل طريق الحق عزَّ وجل على العبد ، ووصوله إلى ما لا يصل غيره ـ في سنين عديدة ـ في أربعين يوماً أو أقلّ من ذلك ، وترقِّي روحه في الملكوت الأعلى ، ومصافحة الأملاك ، والتصرُّف التام في الملكوتين ، والحفظ ، والأمن ، والعصمة ، والسلامة ، والبركة في الرزق والعلم ، والتأهُّل للتلقيات الواردة في باب الفيض الأعظم ، والمدد الشريف الأكرم ، وقبولها للقلب بنور الخصوصية

---

(١) مؤلّف « دلائل الخيرات » الشيخ الجزولي وقد جمعه أحمد ضياء الدين – كما جمعه سائر الأحزاب في « مجموعة الأحزاب » فافهم – في جلد وعلى هوامشه الأحزاب المذكورة . ونسخة التي جمعها أحمد ضياء الدين كثيرة منتشرة في جميع بلاد المسلمين . ومرادي من قولي (جمعها أحمد ضياء الدين) هو هذا ؛ وليس مرادي أن أحمد ضياء الدين ألّف الدلائل ، فافهموا ولا تعجلوا . ومعلوم أن تلك الأحزاب ليست في سائر النسخ . ففي الجمع والتأليف فرق في الجملة ، تدبّر ! (قحي) .

والتفهيم ، والحجب عن كل مكروه ، وتملك الخلق أجمعين من جميع العوالم ، **حتى أن الذاكر به إذا دعا طائراً في الجو نزل عليه ، فكيف مَنْ يفهم ويعقل** ؟! ولا يزال ذاكره محبوباً معصوماً ، مؤيَّداً منصوراً ، مهاباً مطاعاً عند جميع خلق الله ، متصرِّفاً فيهم ـ بإذن الله تعالى ـ؛ لايستطيع الواحد منهم أن ينطق في حقه إلا بخير ، ولا يمدَّ يده إلا بخير .

ومن خواصه أيضاً : أنه ما تلي عند مريض أو مسحور إلا عرق ونشط في الحال ، والأسرار عند الأخيار .

وذكرُه عند طلوع الشمس وجوازِ الصلاة مرة واحدة ، ويُذكَرُ أيضاً بعد صلاة العشاء الأخيرة ، وهذا الحدُّ اضطراري ! والاختياري (ثلاث مرات) ؛ بأن يقرأ بعد صلاة الظهر ، وهذا الذكر الشريف كاف عن غيره من الأذكار المطوَّلة والمختصرة ، ولا يخفى ذلك على الطالب المتأهِّل . انتهى عبارته فراجعه ففيه الزيادة .

قال الشيخ أحمد ضياء الدين في « مجموعة الأحزاب » بما لفظه :

حزب الحصين للغزالي

بسم الله الرحمن الرحيم ، بسم الله على يميني ، بسم الله على شمالي ، بسم الله على خلفي ، بسم الله على أمامي ، بسم الله على فوقي ، بسم الله اكتنفت ، وفي حرزه الحصين دخلت ، وبحصنه المنيع احتجبت ، وبأسمائه الحسنى تسَرْبَلْتُ ، وبسرِّ أنوار اسمه الجليل تردَّيت ، وبقوة إمداد أسرار اسمه القوي القاهر عَلَوْتُ ، وغلبت أعدائي من الجن والإنس وسائر المخلوقين[1] ، واحتجبت وقهرت وانتصرت ، وبجلال بهاء سناء اسمه الأعظم الأكبر الحيِّ القيُّوم ذي الجلال والإكرام تدرَّعت ، وببوارق أنوار أسرار كلامه العظيم احتجبت وتمسَّكت ، وبخفيِّ لطفه الحسن الجميل

---

(١) وفي نسخة : وسائر المخلوقات .

تعلَّقت ، وبركنه القوي التجأت واستندت ، سبحانه وبحمده ليس كمثله شيء وهو السميع البصير[1] ، فتَّاح عليم ، باسط مُعِزٌّ ، جواد كريم ، عليّ عظيم .

اللهم إني أسألك بالكلمات التامَّات ، والأسماء المعظَّمات ، والأحرف النورانيات ، وبما واريت به سرادقات عرشك العظيم من الهيبة والجلال والقدرة والعظمة ، والكتب المنزلات والآيات البينات وبما أودعته في الحروف والأسماء من الخواص والأسرار ، وبالحضرة الشريفة ، والشريعة المطهَّرة ، والصلوات الخمس ، واتصال الأسرار والرحمة للخواص من عبادك ، وأسالك يا رب بما دعاك به أنبياؤك[2] ، وبما يسبِّحك ويمجِّدك حملةُ عرشك والمقرَّبون من ملائكتك ، أن تجعلني محصّناً محفوظاً من كل عدوّ من الجن والإنس وسائر العوالم ؛ ما علمت منها وما لم أعلم ، وأدخلني في سرِّ إمداد أنوار خزائن حرزك العزيز المنيع ، محجوباً عن كل سوء ، مغموساً في بحرٍ من نور هيبتك ، مؤيَّداً منك بروح القدس ، وكن اللهم لي ولياً وناصراً ، وكفيلاً ووكيلاً ، وحسيباً وحفيظاً ، برحمتك وفضلك ، ومَنِّك وطَولك ، واجعل جميع مخلوقاتك طوع يدي ؛ مالكاً أزِمَّة قلوبهم ، محبوباً عندهم ، ومعزَّزاً مكرَّماً مهاباً ، لا يعصون أمري ، ولا أنال منهم مكروهاً أبداً ، معصوماً من أذاهم بشدة المحبة والألفة والمودَّة ، واجعلني في ذلك قريباً من حضرتك الشريفة ، متمسِّكاً بالشريعة المطهَّرة ، متلقِّياً للعلوم والحكمة التي تقذفها بفضلك في قلبي من فيض أنوارك ، واحفظني اللهم من العجب والكبر والرياء والنفاق والشرك الخفي ، وطهِّرني من الدنس والزلاَّت والعيوب الباطنة والظاهرة ، واجعلني آمناً من عذاب القبر وفتنته ، واجعل حياتي في طاعتك ، وفهمي

---

(١) في نسخة : السميع العليم .

(٢) في نسخة : أنبياؤك ورسلك .

في علمك اللَّدُنِّي ، واصْحَبْني في عبادك الصالحين ، والأبدال والصِدِّيقين ، واجعلني منهم برحمتك يا أرحم الراحمين .

اللهم عافني من كل بلية ، ونجِّني من كل هَلَكَة ولا تجعلني من السافلين[1] ، واسقني كأساً رويّاً من شراب محبتك ، ولا تجعلني من القانطين ، يا هُو يا هُو يا هُو ، ياهِيّاً شَرا هِيّاً يا ذا الحجة البالغة ، يا ذا العظمة والقدرة ، يا حي يا قيوم ، يا ذا الجلال والإكرام .

إلهي ما أعظم شأنك ، وأعزّ سلطانك ! بك اللهم نزلت وأنت خير المنزلين[2] ، وبك اعتصمت وأنت خير الناصرين ، وبك اهتديت إلى صراطك المستقيم ، فاكفني اللهم شرَّ كل مكروه ، واجعل دعائي مَقْروناً بإجابتك ، مع اللطف والرعاية ، والمِنحِ الجِسام ، والتلقيات الكرام ، وترقيات الوصول إلى حضرتك ، وأهِّلني لسماع الخطاب يا سريع يا بديع ، يا رفيع الدرجات ، ويا سامع الأصوات على اختلاف اللغات ، أسألك العصمة والأمن والسلامة ، واللطف والبركة والقناعة ، وأغننا بفضلك عمَّن سواك يا أرحم الراحمين (ثلاثاً) ، ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ ١٦ ، وصلوات الله البرِّ الرحيم على سيدنا محمد ؛ السيد الكامل الفاتح الخاتم ، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرّيّاته ؛ عدد الأنفاس واللحظات ، والقطر[3] والنبات ، وجميع ما في الكائنات ، كلما ذكره الذاكرون ، وكلما غفل عن ذكره الغافلون ، والحمد لله رب العالمين . انتهى عبارته ٢٦٧ ج ١ .

---

(١) وفي نسخة : من الغافلين .

(٢) وفي نسخة : المنزولين .

(٣) وفي نسخة : والقطرات .

ومنها : حزب إبراهيم الدسوقي[1] رضي الله عنه

ذكر صاحب « الإبريز » ـ رضي الله عنه ـ ما نصه : وقد قدم علينا بعض أصحابنا من أخيار تلمسان ، فأخبرني أنه سمع بعض مَنْ حجّ بيتَ الله الحرام يقول : إنه زار قبر سيدي إبراهيم الدسوقي ـ نفعنا الله به ـ ،

---

(١) **مناقب إبراهيم الدسوقي** – رضي الله عنه – من نسل الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم .

قال المناوي في « طبقاته » : سيدي إبراهيم الدسوقي شيخ الطائفة البرهامية ، صاحب المحاضرات القدسية ، والعلوم اللدُنيَّة ، والأسرار العرفانية ، أحد الأئمة الذين أظهر الله لهم المغيبات ، وخرق لهم العادات ، ذوالباع الطويل ، والتصرُّف النافذ ، واليد البيضاء في أحكام الولاية ، والقدم الراسخ في درجات النهاية ، انتهت إليه رياسة الكلام على خواطر الأنام ، وقد كان يتكلّم بجميع اللغات ؛ من عربي وسرياني وغيرهما ، ويعرف لغات الوحش والطير .

وكان ـ رضي الله عنه ـ يقول : الشريعة أصل ، والحقيقة فرع ، فالشريعة جامعة لكل علم مشروع ، والحقيقة جامعة لكل علم خفيٍّ ، وجميع المقامات مندرجة فيهما .

وكان ـ رضي الله عنه ـ يقول : يجب على المريد أن يأخذ من العلم ما يجب عليه في تأدية فرضه ونفله ، ولا يشتغل بالفصاحة والبلاغة ، فإن ذلك شغل منه عن مراده ، بل يفحص عن آثار الصالحين في العمل ، ويواظب على الذكر . « نور الأبصار » .

وذكر عن سيدي إبراهيم : أنه صام في المهد وأنه ينقل اسم مريده من الشقاوة إلى السعادة ، وأن الدنيا جعلت في يده كخاتم ، وأنه جاوز سدرة المنتهى ، وجالت نفسه في الملكوت ، ووقف بين يدي الله تعالى ، وأنه فكّ الطلسم السبع المثاني ، وأن قدمه لم تسعها الدنيا . وقال رضي الله عنه : ولّيت القطبية فرأيت المشرقين والمغربين وما تحت التخوم ، وصافحت جبريل عليه السلام . « نور الأبصار » .

ومن كلامه – أي : إبراهيم الدسوقي – رضي الله عنه كما في « الطبقات » الشعراني : يجب على المريد أن لا يتكلّم إلاّ بدستور شيخه إن كان جسمه حاضراً ، وإن كان غائباً يستأذنه بالقلب ، وذلك حتى يترقى إلى الوصول إلى هذا المقام في حقّ ربه عزّ وجلّ . فإن الشيخ إذا رأى المريد يراعيه هذه المراعات رباه بلطيف الشراب ، وأسقاه من ماء التربية ولاحظ بالسرّ المعنوي الأولى . فيا سعادة من أحسن الأدب مع مربّيه ، ويا شقاوة من أساه . « نور الأبصار » عبارته ٩١٢ .

فوقف عليه الشيخ سيدي إبراهيم الدسوقي ـ نفعنا الله به ـ وعلّمه دعاءً وهو هذا :

بسم الإله الخالق الأكبر ، وهو حرز مانع مما أخاف منه وأحذر ، لا قدرة لمخلوق مع قدرة الخالق ، يُلجمه بلجام قدرته ، أحمى حميثاً ، أطمى طميساً ، وكان الله قوياً عزيزاً ، (حم عسق) حمايتنا ، (كهيعص) كفايتنا ، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، فقال له سيدي إبراهيم : ادع بهذا الدعاء ، ولا تخف من شيء . انتهى ١٠٦ .

وأما في « مجموعة الأحزاب » للشيخ أحمد ضياء الدين ـ قدس سره ـ هكذا : (كهيعص) كفايتنا ، (حمعسق) حمايتنا ، بتقديم وتأخير ، بخلاف ما في « الإبريز » ، والله أعلم بالصواب ، وإليه المرجع والمآب .

خلاصة الاستقامة

ومما ينبغي أن يكتب في هذا الموضع : ما في « تقريب الأصول » ونَصُّه : وخلاصة الأمر الذي يتم به المراد : **الاستقامة** ، وخلاصتها : امتثال الأمر ، واجتناب النهي ، ورؤية الفضل والمنَّة لله تعالى ، والتبرِّي من الحول والقوة ، والرجوع إلى حول الله وقوته ، وتسليم أمره إلى مولاه ، ويعلم أنَّ الخِيَرة له في جميع ما به يتولاَّه ، وإن خالف ذلك مرادَه وهواه ، فإذا دعا وطلب من مولاه أمراً يرى أن له فيه مصلحة أيقن بالإجابة لا محالة ، قال الله تعالى ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾ ، وقال تعالى ﴿ **ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾ .

وعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من أحد يدعو بدعاء إلا آتاه الله تعالى ما سأل ، أو كفَّ عنه من السوء مثله ، مالم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم ! » .

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال : « ما من داع يدعو إلا استجاب الله دعوته ، أو صرف عنه مثلها سوءاً ، أو حطَّ عنه من ذنوبه بقدرها ، مالم يدع بإثمٍ أو قطيعة رحم ! » .

فإذاً : الإجابة المطلقة حاصلة لكل داع بحق ، حسبما ورد الوعد الصدق[1] ، إلا أنَّ الإجابة أمرها إلى الله تعالى يجعلها متى شاء .

وقد يكون المنع وتأخير العطاء إجابة وعطاءً لمن فهم عن الله ذلك ، فلا ييأس العبد من فضل الله تعالى إذا رأى منعاً أو تأخيراً ، وإن ألحَّ في دعائه وسؤاله[2] .

وقد يكون تأخير ذلك إلى الآخرة خيراً له؛ فقد جاء في بعض الأخبار : « يُبعث عبد ؛ فيقول الله تعالى : ألم آمرك برفع حوائجك إليَّ ؟ ! فيقول : نعم ؛ وقد رفعتها إليك . فيقول الله تعالى : ما سألت شيئاً إلا أجبتك فيه ، ولكن نجَّزت لك البعض في الدنيا ، وما لم أنجِّزه في الدنيا فهو مدَّخر لك ، فخذه الآن . حتى يقول ذلك العبد : ليته لم يقض لي حاجة في الدنيا » .

---

(١) وفي نسخة : الصادق .

(٢) ولا تحرمني وأنا أسألك ، ولا تعذِّبني وأنا أستغفرك . « **دلائل الخيرات** » وجملة (وأنا أستغفرك) : حالية من (لا تعذِّبني) ، **والحرمان مع السؤال ؛ والعذاب مع الاستغفار ؛ أشدُّ على صاحبه ، وآكد في جفاء فاعله** ، وحاشاه سبحانه من ذلك .

وقد قال فيما روي من كلام إلهيّ : « ومَن أحدث وتوضأ ، وصلَّى ودعا ، ولم أستجب له ؛ فقد جفوته ، ولست بجافٍ »

وقال في « الحكم » : **متى أطلق لسانك بالطلب فاعلم أنه يريد أن يعطيك .**

وقال ﷺ : « ما أذن الله لعبد في الدعاء حتى أذن له في الإجابة » رواه أبو نعيم في « الحلية » عن أنس ، والترمذي عن ابن عمر نحوه . وغير ذلك من الأحاديث الواردة في هذا المعنى ، وفي استجابة الدعاء ، والمغفرة لمن استغفر ، وقبول عذر مَن اعتذر . « مطالع المسرَّات » ٤٤ . (هامش الأصل) .

وقد ورد عن رسول الله ﷺ معنى النهي عن الاستعجال في إجابة الدعاء في قوله : « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، فيقول : قد دعوت فلم يستجب لي » .

كان بين دعاء موسى وإجابته أربعون سنة

وقد دعا موسى وهارون ـ عليهما السلام ـ على فرعون ـ فيما أخبر الله عنهما ـ حيث قال ﴿ **رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ** ﴾ ، ثم أخبر أنه قد أجاب دعاءهما بقوله سبحانه وتعالى ﴿ **قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ .

قالوا : **وكان بين قوله تعالى لهما** ﴿ **قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا** ﴾ ، **وهلاك فرعون؛ أربعون سنة** .

قال سيدي أبو الحسن الشاذلي ـ رضي الله عنه ـ في قوله تعالى ﴿ **فَٱسْتَقِيمَا** ﴾ أي : على عدم استعجال ما طلبتما ، ﴿ **وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ هم الذين يستعجلون الإجابة . انتهى ٢٢٧ .

مهم

فالحاصل : أن سبب قبول الدعوة هو إطاعة المولى جلَّ سلطانه كما قيل :

اسم الله الأعظم هو نفس الإنسان ، يعني أنه إذا أطاع الله في الأمر والنهي يطيعه الله تعالى بإجابة ما سأل ، كما يجيب لمن سأله باسمه الأعظم الذي **إذا دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى** ، **فإن الردّ إنما يكون من البخيل** ! والله تعالى منزَّه عن البخل ، أو ممَّن ليس عنده شيء يعطيه السائل ! والله تعالى أيضاً عنده خزائن السماوات والأرض ، أو لنقصان

شيء بما أعطاه ! والله تعالى أيضاً لا نقص لخزائنه وتعالى عن ذلك .

دعاء الملائكة لا يُردّ

ألا ترى أن الله تعالى لا يردُّ دعاء الملائكة ؛ لكونهم لا يعصون الله ويفعلون ما أمرهم ! **فلم يبق للردِّ سبب إلا العصيان** . أعاذنا الله تعالى من مخالفة أمره ، وجعلنا من المتبعين لأوامره .آمين .

سند المؤلف

ثم اعلم أني أردت أن أذكر سند مشائخي في العلوم والأحاديث :

أما « صحيح » أمير المؤمنين في الحديث أبي عبد الله محمد إسماعيل البخاري ، عليه رحمة الكريم الباري ، فأرويه بأعلى سند يوجد في الدنيا الآن ، كما قال به شيخنا قدس سره ، عن شيخي وسندي ذي الجناحين قطب وقته سيف الله بن حسين الغازي الغموقي الحسيني رضي الله عنه ، عن شيخه زين الله بن حبيب الله التريسكي الشريفي ، عن محمد علي بن ظاهر المدني الوتري ، عن العلامة المحدِّث الرحلة الفهَّامة الشيخ عبد الغني بن أبي سعيد المجدِّدي الفاروقي النقشبندي الديمويّ ثم المدنيّ ، عن العلاَّمة الحافظ الشيخ محمد عابد الأنصاري السندي ثم المدني ، عن خاتمة المحدِّثين الشيخ صالح العمري الفلاَّني ثم المدني ، عن المعمّر العلاَّمة الشيخ محمد بن سِنَّة العمري الفلاَّني ، عن العلاَّمة أبي الوفا أحمد بن العجَل اليمني المكي ، عن مفتي مكة العلاَّمة قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي[1] ، عن العلاَّمة أبي الفتوح أحمد بن عبد الله ابن أبي الفتوح الطاووس ، عن المعمَّر العلامة بابا يوسف الهروي المشهور بـ(صدسال) - أي المعمّر[2] ثلاثمئة سنة - ، عن المعمّر محمد بن شَاذَ

(١) وفي نسخة : النهرواني .

(٢) وذكر صدر الشريعة في « تعديل العلوم » أنَّ مشائخ الحديث مشهورون بطول=

بَخَتْ الفارسي الفرغاني ، عن المعمّر أحد الأبدال بسمرقند أبي لقمان يحيى بن عمار بن مقيل بن شاهان الختلاني ، عن أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفِرَبري ، عن الإمام البخاري .

وأما « مشكاة المصابيح » ؛ فإني أرويها بهذا الإسناد إلى المعمّر الشيخ محمد بن سِنَّة ، عن العلاَّمة برهان الدين إبراهيم الكوراني المدني ، عن العارف بالله العلاَّمة الشيخ أحمد بن محمد الداجاني المدني المعروف بالقشاشي ، عن العارف سيدي أحمد بن علي الشناوي العباسي المدني ، عن العلاَّمة السيد غضنفر بن جعفر الحسيني ، عن شيخ الحرم المكي

=الأعمار .

وذكر السُّبكي في « طبقات الشافعية » أنَّ أبا سهل قال : سمعت ابن الصلاح يقول : شيوخنا يقولون : دليل طول العمر اشتغاله بأحاديث الرسول ﷺ . ويصدِّقه التجربة ؛ فإنَّ أهل الحديث إذا تتبعتَ أعمارَهم تجدها في غاية الطول .

والكتب المصنَّفة في علم الحديث أكثر من أن تحصى ، إلا أنَّ السلف والخلف قد أطبقوا على أن أصحَّ الكتب بعد كتابه سبحانه وتعالى : « صحيح البخاري » ، ثم « صحيح مسلم » ، ثم « الموطَّأ » ، ثم بقية الكتب الستة وهي : سنن أبي داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، والدار قطني ، والمسندات المشهورة . كشف الظنون عن أسامي الكتب « والفنون » ٦٢٤ ج١ للإمام العالم العلامة والبحر الفهامة ملا كاتب چلابي قدس سره .

رمز الحروف للروات : (خ) للبخاري ، (م) للمسلم ، (ط) للموطأ ، (ت) للترمذي ، (د) لأبي داود

ووضعوا لأصحاب الكتب الستة علامة ورمزاً بالحروف ؛ فجعلوا للبخاري : (خ) لأن نسبته إلى بلده أشهر من اسمه وكنيته ، وليس في حروف باقي الأسماء خاء ، ولمسلم : (م) لأن اسمه أشهر من نسبه وكنيته ، ولمالك : (ط) لأن اشتهار كتابه بـ« الموطأ » أكثر ولأن الميم أول حروف اسمه وقد أعطوها مسلماً وباقي حروفه مشبهة بغيرها ، وللترمذي : (ت) لأن اشتهاره بنسبه أكثر ، ولأبي داود : (د) لأن كنيته أشهر من اسمه ونسبه ؛ والدال أشهر حروفه وأبعدها من الاشتباه ، وللنسائي : (س) لأن نسبه أشهر من اسمه وكنيته ؛ والسين أشهر حروف نسبه . « كشف الظنون » ٥٢٤ ج١ .

محمد سعيد المشهور بـ « مير كلان » بن مولانا خواجه ، عن نسيم الدين ميرك شاه ، عن والده المحدِّث السيد جمال الدين عطاء الله بن غياث الدين فضل الله ، عن عمه السيد أصيل الدين عبد الله بن عبد الرحمن الشيرازي الحسيني ، عن شرف الدين عبد الرحيم بن عبد الكريم الجرهمي الصديقي ، عن العلاَّمة إمام الدين علي بن مبارك شاه الصديقي السادجي ، عن مؤلِّفه وليّ الدين محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي رحمه الله تعالى .

وأما سلسلة الحزب الأعظم والورد الأفخم ؛ فإني أرويه عالياً عن شيخنا سيف الله قدس سره ، عن شيخه زين الله ، عن الشيخ محمد علي بن ظاهر الوتري المدني ، عن عبد الغني المتقدِّم ، عن العلاَّمة الشيخ إسماعيل بن إدريس أفندي المدني ، عن العلاَّمة الشيخ صالح العمري الفلاَّني ثم المدني ، عن المعمّر العلاَّمة الشيخ محمد بن سِنَّة العمري الفُلاَّني ، عن المعمّر مولاي الشريف محمد بن عبد الله الوَوْلاقي المغربي ، عن مفتي مكة العلاَّمة عبد القادر الطبري الحسيني المكي ، عن جامعه الملاَّ علي القاري .

ولنا أيضاً إجازة من طريق آخر لحزب الأعظم بهذا السند : سيف الله ، زين الله ، أحمد ضياء الدين ، الشيخ الحاج إبراهيم خليل القاضي بالقدس الشريف ، ثم بالمدينة المنورة ، ثم بمكة المكرمة ، الشيخ أحمد بن سليمان الخوارزمي ، محمود بن أحمد المرعشي ، الشيخ محمد بن عبد الرحمن الكزبري ، عن الشيخ ابن سليمان ، عن ابن سنبل ، عن أبي الطاهر الكوراني ، عن والده الملا إبراهيم ، عن منلا محمد شريف ابن منلا يوسف الكوراني الصديقي ، عن السيد المعظم الحسيني البلخي ، عن مؤلفه السيد الشيخ منلا علي بن السلطان محمد القاري الهروي المقري بالحرم الشريف المكي . رحمة الله عليهم أجمعين . آمين .

وأما « دلائل الخيرات » فإني أرويها عن طريقين : نازلة وعالية .

أما النازلة ؛ فعن شيخنا سيف الله المذكور ، وهو عن شيخه زين الله ، عن محمد علي بن ظاهر الوتري ، عن الشيخ على أفندي بن يوسف ملك باشلي الحريري المدني ، عن العلاَّمة السيد **محمد بن أحمد الشريف المُدْغَري** ، عن أبي البركات سيدي محمد بن أحمد بن أحمد المثنى ، عن العلاَّمة سيدي أحمد بن الحاج ، عن العلاَّمة سيدي عبد القادر الفاسي ، عن العلاَّمة سيدي أحمد المقريّ ، عن سيدي أحمد بن أبي العباس الصُّمَعي ، عن سيدي أحمد بن موسى السِمْلاني ،عن سيدي عبد العزيز التباعي ، عن مؤلفها سيدي السيد محمد بن سليمان الجزولي الشريف الحسني .

وأما الطريقة العالية ؛ وهي أعلى بدرجتين ، وهو أعلى سند يوجد في الدنيا الآن ، كما أخبر بذلك أرباب هذا الشأن : فعن شيخنا أبي الفتوح سيف الله قدس سره ، عن شيخه زين الله ، عن محمد علي بن ظاهر الوتري ، عن العلاَّمة المتقدم عبد الغني ، عن العلاَّمة إسماعيل أفندي المدني ، عن العلاَّمة محمد أفندي أي خِسْخِوَى ، عن العلاَّمة السيد مرتضى الزبيدي شارح « الإحياء » و« القاموس » ، عن العلامة محيي الدين نور الحق عبد الله الحسيني ، عن السيد سعد الله بن محمد الهندي ، عن المعمّر الشيخ عبد الشكور الحسني ، **عن مؤلفها الشيخ الجزولي** .

ولي طريق آخر في « **دلائل الخيرات** » ، فإن شيخنا ذا الجناحين الحاج عبد الرحمن العسوي قدس سره لقَّنني « **دلائل الخيرات** » ، وكان هو مأذوناً لتلقينه من العالم العارف محمد عبده المكي ، فكنت أقرؤه في سنين ، فمات هو قدس سره في جدّة في سفر الحج ، ثم بعد ذلك أجازني العارف المذكور محمد عبده في ذلك ، وكتب لي بخطه صكَّ الإجازة ، وأذن لي بالإذن المطلق العام عن مشائخه ، كما أجاز شيخنا المذكور العسوي رحمهما الله تعالى .

والسلسلة هذه : محمد عبده المكي ، سيدي محمد بن سيد أحمد المدْغريّ الشريف الحسني ، سيد محمد بن أحمد المثنى ، سيد أحمد بن الحاج ، سيد أحمد المقري ، سيد عبد القادر الفاسي ، سيد بن أبي العباس

الصُمَعي ، سيد أحمد بن موسى ، السيد محمد بن السيد السملاني ، عبد العزيز التَباع ، **عن مؤلفها السيد محمد بن سليمان الجزولي ، الشريف الحسني ، القطب الرباني** ، رحمه الله تعالى ونفعنا به . آمين .

وأما « البردة الشريفة » المشهورة بـ :

أمِنْ تَذَ . . . إلخ ، فلي فيها إجازة مطلقة أيضاً ، وإني أرويها بهذا السند عن قطب الوقت المستور ؛ سيف الله المذكور ، قدس سره ، عن شيخه زين الله الشريفي ، عن محمد علي بن ظاهر الوتري المدني ، عن العلاَّمة المحقق الفهَّامة المدقق ، الشيخ منَّة الله المالكي الأزهري ؛ تلميذ الأمير الكبير ، صاحب الثبت الشهير ، عن العلاَّمة الشيخ محمد الهَبي المالكي ، عن العلاَّمة الشيخ يوسف الشباسي الضرير ، عن الأستاذ السكندري المعروف بالصباغ ، عن سيدي عليّ الزرقاني ، عن العلاَّمة سيدي علي الأجهوري ، عن النور القرافي ، عن الحافظ جلال الدين السيوطي ، عن العزِّ عبد الرحيم بن الفرات ، عن العزِّ بن جماعة ، عن ناظمها الإمام البوصيري .

وكتب شيخنا الأمير سيف الله قدس سره في الثبت نقلاً عن ثبت شيخه : وأما بقية أسانيدي في باقي الكتب الستة وغيرها من كتب الحديث وسائر الفنون النقلية والعقلية ؛ فإنها مذكورة في أثبات مشائخي ومشائخهم ؛ كـثبت شيخي المسمى بـ « اليانع الجني من أسانيد الشيخ الغني » ، وثبت شيخه المسمَّى بـ « الحصر الشارد من أسانيد محمد عابد » ، وثبت شيخ مشائخي العلاَّمة محمد الأمير الكبير ، وأجازني بجميع ما يحتوي عليه هذه الأثبات من الكتب والفنون ، وأجازني أيضاً بالحديث المسلسل[1] بالأوَّلية ، أي الحديث الذي قال كل راوٍ : (وهو أول حديث سمعته) من طريقة عالية جداً من طريق الجنّ بهذا السند : عن سيف الله ، عن زين الله ،

---

(١) وللحديث المسلسل بالأولية طريق آخر ينتهي إلى سفيان بن عُيَيْنَة مذكور في المسلسلات . (من خط زين الله قدس سره) .

عن العلاَّمة عبد الفتاح الكفراوي ، عن شيخ الإسلام عبد الله الشرقاوي ، عن العلاَّمة الأستاذ السيد محمد الحفني الخلوتي الشهير ، عن قاضي الجنّ شمهورش الصّحابي ، قال : حدثني به سيدنا رسول الله ﷺ ، وهو أول حديث سمعته منه أنه قال : « الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ، ارحموا مَنْ في الأرض يرحمكم مَنْ في السماء » . انتهى .

وقد قال كل راوٍ : (وهو أول حديث سمعته منه) ، وقد اقتصرته خوفاً من الإطناب .فافهم .

توفي الشيخ محمد شمس الدين الحِفني الخلوتي الشهير سنة ١١٧٩ وأهل مصر صلّوا جنازته في القرافة ، وهو أخذ من قاضي الجن شمهورش .

نقل شيخنا سيف الله عن خط شيخه بما نصُّه : وسمعت السيد محمد علي الظاهري يقول : إنه - أي : قاضي الجن- توفي في زمن الحفني رحمهم الله تعالى .

وقد روى عنهم[1] الطبراني ، وابن عدي ، وغيرهما ، لكن توقَّف في ذلك بعض الحُفَّاظ . « الفتاوى الحديثية » لابن حجر المكي .

وأما مسلسلات ابن عقيلة ؛ فقد أجازني بها شيخنا مير سيف الله

---

(١) أي : الجن .

* والذي استحسنه العلماء في نية الصلاة من التلفظ باللسان مع وجود إرادة القلب ؛ والحال أنه ما ثبت عنه عليه السلام لا برواية صحيحة ، ولا برواية ضعيفة ، ولا من الصحابة الكرام ، ولا من التابعين العظام ، أنهم أتوا بالنية باللسان ، بل كانوا يكبّرون تكبيرة تحريم حين قاموا إلى صلاة ؛ فالنية باللسان بدعة يسمّونها حسنة .

والفقير يعلم أن هذه البدعة رافعة للغرض فضلاً عن السنة ، فإن أكثر الناس يكتفون في الجواز ذلك باللسان ، ولا يبالون عن غفلة القلب ، فيكون قد ترك في ضمير ذلك غرضاً من فرائض الصلاة الذي هو النيّة بالقلب فيؤدي ذلك لفساد الصلاة ؛ وعلى هذا القياس سائر المبتدعات والمحدثات ، فإنها زيادة على السنة ولو بوجه من الوجوه ، والزيادة نسخ والنسخ رفع ، فعليكم بالاقتصار على متابعة رسول الله ﷺ . « مبدة الرسائل الفاروقية » .

قدس سره بهذا السند : سيف الله ، زين الله ، محمد علي بن ظاهر المدني ، عبد الغني بن أبي سعيد المجدِّدي ، محمد عابد السندي الأنصاري ، المحدِّث عبد الرحمن بن السيد سليمان الأهدل اليمني ، العلاَّمة الشيخ أمر الله المزجاني ، عن جامعها العلاَّمة محمد بن أحمد سعيد المعروف بعقيلة المكي ، عن شيخنا العلاَّمة منَّة الله المالكي ، عن السيد الأمير الكبير ، عن العلاَّمة الصعيدي المالكي ، عن ابن عقيلة . . .إلخ .

وأجازني أيضاً شيخنا المذكور - سيف الله - ، في جميع العلوم النقلية والعقلية ، بناء على أنَّ النفع التام لا يكون في كل شيء إلا بالإذن ، كما هو مذكور في « المكتوبات » للإمام الربَّاني ، وفي « الفتاوى العمرية » .

وكذا الحال في العلم الظاهري ، فإنه لا بدَّ من التكميل ، ثم الإذن من الأستاذ في التدريس . انتهى عبارته .

ونقل شيخنا المذكور قدس سره عن بعض المشائخ أنه قال : **ما هذا معناه : إنَّ ديار داغستان وإن كانت معدن العلم !** لكن البركة معدومة لعدم الإجازة عن المُجيز المُجَاز .

والسلسلة هذه : سيف الله ، عن زين الله ، قال زين الله : إني أخذت العلم عن داملا أحمد بن خالد المنكاري القزاني ، وهو أخذ عن مولانا قاضي كلان في بخارا ، وملا المولوي محمد شريف السيد مصنف « التكملة » على « التتمة » ، وعن مولانا داملا حسن أخوند البخاري ، وهما أخذا عن أبي قاضي كلان المذكور عطاء الله خواجه ، وهو أخذ عن هادي خواجه وهو المشهور باشان أستاذ ، وهو أخذ عن أخوند فيضي ، عن أخوند شيخ عناية الله البخاري ، عن مولانا السيد محمد شريف الحسيني ، عن مولانا أخوند يوسف القراباغي ، عن ميرزاجان الشيرازي ، عن خواجه جمال ، عن المحقِّق الدواني الجلال الصِدِّيقي ، عن أبيه أسعد الصدِّيقي ، عن مولانا السيد الشريف علي الجرجاني ، وهو أخذ العلوم العقلية عن محمد مبارك شاه ، عن قطب الدين الرازي ، عن العلاَّمة قطب الدين محمود الشيرازي ، عن الكاتبي ، عن الإمام فخر الدين الرازي ، عن أبي

نصر السمناني[١] ، عن محمد بن يحيى النيسابوري ، عن الإمام حجَّة الإسلام محمد الغزالي ، عن إمام الحرمين الجويني ، عن عبد الله أبي محمد الجويني ، عن سهل بن محمد أبي الطيب الصعلوكي ، عن محمد بن سليمان أبي سهل الصعلوكي ، عن إبراهيم أبي إسحق المروزي ، عن أبي العباس أحمد بن سريج ، عن أبي القاسم عثمان الأنماطي ، عن إسماعيل بن إبراهيم المزني ، عن أبي عبد الله محمد بن إدريس الإمام الأجلّ الشافعي رضي الله عنه ، عن الإمام مالك رضي الله عنه ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، وهو عن النبي ﷺ .

وجلال الدين المحقِّق الدواني أخذ أيضاً عن محيي الدين الكشكناري ، وعن مظهر الدين محمد الكاذروني ، وهما أخذا من السيد الشريف ، والسيد الشريف أخذ الفقه والعلوم النقلية عن شارح « الهداية »[٢] الشيخ أكمل الدين محمد بن محمد[٣] بن محمود البابرتي ، وهو أخذ عن قوام الدين محمد بن محمد الكاكي ، عن حسام الدين السغناقي ، عن حافظ الدين الكبير محمد البخاري ، عن شمس الأئمة محمد بن عبد الستار الكردي ، عن صاحب « الهداية » علي بن أبي بكر ، عن أحمد بن عمر النسفي ، عن أبيه ، عن أبي اليسر محمد البزدوي ، عن أبي يعقوب يوسف السبياري ، عن أبي إسحق النوقدي ، عن هندواني ، عن أبي القاسم الصفَّار ، عن نصير بن يحيى ، عن محمد بن سماعة ، عن أبي يوسف ، عن الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه ، عن حمَّاد ، عن النَّخعي ، عن علقمة ، عن عبد الله بن مسعود ، عن النبي ﷺ .

وأخذ زين الله قدس سره العلم الظاهر كما أخذ العلم الباطن من مولانا أحمد ضياء الدين الكمشخانوي قدس سره ، وهو أخذ عن مولانا أحمد بن

---

(١) في نسخة : السهناني .

(٢) شرحه مسمى بالعناية . (هامش الأصل) .

(٣) صاحب « الهداية » أخذ عن أحمد بن عمر النسفي وهو عن أبيه عمر النسفي وعن أخي أبيه ابن اليسر محمد البزدوي . .الخ . (هامش الأصل) .

سليمان الطرابلسي ، وهو أخذ عن مولانا محمد بن العابدين ، ومن مولانا أحمد الطحطاوي ، وسندهما مذكور في ديباجة « حاشية الدُّر المختار » .

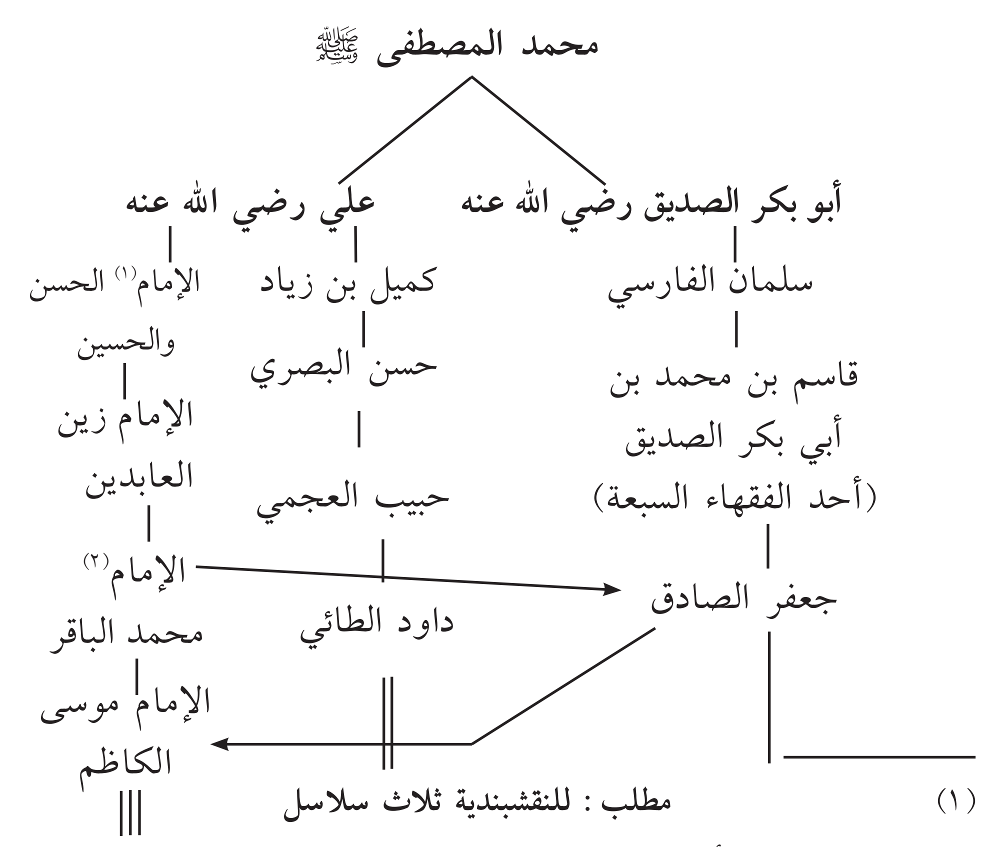
وأخذ الإمام علي البزدوي عن السرخسي ، وهو عن الحلواني ، وهو عن القاضي السبذموني[1] ، وهو عن أبي حفص البخاري ، عن أبيه ، عن الإمام محمد ، عن أبي حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه . إلخ .

وكتب شيخنا سيف الله بما نصُّه : وسندي في العلوم العقلية والفقه إلى ملا جلال المحقِّق الدواني : جلال الدين الدواني الصدِّيقي ، جمال ميرزاجان الشيرازي ، أخوند يوسف مولوي ، شريف أخوند شيخ المولوي ، فيضي هادي خواجه المشهور بإيشان أستاذ ، ابنه خواجه عطاء الله ، ابنه محمد شريف قاضي كلان مُصنِّف « التكملة » ، وداملا حسن أخوند ، داملا أحمد المنكاري ، داملا زين الله الشريفي ، ملاَّ سيف الله بن حسين النژبكري . انتهى من خطه . ملاَّ حسن حلمي القحي رحم الله إفلاسه .

وأما سند مشائخي في الطريقة النقشبندية الصدِّيقيَّة ، قدس الله تعالى أسرار أربابها ، وأفاض علينا من فيوضات أصحابها ، آمين ؛ فقد أخذتها أولاً عن الشيخ العارف بالله تعالى ذي الجناحين عبد الرحمن العسوي رضي الله عنه ، وصحبته سنين عديدة ، ثم صحبت بعد موته خليله وصديقه العارف الحافظ العالم الحاج شعيب أفندي الباكني قدس سره ، وربَّاني ، ثم صحبت بعد انتقاله القطب الربَّاني سيف الله الحسيني النژبكري الغازي غموقي النقشبندي الشاذلي القادري الأويسي قدس سره ، وكان مجازاً من عدة مواضع - كما سبق - في الأمور المتعددة ، وكلهم أجازوا لي في إرشاد الخلق إلى طريق الحق تعالى ، بل أكَّدوا الأمر في ذلك ، وأرجو الله سبحانه أن يرزقني الاستقامة ، كما أوصاني بذلك كلهم ، والسلسلة الجامعة لأسانيدهم على هذه الكيفية الآتية :

---

(١) والسبذمون : قرية من قرى بخارى . (منه) .



مطلب : للنقشبندية ثلاث سلاسل

(١) وهذا البيان بناء على أن للنقشبندية ثلاث سلاسل :

السلسلة الأولى : محمد عليه الصلاة والسلام ، علي كرَّم الله وجهه ، حسين رضي الله عنه ، زين العابدين رضي الله عنه ، الإمام الباقر رضي الله عنه ، جعفر الصادق رضي الله عنه ، موسى الكاظم رضي الله عنه ، الإمام علي رضا رضي الله عنه ، معروف الكرخي ، السري السقطي ، جنيد البغدادي ، أبو علي أحمد الروذباري ، أبو علي الكاتب ، أبو عثمان ، أبو القاسم علي الكركاني ، أبو علي الفضل بن محمد الفارمدي .

الثانية : محمدﷺ ، علي رضي الله عنه ، الحسن البصري ، الإمام أبو محمد حبيب الفارسي المعروف بالعجمي ، أبو سليمان داود الطائي الكوفي ، معروف الكرخي .

الثالثة : محمد ﷺ ، أبو بكر ، سلمان . . . .إلى آخر السلسلة . فافهم ! (منه رحم الله إفلاسه) .

(٢) ثم سرى سرٌّ هذه النسبة من الإمام الباقر إلى جعفر الصادق . كما هو مذكور في « الحدائق الوردية » ومنه سرى إلى الإمام موسى الكاظم ، ومنه إلى الإمام علي الرضا . (منه) . (هامش الأصل) .

أبو يزيد البسطامي[1]
(طيفور بن عيسى)
أبو الحسن الخرقاني
أبو علي الفارمدي
يوسف الهمداني
عبد الخالق الغجدواني
عارف الريوكري
محمود انجير فغنوي
حضرة عزيزان
علي الرامتيني
محمد بابا السماسي
أمير كلال
شاه نقشبند بهاء الدين البخاري[2]
علاء الدين العطار الراماد
يعقوب الچرخي

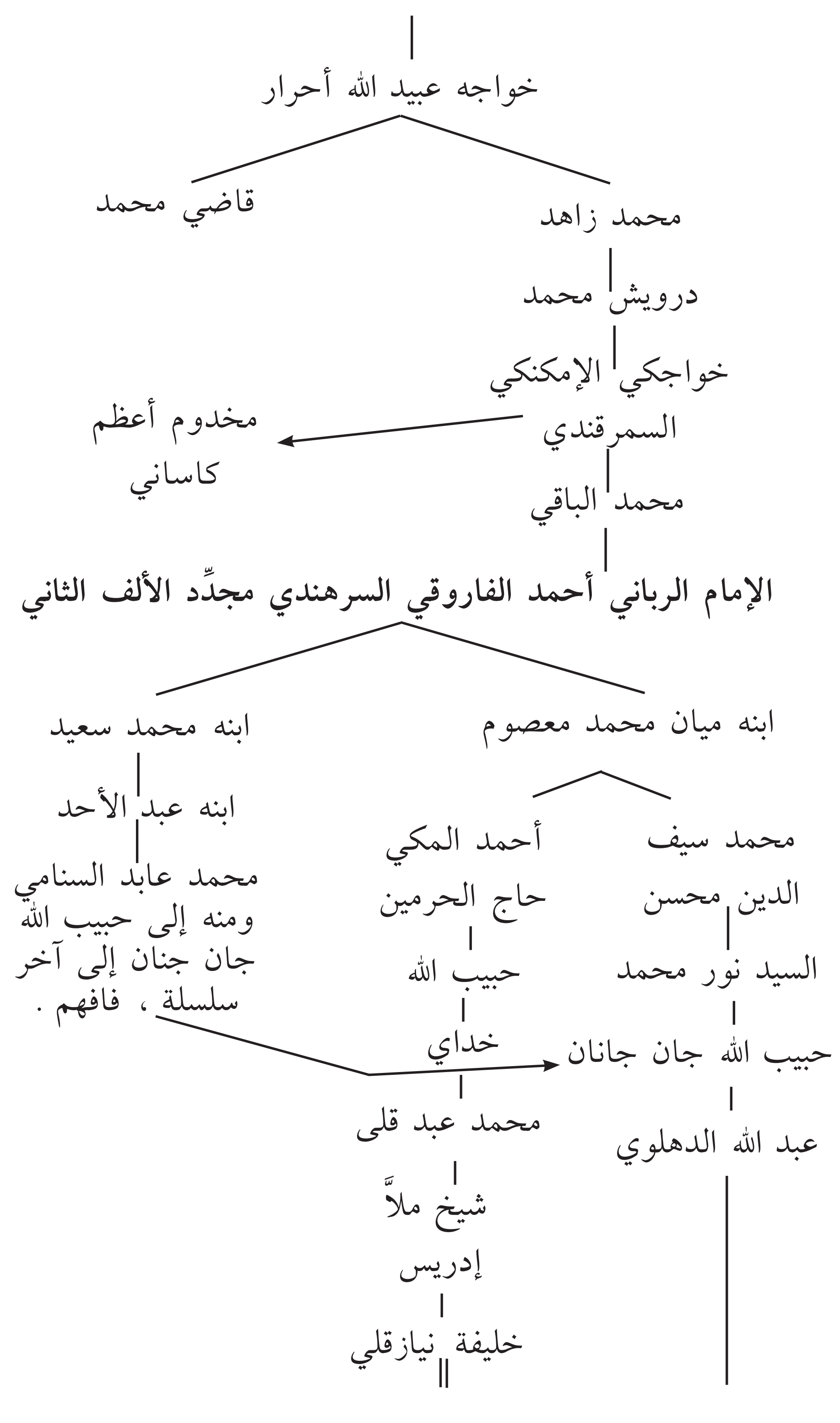
معروف الكرخي
السري السقطي
جنيد البغدادي
أبو علي الروذباري
أبو علي بن أحمد الكاتب المصري
أبو عثمان المغربي
أبو القاسم الكركاني
ومنه إلى أبي علي الفارمدي فافهم

الإمام علي الرضا
ومنه إلى معروف الكرخي إلى آخر السلسلة فافهم

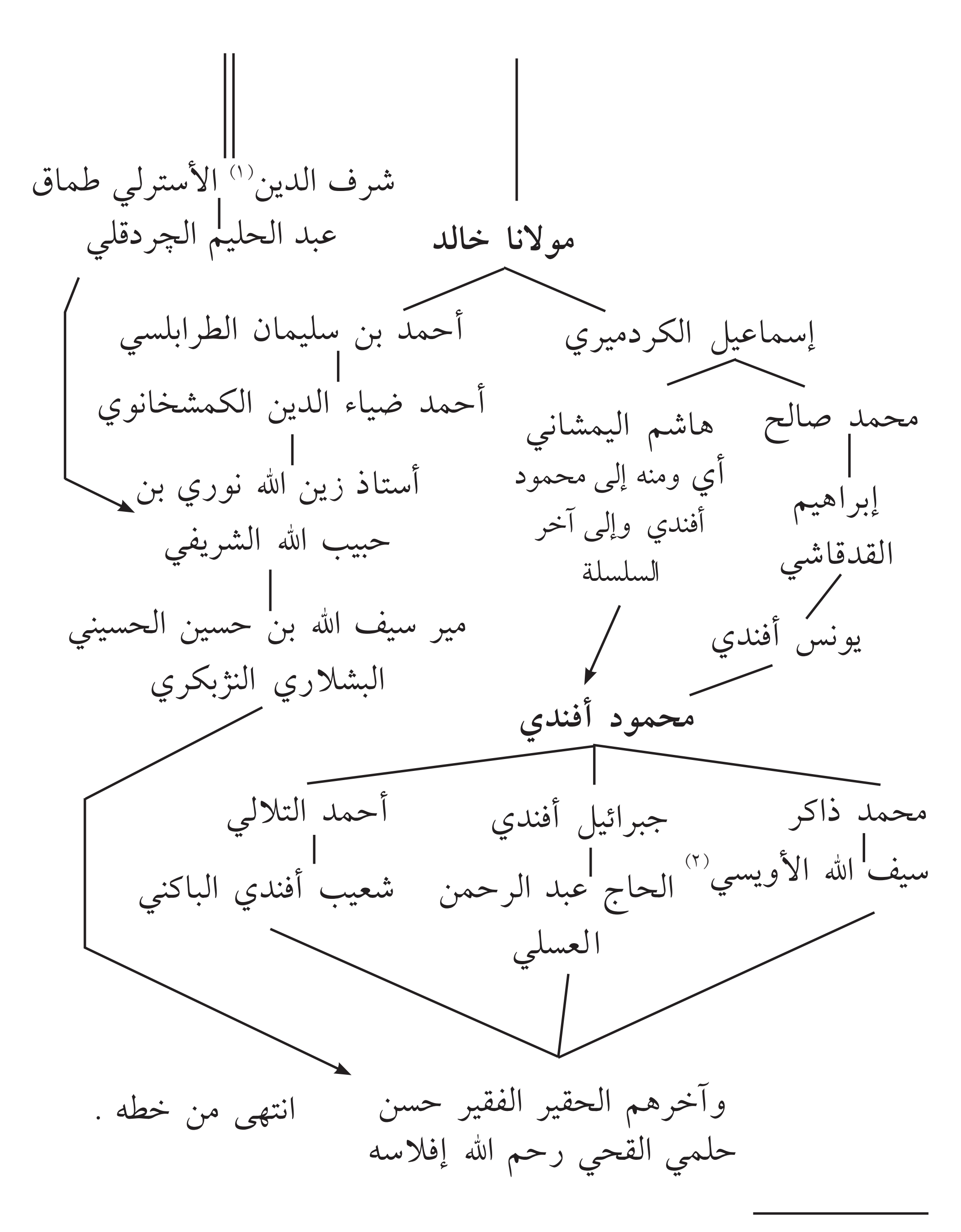
وما قيل : من أن متأخري مشائخ النقشبندية يجرون سلسلة أخذهم إلى أبى بكر الصديق بواسطة سلمان الفارسي رضي الله عنهما ويذكرون ذلك في إجازاتهم ؛ وهذا شيء لم يثبت عند أهل نقل- فمدفوع ومردود عليه . كذا في « الرشحات » مع بسط تام فراجعه في ٧ تجد البيان (منه رحم الله إفلاسه ؛ آمين) .

(١) وما قيل من أن أبا يزيد لم يلق جعفر الصادق بالجسمانية فهو مردود ؛ كما هو مبيّن في « الكشكول » وفي« الفيوضات الخالديّة » بالبسط الشافي فراجعهما (منه ؛ رحم الله إفلاسه آمين) .

(٢) المتوفى سنة إحدى وتسعين وسبعمائة « كشف الظنون » ٧١ ج١ .



خواجه عبيد الله أحرار
محمد زاهد
قاضي محمد
درويش محمد
خواجكي الإمكنكي
السمرقندي
مخدوم أعظم
كاساني
محمد الباقي
الإمام الرباني أحمد الفاروقي السرهندي مجدِّد الألف الثاني
ابنه ميان محمد معصوم
ابنه محمد سعيد
محمد سيف
الدين محسن
أحمد المكي
حاج الحرمين
ابنه عبد الأحد
محمد عابد السنامي
ومنه إلى حبيب الله
جان جنان إلى آخر
سلسلة ، فافهم .
السيد نور محمد
حبيب الله
خداي
حبيب الله جان جانان
محمد عبد قلى
عبد الله الدهلوي
شيخ ملاًّ
إدريس
خليفة نيازقلي

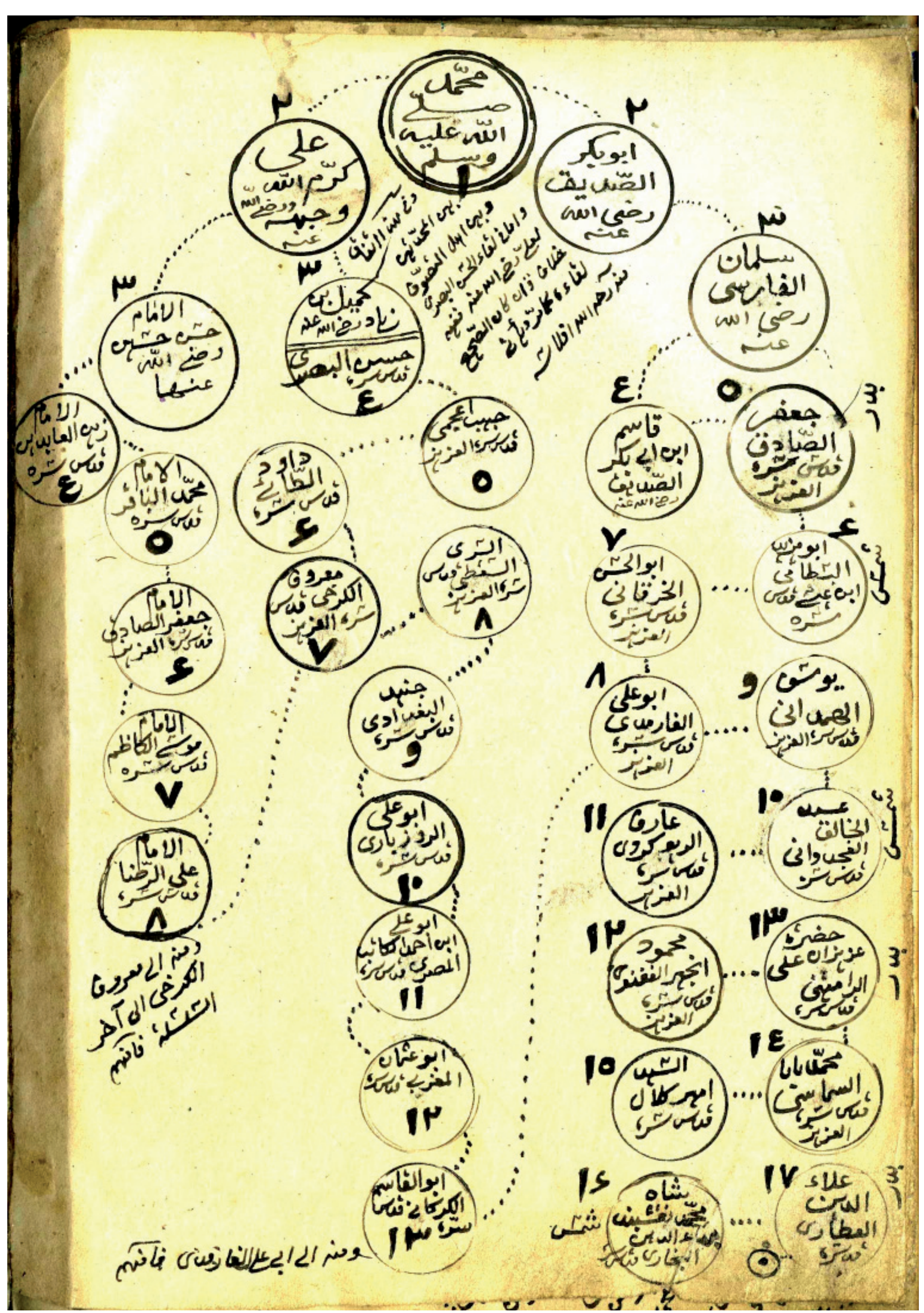


انتهى من خطه .

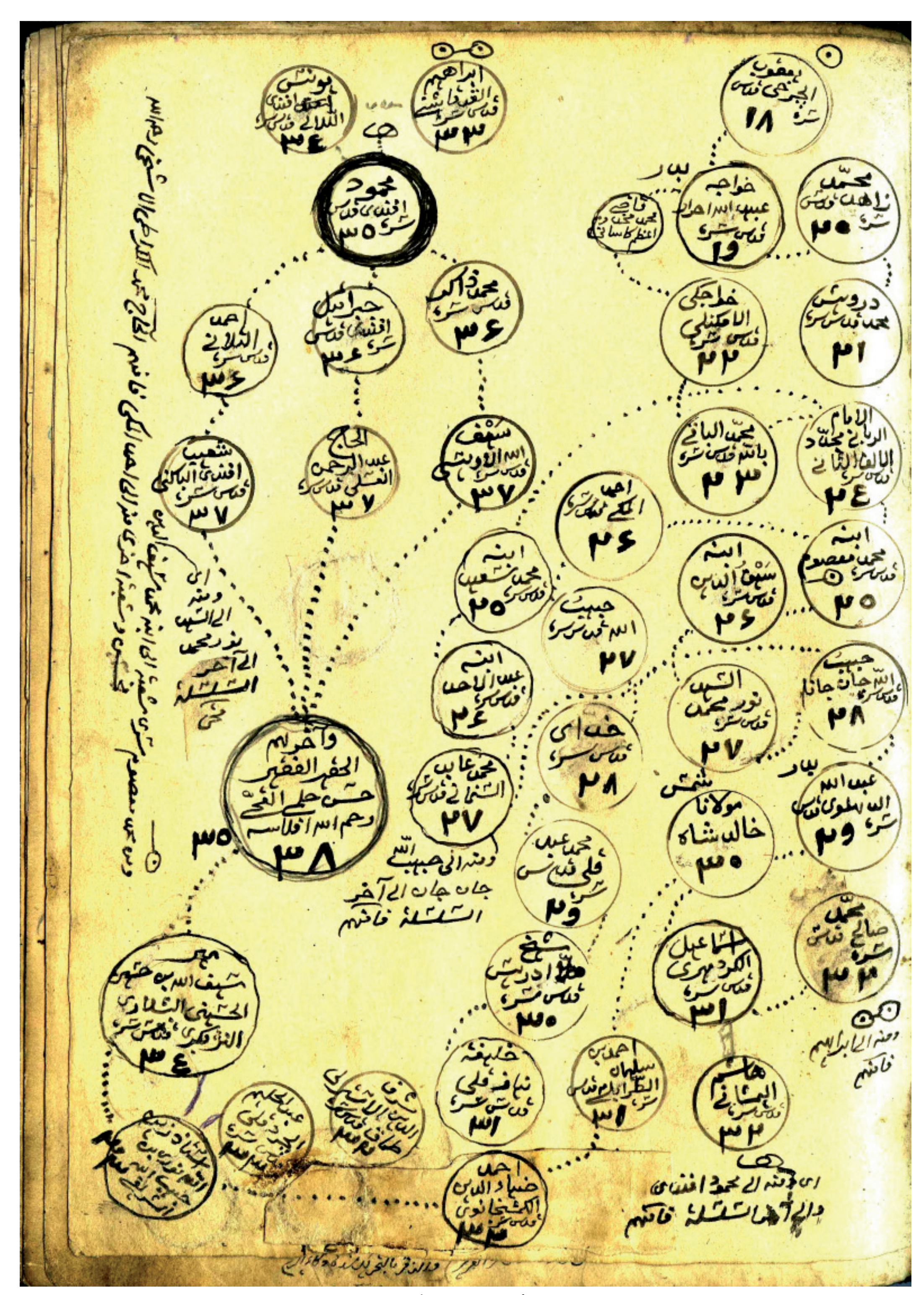
---

(١) وفي نسخة : الأشربي لحماق .

(٢) وكان الشيخ سيف الله مريداً لمحمد ذاكر في ابتداء أمره ، ثم إنه لقي روحانيته بعد موته بروحانية محمد ذاكر ، وأجازه وسمَّاه أويسيّاً . كما كتبه في بعض مكاتيبه إلى هذا الحقير ، وقال لي مشافهة : إني أجزتك يا ولدي في الأويسية وكتب ذلك في آخر مكاتيبه ، ولذا اتصلت سلسلته من هذه الجهة . فافهم ! (منه) .



مأخوذة من الأصل



مأخوذة من الأصل

وأما الشاذلية ؛ فقد أخذتها من الشيخ سيف الله الحسيني ، وأجازني فيها أيضاً بالإجازة المطلقة العامة عن مشائخه ، وأكَّدني الأمر بانتشارها .

والسلسلة فقد نظمها أخونا في الله غازي محمد ، ووضعتها هنا ، ونصُّها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، والعون من الملك العليم ، وأنا المفتقر إلى الباري غازي محمد العوري :

هذه سلسلة السادات الشاذليين ، نظمتها لمن أراد حفظها من إخوان الدين ، وإن كنت أقصَرُ باعاً في هذه الوظيفة ، وأبعد قريحة وملكة عند أهل هذه القضية ، قدس الله تعالى أسرارهم العلية ، وأفاض علينا من فيوضاتهم الجلية ، راجياً إلى بركاتهم ، ومستنجياً بحرمة أنفاسهم :

فحَمْداً لـمولانـا كثيـراً وأكثرا   صلاة على مَن خصَّه الله بالإسرا

إلهي أُناجيك بهذي الـطـوائـف   وأوَّلـهـم طه الذي أحرز الفخرا

محمد المختار في دينه اقتـدت   طرائق أهل الله من نشرها العطرا

قد اكتسبوا من نوره كل نورهـم   فـأجروا به ما في طرائقه أجرا

يليه أميـر الـمؤمنين عليُّهم   قد اختاره المختار عوناً له صهرا

فسبط حبيب اللهِ سيِّدنا الحسنْ   قـريرُ عليٍّ عينُ فاطمة الزهرا

ومن بعـده جـاء مُـحدِّثنا أبو   مـحمدْ باسم جابرٍ بينهمْ شُهرا

فقطبٌ سعيدٌ ثم فتح السعود ذا   كذلك قطبٌ قد غدا ذهباً نضرا

فسعد سعيد ثم مروانـي أحـمد   فإبراهيم البصري زاد بهم طورا[1]

---

(١) الطور : الحال والهيئة . (هامش الأصل) .

فقزوينيٌّ زينُ الدين زادت فيوضه كذلك شمس الدين دام به الخيرا

أباهي بتاج الدين كذلك نور الدين وبــعده فــخر الدين منَّتنا الكبرى

يليه تقيُّ الديـــن قـــبلةُ فيضـــنا كـذا عبد الرحمن بدا أمره إمرا[1]

بحرمة هذا القطب عبد السلام مَن أفــاض لأهـــل الله فيضاً معطرا

بسيدنا قطب الأنـام أبـي الحسـن عــلي شاذليٍّ غوثنا قد علا قدرا

بحقِّ أبي العباس فابن عـطاء الله وســيدنـا داود يــا حـبّذا البدرا

محمدنا بحر الصفا بن الوفى علي بصحبة يحيى قد وفوا نعمة تترى

فهذا أبو العباس أحـمد فـسيِّدي بزرُّوق يدعــى أحمد يمطر الدُّرَّا

فعارفنا إبراهيم التـونـسي الـذي يليه علي الصنهاجي من فيضهم دَرّا

فمجذوب عبد الرحمن الفاسي يوسفُ كــذا عبد الرحمن لعمدتنا الكبرى

فــسيِّدُنا العـــالي مـحمدْ فقاسم خــذوا بأيادينـا إذا استقبح الأمرا

أيا أحمـــد يا سـيدي العربي ويا أبا الحسن الميمون حازوا[2] المفاخرا

إلهي بحق السيـد العـــربي كـذا مــحمد فنجير جزينـــا بهم خيرا

وزاهدنا الشيخ الحبيب[3] الذي غدا كــأنفَس يـــاقوت ومسك مذَفَّرا[4]

محدِّثنا السامي وسيدنا الجــلــي محمـــد عـلي الـوتريِّ نعمتنا الغرَّا

وحـــافظنا الحاجُّ محمدُ صـــالح بخوض بحار الفيض استغرق العمرا

---

(١) أي عجباً .

(٢) وفي نسخة : حاز .

(٣) هو حبيب الرحمن الكاظمي الرضوي قدس سره العزيز . (هامش الأصل) .

(٤) والذفر – بالتحريك – : شدَّة ذكاء الريح . « مجمع البحرين » . (هامش الأصل) .

رجائي بسيف الله روحي فــداؤه ... فكم من بحار العلم قد قذف الدرا

أيا كيمياء الحلم[1] كعبة فــــيضنا ... لعَلِّي بفضل منك لا يعكس الأمرا

أغثنا بسادات بــخاتمهم حـــسن ... بـأنوارهم قـد قلَّدوا الناس جوهرا

فأنتم نجوم للهدى كـل حـــالة ... ونقفوا بمسراكم فما أحسن المسرا

أيا مَن يروم ديــن طــه مجاهداً ... بربِّك ذكِّرهـم عسى تنفع الذكرى

صــلاة عــلى خير الأنام محمد ... وآلٍ وصـحب ما علا أحمدٌ قدرا

فــعند ختام النـظم قـــال مُثنِّياً ... فــحمـداً لــمـولانـا كثيراً وأكثرا

انتهى . فالحمد لله على الدوام

وأما الطريقة القادرية ؛ فقد أجازني فيها الشيخ المذكور قدس سره مشافهة ، وقد كان كتب في بعض مكاتيبه بأنه على قصد إلقاء قلادة تلك الطريقة على عنقي ، بَيْد أنه لما مات ولم يكن كتب سلسلة أربابها وسندها كما كتب في غيرها بقلمه ، لم أُلَقِّن لأحد شيئاً من أورادها .

وقد كتب إليَّ قدس سره قبل موته ما نصُّه : ثم اعلم أيها الولد الحبيب أن شأن الدنيا هكذا ؛ كل وقت تؤخِّر المرء عن المطلوب المرغوب ، وعن إظهار محاسنه بالآمال والحرص ، وكانت لي أمور كنت أريد بسطها لكم ، بيد أنَّ الله تعالى أوقع الحيلولة بيني وبينها ، ولم أقدر لإفشاء سرٍّ حفظته في دهري بلَعَلَّ وعسى ، بيْدَ أنَّ الله تعالى جعل في كل شيء حكمة إلهية لا يدركها إلا مَنْ خصَّه الله تعالى لها ، وجميع ما وقر في صدري صببته في صدرك ، وجعلتك وارثي وخليفتي عند الله تعالى في عباده ، وفي جميع الإجازات التي أُجِزْتُ ، فقد أجزتك في جميعها ، وكذا في

---

(١) العلم .

الثبات العلمية ، والطريقية ، والأويسية ، فإن ساعدني الإله في الأجل – ولو قليلاً– فسأكتبها لكم بقلمي من قلم ساداتنا ؛ كزين الله الشريفي المعموري ، والسيد أحمد الأماسي ، ومحمد صالح الخان كرماني ، ومحمد نور البخاري ، والشيخ حبيب الرحمن الكاظمي المدني .

وما لم تصل لنا الشجرة[١] بالرسم إلا بالقول المحض ؛ فلا نذكره . . . إلخ .

انتهى من خَطِّه نوَّر الله ضريحه ، وأبلَّ مرقده بلطفه الخفيِّ ، آمين .

وكان قدس سره قبل موته بسنين كتب لي بيده الشريفة صَكَّ الإجازة مع بيان الأسانيد ، كما بيَّنتُ ذلك فيما سبق ، وسأذكره بالتمام كما كتبه شيخنا العسوي قدس سره .

وكتب إليّ الباكني قدس سره أيضاً مكتوباً بطلب نظري إلى مريديه ، كما أمرني بذلك مشافهة مع مجمع من العلماء وغيرهم في حجرته . هذا مع كونه قدس سره قد كان كتب لديّ قبل ذلك بما نَصُّه : واعلم يا أخي أنَّ لنا من الإخوان نحو عشرة أو أكثر ممن تكملوا تجلِّيات[٢] الأفعال والصفات[٣] ويظهر له رُوحانية النبي ﷺ ، فلم يصدر لواحد منهم

---

(١) وهو صكُّ الإجازة . (منه) . (هامش الأصل) .

(٢) **التجلِّي** : ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب ، إنما جمع الغيوب باعتبار تعدُّد موارد التجلي ، فإنَّ لكل اسم إلهي بحسب حيطته ووجوهه تجلِّيات متنوعة . « تعريفات » السيد . (هامش الأصل) .

(٣) التجلِّي الصفاتي : ما يكون مبدؤه صفة من الصفات ؛ من حيث تعيُّنها وامتيازها عن الذات . « تعريفات » (هامش الأصل) .

والتجلِّي الذاتي : ما يكون مبدؤه الذات ، من غير اعتبار صفة من الصفات معها ، وإن كان لا يحصل ذلك إلا بواسطة الأسماء والصفات ! إذ لا يتجلَّى الحقُّ من حيث ذاته على الموجودات إلا من وراء حجاب من الحجب الأسمائية « تعريفات » للسيد الشريف . (هامش الأصل) .

مِنَّا إذنٌ خاص فضلاً عن الإذن المطلق . انتهى من خطه . وكان قدس سره يلاحظني ويلاطفني ويلقِّنني المراقبات كما لقَّنه شيخه أحمد التلالي قدس سره **إلى أن يدخلني في دائرة المشرب المحمدي**[1] ، وقال : إنَّ

---

(١) وقد كان الكل من أشياخنا الثلاثة قدس الله أسرارهم محمديّ المشرب ، ولذا نقول : إنهم كانوا أقطاباً بدليل ما قاله الإمام الربَّاني قدس سره في « مكتوباته » بما حاصله : أن القطب يكون محمديّ المشرب ، والمحمديّون لهم التجلِّي الذاتي* . انتهى رجعه في ٥٢٣ ج١ .ولا يلزم أن يكون القطب شريفاً حسينيّاً** ، بل قد يكون من غير هذا القبيل ، كما هو نصُّ ما في « لطائف المنن » لابن عطاء الله . فراجعه . **لكن كان مراقبات شيخي الأخير سيف الله قدس سره أعلى من مراقبات شيخنا العسلي وشيخنا الباكني بإحدى وعشرين درجة** ، بيد أني سمعت الشيخ الباكني يقول : إنَّ تلك المراقبات تكون مطوية في المشرب المحمدي إجمالاً ، وقد صدَّق قوله شيخُنا سيف الله حين كتبت لديه ما قاله الباكني ، ويؤيِّده ما في « النفائس السانحات » .فراجعه : وما من بلدة إلا وفيها قطب ، كما هو مذكور في « تنوير الصدر » شرح « حزب البرّ » ، (منه رحم الله إفلاسه) .

* التأنيس هو التجلي في الظاهرة الحسية تأنيساً للمريد المبتدىء بالتذكية والتصفية ويسمى التجلي الفعلي لظهوره في صورة الأسباب .

** وفي نسخة : حسبياً .

والتجلي الأول هو **التجلي الذاتي** ، وهو تجلي الذات وحدها لذاتها ، وهي الحضرة الأحدية التي لا نقب فيها ولا رسم إذ الذات وجود الحق المحض لأن ما سوى الوجود من حيث هو وجود الحق ليس إلا العدز المطلق ، وهو اللاشيء المحض إلخ ، والتجلي الثاني هو الذي تظهر به أعيان الممكنات الثابتة التي هو شؤون الذات لذاته تعالى ؛ وهي التعين الأول بصفة العالمية والقابلية لأن الأعيان معلوماته . . إلخ .

التجلِّي الشهودي : هو ظهور الوجود المسمى باسم النور ؛ وهو ظهور الحق بصور أسمائه في الأكوان التي من صورها ، وذلك الظهور هو نفس الرحمن الذي يوجد به الكل . التحقيق : هو شهود الحق في صور أسمائه التي هي الأكوان ؛ فلا يحجب المحقق بالخلق عن الحق وبالحق عن الخلق . انتهى . « متممات جامع الأصول » . ٩٦ .

وفي الحقيقة المحمدية والأحمدية تظهر المحبوبية الذاتية ، ومعنى هذه العبارة : أن=

الشيخ التلاني[1] قال **بأنَّ الشيخ محمود أفندي لم يُعلِّم أحداً ما فوق هذه المراقبة**[2] . انتهى .

=الذات المتعالي كما يحب ذاته يحب صفاته . فالأول يقال له الحقيقة المحمدية ، والثاني نسأله اسم الخلة وإن كان هو الحقيقة الإبراهيمية . وفي هذا المقام يحصل للسالك أنس مع الذات حتى لا يتوجه إلى غير حضرة الذات ولو أسماء وصفات ولا إلى مزارات المشائخ ، ولا يطيب له الاستمداد والاستعانة من غيره تعالى ولو أرواح وملائكة . « جامع الأصول » .

(١) كذا في الأصول بالنون .

(٢) حتى كان الشيخ العسلي قدس سره يذهب لدى أحمد التلالي لطلب الفيض بعد موت شيخه جبرائيل أفندي ، وكان الشيخ الحافظ شعيب الباكني بعد موت شيخه التلالي يذهب لدى الشيخ العسلي ، ويطلب منه سلوكه إلى ما فوق مقامه ، ويقول له : مَنْ ينظرُ إليَّ الآن إلا أنت ؟ ! كما أخبرني بذلك مشافهة .

وكان الشيخ مصطفى أفندي يسأل الشيخ العسلي بمسائل . ويطلب منه الإرشاد .

وأما هذا الحقير الفقير فلي بهم أسوة ، فلمّا مات شيخي العسلي سلكت على يد الشيخ الباكني ، وعلّمني مرتبتين من المراقبة ، وأجازني أيضاً ، فلما مات هو ، وبقيت على تلك الحالة ، ذهبت لدى قطب الوقت سيف الله الحسيني فسلكت على يده سنين ، **وقد كان مراتب مراقباته ومقاماته أزيد دائماً من مراقبات الشيخين المذكورين بإحدى وعشرين درجة** ، وكان نقشبندياً أويسياً شاذلياً قادرياً ، وأجازني أيضاً بجميع ما أجازه أشياخه ، ومات هو فبقيت كالصبي إذا ماتت أمُّه .

وقد أكَّدني جميعهم بإرشاد الخلق ، ولم يكن لي بُدٌّ من امتثال أمرهم . رزقنا الله الاستقامة . آمين .

فإن قيل : هل يجوز لمريد أن يذهب لدى شيخ غيره إذا مات أو غاب ؟ !

فالجواب : يجوز له ذلك في تلك الحالة ، فقد قال في كتاب « حزب الرحيم » : **وقلَّما أفلح** مريد فُطم قبل أوان فطامه ، بل متى مات شيخه أو فَصَلَه عنه عارض وكان له نائب أو خليفة تعيَّن عليه ملازمته برسم ما كان عليه مع الشيخ ، ومتى لم يُخلِّف نائباً ولا خليفة لزمه الانتقال إلى مرشد أو شيخ يتخذه في بقيَّة سيره . انتهى ١٣١ ج١ .

وقد سمعت شيخنا العسلي قدس سره يقول : إنَّ شيخه قال له : يا ولدي ؛ إنِّي أرقيتك إلى كل مقام أعلمُ ، فإن وجدت مَنْ يعلم فوق ذلك فَلَك منِّي الإذن لذهابك=

وصورة ما كتبه - قدس سره - هذا :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من فقير الله تعالى ، الطويل أملاً ، القصير عملاً ، وأحوجهم إلى من لا مثل له في العلى شعيب الباكني القصرخي ، إلى من اتحدت حقيقته معه في جهة الوحدة الذاتية والعرضية ، وطينته في الصفات الثبوتية والسلبية ، زين أهالي البلاد ، رمد عيون الحُسَّاد والأضداد ، المرشد الكامل ، والفرد الواصل ، أخينا من صميم الفؤاد العالم الألمعي ، حسن أفندي القحي ؛ السلام عليكم ، والرحمة لديكم ، ووفّقكم الله تعالى لقطع مقامات الفناء ، ووصول درجة البقاء ، بفضل ذي العزَّة والكبرياء ، آمين .

أما بعد ؛ فاعلم أيها الأخ العزيز ، والذهب الإبريز أنه قد وصل إلينا رسالتان[1] من جنابكم العالي وطرفكم الغالي ، فبه اطمأنّ قلوبنا ، واستراح نفوسنا ، فرضي الله تعالى عنّا وعنكم وأرضاكم ، وجعل جنّة ملاقاة الله تعالى متقلّبكم ومثواكم .

ثم إعلامٌ لكم بأنّا قد ابتُلينا بمخالطة الإخوان والأضداد ، والدوران في الطول والعرض في البلاد ، فلعلّ الله تعالى يجعل عاقبة أمورنا خيراً ، ويرزق الملاقاة بالأشباح فوراً ، فإن التلاقي بالأرواح متلازمة ومتوافرة ،

=لديه . انتهى .

قال قدس سره : إني طلبت في إستانبول مَنْ يعلم المراقبات المجدِّدية فلم أجده ، حتى أنِّي طلبت في مكة فلم أجده ، ووجدته في المدينة ، لكني كنت مريضاً ، فلم يمكن لي أن أذهب لديه . انتهى .

هذا مما يجوز ، وإنما الممنوع أن يتردَّد المريد لدى هذا ولدى هذا في حالة واحدة ، كما بيَّنّاه في « تنبيه السالكين » . والحمد لله رب العالمين . (منه رحم الله إفلاسه ، ورزقنا أنواره) .

(١) وفي نسخة : رسالات .

والالتفاتات بمعونة المشائخ العظام متظافرة ومتكاثرة ، فلعلّ الله تعالى وأولياءه لايقطعون عنّا وعنكم نظراتهم بالرحمة والشفاعة والبركة ، فإنّه تعالى على ذلك قدير ، وبالإجابة جدير ، فلعلّكم تجتهدون لملازمة مراقباتكم ، وإرشاد الخلق إلى مواصلاتكم ، **فإنّ مواصلتكم ـ إن شاء الله تعالى ـ مواصلة إليه تعالى وقربه** ، ولا تنسونا من دعواتكم المستجابة ، والتفاتكم المتحابة ، وتلتفتون إلى إخواننا في ناحية هيد ، فلعلّهم ينتفعون بكم ، ويتقرَّبون إليه تعالى بواسطكم ، ونحن ـ إن شاء الله تعالى ـ على قصد الارتحال إلى ولاية چار بعد أيام التشريق ، فلعلّكم تدعون لنا بهدايتنا إلى سواء الطريق ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم . انتهى في ليلة الأحد ٢٤ من ذي القعدة الحرام سنة ١٣٢٨ انتهى . من خطّه قدس سره .

وقال ـ قدس سره ـ في مجلس الاجتماع لقراءة الصلاة على النبى عليه السلام في قرية قَوَخْشُلي : إنّه أذن لي وأجازني ، هكذا كتبه بعض العلماء الكائنين في ذلك المجلس ، وذلك قبيل موته بأيام ، نوّر الله ضريحه ، وحشرنا في زمرته .آمين .

وأما نصُّ ما كتبه العارف محمد عبده المكي(١) ؛ هذا :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ؛ سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أمّا بعد ؛ فإنَّ أحسنَ ما يُهدى من الحرم الشريف المحترم ، وألطف ما يُسدى من الحطيم والملتزم ، سلامٌ لاح برقه من سماء البيت الحرام ، وثناء فاح عطره من جمال زمزم والمقام ، نخصُّ بذلك حضرة أخينا في

---

(١) وإيَّاك ثم إيَّاك والتوهُّم أنه محمد عبده الذي هو رئيس الوَّهابيَّة ! ! فحاشا ذلك ثم حاشا ، بل هو من أكابر علماء مكة ، ومن أهل السنَّة والجماعة . فافهم ! (منه) . (هامش الأصل) .

الله سبحانه ، والدَّال عليه ، حسن أفندي القحي الهدلي ، خليفة العالم الربَّاني ، والقطب الصمداني ، المرشد الكامل ، المرحوم المبرور ، الشيخ الحاج عبد الرحمن أفندي العسوي قدس الله سره العزيز ، ونوَّر ضريحه . آمين ، آمين ، آمين .

وبعد إهداء ما يليق من التحية والإكرام ، والدعاء لكم في المشاعر العظام ، قد ورد لنا في هذا العام المبارك أخونا في الله الحاج محمود بن الحاج الطدي الهدلي ، وعرَّفنا أنكم خليفة الشيخ المرشد المرحوم ، وبلَّغنا منكم السلام ، فعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ، وسألنا بلسانكم : أهَل تأذن[1] لكم في إجازة « دلائل الخيرات » للأغيار ؟ فنعم ، إننا قد أذنَّا للمرحوم قدس سره أن يأذن لمَنْ كان أهلاً لذلك ، قراءة وإجازة بعد التصحيح والمقابلة ، وقد أذنت لكم بإذني المطلق العام من مشائخي رحمهم الله تعالى أن تأذنوا لكل مَنْ قرأ عليكم « دلائل الخيرات » ، ومَنْ كان أهلاً لذلك ، وأرجوكم أن لا تنسوني من دعائكم الصالح خلف قراءتها والذكر .

ولا يخفاكم أننا كنا معتادين في كل عام بأخذ الأبدال للحج ، وندفعها بمعرفتنا لمَنْ نعتقد دينه وأمانته ، وأنَّ ناساً كثيراً من معارفنا الصلحاء متعوِّدون بأخذها منّا ، حيث أنَّ الدالَّ على الخير كفاعله ، فأريد منكم بتوفيق الله إياكم أن تبعثوا لنا إن شاء الله في كل عام في زمن الحج ما استطعتم من الأبدال مع رجالكم الذين يأتون لأداء الفريضة ، وتوصون مَن تعرفون من رجالكم أن يأتي إلينا في باب السلام ويسأل عنَّا ، والسلام عليكم وعلى جميع المريدين ، ودمتم في مستمد الدعاء . الفقير إلى الله تعالى ، راجي غفران الذنوب والمساوي ، محمد عبده[2] بن الشيخ محمد

---

(١) وفي نسخة : أهل نأذن .

(٢) ومن عجيب كشف محمد عبده : أنه كان في رجال قرية قحه دعوى في حق=

الحضراوي ، بمكة المشرَّفة في باب السلام ، حفظه الله تعالى وحسن رعايته سنة ١٣٢٦ في يوم ١٦ من ذي الحجة ، محمد عبده ، انتهى من خطِّه قدس سره .

وقد كتبنا فيما سبق سلسلته المتصلة به رحمه الله تعالى ، وأفاض علينا من بركات أمثاله . آمين .

وقد سمعت شيخنا العسوي قدس سره يقول : إنه طلب في مكة منْ هو الأفضل فيها ، فدلَّه الناسُ إليه ، وأشاروا أنه هو الفاضل ، وأخذ منه الإجازة لـ« دلائل الخيرات » . انتهى .

وصورة ما كتبه شيخنا قطب الإرشاد الحاج عبد الرحمن العسلي قدس سره في صَكِّ الإجازة هذا :

بسم الله خير الأسماء ، ولله الحمد والثناء ، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد ، وعلى آله المُجتبى ، بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين ، الحمد لله الذي خلق الإنسان لمعرفته ، وكرَّمه وخصَّه بالبيان ، ونعَّمه ، وأمره بالعبادة ، وصيَّرها أقوى وأتمَّ وسيلة القربة والمعرفة ،

=إقامة الجمعة في مسجدين في قريتيهم فطال الدعوى في سنين عديدة ، ثم أنه لما قصد أخونا الحاج العالم محمود الطدي إلى سفر الحج جاء لدي للوداع فاخبرته خبر ما قاله شيخنا العسوي في حق محمد عبده المكي ، وأوصيته بزيارته لديه وإبلاغ السلام ، فحين ذهب الحاج محمود بالوداع ، وأخذ اليد قد ظننت وقتئذ خبر الجمعة وندمت على أني نسيت أن أكتب لديه المسألة . قال الحاج محمود : إن محمد عبده قد تفحص من حالي وكتب لديّ الكتاب وسلّم إلى يده رسالة وقال : خذ هذه الرسالة لدى حسن أفندي وهي مني هديّة له ، فقال الحاج محمود : إنه نظر إلى الرسالة فوجده رسالة مؤلفة في حق الجمعة ولذا لم يرض عليها ، وخطر أن يقول له : اعط بدله كتاباً في السلوك ، بيد أنه استحى أن يقول له ذلك ، فأخذها وسلّمها إلى يدي حين رجع من سفره ، فحين نظرت إليها وجدتها رسالة كأنها صنّفت في حق عين ما وقع في قريتنا . فانظر إلى اطلاعه ما خطر في قلبي فقد صدق القائل : **قلوب العارفين لها عيون يرون ما لا يراه الناظرون** . (منه رحم الله إفلاسه ، آمين) .

وعلمها ، وبيَّن له طريق الحقِّ في مسالكه ، ويسَّره ، وأُسلِّم على شرف خلقه محمد خاتم النبيّين وإمام المرسلين ، وعلى آله وأصحابه قدوة السالكين وزبدة الواصلين ، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، وعلى العلماء المجتهدين والأولياء المرشدين .

وبعد ؛ لا يخفى على زمرة أولي الألباب أنَّ مُناسك الشريعة المحمدية ، وسالك الطريقة الأحمدية - أعني به : **الكامل الفاضل ، العالم الحسيب النسيب ؛ حسن ابن محمد القحي** صانه الله تعالى عن مضرَّات الكونين - لما اختار العزلة عن أهل الهوى ، وقصد إلى صحبة الصلحاء والعرفاء رضاء للمولى ، فللَّه الحمد على حصول ما طلب ، وحصول ما عزب[1] ، وجهد حتى وجد ، هكذا وجد مَن جهد ، لقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا ﴾ الآية ، قد نزل[2] إلينا ، وتبيَّن فضله لدينا ، حيث توسَّل إلينا ، واشتغل بالرياضة والعبادة والذكر والسلوك المشهور بيننا ، بعد إنابة منَّا ، ولقَّنَّاه بلفظ الجلال بترتيب اللطائف ، وعلَّمناه رسوم التفريد بالكلمة الطيبة ، وأعلنّاه مراتب التوحيد ، ووصَّيناه أركان السلوك في الطريقة ، مع إمعان النظر في ظاهر الشريعة ، وشرطنا عليه ما هو مشروط على سالك طريقتنا النقشبنديَّة العليَّة ، ورخَّصناه بالتلقين ذكرَ السلوك ، للوصول إلى ملك الملوك ، ويجعل الله تعالى جلَّ سلطانه الطالبين في أمامه كالميت بين يدي الغسَّال ، بفضله المتعال .

والشرط الأهم في وصيَّتنا الاستقامة ، ثم الاستقامة ، وترك الشغل للشغل ، وإحياء السنة واتِّباعه ، والاجتناب عن البدعة والمباح الفضول ، والله الهادي إلى الوصول ، ومنه الرشاد . وسنن التربية مشهور ، ونحن عن كتابتها معذور ، والله الهادي إلى الرُّشد وإليه المآب .

---

(١) في نسخة : ما رغب .
(٢) خبر أنَّ .

وأنا الفقير المسكين الحاج عبد الرحمن النقشبندي العسلي ، حُرِّر في سنة ١٣٢١ . انتهى من خطِّه قدس سره .

وصورة ما كتبه القطب الربَّاني سيف الله الحسيني قدس سره في صَكِّ الإجازة في الشاذلية هذه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، ثقتي بالله تعالى ، حمداً لمن جعل الاستقامة فوق الكرامة ، وجعلها خلاصة للشريعة البيضاء ، ورأس مال للطريقة والحقيقة ، وشكراً لمن ألهمنا الوقوف على بابه ، مستنداً على عظمة ألوهيته بسعة رحمته ، بعد الاعتراف بالعجز عن أداء حمد لم تحصه ألسنة البلغاء ، وحار فيه الأنبياء والأولياء ، حتى أقرَّ أكملُ أفرادهم بعدم إحصاء الثناء .

اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت أنت[1] على نفسك ، والصلاة والسلام على أفضل حظيرة قدسك ، وعلى آله وأصحابه ، ما وصل واصل إلى مغفرتك وأنسك .

وبعد؛ فلما كانت الإجازة في طريق أهل الله تعالى وفي العلوم أيضاً الموصلة إلى الله سبحانه عز وجل من أنفع ما يكون لمن سلك تلك المسالك في الرياضات ، ودخل في جملة من سَرَتْ أسرارهم إلى حضرة الحضرات ، وخاض في عالم الملكوت ، واطَّلع على لمح من لوامح اللاهوت ، فاشتغل بذكر الملك المتعال ، وصار من أرباب الأحوال ، وسلك في سلك الذاكرين ، وعمل بمقتضى قول رب العالمين ﴿ **وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ** ﴾ وكان من أحبابنا مَنْ سلك هذا الطريق القويم ، ونهج المنهج الواضح المستقيم ، وشمَّر في طلب الحقِّ عن ساعد الجدِّ والاجتهاد ،

(١) في نسخة : كما أثنيت على نفسك .

ولازم الأخذ والتلقين عن أبطال الرجال وأكملهم ذوي البصيرة والأمداد ؛ العالم الكامل النجيب ، والناجح الفاضل الأديب ، الشيخ أبو محمد حسن الحقي بن محمد القحي الهدلي الداغستاني ، أدام الله تعالى له المدد ، وبه النفع لكل أحد . آمين .

وحين مَنَّ الله تعالى بالاجتماع به - نوَّر الله قلبه وقلبي بنور الإيمان والإحسان ، وأفاض الله عليَّ وعليه من بحار الحقائق والمعارف والإيقان - ، حمل حسن نيَّته ، وصفاء طويّته ، على أن يستنير هداه بما عند العبد الحقير الذي ليس في العير ولا النفير ، لاستنشاق سرِّه الصافي السديد من كل حسنٍ وكمالٍ بلا ريٍّ بقوله هل من مزيد . **فاستدللت بذلك بعد الاستخارة المعهودة من السادات الصافية على كماله ، واعتنائه بضمّ** ما عند غيره إليه واحتفاله ، لينتظم أيضاً في سلك ساداتنا الأفاضل ، ويتصل سنده ونسبه المعنوي من أكثر الجهات إلى سيّد الأواخر والأوائل ، فأَسْعَفْتُهُ بما عندي رجاء للنفع العام ، ورجاءَ الدعوة لي منه بالتوفيق وحسن الختام ، **فأجزته بفضل الله سبحانه وتعالى بالطريقة العلية الشاذلية المدنية** قدس الله أسرار أهاليها ، ونفعنا بخلّص ساداتها .

وبعد أن علمتُ أمانته وصلاحيته في باقي الطرق التي ائتمنوه السادات ، وأجازوه[1] القادات ، بناء على حسن ظنِّنا إليه ، والله علاّم الغيوب ، وستّار العيوب ، وأذنتُ له بجميع ما أجازني بها مشائخنا - قدس الله أسرارهم ، وأعلى الله درجاتهم - من قراءة الوظائف الشاذلية صباحاً ومساء ، التي أوَّلُها الصلاة المشيشية الممزوجة ، وفي قراءة الورد كل يوم بعد صلاة الصبح وبعد الصلاة المغرب إذ هو (لا إله إلا الله) عدد ١٠٠ ، (أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه) عدد ١٠٠ ، (والصلاة) عدد ١٠٠ ،

---

(١) لعله من قبيل ؛ قتلوني البراغيث ، فافهم .(هامش الأصل) .

والمداومة على ذكر الله تعالى حتى يكون له كالغذاء ، وعلى الطهارة الحِسِّيَّة والمعنوية ، والعفو عن الأُمَّة المحمدية .

وأساس ذلك كله تقوى الله تعالى ، ومراقبته في السّرّ والعلانية ، كما تلقيت ذلك كذلك من السادات أرباب الأحوال العاليات كشيخنا العالم المتبحِّر الأوَّاه أبي إبراهيم محمد صالح الأجُويّ الكرمانخاني ، والعارف بالله تعالى محدِّث الروضة النبويّة في المدينة المنوَّرة ، ذي الجناحين ، سيدي السيِّد محمد علي ظاهر الوتري الحسيني ، وهو عن الزاهد أيضاً المغني عن بيان صفة شهرته لدى الأهل الشيخ سيدي حبيب الرحمن الكاذمي الرَضوي ، إلى منبع[١] السلسلة الشاذليّة المذكورة من قبل[٢] .

وقد أجزت الكامل المُومَى إليه بأنْ يجيز بذلك كلَّ مَنْ رأى فيه أهلية الفيض الإلهي إجازة تامَّة ، مطلقة عامة ، في حياتي وبعد مماتي ، ولا ينساني من صالح دعائه عقب الورد ، وفَّقني الله وإيَّاه لما يحبُّه و يرضاه . . . إلخ .

قاله بفمه ، ورقمه بقلمه ، العُبَيدُ الحقير ، المعترف بالعجز والتقصير ، خادم الفقراء وأقلُّهم ، أبو أرسلان خالد سيف الله الشّاذلي النقشبندي الخالدي الأويسي القادري ابن حسين بن الحاج موسى الكاظم بن الموفق المجاهد صاحب المزار غازي بشلاري العلوي النثزبكري الداغستاني من داخل غازي غموق ، عفا الله عنهم العافي ، وسامحه[٣] من فرطاتهم ، آمين . سنة ألف وثلاث مائة وثلاثة وثلاثين في ٢٨ شهر رجب المرجَّب . انتهى من خطِّه اختصاراً من مواضع .

---

(١) صلى الله عليه وسلم . (هامش الأصل) .
(٢) أي : في نظم العالم غازي محمد العوري (رحمه الله) . (هامش الأصل) .
(٣) في نسخة : وسامحهم ، وفي نسخة : وسامحه من فرطاته .

وكتب في أثناء مكتوب آخر بما نصُّه : فأنت أيها الولد من جهة الفقير أمينٌ ، ومنه تعالى نطلب الفوز ونستعين ، **فيدك يدي** ، **وأمرك أمري** ، **وأنت خليفتي في حياتي وموتي** ، وأرجو منك تقوى الله وإطاعته ، ويقبل الله تعالى فيك دعائي وضراعتي ، انتهى من خطِّه قدس سره .

وكتب في مكتوب آخر ما نَصُّه : لما حسن ظن الفقير فيك ، وكنتَ مجازاً ومأموناً من مرشد كامل ، ائتمنتك على أسراري وإجازتي ، وجعلتك خازن أمانتي ، لعلم علَّمني ربِّي ، بإذن من رسول الله ﷺ .انتهى من خَطِّه .

وكتب أيضاً ما نَصُّه : فيَدُك يدي ، وقبولك قبولي ، والحقُّ دليلي ودليلك ، فأمضِ ما رأيت ، فأنت أمين الطريقة إن شاء الله تعالى ، أبيض العقيدة والغرَّة ، مبارك الناصية ، سعيد الطلعة . انتهى من خطِّه قدس سره .

وهكذا كان مشائخنا يكتبون لدى هذا الحقير الأقلِّ من كلّ قليل ، الخائف من المكر والاستدراج ، ويدارونه ويلاطفونه ويحبُّونه ، وإن كان لائقاً أن لا يذكروه بلفظ ، أو ينظروا إليه بلَحْظ ، فضلاً أن يصاحبوه أو يقبلوه ، أو يكونوا يجيزونه ، ويأذنونه ، بيد أن الله كريم ، وليس كرمه مخصوصاً بمَنْ أطاعه وأقبل عليه ، بل هو مبذول لمن شاء من خلقه ، وإن عصى وخالف ، نسأل الله تعالى أن لا يحرمنا من فضله .

وأما نَصُّ ما أجازه قدس سره لهذا الفقير الذي أجازه شيخه زين الله قدس سره من جهة أخرى غير ما مر في الثبت[1] المذكور ، فصورته

---

(١) ثبت : بالتحريك ، وبالسكون ، بمعنى ثقة ، يعني ما ثبت به المحدِّث مسموعه .

قال السخاوي : ثبْت بسكون الموحّدة ، الثابت القلب واللسان ، والكتاب ، والحجة ، وأما بالفتح ؛ فما يثبت فيه المحدِّث مسموعه مع أسماء المشاركين له فيه ، لأنه كالحجَّة عند الشخص لسماعه وسماع غيره على القارىء « تحفة الفكر » . من خطِّ المؤلف ، وهو من خطِّ سيف الله ، وهو من خطِّ زين الله . قدس الله أسرارهم . آمين=

هكذا : ثبت أحمد بن سليمان الطرابلسي مختصر ثبت ابن عابدين من خطِّ زين الله قدس سره :

بسم الله الرحمن الرحيم ، حمداً لواصل المنقطعين إليه برحمته ، والرافع على السوى خَدَمة أحاديث نبيّه وشريعته ، وخصَّهم بغاية إمداده ، وأفاض عليهم بركات برِّه وإسعاده ، وأرسل عليهم رحمته مسلسلة وخطبهم بخطابه ، وأسند إليهم خشيته في عزيز كتابه ، وصلاة وسلاماً على نبيِّنا محمد المصطفى سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ؛ فَمِنْ شَرَف هذه الأمّة الإسناد ، وسلوك الطريقة والإرشاد ، وذلك من عهد[١] المصطفى الجليل جيلاً بعد جيل[٢] .

وقال بعض الفضلاء : الأسانيد أنساب الكتب ، ومَنْ لا سند له فهو لقيط .

هذا ؛ ثم إنَّ العبد الفقير ؛ بل العارف الشهير ، ذو المقامات العليَّة ؛ الشيخ أحمد بن سليمان الحسني[٣] الطرابلسي قد أكرمه الحقُّ سبحانه وتعالى ، وأغدق[٤] عليه نعمه وإحسانه ، وأوصل خيره العميم إليه ، وضاعف برَّه عليه ، حيث وفقه للاشتغال بأشرف الطاعات ، واستعمله في أعظم العبادات ، وهو طلب العلم الشريف ، إذ به يتميز الإنسان بين

=وثبت الجنان : أي ثابت القلب . والاسم : ثَبَت بفتحتين ، ومنه قيل للحُجَّة ثبت ، ورجل ثَبَت – بفتحتين – إذا كان عدلاً ضابطاً . والجمع أثبات ، مثل : سبب أسباب « مصباح » .

ورجل ثبْت – بالسكون – : متثبِّت في أموره . (منه) .

(١) في نسخة بدون عهد .

(٢) أي : صنف (مختار) .

(٣) وفي نسخة : حسيني .

(٤) الماء الغَدَق – بفتحتين – : الكثير وقد غدقت عين الماء أي : غزرت . « مختار » .

أهل التكليف ، وينال الفضل والتشريف ، إذا كان خالصاً لوجه الملك اللطيف ، سيّما من السمعة والرياء القبيح ، وإلا كان وبالاً لصاحبه على القول الصحيح ، جعلنا الله تعالى ممن عمل بمرضاته ، وسعى في صلاح[1] نفسه ليسلم في حياته ومماته ، وجعل سعينا مشكوراً ، وعملنا مَبْرُوراً ، إنّه على كل شيء قدير ، يغفر الذنوب ويعفو عن التقصير .

وكان من أعظم نعم القدير وتيسيره للخير الكثير ، أن أرشدني لأخذ العلم عن علماء عاملين .

فمن أجلِّهم : من أخذتُ عنه العلم والطريقة والدين ، فهو قطب المرشدين ، مُرَبّي السالكين جامع الكمالات الصورية والمعنوية ؛ ذو الجناحين مولانا ومرشدنا صاحب الفيوضات ، سيدي أحمد ضياء الدين الكمشخانوي الإستانبولي قدس سره العلي ، وهو أخذ عن صاحب الأحوال والمقامات ومعدن الأسرار والفيوضات ذو الجناحين أحمد بن سليمان الطرابلسي النقشبندي الخالدي قدس سره ، وهو أخذ عن قطب العارفين مُرَبِّي المريدين ، مرشد الأصاغر والأكابر ، الذي لا تسع مزاياه وفضائله بطونُ الدفاتر ، من إحياء ما اندرس من علوم الشريعة ، وأظهر ما بطن من معارف الحقيقة ، العالم العامل ، والموصل الواصل ، ذو القرب من حضرة الحق والتداني سيدي الشيخ خالد النقشبندي المجدِّد العثماني ، الملقَّب بضياء الدين ، عليه الرحمة والرضا من رب العالمين .

ومنهم : القطب العارف ، صاحب الفضائل واللطائف ، علاَّمة العصر ، ومرشد إقليم مصر ، ذو الدمع[2] الطليق ، صاحب الفيض والتحقيق ، مربِّي المريدين ، وموصل السالكين ، الذي لذوي القلوب

---

(١) وفي نسخة : في إصلاح .

(٢) وفي نسخة : ذو الدفع .

يداوي ، سيدي الشيخ أحمد الخلوتي النقشبندي الصاوي .

ومنهم : العلاَّمة النحرير ، والمحدِّث الشهير ، رئيس العلماء المصريين ، قامع أهل البدعة المخالفين ، مَن دام في مراقبة المتعالي ، سيدي الشيخ محمد .

ومنهم : الوليُّ بلا نزاع ، والعالم الورع ذو الفضل والارتفاع ، مَن لم يزل في مرضاة ربه ساري ، سيدي الشيخ علي البخاري .

ومنهم : العلاَّمة المفيد ، صاحب التحريرات والقول السديد ، الذي كان ساعياً في إصلاح أموري ، سيدي الشيخ إبراهيم الباجوري .

ومنهم : الوليُّ مَنْ قرَّبه مولاه ، الجامع بين الشريعة والحقيقة ، سيدي الشيخ فتح الله .

ومنهم : العلاّمة النِحرير ، والفاضل الخبير ، الذي يجعل المعنوي الصوري ، السيد عبد الرحمن المنصوري .

ومنهم : العلامة النِحرير ، والذاكر المذكِّر ، من لم يزل في الكمالات راقي ، الشيخ مصطفى البولاقي .

ومنهم : العالم الفاضل ذو الناموس الإلهي ، سيدي الشيخ أحمد طموسي

ومنهم : العلامة الماهر صاحب الكمالات والمفاخر ، مَن لم يزل في كل خير مساعدي ، سيدي الشيخ مصطفى الأحمدي .

ومنهم : العلامة العالم في المعقولات والمنقولات ، صاحب المفاخر والكمالات ، مَن لم يزل الحضرةَ داني ، سيدي الشيخ حسن البلتاني[1] .

---

(١) في نسخة : بلقاني .

ومنهم : العلامة المحدِّث الذي تمت [به] شؤوني ، سيدي العارف الشيخ عبد الرحمن الأشموني .

ومنهم : شمس المعارف ومنبع اللطائف ، حامل لواء الشريعة الغرَّاء ، صاحب « التنقيح » و« ردّ المختار » ، ومن هو شامة الشام بلا إنكار ، سيدي شمس الملَّة والدين ، الشيخ محمد بن العابدين .

منهم : قدوة المحدِّثين في الديار الشامية ، من ترقى إلى أسنى رتبة سنية ، ذو الفيض الأنوري ، مولانا الشيخ عبد الرحمن الكزبري[١] .

ومنهم : العلامة الكامل ، ذو المعروف الشامل ، صاحب المعارف والأسرار ، سيدي الشيخ حامد العطار .

ومنهم : العالم الكامل المستغرق في حضرة المعيد المبدي ، الشيخ محمد أفندي الرومي النقشبندي .

ومنهم : المرشد الملك[٢] ، العلامة شمس الفضل ، الذي لشأننا كشافة ، صاحب الفيوضات والإرشادات والمعاني ، سيدي الشيخ حسين الدجاني .

ومنهم : شيخ الإسلام ، ونافع الأنام ، ذو العلوم الفائضة البهية ، مفتي الديار المصرية ، من كان في العلوم النافعة دليلي ، سيدي الشيخ أحمد الخليلي .

ومنهم : العالم العامل ، والناسك الفاضل ، المفتي الشهباض[٣] المجدي سيدي الشيخ عبد الرحمن أفندي بن حسين أفندي .

---

(١) أي : الصغير ، أما عبد الرحمن الكبير فهو جدُّه . (هامش الاصل) .

(٢) وفي نسخة : الكامل .

(٣) في نسخة : شهبا من له المجدي .

ومنهم : العالم العلامة المفيد ، والخبير الفريد ، المتقن المحقق ، والبحر العذب المدقق ، السيد عمر أفندي الفيضي .

ومنهم : العالم المتقن ، واللوذعي[1] الفطن ، الشيخ مصطفى ابن العلامة المقري ، الشيخ عبد الكريم البدري .

ومنهم : الولي العالم ذو المدد ، سيدي الشيخ أحمد .

فهذا ما حضرني الآن من ذكر أشياخي ذوي الإتقان ، من العلماء المصريين ، المحدثين الفضلاء الشاميين ، ونحوهم من العلماء العاملين ، الذين هم من جهات مختلفة ، وأردت أن أذكر بعد الذين أخذت عنهم الطرق من الصالحين ذوي المعرفة من الذين ربوني في صغري من الأولياء الأميين المجذوبين ، وكانوا في بلاد شتى متفرقين ، وأذكر بعضهم تبركاً بهم :

ومنهم : صاحب الكرامات والمكارم ، سيدي الشيخ سالم .

ومنهم : ذي الأيادي ، من رباني من مصر وأنا في بلادي ، سيدي الشيخ عمر البغدادي .

ومنهم : المستغرق الوالي ، سيدي الشيخ علي .

ومنهم : نسل الأولياء ، من استمد بفيضه القريب والنائي ، سيدي الشيخ العلي الوفائي .

ومنهم : صاحب الإحسان ، سيدي الشيخ عثمان .

ومنهم : سيدي الشيخ خالد الصعيدي .

نفعنا الله تعالى بروحانيتهم الطاهرة ، في الدنيا والآخرة ، وحشرني

---

(١) واللوذعي – الزكي والظريف . (هامش الأصل) .

معهم أجمعين ، تحت لواء المصطفى سيد المرسلين ﷺ .

المسلسلات الأوليات

وهذا أوان الشروع في الكلام ، مستعيناً بالملك القدوس السلام :

اعلم أن أصحاب الأثبات ، من المتقدمين والمتأخرين السادات ، قدموا في أثباتهم ذكر حديث الرحمة المسلسل بالأولية ، فقدمته اقتداء بهؤلاء السادات العلية ، ولنُكَتٍ[١] يطول عدها .

منها[٢] : أن الحق سبحانه وتعالى المتين ، خاطب رسوله المصطفى الأمين ، بقوله عز من قائل ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ فخلق الحق تعالى نور نبينا المصطفى ﷺ من نوره سبحانه وتعالى قبل جميع الكائنات ، وخلق منه جميع الموجودات ، فكان أول سلسلة المحدثات ، فناسبه أن يكون حديث الرحمة العام ، المتعلق بمن في الأرض من جميع الأنام ، أول الأحاديث المسلسلة المتصلة بنبينا عليه الصلاة والسلام ، وللحديث القدسي في قول الحق تعالى « سبقت رحمتي غضبي » .

وفي رواية الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما : « أول شيء خطه الله تعالى في الكتاب : إنني أنا الله لا إله إلا أنا سبقت رحمتي غضبي ، فمن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فله الجنة » .

وحديث الرحمة هو المسلسل بقول كل راو : حدثنا فيه فلان ، وهو أوّل حديث سمعته منه . وإسنادي فيه متصل إلى بعض أشياخي المتقدم ذكرهم من أصحاب الأثبات ، إلى عبد الله بن عمرو العاص أن المصطفى ﷺ قال : « الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ، ارحموا

(١) و هذه النكت مذكورة في ثبت ابن عابدين (من خط زين الله قدس سره) . (هامش الأصل) .

(٢) أي من النكت .

من في الأرض ، يرحمكم من في السماء » . وقد أخذت هذا الحديث الشريف عن مشائخ كثيرة ممن تقدم ذكرهم من العلماء الصالحين ، كما هو سند بأثباتهم التي لي الإجازة بها منهم فلله الحمد أولاً وآخراً .

وأذكر بعضها تبركاً :

وأذكر أولاً : **أثبات أشياخنا المصريين** نفعنا الله تعالى بهم أجمعين .

منها : ثبت شيخنا الشيخ أحمد التميمي ، وثبت شيخنا الشيخ منصور اليافي[1] ، وثبت شيخنا الشيخ السيد الطحطاوي .

وأثبات مشائخ مشائخنا :

منها : ثبت شمس الدين محمد البدري ، وثبت الشيخ سالم بن عبد الله البصري ، وثبت الشيخ محمد الأمير ، وثبت السيد الشيخ مرتضى .

وأما أثبات مشائخنا الشاميين :

فمنها ثبت شيخنا الشيخ محمد أمين بن عمر العابدين وثبت شيخنا الشيخ الكزبري ، وثبت شيخنا الشيخ العطار .

وأثبات مشائخ مشائخنا منه[2] : وثبت العارف الشيخ عبد الغني النابلسي ، وثبت الشيخ محمد بن علي الكامل ، وثبت الشيخ إسماعيل بن محمد الجراحي الشهير بالعجلوني ، وثبت الشيخ الجينيني وغيرهم من جميع من له ثبت ، إلى حضرة المصطفى ﷺ أفضل أصل وفرع ثبت فللّه الحمد والمنة ، أسأله سبحانه وتعالى أن يجمعنا معهم في الجنة .

وحيث أنني بنيت ثبتي هذا على الاختصار ، فأذكر فيه الكتب محذوفة الأسانيد إلى مؤلفيها ، وكذا الأخبار ، فمن أراد معرفة أسانيدها

---

(١) وفي نسخة : البالقي .

(٢) وفي نسخة : بدون هذا اللفظ .

فليراجع الأثبات الثلاثة التي لمشائخنا الشاميين الأخيار : محمد بن عابدين ، والكزبري ، والعطار .

ثم أردفت حديث الرحمة بأربعة أحاديث مروية عن الخلفاء الأربعة رضي عنهم ربّ البرية :

الأول : كما في « الجامع الصغير » عن أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ :« شيبتني سورة هود وأخواتها قبل المشيب » .

الثاني : كما في البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ! فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

الثالث : كما في صحيح الحاكم عن علي كرم الله وجهه ورضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « الدعاء سلاح المؤمن ، وعماد الدين ، ونور السماوات والأرض » .

ثم أتبعت ذلك بالأربعين حديث المسلسلة بالسادات والأشراف ، المتصلة إلى سيدي الإمام حسين الشهيد ، عن أبيه الأسد الفريد .

قال : قال رسول الله ﷺ :

« ليس الخبر كالمعاينة » .

وبهذا الإسناد قال : « الحرب خدعة » .

وبه : « المسلم مرآة المسلم » .

وبه : « المستشار مؤتمن » .

وبه : « الدال على الخير كفاعله » .

وبه : « استعينوا على الحوائج بالكتمان » .

وبه : « اتقوا النار ولو بشق تمرة » .

وبه : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » .

وبه : « الحياء خير كله » .

وبه : « عِدَة المؤمن كأخذ الكف » .

وبه : « لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام » .

وبه : « ليس منا من غشنا » .

وبه : « ما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى » .

وبه : « الراجع في هبته كالراجع في قيئه » .

وبه : « البلاء موكل بالمنطق » .

وبه : « الناس كأسنان المشط » .

وبه : « الغنى غنى النفس » .

وبه : « السعيد من وعظ بغيره » .

وبه : « إن من الشعر لحكمة ، وإن من البيان لسحرا » .

وبه : « عفو الملوك إبقاء للملك » .

وبه : « المرأ مع من أحب » .

وبه : « ما هلك امرؤ عرف قدره » .

وبه : « الولد للفراش ، وللعاهر الحجر » .

وبه : « اليد العليا خير من اليد السفلى » .

وبه : « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » .

وبه : « حبك للشيء يعمي ويصم » .

وبه : « جبلت القلوب على حب من أحسن إليها ، وبغض من أساء إليها » .

وبه : « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » .

وبه : « الشاهد يرى ما لا يرى الغائب » .

وبه : « إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه » .

وبه : « اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع » .

وبه : « من قتل دون ماله[1] فهو شهيد » .

وبه : « الأعمال بالنية » .

وبه : « سيد القوم خادمهم » .

وبه : « خير الأمور أوسطها » .

وبه : « اللهم بارك لأمتي في بكورات يوم الخميس » .

وبه : « كاد الفقر أن يكون كفراً » .

وبه : « السفر قطعة من العذاب » .

وبه : « المجالس بالأمانة » .

وبه : « خير الزاد التقوى » .

فهذه أربعون حديثاً من كلام رسول الملك الظاهر عليها أنوار لوائح

---

(١) دون ماله - أي لأجل ماله . (من خط زين الله قدس سره) .

القبول والصدق .

ثم أذكر بعدها مسانيد الأئمة الأربعة :

« المسند » للإمام الأعظم أبي حنيفة نعمان بن ثابت المكرم .

المسند المسمى بـ« الموطأ » للإمام مالك ، السالك أحسن المسالك .

« المسند » للإمام الشافعي محمد بن إدريس ، صاحب العلم النفيس .

« المسند » للإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، العامل بسنة من ليس له في الحسن ثاني .

ثم أذكر بعدها **المسانيد الصحيحة الستة :**

« المسند » للبخاري محمد بن إسماعيل ، خادم سنة رسول الملك الجليل .

« المسند » لمسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري .

« المسند » لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحق الأزدي السجستاني .

« المسند » لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي .

« المسند » لأبي عبد الرحمن أحمد شعيب بن علي النسائي .

« المسند » لأبي عبد الله بن يزيد المعروف بابن ماجه .

ثم أذكر بعدها كتب الحديث وغيرها التي اتصل سندي بها : « المعجم الكبير » ، « المعجم الأوسط » ، « المعجم الصغير » لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، « مسند » الحافظ أبي يعلى أحمد بن علي التميمي الموصلي ، « مسند » أبي داود أيضاً ، « مسند » عبد بن حميد بن نصر

الكسي ، « الحلية » لأبي نعيم ، « مسند الفردوس » للديلمي ، « صحيح أبي حاتم » محمد بن حبان التميمي ، « سنن الدارقطني » ، « المسند » للحاكم أبي عبد الله محمد النيسابوري ، « مشكاة المصابيح » لأبي عبد الله محمد بن عبد الخطيب التبريزي ، « الشمائل » لأبي عيسى الترمذي ، « الشفا » للقاضي عياض بن موسى ، كتاب « إحياء علوم الدين » لأبي حامد محمد الغزالي ، وجميع تأليفاته ، « الفتوحات المكية » لختم الولاية المحمدية لسيدي الشيخ الأكبر محيي الدين ، القطب الأفخر ، وجميع تأليفاته ، « شرح متن الغاية » للقطب الغوث الفرد ذي العز والشرف والمجد ، صاحب السر المحمدي ، السيد أحمد البدوي ، وجميع تأليفاته ، « وصايا » سيدي صاحب العلمين الطائر بالجناحين ، قطب الأقطاب في المشرقين والمغربين ، العالم الأكبر سيدي عبد القادر بن صالح الكيلاني ، صاحب الإشارات والمعاني ، وجميع تأليفاته ، « وصايا » سيدي الذي طاب به مشربي في صباحي وعبوقي ، القطب الجليل سيدي إبراهيم الدسوقي ، « الأحزاب » لسيدي أبي الحسن الشاذلي ، وجميع تأليفاته ، « إسقاط التدبير » لسيدي أحمد بن عطاء الله الإسكندري ، وجميع تأليفاته ، « شروح الحكم » لابن عباد وغيره وخلافه ، « منازل السائرين » لشيخ الإسلام عبد الله بن محمد الأنصاري ، وجميع تصانيفه ، « عوارف المعارف » لشهاب الدين السهروردي ، و« قوت القلوب » لأبي طالب المكي ، « الأذكار » و« رياض الصالحين » و« الأربعون » لسيدي الشيخ النووي ، وجميع مؤلفاته ، « فتح الباري شرح صحيح البخاري » لسيدي أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، وجميع تأليفاته ، « عمدة القاري شرح صحيح البخاري » لسيدي محمود بن محمد العيني وجميع تأليفاته ، « الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري » لسيدي محمود بن يوسف بن محمد الكرماني ، « إرشاد الساري شرح صحيح البخاري » ، و« المواهب

اللدنية » لسيد أحمد بن العسقلاني ، وجميع مصنفاته ، شرحه للبراوي المسمى بـ« اللامع الصبيح تعليق المصابيح على الجامع الصحيح » للدماميني ، وجميع تأليفاته ، شرحه للنووي وشرح مسلم له ، « منحة الباري » لشيخ الإسلام ، شرحه للسيوطي المسمّى بـ« التوشيح » ، شرحه « التنقيح » للزركشي ، وسائر تأليفاته ، شرحه « التوضيح » لابن مالك وجميع مصنفاته ، شرحه « الجاري » للعجلوني ، « إضاءة الدراري » للشهاب أحمد ، وجميع مصنفاته ، « علوم الحديث » لابن الصلاح ، وجميع تأليفاته ، و« ألفية الحديث » للعراقي ، وتأليفاته ، « الجامع الكبير » و« الجامع الصغير » للسيوطي ، وجميع تأليفاته تفسير البغوي المسمى بـ« معالم التنزيل » ، « تفسير الفخر الرازي » ، وسائر مصنفاته ، « تفسير البيضاوي » وجميع مصنفاته ، « تفسير الزمخشري » وتأليفاته ، « تفسير الجلالين » المحلي والسيوطي ، و« الدرر المنثور » للسيوطي ، تفسير شيخ الإسلام أبي السعود ، تفسير الخطيب التبريزي ، وسائر مصنفاته ، « النهاية في غريب الحديث » لابن الأثير ، « الصحاح » للجوهري ، « القاموس » لمجد الدين الفيروزآبادي ، « حياة الحيوان » للدميري ، وجميع تأليفاته ، « كتاب سيبويه » ، « الآجرومية » وشروحها ، « الألفية » وشروحها ، « المغني » وشروحه ، « المفتاح » للسكاكي ، « تلخيص المفتاح » ، و« الإيضاح » للخطيب القزويني ، « مقامات الحريري » وجميع تصانيفه ، « الشاطبية » للشاطبي ، تصانيف عبد الوهاب الشعراني ، وتصانيف نجم الدين الغيطي ، تصانيف ابن حجر المكي ، تصانيف الرملي ، تصانيف السبكي ، تصانيف منلا علي القاري ، تصانيف الشهاب الخفاجي ، تصانيف زين الدين بن نجيم مصنف « البحر الرائق » ، تصانيف أخيه الشيخ عمر ، مصنفات الشرنبلالي ، مصنفات التمرتاشي ، مصنفات خير الدين الرملي ، مصنفات الحصكفي ، مصنفات اللقاني ، مصنفات

المناوي ، مصنفات الحلبي ، مصنفات ابن مالك ، مصنفات ابن هشام ، مصنفات ابن عقيل ، مصنفات الشيخ خالد الأزميري ، مصنفات السيد الشريف ، مصنفات السعد التفتازاني ، مصنفات عصام الدين ، مصنفات منلا جامي ، مصنفات العضد ، مصنفات صدر الشريعة ، مصنفات منلا خسرو ، مصنفات المرغيناني ، شروح « الهداية » للسغناقي ، والسروجي والقرشي[١] ، وغيرها ، مصنفات قاضي خان ، وأ حمد بن علي الساعاتي ، وأبي البقاء ، ومجد الدين الموصلي ، وجمال الدين الموصلي ، وأكمل الدين الرومي ، مصنفات كمال الدين بن الهمام ، مصنفات عبد الله بن أحمد النسفي ، وبرهان الدين بن محمد النسفي ، وأحمد بن عمر النسفي[٢] ، وعمر النسفي ، وميمون بن محمد النسفي ، مصنفات القدوري ، مصنفات الماتريدي ، والأشعري .

ثم لما ذكرت مصنفات مشائخ مشائخنا بحسب الإمكان ، أذكر مؤلفات مشائخنا لك الآن : مؤلفات شيخنا الشيخ خالد العثماني النقشبندي المجددي - قدس سره - ، ومؤلفات شيخنا الشيخ أحمد الصاوي - رحمه الله تعالى- ، مؤلفات شيخنا الشيخ محمد الفضالي ، مؤلفات شيخنا الشيخ علي البخاري ، مؤلفات شيخنا الشيخ إبراهيم الباجوري ،مؤلفات شيخنا الأمين الشيخ محمد بن عمر عابدين ، تأليفات شيخنا الشيخ حسين قرة العين ، تأليفات مشائخنا : الكزبري ، والعطار ، والتميمي ، والغيطي ، وجميع من ذكر في هذا الثبت . ثم أذكر الأحاديث التي اعتنت بها أصحاب الأثبات منها :

المسلسل بالأئمة المصريين كما في ثبت شيخنا الشيخ محمد بن عابدين بسنده فيه إلى عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما

---

(١) مخرج أحاديث الهداية أي النهاية . (هامش الأصل) .

(٢) مفتي الثقلين .

– قال : قال رسول الله ﷺ « يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فنشر له تسعة وتسعون سجلاً ، كل سجل منها مد البصر ، ثم يقول الله تعالى : أتنكر من هذا شيئاً ؟ فيقول : لا يا رب . فيقول الله سبحانه : ألك عذر أو حسنة ؟ فيقول : لا يا رب . فيقول عزّ وجل : بلى ؛ إنّ لك عندنا حسنة ، وإنه لا ظلم عليك اليوم ، فيخرج الله تعالى له بطاقة[1] فيها « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله » فيقول : يا ربّ ؛ ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقول : يا رب ، إنك لا تظلم . فتوضع تلك السجلات في كفة ، والبطاقة في كفة ، فطاشت[2] السجلات وثقلت البطاقة » .

ومنها المسلسل بالأئمة الشاميين كما في ثبت شيخنا الكزبري الأمين . بسنده فيه إلى أبي ذرّ – رضي الله عنه – عن المصطفى ، فيما يروي عن الله تبارك وتعالى أنه قال : « يا عبادي ؛ إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرَّماً فلا تظالموا ، يا عبادي ؛ كلكم ضالّ إلا من هديته ، فاستهدوني أهدكم ، يا عبادي ؛ كلكم جائع إلا من أطعمته ، فاستطعموني أطعمكم ، يا عبادي ؛ كلكم عار إلا من كسوته ، فاستكسوني أكسكم ، يا عبادي ؛ إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً ، فاستغفروني أغفر لكم ، يا عبادي ؛ إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادي ؛ لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ، يا عبادي ؛ لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، قاموا في صعيد واحد ، فسألوني ، فأعطيت كل إنسان مسألته ، ما نقص ذلك

---

(١) البطاقة – ككتابة : الرقعة الصغيرة المنوطة بالثوب التي فيها رقم ثمنه سميت لأنها تشدّ بطاقةٍ من هرب الثوب (قموس) . (هامش الأصل) .
(٢) الطيش – الخفة (قموس) .(هامش الأصل) .

مما عندي إلا كما ينقص المِخْيَطُ إذا دخل البحر ، يا عبادي ؛ إنما هي أعمالكم ، أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه » .

ومنها المسلسل بالأئمة الحنفية : وسنده في ثبت شيخنا الشيخ محمد بن عابدين إلى الإمام أبي حنيفة النعمان ، عن علقمة بن مرثد ، عن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : كان رسول الله ﷺ إذا بعث جيشاً أو سرية أوصى إلى صاحبها بتقوى الله في نفسه خاصة ، وأوصى بمن معه من المسلمين خيراً ثم يقول : « اغزوا باسم الله ، قاتلوا من كفر الإسلام ، فإن أسلموا فاقبلوا منهم ، وكفوا عنهم ، وأخبروهم أنهم كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله ، فإن فعلوا فاقبلوا ذلك منهم وكفوا عنهم ، . . . . . » وتمامه فيه .

ومنها المسلسل بالمصافحة : فقد صافحت كثيراً من أشياخنا المتقدِّم ذكرهم ، ولي بهم طرق كثيرة ، منها : إنه صافحنا شيخنا العلاَّمة الشريف عمر أفندي الفيضي ، وروى حديث المصافحة بالسند المتصل في ثبت شيخ مشائخنا السيد محمد مرتضى ، إلى المعمر أبي العباس المَلثم ، وهو عن السيد أحمد البدوي[1] ، قال : صافحني رسول الله ﷺ وقال : « من صافحني ، أو صافح مَن صافحني إلى يوم القيامة دخل الجنة » .

ومنها المسلسل بالمشابكة ، وكل راوٍ يقول : شبك بيدي ، ولي فيه طرق كثيرة ، منها شيخنا المذكور ، فقد شبك بيدي ، وسنده بالثّبت المزبور متصل إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال : شبك أبو القاسم ﷺ وقال : « خلق الله الخلق يوم السبت[2] ، والجبال يوم الأحد ، والشجر

---

(١) مناقب السيد أحمد البدوي : ومناقب السيد أبي العباس الملثَّم ، مذكورة في « طبقات » الشعراني . (من خط سيف الله قدس سره) . (هامش الأصل) .

(٢) وتحقيق هذه المسألة مذكور في « روح البيان » في سورة يونس . (من خط زين

يوم الإثنين ، والمكروه يوم الثلاثاء ، والنور يوم الأربعاء ، والدواب يوم الخميس ، وآدم عليه السلام يوم الجمعة » .

وله طريق ثاني إلى المصطفى ﷺ من طريق الروحانية ، عن شيخنا المذكور بالسند المزبور ، إلى أبي الحسن علي الباغزاري ، قال : رأيت رسول الله ﷺ في النوم وشبك أصابعه بأصابعي ، وقال : « يا علي ؛ شابكني ، فمن شابكني دخل الجنة » . وما زال بعدُ (أي يكرر هذا القول تأكيداً) حتى وصل إلى سبعة فاستيقظت وأصابعي في أصابع رسول الله ﷺ .

ومنها : **المسلسل بمناوَلة السُّبحة** ، ناولني إيَّاها شيخنا المذكور ، وذكر سندها بالثبت المزبور ، وكل واحد يقول : رأيت سيدي فلان وفي يده سبحة ، إلى الأستاذ عمر المكي قال : رأيت أستاذي الحسن البصري[1] وفي يده سبحة ، فقلت : يا أستاذي ؛ مع عظم شأنك وحسن عبادتك وأنت إلى الآن مع السبحة ؟ فقال : **هذا شيء كُنَّا استعملناه في البدايات ، ما كنا نتركه في النهايات!** أنا أحبُّ ذكر الله في قلبي وبيدي وبلساني .

ومنها : المسلسل بتلقين كلمة (لا إله إلا الله) ، فقد تلقَّنت هذه الكلمة الطيبة التي هي ﴿ **كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۝٢٤ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا** ﴾ عن مشائخ كثيرين ، ولي فيها أسانيد كثيرة ، وأول من تلقَّنها من المصطفى ﷺ حضرة الإمام علي كرَّم الله وجهه

الله قدس سره) . (هامش الأصل) .

(١) وفي « التحفة المدنية في المسلسلات الوترية » لمحمد علي بن ظاهر الوتري المدني : إن بداية الحسن إنما كانت في زمانهم يعني الصحابة ، فقد رأى عثمان وعليّاً وطلحة ، وكان في يوم بدر ابن أربع عشرة سنة ، وروى عن خلق كثير من الصحابة . فراجعه من الحديث التاسع المسلسل بمناولة السبحة في ٢٢ . فافهم ! (منه) . (هامش الأصل) .

بنسبة الطريق ، وقال : يا رسول الله ؛ دلَّني على أقرب الطرق إلى الله ، وأسهلها عليَّ عبادة . فقال رسول الله ﷺ : « عليك بمداومة ذكر الله تعالى في الخلوة » . فقال عليّ كرَّم الله وجهه : كيف أذكر يا رسول الله ؟ قال المصطفى ﷺ : « غمِّض عينيك واسمع مني » . ثلاث مرات ، فقال ﷺ : (لا إله إلا الله) ثلاثاً وعلي يسمع ، ثم قال علي : (لا إله إلا الله) ثلاثاً ، والمصطفى يسمع .

وآخر مَن تلقَّنها عنه من المشائخ حضرة العالم العامل ، والورع العابد الكامل ، الشريف عمر الفيضي ، وسندي بها يتصل عنه ، كما هو مقرر في ثبت الشيخ محمد مرتضى ، بسنده إلى سيدنا علي رضي الله عنه وكرَّم الله وجهه .

ولي الإجازة في المذاهب الأربعة كذا ، ولو ذكرت أسانيد الأحاديث والعلوم والمذاهب والطرق وما بها من الإجازات لاحتاج في كتابتها إلى مجلدات ، وحيث مالت النفوس إلى المختصرات اختصرت هذا الثبت غاية الاختصار .

وذكرت سندي المتصل بالفقه بالشيخ محمد بن عابدين ، نظماً مختصراً مع التبيين ، وابتدأت جميع هذه الإسنادات بذكر المصطفى سيد السادات ، وقدمت سند الفقه فقلت :

المصطفى وابــن مــسعود وعلقمة ... نــخعي وحَمَّــاد هذا ثم نعمان

محمَّد وأبو حــفــص وعــدّهــم ... السبـذموني البخاري فيه إحسان

أبو علي ثم حلواني كذا سـرخـسـي ... وقل البزوري المرغيناني[1] ذاك برهان

---

(١) أي صاحب « الهداية » وهو أخذ عن أحمد بن عمر النسفي ، وهو أخذ عن أبيه عمر النسفي مفتي الثقلين ، وهو أخذ عن فخر الإسلام . (منه) .

الكزبري النسفي عبد العـزيز كـذا جـلال الدين وسيراجي عمر عانو
ابن الهمام وعبد البر وابن الشلـبي[1] وصـاحـب الـبحر والتنوير قد دانوا
عبد الغفـار ثـم الكتبـي كـذا جَـيَنْتـي بـعلي محمد أحمد بانوا

حرَّر هذا الثبت الشيخ الكامل المكمل ذو الجناحين أحمد بن سليمان الطرابلسي النقشبندي الخالدي قدس الله سره ، وأجاز بما في هذا الثبت الشيخ العارف أحمد ضياء الدين الكمشخانوي قدس سره في سنة ١٢٦٨ في إحدى وعشرين خلت من شهر صفر في يوم السبت .

وإنَّ هذا المجاز الشيخ العاكف ، والوليَّ العارف ، جامع الكمالات والفيوضات أحمد ضياء الدين المذكور ، أجاز الكامل المتَّقي المحقِّق جامع القطبتين ذو الجناحين[2] ، أبو المواهب أبو عبد الرحمن زين الله ابن حبيب الله بن رسول بن موسى المعموري النقشبندي الخالدي المجدِّدي على أسوة المشائخ السابقين ، بإشارة روحانية من الكُمَّل ، برؤية استقامته وكماله في العلوم الظاهرة والباطنة ، وفَّقه الله تعالى لحوز هدايات وفيوضات وبركات السابقين ، وجعله الله تعالى رحلة للأبدال والصالحين ، ومأوى للعارفين .

وإنَّ هذا المجاز الموفَّق ، جامع القطبتين ، أبو المواهب أبو عبد الرحمن زين الله المذكور أجاز الفقير مير سيف الله الحسيني ، سليل بشلار[3] النزبكري الغازي غموقي ، كما أجازه في باقي المرويات والطرق والعلوم على أسوة المشائخ السابقين ، جعله الله من المؤيَّدين بالتوفيق على

---

(١) وفي نسخة : الشبلي .
(٢) أي : وهو ذو الجناحين . فافهم .
(٣) وهو المجاهد الفاضل والأسد الباسل المشهور في نواحي غازي غموق . (هامش الأصل) .

آداب أشياخه وساداته . آمين . من خطه .

وإنَّ هذا الشيخ الكامل ، والعارف الواصل ، ذا الجناحين سيف الله المذكور النقشبندي الشاذلي القادري - قدس سره ورزقنا فيضه - أجاز الحقير الفقير خادم الفقراء حسن أفندي القحي النقشبندي الشاذلي بجميع ما في هذا الثبت ، كما أجازه في جميع مروياته وأثبات مشائخه ، كثبت محمد علي بن ظاهر المدني الوتري وغيره ، وكما أجازه في جميع ما أجازه مشائخه في سائر الطرق ، وكتب بيده المباركة صَكَّ الإجازة بوضع خاتمه للتصديق ، نوَّر الله مرقده ، وأنالنا فيضه وبركته . آمين يا مجيب السائلين ويا أرحم الراحمين .

وهذا الفقير حسن حلمي رحم الله إفلاسه وإن كان أقلّ باعاً في العلوم ؛ قد سبق الآخرين ممن لهم القدح المُعلَّى في فنون العلوم في عصره بالإجازة فيها وفي سائر الطرق ، فللَّه الحمد والمنَّة ، وله الشكر على هذه النعمة .

وقد أراد أن يجيز في فن العلوم لِمَنْ رأى فيه أثر الصلاحية والاستقامة من العلماء العاملين ، لِمَا أن حصول البركة ووصول النفع التام في كل خير منوطان بالإجازة من أهله ، كما أشار إليه الإمام الربَّاني في « مكتوباته » ، فكما لا بُدَّ من الإجازة في تلقين الأذكار وتعليم أمور الطريقة ! فكذا لا بد من الإذن في العلم الظاهري ، كما أشار إليه في « الفتاوى العمرية » .

قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ ﴾ الآية . قال الجلال[1] : بأمره . انتهى .

قال العالم العلاَّمة العارف بالله تعالى الشيخ أحمد الصاوي المالكي قدس سره ورزقنا فيضه وبركته آمين : قوله (بأمره) دُفِعَ بذلك ما يقال :

---

(١) أي : في تفسير قوله بإذنه ، فافهم . (هامش الأصل) .

إن الإذن حاصل بقوله : (أرسلناك) فأجاب بأن المراد بالإذن : الأمْرُ ، **والحكمة في الإذن** تسهيل الأمر وتيسيره ، لأن الدخول في الشيء من غير إذن متعذِّر ، فإذا حصل الإذن سهل وتيسَّر ، ومن هنا أخذ المشائخ استعمال الإجازة للمريدين ، فمن أجازه أشياخه بشيء من العلم والإرشاد فقد سهلت له الطريق وتيسَّرت ، ومن لم تحصل له الإجازة وتصدَّر بنفسه فقد عطَّل نفسه وغيره ، وانسدَّت عليه الطرق ، انتهى فراجعه في سورة الأحزاب .

وفي « الصاوي »[1] أيضاً في سورة طه : **والحكمة في تلقِّي رسول الله ﷺ عن جبريل ظاهراً أنه يكون سُنَّة متَّبعة لأمته ، فهم مأمورون بالتلقي من أفواه المشائخ ، ولا يفلح مَن أخذ العلم أو القرآن من السطور ، بل للتلقِّي سرٌّ آخر** ، انتهى فراجعه .

وقال مصطفى الصافي في صَكِّ الإجازة بعد البسملة والحمدلة والتصلية ما نَصُّه : وبعد ؛ فيقول العبد الفقير إلى الله الغني مصطفى الصافي ابن محمود اليكيني عفا عنهما الباري : **إن العلم أعلى الفضائل ، وبه تفاضل جميع الأفاضل** ، حتى ملك به الإنسان الفضل على الملك ، وارتفع قدره بأقل من فلكة المغزل على الفلك ، يرشدك على هذا السرِّ الأسمى قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ ﴾ وناهيك من فضله أنه تعالى قد عدَّه أمراً كبيراً حيث قال ﴿ **يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾ وعظَّم شأنه في معظم كلامه حتى قال ﴿ **وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا** ﴾ ويدور عليه سعادة الدارين ، وينزل لديه كرامة المنزلين ، فهو أعظم الميراث ، وميراث الأنبياء عليهم أزكى التحيات ، والفقهاء أمناء الرسل ، والعلماء ورثة الأنبياء ، كما ورد

---

(١) على قوله عزَّ من قائل ﴿ **وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ** ﴾ . راجعه (هامش الأصل) .

عن سيد الأصفياء أنه قال : « من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهَّل الله له طريقاً إلى الجنة ، وإنَّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضًى بما يصنع ، وإنَّ العالم يستغفر له من في السموات ومن في الأرض ، حتى الحيتان في الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإنَّ العلماء ورثة الأنبياء ، وإنَّ الأنبياء لم يورِّثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورَّثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظّ وافر » . رواه أبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه ، وابن حبان .

فكما أنَّ الجهل أصل الرذائل ، كذلك العلم أم الفضائل ، فمن ناله قد نال كل الفضائل ، وأين الثريا من يد المتناول ! !

وقال الله تعالى ﴿ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ، وقال الله تعالى ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ وحيث شرَّفه صار سائراً في الأمصار ، وطار في جميع الأقطار كالأمطار ، يعرف[1] العارفون ، بل لا يجهل به الجاهلون .

ولتحصيله أسباب أشتات ، وأقدمها العقل السليم عن الآفات ، ولما كان العقل قد لا يخلص عن عقال الأوهام ، فتراه كثيراً ما قد أخطأ ، أو هام ؛ لم يُقتصر عليه في السمعيات ، سيما في علوم الدين ، **بل لا بُدَّ معه من الإسناد إلى الأستاذ حتى يأتيه اليقين .**

الإسناد من الدين

قال ابن المبارك : والإسناد من الدين ، ولولا الإسناد لقال من شاء بما شاء .

وقال الثوري : الإسناد سلاح المؤمن ، فإذا لم يكن سلاح لم يقدر

---

(١) عله يعرف به .

أن يقاتل .

وقال بقيَّة : ذاكرت حمَّاد بن زيد أحاديث ، فقال : ما أجودها لو كان لها أجنحة ! يعني : الأسانيد .

وقال مطر في قوله تعالى ﴿أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ أي : إسناد الحديث .

قال أحمد بن حنبل : طلب الإسناد العالي سنة صحيحة . وذكر لها أصلاً في الحديث .

والحاصل أنه لا شك في أنه مسنون ، وقد ذهب بعض الكفاة إلى أنه فرض على الكفاية ، وذكروا له أصلاً من الحديث والآية ، ولهذا لم يزل علماء هذه الأمة يطعنون[1] الركاب[2] ، ويركبون على غاربةِ[3] الاغتراب ، للتشرُّف بهذا الشرف ، والتدرج إلى مدارج تلك الشُّرف . انتهى . من خط سيف الله قدس سره .

وفي « الفتاوى العمرية » ما يصرح بأنه **لا بُدَّ في العلم الظاهري من التكميل ، ثم الإذن من الأستاذ للتدريس** ، وأيَّد ذلك بنقل ما وقع بين أبي يوسف وبين أبي حنيفة - رحمهما الله تعالى - حين اشتغل أبو يوسف بالتدريس بغير إذن وإجازة . من « روح البيان » و« الأشباه » .

فإذا كان الأمر هكذا ، وكان هذا العبد الضعيف الحقير الفقير مجازاً مأذوناً من الكامل المكمل المُجاز المجيز على أسوة المشائخ العارفين

---

(١) وكل ما أخذت فيه ودخلت فقد طعنت فيه ، وطعن في المفازة طعناً ذهب « مصباح » .

(٢) والركاب بالكسر : المطيّ ، الواحدة راحلة من غير لفظه . « مصباح » (هامش الأصل) .

(٣) واغترب وغرّب بنفسه تغريباً أيضاً وأغرب بالألف دخل في الغربة . الغاربة أعلى كل شيء « مصباح » (هامش الأصل) .

بالله وإن كان أقل علماً أظهر بقلمه هذه النعمة الجليلة مع بيان السند ، رجاء أن يجد بين العلماء مَن يعتني هذا الأمر المهم ؛ الذي نيط به حصول البركة التامة ، والمنفعة العامة ، فيطلب الإذن من المجاز المجيز ليفوز بهذه الفائدة الجليلة ، ويتصل سلسلته بصاحب المعجزات عليه الصلوات والتسليمات ، وقد أجاز الحقير أبعاضاً من العلماء المتورِّعين كأخينا في الله العالم الفقيه الصوفي القاضي حبيب الله ولد العالم العارف عيسى القحي النقشبندي ، وأخيه العالم المدرس محمد رسول ، والعالم الفقيه المتورِّع أصحاب علي القحي ، والعالم المتبحِّر المرجو لحوز السعادة إبراهيم الهؤوري ، والعالم المحقق والفاهم المدقق الفقيه الصوفي محمد الحَرِكُلِي ، والعالم المشهور الخاشع الخائف نور الدين الزُلْدِي القَرَاخِي ، والعالم الفطن اللبيب ذي الطبع السليم حج موسى المروخي القراخي ، والعالم المجرّب ذي الفهم الصائب والذهن الصافي شمخال الههاڀي ، والعالم المتواضع المشتغل بفنون العلوم النافعة ولدنا من الرضاع المعنوي القاضي حميد الهَنْدِخِي ، والعالم المشهور ذي الأخلاق الحسنة والمنافع الجليلة مسلم العرادي[1] ، والعالم الكامل معلِّم علماء الوقت خل أحمدلو العرادي ، رحم الله تعالى جميعهم آمين ، وغيرهم ممن يطول الكلام بذكر جميعهم .

ومَنْ طلب الإجازة من علماء الزمان فالحقير لإتمام إربه لبالمرصاد ؛

---

(١) وقد كان مجازاً في فنون العلوم من طرف الشيخ جبرائيل أفندي قدس الله سره قبل هذا ، وقال : والله لم يسأم التعليم والتدريس بعد الإجازة ولو دام على ذلك في الليل والنهار ، ورأى بركتها ، وقال لي أيضاً واحد من المجازين : إنه فتح الله عليه في علوم الحديث وغيره بعد الإذن .

وسألت شيخنا قدس سره بهل يجوز أن يأذن للتدريس لمن يقرأ الدرس بمقابلة العوض ، أو لمن لا يتورع وإن كان في العلوم متبحِّراً ؟ ! فأجاب قدس سره بنعم . ولعله يجرُّ ببركة الإجازة وذكر السند إلى الصلاحية . انتهى (منه رحم الله إفلاسه) .

بالشرط المعتبر لدى أهل الأثر ، والله ولي الرشاد ، والسلام .

ومما أجازني شيخنا سيف الله جميع ما في « التحفة المدنية في المسلسلات الوترية » التي جمعها السيد محمد علي ابن السيد ظاهر الوتري المدني ، خادم العلم الشريف بالمسجد الشريف النبوي ، وهو خمسون مسلسلاً ، وقد تركت ذكرها خوفاً من الإطناب والإطالة ، فإنَّ بذكرها يحتاج إلى جمع كتاب مستقل ، فمن أراد الاطِّلاع إليها فليراجع إلى ذلك الكتاب المذكور ، فجزى الله المؤلف عنا خير الجزاء آمين .

وها هنا انتهى ذكر ما أجازني به أشياخنا في الفنون العلمية ، والطرق العليَّة ، والأحزاب المشهورة السنيَّة .

وقد بقي ذكر إلباس الخرقة التي جرت عادة الصوفية بلبسها ، ولأجل تمام النفع أذكر هنا خبر الخرقة :

قد دعاني الشيخ ذو الجناحين سيف الله قدس سره لديه قبيل موته ، وأقامني قبالته ، وكان قائماً ، ثم ألبسني الخرقة البيضاء التي ألبسها عليه الشيخ الكامل زين الله قدس سره ، وكان في المجلس خواصُّ أصحابنا ، ودعا بـ : اللهم ألبسه لباس التقوى انتهى .

وقال : يا ولدي ؛ هذه خرقة النقشبنديِّين ، وقد ألبسنيها الشيخ محمد مراد مُعرِّب « الرشحات » و« المكتوبات » بأمر الشيخ زين الله قدس سره لعجزه عن القيام لوهن وضعف في بدنه ؛ لهرمه وكبر سنه ، وحكى بأنَّ واحداً قد كان يتشبَّه بموسى قبالة فرعون استهزاء ، فلم يغرق مع فرعون وقومه لمجرَّد التشبُّه ، أو ما هذا معناه .

ثم قال : وستصل إليك الخرقة الشاذلية يا ولدي . فطرأ عليَّ حينئذ حال ، وطرأ على الحاضرين أيضاً حال ، فبكوا وبكى من رأى الخرقة ، وقد صاح بعض العلماء صيحة رفيعة وبكى ، فاعترف الكلُّ

بأنَّ في الخرقة بركة نافذة .

وقال : يا ولدي ؛ إني أكتب لك سند الخرقة وسلستها . ثم إنَّ الشيخ قد أوصى بإعطاء خرقة الشاذليّين إلى يدي ، ومات هو بعد أيام ، نوَّر الله ضريحه ورزقنا بركته آمين .

والحكمة في لبس الخرقة : أنَّ الشيخ إذا ألبسها على المريد يحصل له البركة ، ويسري إليه حاله معها ، ويتزيَّا بزيِّه ويتشبَّه به ، وفيها منافع أخرى .

قال الشيخ أحمد ضياء الدين في « متمماته » ما نصُّه : خرقة التصوف هي ما يلبسه المريد من يد شيخه الذي يدخل في إرادته ويتوب على يده ، لأمور :

منها : التزيّي بزيِّ المراد ، ليلتبس بصفاته ، كما يلبس ظاهره بلباسه ، وهو لباس التقوى ظاهراً وباطناً ، قال الله تعالى ﴿**قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ**﴾ .

ومنها : وصول بركة الشيخ الذي ألبسه من يده المباركة إليه .

ومنها : نيل ما يغلب على الشيخ في وقت الإلباس من الحال ، فيرى الشيخ ببصيرته النافذة المنوَّرة بنور القدس أنه يحتاج إليه برفع حجبه العائقة ، وبصفة استعداده ، فإذا وقف على حال مَنْ يتوب على يده علم بنور الحق ما يحتاج إليه ، فيتنزَّل من الله ذلك حتى يتَّصف قلبه به ؛ فيسري من باطنه إلى باطن المريد .

الآباء ثلاثة

ومنها : المواصلة بينه وبين الشيخ ، فيبقى بينهما الاتصال القلبي والمحبة دائماً ، ويذكره الأتباع على الأوقات في طريقته وسيرته وأخلاقه

وأحواله حتى يبلغ مبلغ الرجال ، **فإنه أب حقيقي** ، كما قال عليه السلام « الآباء ثلاثة : أبٌ ولدك ، وأبٌ علَّمك ، وأبٌ ربَّاك » . انتهى عبارته ٧٢ .

سلسلة الخرقة

ثم **اعلم** أيها الأخ أن الشيخ محمد علي بن ظاهر الوتري المدني الذي أجاز الشيخَ[1] زين الله الذي أجاز شيخنا سيف الله قدس الله أسرارهم ذكر سلسلة الخرقة النقشبندية في « التحفة المدنية » على هذا الترتيب الآتي : فقال : ألبسني الخرقة الصوفية النقشبندية شيخنا العلاَّمة المحدث الشيخ عبد الغني المتقدِّم نفعنا الله به وبعلومه ، ثم ذكر السلسة بطولها ، لكن اختصرتها هكذا : الشيخ محمد عابد السندي الأنصاري المدني ، الشيخ محمد زمان السندي ، الشيخ كل[2] كامل محمد السندي ، الشيخ محمد زمان السندي[3] ، الشيخ حاجي محمد ، الشيخ محمد زكي ، الشيخ محمد حنيف ، الشيخ عبد الأحد ، الخواجه محمد سعيد ، الإمام الربَّاني ، الخواجه باقي بالله ، الخواجه إمكنكي ، الشيخ مولانا درويش ، الشيخ محمد زاهد ، الخواجه عبيد الله الأحرار ، الشيخ يعقوب الچرخي ، الخواجه محمد بابا السماسي ، الخواجه علي الراميتيني ، الخواجه عارف الريوكري ، الخواجه عبد الخالق الغجدواني ، الخواجه يوسف الهمداني ، الخواجه أبو علي الفارمدي ، أبو القاسم الكركاني ، أبو عثمان المغربي ، أبو علي الكاتب ، أبو علي الروزباري ، جنيد البغدادي ، السريّ السقطي ، معروف الكرخي ، الإمام علي بن موسى الرضا ، الإمام موسى الكاظم ، الإمام جعفر الصادق ، الإمام محمد الباقر ، الإمام زين العابدين ، والده الحسين بن علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه في الجنة ، قال : ألبسني النبي ﷺ . . . .

---

(١) في العلوم والأثبات والمسلسلات . (منه) . (هامش الأصل) .

(٢) وفي نسخة : كامل .

(٣) وفي نسخة لا يتكرر هذا الاسم .

ثم قال محمد علي بن ظاهر بعد ذلك : وقد روى الطبراني في « الكبير » قال : أنا بكر بن سهل بن عبد الله بن يونس ، نا[1] يحيى بن حمزة ، نا عبيد الحميصي عن عبد الله بن بسر رضي الله تعالى عنه قال : بعث رسول الله ﷺ عليًا بن أبي طالب رضي الله عنه إلى خيبر ، فعمَّمه بعمامة سوداء ، ثم أرسلها من ورائه ، أو قال : على كتفه اليسرى . قال السيوطي في « فتاواه التفسيرية » في آل عمران : رواه في « الكبير » وإسناده حسن ، ونقل ابن شاذان في مشيخته عن علي رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ عمَّمه بيده ، فأرخى ذنب العمامة من ورائه ومن بين يديه ، ثم قال النبي ﷺ : « هكذا يكون تيجان الملائكة » . انتهى ٨٦ من « التحفة المدنية » .

ولأجل كون نسبة أكثر الطرق في التلقين ، ولبس الخرقة إلى رئيس التابعين ؛ الحسن البصري رحمه الله تعالى أردت أن أذكر هنا نبذة يسيرة في بيان كونه في زمن الصحابة ، ليُزيل بذكرها شبهة الخلاف ، كما ذكرت قدراً يسيراً في حقه قدس سره قبيل البرج السادس .

قال الشيخ محمد علي في « التحفة المدنية » ما نصُّه :

تنبيه؛ أنكر جماعة من الحُفَّاظ سماع الحسن البصري من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرَّم الله وجهه حتى تمسَّك هذا الإنكار بعض المتأخِّرين ، فخدش به في طريق لبس الخرقة والتلقين ، وأثبته جماعة[2] ،

---

(١) قوله (نا) : أي أخبرنا . فافهم . (هامش الأصل) .

(٢) وقال الشيخ يوسف النبهاني في « شواهد الحق » عند ذكره سلسلة الشاذلية ما نصه : وهو عن سيدنا أبي سعيد الحسن البصري ، وهو عن سيدنا أبي تراب علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرّم وجهه ، كذا فيما ذكره شيخنا العدوي عن شيخه البهلي ، وهو المشهور من أن الحسن البصري أخذ عن سيدنا علي بلا واسطة .

وفي نظم الأمير ذكر سيدنا الحسن بن علي ، فيفهم منه أن الحسن البصري أخذ عنه ، وهو عن أبيه علي ، وهكذا قال بعض العلماء أنَّ الحسن البصري لم يدرك علياً ، وهو مردود كما في « الرشحات » فراجعه في ٠١ (منه) والله أعلم . انتهى فراجعه=

وهو الراجح عند المحقِّقين لوجوه ، ومن جملة مَن رجَّحه الضياء المقدسي في « المختارة » .

ومن تلك الوجوه : أنَّ العلماء ذكروا في الأصول في وجوه الترجيح أن المثبت مقدَّمٌ على النافي ، لأن معه زيادة علم[1] .

ومنها : أنَّ الحسن ولد لسنتين بقيتا[2] من خلافة عمر رضي الله عنه باتفاق ، وكانت أمه خيِّرة مولاة أم سلمة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها تخرجه إلى الصحابة يباركون عليه ، وأخرجته إلى عمر رضي الله عنه فدعا له : اللهم فقهه في الدين ، وحبِّبه إلى الناس . ذكره الحافظ المزي في « التهذيب » .

ذكره الموالي أنه حضر يوم الدار وله أربع عشرة سنة ، ومن المعلوم أنه لما بلغ سبعاً أمر بالصلاة ، فكان يحضر الصلاة فيصلي خلف عثمان رضي الله تعالى عنه إذ ذاك بالمدينة ، فإنَّه لم يخرج منها إلى الكوفة إلا بعد قتل عثمان رضي الله عنه ، فكيف يستنكر سماعه منه وهو كل يوم

=في صحيفة ٢٣٢ . وفي « الفتاوى الكبرى » لابن حجر ما ينبغي مراجعته فافهم . (منه رحم الله إفلاسه) .

(١) صحح الجلال السيوطي قدس سره لبس الحسن البصري رضي الله عنه الخرقة من سيدنا الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، كما صرح بذلك الإمام عبد الوهاب الشعراني في طبقاته الوسطى ، وبطريق الاستئناس ذكر جماعة : أن عمر بن الخطاب وعلياً رضي الله عنهما ألبسا أويساً القرني خرقة بإذن نبوي . قلت : وإن صح هذا فلا يكون إلاّ استئناساً للقوم لأن خرقة الصوفية تصل إليهم أسانيدها من الحسن البصري رضي الله عنه ، فلذلك يكون ما صححه الحافظ السيوطي دليلاً وحجة للقوم ، وذلك لأن علياً كرم الله وجهه كساه رسول الله ﷺ بشيء من أثوابه الشريفة . فعلى هذا اتصلت أسانيد الخرقة . كتاب « العناية الربانية في تلخص الطريقة الرفاعية » ٦ . وفيه حقيقة التزيي بزيّ المرشد في الأفعال والأحوال . فراجعه في ٦ .

(٢) ومثله في « الرشحات » فراجعه في ٠١ (منه) .

يجتمع معه في المسجد خمس مرات ؛ من حين نهض إلى أن بلغ أربع عشرة سنة ؟ ! ولا شكَّ أنَّ عليّاً رضي الله عنه كان يزور أمهات المؤمنين رضي الله تعالى عنهن ؛ ومنهن أم سلمة رضي الله تعالى عنها ، والحسن في بيتها هو وأمه .

ومنها أنه ورد عن الحسن البصري ما دلَّ على سماعه عن علي رضي الله عنه وكرَّم وجهه ، فمن ذلك ما أورد المزي في « التهذيب » من طريق أبي نعيم : نا أبو القاسم عبد الرحمن بن عباس بن عبد الرحمن بن زكريا ، نا أبو حنيفة محمد بن حنيفة الواسطي ، نا محمد بن موسى الحرشي : نا ثمامة بن عبيدة نا عطية بن محارب : عن موسى بن عبيد قال : قلت للحسن : يا أبا سعيد ؛ إنك تقول : قال رسول الله ﷺ ، وإنك لم تدركه ! ! فقال : يا ابن أخي ؛ لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك ، ولولا منزلتك مني ما أخبرتك ، إني في زمان كما ترى وكان في زمن الحجاج متى سمعتني أقول : قال رسول الله ﷺ ؛ فهو عن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، غير أني لا أستطيع أذكر[1] علياً .

ثم قال : ذكر ما وقع لنا من رواية الحسن البصري عن الإمام علي رضي الله تعالى عنه ، فساق عشرة أحاديث مسندة من رواية الحسن البصري عن عليٍّ رضي الله عنه .

ومن ذلك : قال الحافظ ابن حجر : وقع في « مسند أبي يعلى » قال : نا جويرة بن أشوش ، نا عقبة بن أبي الصهبا الباهلي قال : سمعت الحسن يقول : سمعت علياً رضي الله تعالى عنه يقول : قال رسول الله ﷺ « مثل أمتي مثل المطر » الحديث .

قال محمد بن حسن الصيرفي شيخ شيوخنا : هذا نصٌّ صريح في

---

(١) وفي نسخة : أن أذكر .

سماع[1] الحسن من علي رضي الله تعالى عنه ، ورجاله ثقات ؛ جويرة وثَّقه ابن حبان ، وعقبة وثَّقه أحمد بن حنبل وابن معين . انتهى . فانتفى عند ثبوت سماع الحسن خدش الخادشين في ثبوت سلسلة الخرقة الصوفية .

قال الشهاب القسطلاني في « المواهب اللدُنيَّة » بعد نقل خدش الخادشين في اتصال لبس الخرقة من طريق الحسن البصري : وردّ لبسهم لها مع الصحبة المتصلة إلى كميل بن زياد ، وهو صحب علياً بن أبي طالب رضي الله عنه من غير خلف[2] في صحبته بين أئمة الجرح والتعديل ، في بعض الطرق اتصالها بأويس القرني ، وهو اجتمع بعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهما ، وهذه صحبة لا مطعن فيها ، وكثير من السادات يكتفي بمجرد الصحبة كالشاذلية ، وشيخنا أبي إسحق إبراهيم المتبولي .

وكان الشيخ يوسف العجمي يجمع بين تلقين الذكر وأخذ العهد واللُبس ، وله في ذلك رسالة « ريحان القلوب » ، قرأتها على ولد ولده العارف المسلك ، مع إلباس الخرقة والتلقين وأخذ العهد . انتهى عبارته ٩٣ .

وقد بُيِّنَ في « التحفة المدنية » سلسلة الخرقة القادرية ، والسهروردية ، والرفاعية ، والخضرية ، لكن أعرضت عن ذكرها .

وقد كان لشيخنا خالد سيف الله قدس سره إجازات كثيرة غير ما ذكرناه من عدَّة مشائخ ، وأجازني في جميعها ، لكن لما كانت الإجازة بالقول المحض لم يبيِّن[3] سلاسلها .

---

(١) راجع الفتاوى الحديثية لابن حجر في ٩٢١ (منه رحم الله إفلاسه آمين) . (هامش الأصل) .

(٢) في نسخة : من غير خلل .

(٣) أي : وأنا على آثاره مقتد . فافهم . (منه) . (هامش الأصل) .

ثم اعلم يا أخي أني إنما ذكرت هذه الأسانيد والإجازات تبرُّكاً وتيمُّناً واستمداداً بذكر أسماء أولئك السادات ، فإن عند **ذكر الصلحاء تنزل الرحمة**[1] ، **وتهبط الهبات والبركات** ، وتحديثاً بالنعمة ؛ امتثالاً لقوله تعالى ﴿ **وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ** ﴾ لا افتخاراً ولا عجباً ، وتعليماً لإخوان الدين بأنَّ سعيي ليس كسعي غيري من المتصدِّرين بأنفسهم من غير إذن وإجازة ، الذين لعنهم بقول النبي عليه الصلاة والسلام « لعن الله من انتسب إلى غير أبيه » .

فهذا الحقير الفقير وإن كان ناقصاً من كل الجهات فيده يد الكاملين ، وإن كان عاصياً فإنه يحبُّ الصالحين ويبغض الطالحين ، وإن كان منحطّاً عن درجة المرشدين ، لكنَّ تصرفه يكون مستمدّاً من رشحات الصادقين ، ولا يخفى أن مَن كان محروماً من مجالس الأمراء فوقوفه في صف النعال قد يعدُّه الناس قرباً من درجة الكبراء ، ومَن كان خادماً بباب الدار لا يحرم من سواقط موائد من هو في وسط الدار ، و« من تشبه بقوم فهو منهم » كما ورد من سيد الأبرار عليه وعلى آله صلوات الملك الغفَّار ، ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، حمداً يوافي نعمك ، ويكافىء مزيدك ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين . اللهم اجعل عواقب أمورنا خيراً ، وأمتنا على دين الإسلام ، ناطقين بالشهادة ، عالمين بها ، واجعل خير أيامنا يوم نلقاك ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وأستغفر الله الذي لا إله إلا هو من كلّ ما زلَّ به القدم ، وسها عنه القلم ، ومن كل قول لا يوافق العمل ، ومِن كل خطرة دعتني إلى تصنُّع في الألفاظ وتزيُّن في الأقوال ، أو اختصار في الكلام ، أو زيادة شيء عما في

---

(١) وفي نسخة : الرحمات .

أصل الكلام بمقتضى المقام ، ولقد وفينا بالمقصود من الكتاب .

وتمَّ ها هنا ما كان مضمراً في البال من فصل الخطاب ، وكان المقصود من الشروع في جمع الكتاب مجرَّد إيراد الأجوبة للمسائل البرجية ، لا تصديع رأس صاحبها بالإطناب ، بيد أن الكلام جرَّ بعضه إلى بعض ، فطال وزاد فوق المرام ، وإن كان في الاختصار كفاية عند ذوي الأبصار ، لكن وقع الاحتياج إلى تأييد كل جواب بنقل الآيات والأخبار والآثار ، لأنَّ كلام أمثالنا لا يوثق[1] به إلا إن شهد له الكتاب والسنة ، ويحتمل أن يقع في بعضها التكرار[2] ، وكلها إن شاء الله تعالى لا يخلو عن الفائدة ، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبفضله تنزل البركات ، وبرحمته تجاب الدعوات .

اللهم صلِّ على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق ، والخاتم لما سبق ، ناصر الحق بالحق ، والهادي إلى صراطك المستقيم ، وعلى آله وأصحابه

---

(١) مع أنه كان ينبغي أن يقبل الحق من كل من تكلم به . كان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول في كلامه المشهور الذي رواه أبو داود في سننه (اقبلوا الحق من كل من جاء به وإن كان كافراً أو قال فاجراً واحذروا زيغة الحكيم) . قالوا كيف نعلم أن الكافر يقول الحق ، قال « على الحق نور » أو كلاماً هذا معناه (منه رحم الله إفلاسه آمين) .

(٢) قال الشيخ سليمان البجيرمي في حواشيه على « تحفة الحبيب » في أواخر السلم على قوله (ولايشترط تعيين رأس المال في العقد) ، هذا تقدم فهو مكرر ولا يضر تكرير ذلك لأنه لا يخلوا من فائدة فإنه يزيد في ذلك الطالب رسوخ الحكم لأن ذلك الكتاب أصل وضعه للمبتدئين ؛

قالوا لمسلم فضـل قلت البخاري أعلى

قـالـوا المكرر فيه قلت المكرر أحلى

انتهى

وهكذا المكرر في هذه البروج أحلى وأرسخ في الأذهان (لمحرره العوري غازي محمد) .

حقَّ قَدْرِه ومقداره العظيم .

قد تمَّ بالخير وبالنفع قد يتمُّ إن شاء الله تعالى في ٢٤ من ربيع الأول سنة ١٣٤٠ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

تذييل

في ذكر نظم العالم القاضي ببلات القلژمي رحمه الله تعالى ، الذي نظمه في بيان الطريقة النقشبندية وأحوال من يخالفها من أتباع أهل الزعم والدعوى وذكر ما يوافق قوله من نقول الكتب .

ثم اعلم أيها المأمون في السرِّ المصون ؛ لا يخفى على العلماء أن التكلُّم بالحق والردَّ على الباطل واجبٌ على كل مسلم ، ومَن كتم علماً أُلجم بلجام من النار ، وقد تكلَّمت في حقِّ المتشيخين في تأليفاتي لمجرد النصيحة للخلق ، لا لغرض ولا لحظِّ نفس ؛ يعلم الله تعالى ذلك مني ، ولا يخفى عليه شيء ، وحيث رأيت العلماء ساكتين عن إظهار الحقِّ خوفاً من لومة لائم أظهرت الحقَّ محضاً لوجه الله سبحانه ، وأوقفت نفسي هدفاً لملامة الخلق الذين هم كالأنعام ؛ قائلاً : حسبي الله وحده وهو معيني ، ولا حول ولا قوة إلا به . لكن قد شارك معي للركض في هذا الميدان أخونا في الله ، لله ، بالله ؛ العالم العارف الذي لا يخاف في الله لومة لائم ، ولا يكتم ما يعلمه مخافة الإلجام[1] القاضي ببلات أفندي القُلژمي رزقه الله تعالى الاستقامة آمين ، وكتب نظماً نفيساً عجميّاً ، مقتبساً من أعيان الكتب المعتمدة . ولأجل تمام النفع أردت أن أُدْخِله في هذا الموضع ليكون كلام ذلك العالم مؤيّداً لما قلناه . ونص ما قاله رحمه الله تعالى هذا : بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله .

---

(١) أي مخافة إلجام من النار لو كتمه . فافهم . (هامش الأصل) .

نَقْشُبَنْدْ طَرِيقَتِنْ جِنْدَ اَبُلِبْ طَـرِيقْ   مَـژَّلِ بُــطَ هِچِبْ بَلْكُيَبْ ذِكْرُ بُكُ

حَبِيبَصْ صِدِّيقَصْدِ هَبُـرَبْ تَوَجُّهَـلْ   أَبُو بَكَرِلْ رِكِلْ حَبِيبَصْكِ جِبْ طُرَبْ

أَبُو بَكَرْ صِدِّيقَصْ هِدِنْ قُجّْ لُرَبْ بُكُ   بَهَاءُ الدِّينْ شَيِخَصْ خَدُبْ شُلَ هَبُرَبْ

شِبْنِكْ بِدْعِيَبْ جُ جِنْدَ جَنِبْكِ هِچِّـبْ   أَصْـلُ خِسِزَبِچِّبْ خَّتْ قَّبِ قُّرْدِ هِچِّبْ

طُرُقَزُلْ عَكَـرَبْ مُرِيـدَصِ فِهَيَبْ   تَصَرُفْ جَذْبَتَلْدَ جِنْدِرْ مَعْنَى لِكِ بُكِبْ

جِنْـدِرْ خِرَلِيَلْدَ عَالِـمْزَبِ مُكُّرَبْ   هُـئِنَبْ مَشْرَبْ بُكُ بُقَّرَصِ هِـقِزْ

اِتِّبَاعْ حَصُلْ لِزِ جِبْ هِچُّكُ عُـلَرِبْ   كُـونُوا مَعَ الصَّادِقِينْ اَبُـنْ آيَةْ بُكِلُلْ

جِنْدَصَ وُصَرَوْ چِ دِينْ حِنْقَرَوْ وُكِلَنْ   بَهَاءُ الدِّينْ شَيِخَصْ شُلَ هَبُنْ خَّنْ بُكُ

قِيَمَصِبْ قُ شِزْ عَنْ شُلِيَبْ حَبْلُ بُكُ   جِبْ خِسِزِ هَبِزِ رِسْكُ هِجِّبْ جُ بُكُ

اَللّٰهْ بَلَهُلِبْ رَكْ بَــژَّلِــزِ هَــبُــلِبْ   خَــوَاطِـرَلْ اِنْزَرُنْ حُضُورَلْدِ بَچُنِبْ

رَكَّلُلْ حَقِيقَةْ لِيْ جِنْطَلُنْ حَصُلْ لُلِبْ   بِــطِـرْهَــنْ لِزِكَّنِ طُصِّبِ لِزِ كُلِبْ

هَلْــدَ اِشْــكَالْ بُكِوْ چِ بَهْجَتَلْدِ بَلَهِ   بِــكُنْ لِچِّوْ چِيَصُـلْ اِشْكَالْ كِّزِ بِهُلَ

هِلُلْ خِرَلِ بِــژُنْ مَـژَّلْدَ حَــلْ كِّلَرُ   خِرِيَبْ جَوْهَرْ بُكُ بَهَ هَــبُنْ كُّلَرِبْ

هَبْ طَرِيقَةْ كُّرَصِ كُدِيَبْ رُخِلْ بُكُ   شُلِيَبْ رُكْــنُ يَـلْدَ وُكَّرَوْ چِ وُكُ هِوْ

هَــبْ طَرِيقَةْ خِرَلِ لِزَ نُجُـيْ بُقَّــنِ   مَهْدِى اِمِامَصْ هِبْ كِّيْ عِلَ نُجُيْ دَلِيلْ لُنْ

أَبُو بَكَرْ خِرَلِ جِنْدَلُنْ حَصُلْ لِـرَبْ   رَكَّـلُلْ ذِكْـرِ بُكِنْ بَلَهِ نُجْ طَكَزْدِى

هِلْ نَقْشُبَنْدِ يَزُلْ طُصِبِصِبْ كَلِ بَيْ   ذِكْرُيَلْدَ بَيْ بِكِ قَلْبُ يَلْدَ لُــنْ بُـكُ

ژِنْكِ خَدُرْ اَلْطَافَلْ ذِكْرُيَلْطَ لُنْ بُكُ   طِكَلْدَ بُكِبْ كُژَلْ طُــرَزِ هِـلْ هَـرُلَ

شِـبَــبْ لَـطِيفَيَلْدَ مُــرَاقَبه مَـلُلَ   مُشَاهَدَه دُيْ شِـزِ عُــبُودِيَّةْ حَقْ لِزِ

ژُيْكِ هِزُلْ طُرُقَلْ طَـكَـزْدَ رِژُنْ رُكُ   هِطِنَبْ وَغْظَ يَــلْـدَ رِخْـصِـزِ رِقِـلَرُ
فَنَاءْ كِنْ غَيْبَتَلْدِ مُرِيدْ شَرَبْ مِخَصَّ   هِمِخَلْنِ بِـهُـلَ ذِكْـرُ اللِّـسَـانْ هَـبِزِ
وِلاَيَةَلْدَ كَلِ طَمُرَبْ مِخْ بُـكُ هِـبْ   هِطِنَبْ وِلاَيَـةَنْ جِـنْـدَ ژَّرْكِ اَبُـلِـبْ
هِبْ طَرِيقَةْ حَلْطُلِلْ هِلْ مَشَائِـخْ زَبَـزْدِى   ظَنُّ كِشْلُنْ كَّدَرَوْ اِنْكَارْ هَبُـنْ كَّـلِرَوْ
رُوحْ بَخِيَلْدَ اَسْكُو وِطُنْ كِلَـرِنْ اَبُنْ   شَـهَـادَةْ بِـطِـزِكِ حَـلْـكُ كِلَرِنْ اَبُنْ
طَـبَـقَـاةً اَبُـلِـبْ طِكَّلْدَ بِـژُنْ بُـــكُ   هِبْ نَقْشُبَنْدْ طَرِيقَةْ حَلْ طُلِوْ شَـيِخْ كَّجِّوْ
اَللهْ اَوَرَكَـصْـدِ عَــصِـيَـوِلَـنْ بُـكُ   هَنْجِ دِينَلُلْ وَصَّلْ فِكْرُ هَبُنْ عِنْ طَمِ
عَـبْـدَلْـكُ وُكُـنِـكِ رَعَـبَزُخْ بَـلَـهِ   اِتِّبَاعْ كِ هِجُّنِ حُـضُـورَلْـدِ شِــجُّنِ
لَجُّكُ جِـوْ عُـلَـرِوْ بِطِرْ هَنْكِ لَجُّـنِ   اَللهَ صْـدِ عَـصِـلُنْ عُمْرُ[1] طَمِزِ كَّنِ
صُنْـدِ وِجَـرَوِلَـنْ جِنْصَّكُ فِكْرُ هَبِ   إِنْسَانْ وِجِيَلْدَصَنْ مُـرَادْكُ شِبْ اَبُنِ
عُـبُـودِيَـةْ طُـبِـطِ جِنْدَ طَدَبْ كُژَلْدَ   عِـشْـقُ كِـمُ مَـحَبَّةْ اِنْقِطَاعَلِ سَبَبْ
عُبُودِيَةْ حَصُلْلِ جِبْ كِيَلْدَ لُنْ جُّلِـبْ   عُـبُـودِيَـةْ بُـكْ لَـرُ عِـبَـادَةْ هِـجُّنَنِ
عِبَادَةْ اَبُلِبْ جُ حُضُـورَلْـدَ جِّيْ بُكُ   هِــبْ كُّدِيَبْ سَعَادَةْ حَصُلْ كُ لُلَرِلَ
جَـذْبَـةُ اِلَـهِـيَّةْ جِنْدِيْ هِجِّوْ جِيَصِ   هِـبْ جَذْبَةْ حَصُلْ لِزِ بِشُنْ كُّدِيَبْ سَبَبْ
جَذْبَةَ لُلْ شَيِخْ كِّيْ اِصُلْكُنْ صُحْبَةْ هَـبِ   تَصَرُّفْ جَذْبَةَ لْدَ جِنْدِرْ مَبْنَى كِ بُكِبْ
هَبْ نَقْشُبَنْدْ طَرِيقَةْ حَلْطِزِ طَلُنْ كَّنَ   اَللهَ صُـلْ سُـنَّةْ كِ سَـبَبْ كُنْ بِلُنِلُلْ
سَبَـبَ لْـدَ رِكَـيَـنْ نِـلِـدَ اَبُـلِ لُـــلْ   هَبْ كُژَلْدَ خِرِيَبْ هِبْ طَرِيقَةْ بُكَدْكُ
هِبْ مَلُلِوْ اُسْتَارْكِ كُدُ شُـلَ وُكَـدْكُ   نُرْ كِنْ ژَدَخْ اِسْمُ قُّنْ اَللهَ صْدِ رَجُنِوْ

(١) وفي نسخة : عُمْرُكِ طَعُنْ كَّنِ .

لَطَائِفَلْ كِ رَڗُّنْ چُرْخُلِ نُورْكِ طُلِوْ
حَبِيبَصُلْ طَرِيقَةْ جِنْصَ چَّك هَبُلِوْ

نَسَبْ جِنْدِرْ بَڗَّدَوْ سِلْسِلَةْ كِ قُطِچِّوْ
هَبْ خَلْقَلِ عُنْ بُكُ عَدَمَلْ كُكُّلِوْ چِ

ظَاهِرَلْ كَرَامَتَلْ رِڗُنْ جَلْ كَرْكَرْدُلِلْ
شَيِخْ زَبِيَنْ كِز هِلْدَ عُمْرُ طَمُلِلْ

هِلْچِ شَيخْ لِّنْ هَرُنْ خَدُ رِلِّنِل رُكُ
نُورْ هِچِّبْ اِسْمُ قُّلِلْ نَسَبْ جُدُيِ هِچِّلْ

حَبِيبَصُلْ نُخْ قُطُنْ قُطَّاعَلْ لِّنْ لِّهَرَلْ
لَقِيطُ الطَّرِيقِ لَنْ ڗَّرْكِ اِزْدَ اَبُلِلْ

هِلْ چَعَزْدَ نَخّْ رِلِّنْ خَلْقْ يَزِخّْ لِّلِبْ بُكُ
هِزْدَ لِّنْ هَبْ خَلْقَلِ بُكِبْ ضَرَرْ بِڗَنِ

طَكَّلْكِ بَطُلْ هَرُنْ كَرْكَرْدِزِ لُّهُلَ
جَلْكِ صُفَبِ يِلَنْ دَعْبَدِزِ رِكُلَ

اُسْتَرْكِ ڗَّقَوِلَنْ ڗَّقْكُ وِطَرَوِ لَنْ
جُدِصَّ حَلْطُلِبْ جُ بِطَرَبْ طَرِيقِلَنْ

طِكَّلْدَ رِقُنْ بُكِنْ طَلَبْكُ هَبُلَرُ
صُفِزَبِ اَبُرَبْ ڗَّرَلِ عِيْ هَبُنْ رُكُ

صُفِلِ كِنْ شَيِخْ لِ شِبْجُ يَلِ لَچُّكُ
كَرَامَتَلْ ظَهِرْلِ مُرْشِدَصِ شَرْطْ كُرُ

اَمْرُكِنْ نَهْيُيَلْدَ خَدُ وِلِنْ شَرْطْ بُكُ
طِكَّلْدَ بُكِبْ كُڗَلِ طَرِيقَةْكِ حَلْطُلِوْ

سِلْسِلَ كِ قُطِچِّوْ مَأْذُونْ لِّنْ وُكِ بُكُ
اَخْلاَقُ ذَمِيمَتَلْ تَرَوْ وُكِنِ كِّلَ

اَخْلاَقُ حَمِيدَةَ لْ كُّرَوْ وُكِنْزِ كِلَ
شَرْعَلْدَصَ وَخَّرَوْ وُكِنِك وِهْلَرُ

حُجُبَلْ رُرْخِچُّكُ نَفْسَكِ بَڗَّلِچُّكُ
حَضْرَةُ اِلَهِيَّةْ هِوْچِيَصِ شُلَرُ

خَلِيفَه لِّنْ وُكِنِ هِوْ چِكِ وِهُلَرُ
فِشَبْزْدِ بَلَهِ رَعُخْ نُجْ بَلَهُكِ

لِكَلْ كِشَلْ فِشَبِ عِمِرَلْ رِڗُنْ رُكِنْ
خَلَ لِزِ كُرِلَنْ خَّچُّكُ دِصَ تَنِنْ

حُجُبَلْ رُرْخِيَلِلْ عَلاَمَةْ بِڗُنْ تِزِينْ
رَكَلْدَ طَدْ لُّهَرَلْ بِڗْ لَبِ لِّنْ جَلْ رُكِلْ

بُصُرْمَنَوْ كَفُرَوْ كِنَوْكُ عَدَمَصِ
حَتَى تُشْمَنَ صِكِ هِدِنْكُ حَيْوَنِزِي

ضَرَرْ هِچِّوْلُِنْ وُكِنْ هِبْجُ بُكُ عَلاَمَةْ
خِرِيَوْ حَبِيبُ اللهْ هِدِنْ لِّدَلْ كَدَرَوْ

كَشْفُ كِمُ كَرَامَةْ ژَّقْ فُلاَنَبْ دَرَجَه   كُشُفَلْ هِـچِّـوْ وَلِي كَامِلَوِلَنْ بُكُ

هِزْدَ پُنْكِ خَلْقَلِ كُدِيَبْ ضَـرَزْ بُـكُ   كَشْفُ بُكِوْ شِنَوْ چِ وَلِـي يِلَنْ هِزْدَ كُنْ

اَهْلُ الظُّلاَمْ اَهْلُ الْحَقْ بَطَ هَرْزِ پَچُّكُ   بِـطَـرَبْ أَهْلُ يَلْدِ اَللهَ صْ نُجْ طَمِكِ

فُتُوحَزُلْ بَـلَـهَـلْ عِـمِـرَلْ رِژُنْ رُكُ   اَللهْ رِخْصِيْ كُـرُكُ رِكِلِ بِچَكِكِ آمِينْ

چَمْـكِ لَـغْ وُكِـوِلَ اَللهَ صِ وُقَّـرَوْ   بِطِرْهَنْ جِنْدَ كُرْحُنْ فَتْحُ جِنْدِي هُقَرَوْ

هِدِنْكُ رُكِلِلَ فَـتْـحُ ظَـهِـرَلْ چَـعِ   اِزْدَ اِلْ دَائِمْ پِدَلْ سِحْرُپُنْ جَلْ صِرَرَلْ

اَللهَ صِ رِخَـــرَلْ اِزْدَ دَائِـــمْ هَـرُلَ   هِـزُلْـكِ شَـيْطَدُلْكِ مَشْهَدْ ژُپُنْ بُكَنَ

قِّـجِدَلْ اِلْ رِپُنَ رَسْ بَطَلِ هِـچُّـكُ   هَـلْـدَ اِشْـكَـالْ بُـكِوْ چِ اِبْرِزَلْدِ بَلَهِ

اَللهْ جِنْدَ كُرْحَـرَوْ اَللهَ صْ جِـنْدِ ژَّلَ   هِـزْدَصَ فِـكْرُ هُقُنْ طَدِعَنْكِ هَوُلَ

كَامِلَلْ أَهْلُ الْحَـقَّ لْ اِزْدَ پُـنْ كَپِلَرُ   حَـقَبْ جُـدِدَ بِكْدَلْ   بَطُلَبْ رِخُنِلَ

صَادِقِينَ لْ فَتْحُ يَپِ دُنْيَالْ تِيَلْـدِ ژَّلَ   يَـقِـينَپِـلْ طُـكْ پُـلَ مُعَامَلَه پِكْ پُلَ

صَادَقِينَلْ كُرِلَلْ فَتْحُ يَپِ جَـلْ كُكَّـلَ   شَرْعَلْدَصَ رَخُّلَ حَـبِيبَصُـلْ نُخْ تُلَ

أَهْلُ الظُّلاَمْ أَهْلُ الْحَقْ هِلْكِ بَطَ هَرُلِنْ   پَـزِ بُـقَّـنِ نُـجُـيْ اِضُـخْ بَـلَهُنْ بِكِّ

فَتْحُ لِكِ كِكُ بُكُ ظُلْمَـانِيَبْ نُـورِيَبْ   أَهْلُـكِ بِـجُـنْ بُكُ كِـيَـپِـكُ بَطَيَبْ

أَهْلُ الظُّلاَمْ أَهْلُ الْحَقْ ژَّرْكِ اِزْدَ اَبُلَ   كِـيَزُلْكُ فَـتْـحُكِ بَـطَ بَطَـيَـبْ بُكُ

بَـطَ هَـرُنْ رِژِنْـزِنْ پَـزِ بُـقُّـنْ بَـتَنِ   زُبَلْكِنْ رَقَّلْ رِكِّ جَنِبْ بُكِبْ جُ بِكِّ

لَغْزَدِرِلْ فِشَ پَـيْ اِزُلْ مُـنَـهَـلْ رِكِّ   دُنْـيَـلَـلْدَ پُهُنِلْ حَدِيثْ پُلِلْ جَلْ رِژِ

شِـبَـبْ رَقُّپِ بُكِبْ مَخْلُوقَتْكِ بِكِّلَ   جِنَـلْ چُـلِبْ بَكْ پَلَ اِلْكِ اِزْدَ رِكِّلَ

شَيْـطَبِـكِ رِكِّـلَ   اِلْـكِ اِزْدَ رِقِـلَ   بُـقَّرَبْ جُ هَبِـزِ كُـمَـكْ لِكِ اِزْ هَبَلَ

هِلْ جَلْ ظُلاَمَلْ رُكُ هِلْ جَلْ بِژْپَبِ رُكُ   اَللهَ صْــدِ لَغْ شِنِ هُقُلِلْ جَلْ رُكُ هِلْ

بَطُلَبْ اَهْـلُيَلْدَ هِـقِـزِ جَـلْ هَـرُلِـلْ   أَسْرَارُ الْـحَقَ زْدَصَ اَللهَ صْ جَلْ هُقَرَلْ

فَتْحُ الْحَقَّ لِپ قُّلِبْ فَتْـحُ كِ كِكُ بُكُ   ژُيَبْ صِبِ رِخْصَرَبْ ظُلاَمَزِ جِبْ قُّرَبْ

كِـئَـبِلِـبْ رِخْـصُلِبْ ظُلاَمَزِ قُلَـرِبْ   ظُلاَ مَزِ جِبْ قُّرَبْ رِخْصَرَبْ فَتْحُ يَپُلْ

أَهْلُ الظُّلاَمْ أَهْلُ الْحَقّْ هِزُلْ بَطَلِپ هِچُّ   كِـيَـزْدَكُ بِـكِّـلَ رَسْ بَـطَـلِپ هِچُّكُ

كِنِّكِ هِـبْ قِّـيَـپُلْ مُـرَاذْنِ بَـطَ بُكُ   اَللهْ كُـرْحُنْ وَتَـكِ فَـتْحُ قُّرَلْ چِـيَزْدَ

أَهْـلُ الظُّـلاَمَـزِ قِّيْ اِسْتِدْرَاجَلِپ عُلُ   أَهْـلُ الْـحَقَّ لِپ قُّـلَ دَرَجَـبِ ژِكِـنِ

مَـحَـبَّـةْكِ طُكْ لِزِ جِنْدَ رَكْكِ بُكِّـنِ   هِلْكِ حِنْقُنْ رُكُنَ هِبْ مَقَامْ قُطِزِعَنْ

أَهْـلُ الظُّلاَمَزْدِ جَلْ اِلْحَاقْ هَرِلـلِلَنْ   ظُلْمَةَپُلْ طِـرْكَّرَلْ أَهْـلُ پُـنْ خُطِلِلَنْ

فَتْحُ ثَانِي رَهْزِعَنْ بُجِ هِزِيْ هِـچِّلَ   فَتْـحُ الْـحَـقَّلِپ قُّـلِبْ كِئَبِلِبْ فَتْحُكِ

اِزُلْ فُتُـوحَلْ رِژُنْ كَلِپيْ هَبزِينْ دِصَّ   مَـلاَئِكْ زَبِ رِكِّ هِـزُلْ تَسْبِيحَلْ رَعِ

مُـؤْمِـنْ زَبَزُلْ رُحَـلْ كِرَامُ كَاتِبُونَلْ   هِـدِنْـكُ وَلِـزَبِ هِزْدَ هِوْ كَرْكَرْدِيكِ

اَلْجَنْ هِصْدَ بِكِّلَ لَوْحَ لْدِ هِـوْ وَكِّلَ   حَبِيبَصُلْ خُبْ بِكِّ خَبَپَنْ نُورْكِ بِكِّ ي

خِرِيَوْ حَبِيبَصُلْ ذَاتْ كِ هِصْدَ بِكِّلَ   شَيْطَدَصَ هِوْ بُجِ هِمِخَلِپ حَصُلْ پِلَ

هِلْ جَلْ أَنْوَارَلْ رُكُ اَللهَ صْدِ وَچُلِلْ   أَسْرَارُ الْحَـقَّ لْ رُكُ حَقِيقَةْ پَيْ بُقَنِ

بِطَـرَبْ اَهْـلُيَلْدَ هِقِـزِ جَـلْ هَـرُلِـلْ   بَطُلَبْ أَهْـلُ يَـلِپ اَللهَ صْ جَـلْ قُّلَرِلْ

كِيَبْكُ فَتْحُ پَرَلْ أَهْلُ الْحَقِّ لَـنْ بُكُ   فَـتْـحُ أَوَّلْ قُّـرَلَلْ أَهْلُ الظُّلاَمِنْ بُكُ

خَّبْ خِّلْ غِطْ كَپَنِلَ چِنَرِدُلْ غِـطَلْدَ   دُنْـكِ مُنْكِ غِطْ بُكِنْ بَطَلِپ شِبِنْ أَبُنْ

غِطْ أَبُرَبْ ژَّرْ بُكِّنْ دُدَكِ دِدَكِ يْـلَنْ   دُرْكِ دِرْكِ بَـطَلِپ شِبْ رَخَّلِپ بُكِ بِلَنْ

جِنَرِدُلْ غُطُصَ جوَابْ بِرْثِنْ هَـبُـنَ   أَيْ مِسْكِينْ مُنْ كُكُّ كِ غِطَنْ ابُرَبْ ثَّرَلْپْ

قَّلْبَلْ شُلَ هِچُّنِ غُطُلْ فَيْـدَ هِـچِّـبِنْ   غِطَنْ ابُـنْ شِنَـبْ غِطْ رِلِپَ بُكُنَ رِنْ

خَسَلِلْ هُرَلْ فُيْدَلْ ثُّرُيْكِ طَـدِشِدَلْ   قَّلْ بَلْكِ دُرْ رَخِّـدَلْ طَنْ خَلْكِ دُرْ غِنِدَلْ

هِمِخَلْپْ لِپَ فَقِيرْ مُنْ كُكَّ رَبْ لُپْنْ بُكِ   غِطَنْ ابُـرَبْ ثَّرَلْپْ دُيْ فَيْدَ هَبُنْ كُطِ

قَّلْ بَلْ شُلَ هِـچُّنِ مُـنْ دِدَ رِلُپْنْكُـطِ   هِدِنْكُ ظَهِرْ لِپَ هَلْ فَقِيرْ صُوفَ بَزِي

قِيَمَصِبْ قُيَـصَّ مُـرِيـدْ زَبِ كُـرِلْلِپْ   صُوفِ زَبِ ابُرَبْ ثَّرَلْپْ جَلْ كُكُّنْ رُكِّ

هَنْجِ هَلْ اُسْتَارْزَبَزْ خَلْقَلِپْ هَبُلِـبْ جُ   بَيَانْ هَبُنْ بِثْنْزِنْ عِنْ طَمُنْ بِكِّ وَصَّلْ

لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهْ كَـلَلْپْ رِخْـصِـي ابُـلَ   ظَاهِرْكِ بَاطِنْ چُرُنْ اِسْتِعْدَادْ حَصُلْ لِپِز

طَـرِيـقَـةَلْـدَ جَـنِـرْ لُپْـهِنْزِ نِـلْپْ بِهِزِ   ثِنْكِ خَدُبْ طَرِيقَةْ تَلْقِينْ هَبُنْ مَـلِپِزِي

وَيْ تَـمَـشَ عَـلَمَـتْ كِدَدَيْ رَثَّلُپْلْ   اِسْتِعْدَادْ حَـصُلْ لُپِبْ زَمَنَكُ يِشْ هِچِّبْ

مُرِيـدَصُـلْ اِسْتِعْدَادْ بَلَهِكِنْ بِكِّ چِّوْ   اِصُـلْ مَآلْ حَقِيقَةْ حَقَبْ كُثَلْپْ لِپَرِوْ

هِوْ چِيَصُلْ تَرْبِيَةْ شِبْ رَخَّلِپْنْ بُكُ نِبْ   ذِكْرُ مَلُپِنِلْ ابُـنْ صُـنْـدِ رَخِـنَـرُ لِـلْ

لُپْعِلْكُ جِنْدِيْ هِچِّبْ اِسْتِعْدَادِ شْ بُكُنَـبْ   اِسْتِعْدَادْ لِپِّ وَصِ ذِكْرِ مَلِپْ حَرَامَبْ

لِپْنْ تُنْ مُرِيدْ قَچِّزِ شَيْدَيْ هِو بَرَخْشَرَوْ   غُـدْرُنِرْ رَرَلْ خِنْكَلْ رِكِنِ فِهَ هِچِّشْ

هَنْجِ دِنِلُپْلْ وَصَّلْ دِصَّ نُجُيْ بِـثْنْ زِنْ   نُـجِدَ طَـدَبْ بُكُ اُسْـتَارَصْدَ ابِـزِي

اِسْتِعْدَادْ حَصُلْ لِپِز زَمَـانَـكِ شَـنِـلَنْ   اَللهْ ثُ وُكِـنْ لِپَـنِنْ اِشْـكَلْ كِ طَعَنِلَنْ

تَلْقِينْ هَبُـنْ طَـرِيـقَـةْ نـجِيكِ قِّيلَنْ   طِـكَّلْدَ بُكِـبْ كُثَلْپْ مُرِيدْ زَبِ هَرِيَنْ

اُسْتَارْ هِچُّكُ رُكِ بُقُّنْ نـجِيْ هِچِّلَنْ   هَلْدَ اِشْـكَلْ بَـتَنِ عَالِمْ زَبَزْدَ ثِّخِي

دِدِخُنْ رَكْ كِشْـلُكِ لِپَـرَبْ جُ بِثْنِلَنْ   طَـكَّـزْ ابُخِّ هِچِّبْ طَـرِيقَـةْ بِـهُلَرِنْ

طَكَّلْ هِرِصِ هَرُنْ وَحْيُ هَنْجِ رِشْطِنْچِّنْ   شَيْخْ زَبزُلْ نُخْ كِچِّوْ شَيِخْكِ وُكُنَرِنْ

اِصُلْ نُخْ كُنْ وِلِنْزِ اِصْدَكِ طَدَ بُكِنْ   ژِّيَلْ نُخَلْ رَخِّزِ اِخْتِيَارْ نِلِخْ هِچِّنْ

بِدْعِيَبْ نُخَلْدَصَنْ رَخِّنِ بُقَّنِ   كِكُنِصِصْ هَرُرَلْ تَقْرِيرَلْ ژَّلِزَرِي

نُجُيْ طَرِيقَةْ هِچِّبْ هِنِصَنْ بيَانْ لِلَ   هِصْدَنِكِ بُجَ نُجْ دِدَ بُجِچُّنِكِ

نُجِرْ اُسْتَارْ هِوْ لِدَلْ هِصْدِ نِكِ مُطِعْلِ   تَلْقِينْ هَبُنْ اُسْتَارَصْ ذِكْرُ جِنْدِيْ قِّچُّصُلْ

اُسْتَارَصُلْ رَكَلْدَ هِصُلْ رَكْ بُكُنَرُ   سِلْسِلَ بَغَرِزِ هِصِيْ اِلْ هَبُلَرُ

اِصْ هِوْ غُرْلِ قَلَرُ جَوَابْكِ هَبُلَرُ   حَبِيبْ كُنْ اَللّٰهَ صْدِ شِنِزِ اِزْ هَوُلَرُ

اِزِيْ عُلُ كُرُنِ هُقُّخَّنْ حَجَةْ هِچُّ   هِزُلْ كِنْ رَكَلْ چُرُنْ مَحَبَّةْ حَصُلْ لِنِ

رُوحَلْ رُهُنْ لُلِلَ هَلْمَغْ لِكِ كُلِلَ   نِلِرْ مُرَادْلُنْ بُكِبْ حَدِيثَلْ بِثُلِلَ

دُنْيَالَلْدَ رَكَّلِ وُقَّرَوْ چِكِنْ ژَدَخْ   قِيَمَصِبْ قُيَلْدَ ژَدَخْ وَخَّنِنْ اَبُنْ

هِلْ سِرِّيَلْ حِكْمَتَلْ هَبْ خَلْقَلْدَ لِلَرُ   لِلِوَصْ رِژَنِكِ هِلْدَكِ بُجُلَرُ

جَاهِلَلْ لُنْكِ رُكُنْ عِلْمُ كِصَنْدَيْ بُكِبْ   عَالِمَصْدَصَنْ كُرِشْ جَاهِلْزَبِ حَلْطُلِلْ

دِصَّنِ رِصْ هَبُلَ وِجَرَوْ اَللّٰهَ صِ   هِزْدَ غُرْلِ دُنْ كِدَلْ بُجَ رُقِّ لُهِنْدَلْ

هِزُلْ اَرْوَاحزْدَ غُرْلْ دِرْ رُوحْكِ جُبَنْ كِدَلْ   بُجِ بُكِبْ هَلْمَغْلِ دِيِ نَسِبْ هَبِدَلْ

جَقَ خَنِ كَّرِ جُّ مُرَادَلْدِ وَخِنْدَلْ   دِصَّ هَبِزِ كُلِبْ نُخَلْدِ دُنْ وَخِّدَلْ

كَلَچُّكُ وُكِنِ حَلْنِكِ كُلِبْ اَنِ   عِلْمُ بَلْكُ هَبِزِ نُخْنِكِ بُكِبْ اَنِ

بُصُرْبَبزْدَ كُرْحُنْ رَكْكِ بُكُنَرِ لُلْ   قَطِ رِخُنْ رِطَنَ ژُدَهَلْكُ جَوْهَرَلْ

اَللّٰهَ صْ تَلِحْ قُّرَصْ قَنْ كُنْ شُلَ هَرِلَ   شِبْكُ اِشْكَالْ جِبْكُ تُنْ تَوْبُ يَلْدِ وُصِنَ

هُيَهَيَىْ بَچُنِلْ مُتَشَيِخَلْ رُكُ   ذِكْرُ جُدِصَّ مَلِ اِسْتِعْدَادَلِ يِلَنْ

مِصْرِيَلْ خَلْچَّبِكُنْ جَـهِـلْزَبِ كَنْڗُّلَ جُدخِّ قُّرَبْ ذِكْرِ تَلْقِينْ هَبُــنْ قُّنِلَنْ

حَبِيبَصُـلْ طَـرِيـقَـةْ هِـرصِكِ هَبُلَ هِـبْ طَرِيقَةْ حَلْطُلِوْ مُرْشِيدْكِ كَكُنْ چُّـلَ

دُنْـيَـلَـلْـدَ فَـصِحَلْ قُرَيْشِيَزْدَ كِّچِّبْ حَبِيبَصُلْ دِينْ هُقُنْ حَـبِيبْ هِـرِصِ هَوِي

مَوْلِدْ خَيْرَاتْ چِّكُلِبْ هَبْ جُرْفَدُلْ اَهْلُيَلْ حَـبِـيبَصُلْ طَرِيقَةْ كِنْ هِرِصِ هَبُلِبْ

هِلْ چِيزِ ڗَّلِزِ ڗِّيَلْ طَـكَّـلْ دِرْ هِـچُّ صّـرِ كُـصِلْ طَكَّزْدَ هَلْكِ بُجُلِلْ هِچُّ

دِصَّ فَاتِحَةْ طَمُنْ دُعَا هِـزْدِ هَـبُـنَ إِنَّــا للهِ بَــچَــنَ اَللهَ صْــدِ رِخَــنَ

كَـلِ بَـلِـيْ طَـعَنَ طُكَبْ كَلْ رَهِلَرُ هَـلْـدِ مُـطِـعْ لِـچِّوْ چِ بُقُّخِّ وُكَ اَبِ

يَهْدِي اللهُ بُقَّرَوْ بِـطَـرَبْ طَرِيـقَـلْدِ تَـبْـلِـيـغْ طُـبَزِ هَبُنْ ذِمَّتْكِ خَصَرْلِنَ

اِخْـوَانَـزُلْ رَكَـلِ حَـلْكِّ دِصَّ هَبُنَ اَمَّ ڗُڗُ هُـرْقُّـصَـنْ اُسْـتَارِنْ دَعْـبَدُلَ

جِوْ كُـرِوْ دُنْـيَالَـلْدَ اُسْتَارْكُ هِچِّولَنْ نَقْشُبَنْدِ طَـرِيـقَـةْ جِـنْصَّكِ حَلْطُلِبَنْ

حَلْكِّزِعَنْ خَلْقَلْدَ ذِكْرُ اللِّسَانْكِ مَلِّنْ رِكَـلْ ذِكْـرُ مَـلِّـلِـوْ اُسْتَارْكِ هِچِولَنْ

مَلِّنْ اِبْ بَجَـرُلِـوْ مُـرِيـدْكِ هِچِّولَـنْ هِـبْ رَعِكِ بِڗُنَ ڗُ رَخَلِ خَلْقْ بُجِزِ

حَبِيبَصْ جِنْدِيْ قُّلِبْ لَعَنَكِ كُچُّنْ تُنْ طَـكَّـزْدَ بُـكِـبْ اَنِ طَـرِيقَتَلِ بُرْجِلْ

بُرْجِلْ طَعَرَلْدَصَن طَرِيقَةْ هِچِّـبِـلَـنْ يَـلِّـنِ ذِكْـرُ قَـلْـبِـي بَـجَـرُلَـرِبِـلَـنْ

رِكَلْ ذِكْرِ مَـلِزِ رِسْكُ هِچِّبْ جُيِلَنْ ڗُكِـكِ بُـكِـبْ اَنِ ذِكْـرُ خِـسُـلِـبلَنْ

ذِكْـرُ اللِّـسَــانْ مَـلِزِ طَـدَبْكِ بُكِبلَنْ هِـوْ فَـقِـيرَصِ دَلِـيلْ طِكَّلْدَصَ بَتِچُّ

هِصْدَصَ يَزِخَّبْ جُ دُنْيَالْدَ بُـكِنِشْ ڗُكِ شَـيخْ كَـلِّلَ هِزْدَ هُرْقُّصَ وَخُّنْ

جِنْصَ مَلِّلِبْ جُكُ شَرِيعَتِـلَـنْ اَبُـنْ خَـلْـقَـلْـدَ كِ اَبُلَ هِوْ شَيخَصْ مَلِّلَ

اِتْـنِ رُزْمَنْ سُرْدُيَلِ خَتْمُكِ ڗَّلِيـلَـنْ رَابِـطَـكِ مَـلِّـلَ جِـنْـدِ هَـبِـيِلَـنْ

هِصْدَ رِلِّـرَوْ ظَـالِمْ دُنْيَاللّدَ رَعَنِشْ   دِبِـرْزَبَـرْزُخْ بُـكِـبْ شَـرِيـعَتْكِ بَخُّلَ

شَيِخْ زَبَزُخْ بُكِبْ طَرِيقَتْكِ حَـلْطُـلَ   نَسَبْ جِنْدِيْ هِـجُّـلِ هِنِصَنْ بَيَانْ هِجِّشْ

هِصُلْ اِشَلْدَ رِقُنْ نَتِيجَةْ ظَهِرْ لِجِّـشْ   نَـقْـشُـبَـنْـدِيَولَـنْ دِصَّــكِ اَبِـلَ اَنْ

نَقِشْ هَبِزِ كُلِبْ هُنَـرْ دِلْ بُـكِـبْ اَنِ   عَـرَزْ بِـئُـنِـلْ اَبُـنْ بِـرْزِنْـلِ بُكُنِبِشْ

نَقِشْ هَبُنْ خَطَلْ خَّنْ قَجِّزِ لِـجُّـنَـنِ   دَعْـبَ بَـزِ كَّـنَـنِ نُـخَـلْـكِ لِزِ كُّلِلْ

نُـعْ هِجِّوْ دَعْبَدُلَوْ جُحْ بُزْكِ نَخِ جَّلِوْ   تَـبَـرُّكَـلِ عُـلُـنْ ذِكْـرُ قَّـلِـنْ اَبِـــزِ

طَرِيقَتْكُ كُرِبْجُ مَلِنْ بَـرْكَةْ شُلِـبِـشْ   حَـتَّـى جِكِكِ مُرِيدْ هَلَكْ لِيَلِلْ كُّلِوْ

نُورْكُنْ هِجِّبْ ذِكْرُيَلْ شَيْطَانْ نَخْ جَّلَرِلِلْ   عَالِمْ زَبِ طَعَرَبْ طَكَّلْ هِجِّبْ مِخْ اَنِ

دَعْبَ هَبُنْ بَخِزِ شَيِـخْـلِ بِـهِـلَ اَنْ   يَـلِـنَـنِ طَـرِيـقَةْ قُّجْكُ هِجِّبْ جُ اَنِ

بُـقَّ بُـقَّرَبْ مَـلِـنْ طَـرِيقَةْ لُـهِنَ اَنْ   طَـرِيـقَـةَ لُلْ قُّجَّلْ صُحْبَةْ كِمُ رَابِطَهْ

هِدِنْـكُ ذِكْـرُ الْقَـلْـبِ تَوَجُّهْ مُرَاقَبَهْ   هِلْ اُصُولَلْ هِجُّنِ هَبْ رِخْـصَرَبْ كُـثِلْدَ

قُّجْ كُ هِجِّلَنْ اَبُنْ بُكِ لَنْ دَيْ اَبِلِبْ   هَـبْ خَلْقَلِلْ[1] طَرِيقَةْ طَكَّذْدَ بَتُلَرِنْ

طَكَّلْكِ نَخِّ رِخُنْ عَمَلْ صُنْدَ هَبُلِبْ   زِنْكِ بُصُرْمَنَوْ لَغْ شِبِـزُنْ دَيْ كَـلِلِوْ

نُخَلْ جُّنْتَرَبْ رُسُ رِخُنْ تِينْ كُـرُنِ   شَـيِـخْ اَبِلِـوْ جِـكُ نُخْ مَلِلِوْ جِ لِدَلْ

نُخْ مَلِلِوْ هِجُّـنِ شَـزِ هِـوْ قَـرَعَـرَوْ   اَللهَ صْـدِ شِـيَـلِ بِشُنْ كُدِيَبْ سَبَبْ

رَابِطَه يِلَنْ بُكُ سُـلُـوكَـلِـلْ طَـكَّذْدَ   غَفْلَةْ كِ نَخِ جَّزِ وَسْوَسْ كِ طَصَ اِنْزِي

شَيِخَصُلْ فَنَالِ جِنْدَلِنْ حَصُلْ لِـزِي   فَتْحُ كِ حَصُلْ لِزِي فَيِضَلْ كِ جَخِزِي

اُنْقَـوْكُ اِمَـامَـصُـلْ اِتِّـفَاقْ بُكُ اِلْدَ   هِـلْـدَ اِنْـكَـرْ هَـبُـرَوْ قُـسَرَوِلَنْ بُكُ

---

(١) في ديار داغستان .

هِـبْ رَابِـطَـه هَـبُلِوْ شَيخْ لِكِ قَرَعُنِوْ اَللّٰهَ صُلْ فَنَاپُنْ شِبْكُ جُ كُچُنْ تَرَوْ[١]

خَـرَوْكِ چَّكُـيَـوْ لِكِ اِزُلْ بَطَـلِ هِـجُّ هِـصْدَ رَابِطَ هَبِ اِلْكِنْ عُدُ چِّيْ بُكُ

طَدِعَنَوْ اَللّٰهْ كِنْ اِصُلْ جُلُوسْ لِكِ بُكُ هِصُـلْ جُلُوسْ عِلَرِشْ عَبْدَلْ كُرِوْ چِيَصِ

هِزُلْ صُحْبَةْ رِخِنِشْ رَزَّدَلْ اَرْوَاحَـزِي رَابَـطه يَلُـلْ شَـيِـخْ هِـدِنَوْ چِ هِچُّنِ

غَفْلَةْ لِكِ اُنَرِلَ مُرِيـدْ هَـلَـكْ لُـلِـلَ جِنْدِيْكُ هِچِّبْ وُصُولْ چِدَيْ كِنَنْ اِصْ قُّلِبْ

جِنْدِرْكُ زُّنِچِّبْ رَكْ چِدَلْ كِنِنْ زُّنُلِبْ هَـبْ بِزَرَبْ جُيَلُلْ دُنْكِ مِقْصَ وَتَنِ

فَقِيرْ مِقْصَ كَنِلَنْ دِخْكِ فَاتِحَه طَمِ دُنْكِ رَضِيَوْ وُكِـنْ بِطَـرَبْ بِزَرَصْـدَ

هَبْ دِصَّ عَدِنْ دَلِيلْ طِكَّلْدَ صَنْ خَّرَصْدَ فِـقْـهِ زُّلُـنِـنْ اَبُـنْ تَـصَـوُّفْ بِـجُّلَرُ

سُلُوكَ لُلْ طَكَّزْدِ بَلَهُنْ كَـلِـيْ هَـبِ مَـشْـرِقَـلْـدِ وِلِـرَوْ مَـغْـرِبَلْدِ شُلَرِنْ

نُخَلْ بَطَيَلْ رُكِنْ رِطُنْ طَمِ عَـدَمَـلْ عِـلْـمُ لُـعُلِبْ هِچِّنْ جَبْكُ تَنِ كُرُنِ

بِطَرَبْ بِزُنِلَـنْ عُـمْـرُكِ خُـلِـبُـكِـنْ طَكَّذْدِ اِنْكَرْ هَبُنْ خَلْقْكِ قُسُنِبْ بُكِنْ

خَدُرِلِنْ چُّنَنِ رَكْـكِ بَـقَـلِـبْ بُكِـنْ يَا رَبِّ يَا بِطِرْهَنْ مُنْ رَضِيَبْ عَمَلْ قِّـي

اُسْتَارْ رَضِيَبْ كُزَلْ اِخْوَانَلْ حَلْـطِزَرِي عُـمْرُكِ خَلَتْ هَبُنْ اُسْتَارْ طَدِعَنْ هَوِي

زُنْكِ هُرِ بُقُّخِّ كِصَنْ فُنِ كَرْ هِـچِّـنْ هَبْ كَلَامْ دِصَ خَّنَ خَلْقَلْدَ ظَهِرْلِزِي

حَبِيبَصُلْ طَرِيقَةْ حَلْطُلِبْ كُزْ بِكِّـزِي عَالِمَصْـكِ زُّنـزِ جَـاهِـلَوْكِ كَنْطِزِي

طِكَّلْدَ بُكِبْ كُزَلْ طَرِيقَةْكِ حَلْطِـزِي هِلْـدَ طَدْ كَـلِلِـوْچِ زُّلَـرَوْچِ وَتَــنِ

يَلُنِ جَحْدَ بُكِـوْ جَـاهِـلْ چِ وَتَـنَـنِ طِـكْ لِكِ بُـسُنْ وَخَّ اِوْ مُبَاحَثَه هَبِزِي

جَاهِلِ زَبِ كُكِّزِ عَالِـمَ صْ بِـهِـلَـرُ زُكِ لِكِ جَـحْـدَ بُـكِـوْ كَـلِلِوْ چِ وَتَنِ

---

(١) يعني من حصل له الفناء والبقاء الأتمّين ، راجع « البهجة » قحيّ .

دِي كِشِزِ يِلَنْ خَلْقَلْدَ كَرْكَرْدُلِوْ　　　خَلْ چِنْ كِنْ وَخَّ اَبِ مُبَارَزَه هَبِزِي

جَحْدَ كِ ظَهِرْ هَبُنْ فَرَقَةْ چُّنْ بِهْلَرُ　　　هِبْ كِيَلْكْ كُرُنِ كَلاَمْ كِ طَعِنَرُ

طُبَلَرِبْ رَعُصَ عَدَمْ كِ وُخِلَرُ　　　يَلُِنِ دُنْ جَوْكُ تِ عَالِمَصْكِ نْ جَاهِلَصْ

دِرْ ژَّرْ بَخُّنْ كَلِكِ جَلْكُ بُقِّخِّنْ رُكَ　　　دِينَلُلْ اِشْ طُبَزِي طَكَلْكِ رُكُ كُدُرْ

دَنْيَالَلُلْ اِشَلِ يَرَغْكِ بُكُ بُقُّخْ　　　دِدَ كُرْحُنْ تَرَصِ رَسْكِ بَرْكَلَّ هِجُّ

هَبْ طَرِيقَةْ چُّنْ تِزِ دُنْ خِزِعَنْ تِلَرُ　　　بِژُنْ رَعِ خَرَوْ چِ جِوْكُ خَرَوْ چِ وُكُ

خَرَوْ چِيَصِ دَرْمَنْ خَبَلْ لِيْ كُرِبْ هِجُّ　　　خَرَوْكِ لِنَ دِدَ چَّكُ يَوْكِ وِكَّنَ

اِزُلْ بَاطِنْ بِكِّدَلْ عِمِرَوْكُ وُخَنَ　　　چِنْكِ عَدَنْ وَتَنَ طَصَنْ هُدُلْلِ هَبُنْ

عَكَرْلِكِنْ هَلْمَغْلِ طَصَنْ ظَهِرْ هَبُلِوْ　　　جَنِصَنْ جَحْدَيُلْلْ چُّرَلْ دِدَ رِچُّلِوْ

خِيَانَتَبْ عُمْرُ كِنْ دِدَ خُنْ كَرْكَرْدُلِوْ　　　شِبَبْ رِصّْ اَللهَ صِ صَلاَةْ اَوَرَكَصْدِي

هِزُلْ دَعْبَ بُصُنِبْ بَكْ حَبِيبَ صْدِ لِدَلْ

انتهى ما ظفرته من نظم ذلك العالم المحقّ الراغم أنوف أهل الباطل .

وقد نطق العالم العارف أدرة العرادي في نثره ونظمه كما نطق ذلك الناظم .

وأشبع الكلام شيخنا المحترم المرحوم الباكني في حقِّ هؤلاء القوم في « طبقاته » ، وشيخنا القطب الصمداني الحسيني في « مكتوباته » و« كنزه » وقد كان العالم المشهور المتورع الذي لا يخاف في الله لومة لائم حجيو الخراكي – أبلّ الله مرقده بلطفه الخفي- يجتهد في ردّ ما يفعله هؤلاء الطائفة المخترعة بقوله وفعله ، بل كان يصيح على رؤوس الأشهاد أنهم دجالون متصنّعون ، كما هو معلوم لدى كلّ من يصحبه من الناس . كثّر الله تعالى أجورهم وشكر سعيهم ، ولا حرمنا من بركاتهم وفيوضاتهم . آمين .

ولو تكلّم العلماء بالحق كما تكلّم هؤلاء المذكورون ؛ لاحترز الخلق من الوقوع في شبكة أهل الدعوى . عصمنا الله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . آمين يا أرحم الراحمين .

ثم اعلم أني لم أقصد بكثرة إقامة البراهين في هذا الكتاب وفي غيره من تأليفاتي على إثبات ما أقوله في الجواب وأُثْبِتُهُ في الخطاب ؛ أن أُقنع بذلك أتباع أهل الدعوى الذين تصدَّروا باسم المشيخة بأنفسهم ؛ مع عدم سلوكهم في الطريق على يد شيخ كامل ، وعدم وضع قدمهم ؛ ولو في أول موضع يضعه السالك المحقق في الطريق ، ومن غذي بلبان بدعتهم من زمن الصغر إلى حالة الشبابة والشيخوخة ؛ فإنّ هؤلاء القوم لا أمل في نجاحهم ، ولا رجاء في قبولهم الحق بعد أن امتزجت بدعتهم الشنيعة في جميع أجزاء بدنهم ، وسرت فيهم سريان الماء في التراب ، وتمكَّن الشيطان منهم تمكُّن الصبي من الكرة التي يلعب بها متى شاء كما شاء .

فهؤلاء لا يرجعون عن مألوفاتهم ، ولا يخرجون عن مأنوساتهم ، ولو تليت عليهم الآيات والآثار ، بل المجادلة والمنازعة وإيثار الإنكار والمنازعة والدوام على أباطيلهم دَيْدَنُهُمْ وعادتهم كما رأيناها منهم ومن أتباعهم ، ووجدنا كلام جميعهم على نمط واحد من التمويه والتلبيس وإلقاء التخيلات في القلوب والتسويس[1] .

وقد اجتمعت كبيرهم وصغيرهم في اعتقادهم ولم نجد أحدهم سلك الطريق ولو بأدنى شغل من أشغاله ، بل علمنا بالعلم اليقيني أن جميعهم مدَّعون كذّابون لا يقبلون الحق ولا يسمعون الدلائل ؛ ولو كانت من القرآن والأحاديث ! وليس لي ولا لغيري في قبولهم الحق ورجوعهم عن مخترعاتهم ومأنوساتهم مطمعٌ أصلاً ، ولذا لم يكن قصدي من

---

(١) أي الإيقاع في الوساوس .

الجواب وتشييده بالنصوص ، وجمع الكتاب وتأييده بالدلائل كالفصوص إلاَّ تفهيمَ من سواهم من المؤمنين والمسلمين عموماً وخصوصاً ؛ أنَّ ما عليه هؤلاء الطائفة المبتدعة مخالف لما عليه جمهور الأمة المحمدية والسلف الصالح من مشائخ الطريقة ، وقد بيَّنا جميعهم مع ما يفعلونه من البدع الغير المرضية ، ورددناها بدلائل من الكتاب والسنة في كتابنا « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » فمن أراد الاطلاع عليها فعليه المراجعة إليه ، فإذا فهمت ما ذكر ؛ فاحترز أيها الأخ أن يخدعك الشيطان أو أحد من أعوانه ممن حقَّت عليه كلمة الخسران من شياطين الإنس .

وقد قيل : إن شيطاناً واحداً من شياطين الإنس أشدُّ فتنة من سبعين شيطاناً من شياطين الجن . فاتق الله في نفسك ، وكن على حذر من الوقوع في شبكتهم الباطلة .

وقد كان شيخنا ذو الجناحين السيد الأمير المستور في قباب الله سيف الله قدس سره يستعيذ منهم ويقول : عياذاً بالله منهم !

وكان يقول ويكتب : لا تسكن في قرية فيها واحد منهم .

وكان يقول : يا ولدي اسعَ في القرى وانشر طريقتك النقشبندية أو الشاذلية بين الناس ليكون سبباً لحفظ الناس من الوقوع لدى هؤلاء القوم المخترعة ، ففي ذلك نفع للناس . انتهى .

فالواجب على كلٍّ من عموم المسلمين أن لا يخالطوا هؤلاء المتشيخين القاصرين ، ومن نحا نحوهم من العلماء الفاسقين[1] الذين يشوِّشون في أمور الطريقة ، ويجتهدون في تفريق كلمة أربابها ، ويلقون إليهم من الشُّبَه والدسائس ما يشكِّكُهم في صحة ما هم عليه من اتباع مذاهب السادات أهل السنة والجماعة ، فإن مَن خالطهم يُنْفثون في فيهم

(١) في نسخة : وإن نحا نحوهم العلماء الفاسقين . عله الفاسقون .

سَمَّ أباطيلهم ؛ فلا يمضي عليه مدة يسيرة إلا وقد وقع في شباكهم ، وصار مثلهم يدَّعي المشيخة والولاية ويخبر الكشوف المتفعلة ، ولم نرَ فيهم إلا الاعتراض والإنكار على الطريقة وأربابها ، بل رأيناهم يقولون : إنّ أخذ الطريقة وتلقين ذكرها مما لا يجوز إلا لمريد له نفس مطمئنة . فانظر هذا القول العجيب ! فليت شعري ؛ هل وُضِع الإرشاد إلا للمعوّج الضالِّ لتهذيب أخلاقه الذميمة التي هي مقر النفس الأمَّارة إلى أن تصير مطمئنة راضية مرضية .

ولا يخفى أن العلاج إنما يحتاج إليه المريض ! فالقول (إن إعطاء العلاج لا يجوز إلا لصحيح) قولٌ باطل لا يقبله عقل ولا نقل .

وفرقة أخرى منهم ، اتخذوا قول من يزعمون أنه شيخهم الجاهل - الذي يذم العلماء ، ويمنع أصحابه عن أن يُصلُّوا خلف القاضي ؛ وإن كان من أعلم علماء الزمان وأورعهم وأتقاهم - من أنه لا يُجَوِّزُ أخذ الطريقة .

فقد عظم ضرر هؤلاء الفرقة في أطراف القرى التي حولهم على كل من يصحبهم ويخالطهم ويصغي إلى كلامهم ، فانتشر مذهبهم الباطل في الأطراف ، فليس العالم ينكرهم خوفاً من ضررهم ، وليس العاقل يتفكر وينظر هل هم على الحق أم على الباطل ؟ ! فالويل ثم الويل للعلماء الذين يداهنون ، وقد كان الواجب عليهم أن لا يخافوا لومة لائم منهم حين رأوا ما يستعملونه من البدع في الطريقة ، والله أحقُّ أن يخشوه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ومن الكلام الذي نقلوه عن إمامهم[١] الذي يزعمون أنه شيخ شيخهم قوله : فلا يمكن أن يكون مَن له مذهب خاص من أهل الطريقة من حيث هي هي فضلاً عن الحقيقة . انتهى .

---

(١) وهو العبودي رحمه الله تعالى .(منه) .(هامش الأصل) .

وقوله أيضاً : فأكثر العارفين رضي الله تعالى عنهم من أهل المذاهب الأربعة ليسوا من أهل الطريقة حقيقة ، وإن عبدوا عبادة الثقلين وتزهدوا في الدارين . انتهى كما ذكره في شرحه على « المختصر » .

وقد يؤخذ من ظاهر هذا الكلام الأخير أن العارف لا يكون من أهل الطريقة ، مع أن العارف كاملٌ ، وأدنى درجة الكمال إتقان المقام الرابع الذي يسمى النفس فيه بـ« المطمئنة » كما هو مذكور في « السير والسلوك » .

وقد ذكر في شرحه المذكور في موضع آخر أن صاحب النفس المطمئنة هو المأذون المرشد . انتهى .

فبالنظر إلى هذا وإلى ما مرَّ نقلاً من « السير والسلوك » يتعارض بين كلاميه ، لأنه يؤخذ من كلامه أنَّ من له النفس المطمئنة هو المرشد الكامل ، ومن كلامه الآخر أن العارف الكامل ليس من أهل الطريقة . فليتدبَّره العاقل ! مع أنه قال في هامشه على قول شرح المصنف : فهو مبتدع ضال .

إنَّ الطريقة فرض على المؤمنين[١] لتوقّف أداء التكليف على السنة ، والسنة على التربية والصحبة مع المربِّي . انتهى . وأما قوله الأول[٢] ! ففيه إشكال أيُّ إشكال ، لأن الإمام الرباني الذي قيل فيه : لا أرى في هذه الأمة مثل الإمام الرباني - والحال أنه مجدِّد الألف الثاني الذي بينه وبين مجدِّد المائة ما بين المائة والألف[٣] - كان حنفيّاً خالصاً كما ذكره في « مكتوباته » .

(١) أي : وفي المؤمنين مطيع وعاص ، وعامي وخاص ، وناقص وكامل وعارف . فاسم المؤمن يعم الكل . فافهم (منهً) .

(٢) وهو قوله : فلا يمكن أن يكون من له مذهب خاص من أهل الطريقة من حيث هي هي فضلا عن الحقيقة . (من الإشارة التي في الأصل) .

(٣) من الفرق . (منه) .

وكذا القطب الحقيقي الشيخ عبد القادر الكيلاني كان حنبليَّ المذهب .

والقطب الكامل رئيس الطائفة الشيخ خالد شاه البغدادي السليماني كان شافعيَّ المذهب .

فهكذا كان كل شيخ مقيَّداً في مذهب إمامه ؛ منسوباً إليه في ذكر مناقبه ، كما هو مذكور في بيان مناقبهم في الكتب .

والتعارض والمخالفة بين كلام ذلك الشيخ المذكور ؛ وبين ما هو مذكور في الكتب بيِّن لا يخفى ! عفا الله عما سلف ، وغفر عما أَتْلَفَ . آمين يا أرحم الراحمين .

فالحاصل لا يجوز أن يكون المراد من أهل الطريقة في قوله السابق المريدين السالكين في الطريقة ، لأنه لو كان المراد منهم جميع من سلك فيها لدخل فيهم المبتدئون ، ولا شكّ أن المبتدئين لا يكونون إلا مقيدين في مذهب خاص ، كمذهب الإمام الشافعي أو الحنفي أوغيرهما رضي الله عنهم وعنا آمين ، ولا يمنعهم المشائخ من ارتكاب الرخص الشرعية ، ولا يؤمرون باتخاذ العزائم ، كما هو مصرح في « البهجة السنية » فراجعه في ٣٠ .

مطلب

في الأخذ بالرُّخص والعمل بالمباح

والحال أنه لو أتى المريد السالك الرخص الشرعية كقصر الصلاة والمسح على الخفين وغيرهما لا يخرج من الطريقة ، فكيف وقد ورد في الحديث : « إن الله يحب إن تُؤتى رُخَصه كما يُحب أن تُؤتى عزائمه » ؟ ! حتى إن الشيخ الكامل لو ارتكب الأمر المباح لا يعترض عليه ، لأنه إذا

لم يمنع مالك الملوك جل سلطانه عن إتيان المباح ؛ ولم يعترض على فاعله ، كيف يسوغ لغيره سبحانه أن يعترض عليه ؟ ! كما صرحه الإمام الرباني في « مكتوباته » فراجع « الدرر المكنونات » في ٣٨٣ من الجزء الأول .

وفي الحديث : « من لم يقبل رخصة الله كان عليه من الإثم مثل جبال عرفة » عن ابن عمر وإسناده صحيح راجع « السراج المنير » في ٣٢٢ ج٣ .

وأما إذا كان المراد[1] ؛ أن من قيَّد في مذهب خاص واشتغل بالرخص ولم يتمسَّك حبل العزائم من كل مذهب لا يمكن أن يكون من الذين وصلوا إلى منتهى درجات الولاية العليا ؛ التي هي ولاية الملائكة ، ووصلوا إلى ذروة حقائق ولاية الملأ الأعلى ! ففي ذلك احتمال[2] .

مطلب

مذهب الكامل

فإن الصوفي الواصل الكامل المنتهي لا مذهب له خاصٌّ ، بل عادته التمسك بالعزائم من كل مذهب ليفيد الترقي منه ، لأن العمل بالرخصة حينئذٍ تجذب الإنسان إلى طرف البشرية ، والعمل بالعزيمة يظهر المناسبة بالمَلَكية ، فكلما كانت المناسبة بالملكية تيسَّر سرعة الترقي في هذه الولاية ، فإن الولاية العلياء ولاية الملائكة الأعلى كما ذكره الشيخ أحمد ضياء الدين في « جامع الأصول » فراجعه في ٥٩ .

وأيضاً إن كان مراده – عفا الله عنه – من قوله الآخر : أن أكثر

---

(١) أي : من قول العبودي . (هامش الأصل) .

(٢) وهو اللائق بمقام قائله (منه) .

العارفين من أهل المذاهب الأربعة ليسوا من الذين وصلوا إلى منتهى مراتب الطريقة بالسلوك على يد شيخ ، بل إنما وصلوا إليها بالجذبة الوهبية الإلهية ! فذا مقبول أيضاً لا غبار فيه .

وأما إن كان المراد ما يفهم من ظاهره ! فيردُّه بما ذكر من كون العارفين من أهل الطريقة مقيَّدين في مذهب إمامهم ومنتسبين إليه في ذكر مناقبهم ، فحينئذ يكون ذلك الكلام معدوداً من شطحات الصوفية الصادرة في حالة السكر والغيبة ، ويشهد لذلك ما كان يفعله صاحب الكلام – عفى الله عنه – من تلقينه الأوراد لعوام الناس الذين لا يعلمون شيئاً من أحكام غير إمامهم الشافعي رضي الله عنه كما هو معلوم لا يخفى . وقوْلِهِ بأن الطريقة فرض على المؤمنين كما مرّ ، وذكره في ذلك الكتاب المذكور أوراد النقشبندية والخلوتية ، فافهم وتدبَّر ولا تكن من الغافلين .

مطلب

فالحق الذي يؤخذ من كلام الأكابر : أن الشريعة والطريقة عين الآخر ، والتفرقة بينهما كفر .

وقد لام الإمام الرباني قدس سره على مَن تكلم بما يوهم المخالفة بينهما في « مكتوباته » ، لكن لما كان مقام الشريعة في كثير من الناس سقيماً غيرَ صحيح ، وأخلُّوا لذلك في إتيان الأوامر والاجتناب عن النواهي ، وكانت تزكية النفس مقدَّمةً على تحصيل الإيمان اليقيني ، بل كانت الشريعة والإيمان فيهم صُوريّان لا حقيقيّان قبل التصفية والتزكية ! وقع الاحتياج إلى استعمال أدوية الطريقة وأورادها التي هي عينُ ما في الشريعة المحمدية ، وتعلّمها من الشيخ المرشد على ما قرَّره الأكابر في كتبهم ؛ من أنه يجب تعلُّم أدوية أمراض القلب من الشيخ المرشد على كل مَنْ ليس له قلب سليم ، كما هو مذكور في ابن حجر في كتاب

« السير » ، و« روح البيان » ، وغيرهما من كتب السادات ؛ فإنَّ أمورها كلها علاجات لأمراض القلوب ، وشفاءاتٌ لتزكية النفوس عن الأخلاق الذميمة والعيوب ، ومن هنا قيل : الطريقة مقدَّمةٌ على حقيقة الشريعة ، فإنَّ للشريعة صورةً وحقيقة ، كما أنَّ للإيمان صورة وحقيقة ، وصيرورةُ صورتهما حقيقية - التي هي مقدمة المعرفة التي إذا حصلت للسالك يقال له « عارف » - مبنية على استعمال أدوية الطريقة التى باستعمالها تحصل التزكية ، فبناء على الترتيب السابق يكون مقام المعرفة من أعلى المقامات ، ومن وصل إليها يسمى « عارفاً كاملاً » ، فيكون المقصودُ من سلوك طريق الصوفية حصول ازدياد اليقين الذي هو حقيقة الإيمان ، وحصول اليسر في أداء الأحكام الشرعية لا أمر آخر وراء ذلك ! وصيرورة صورة الشريعة والإيمان حقيقة حتى يترسَّخ في مقام المعرفة ، فصارت الطريقة والحقيقة متممتان ومكملتان للشريعة ، والمعرفة نتيجتهما ، فليت شعري ما مقام الطريقة الذي لم يصل إليه أكثر العارفين على ما قاله الشيخ العبودي عفا الله عنه ! ! مع أنَّ العارف كاملٌ حصل له مقامُ المعرفة ؛ الذي هو أعلى المقامات ، ومقصود كل سالك ، ومنتهى مقاماته ، والطريقة والحقيقة وسيلتان إليهما ، عصمنا الله تعالى من شرور الأوهام والخيالات ، ومن التكلُّم بما لا حقيقة له من الشطحات .

وأظن والله أعلم أنَّ الذي جرَّأهم على التكلُّم بالوهميات ، والمخالفة بأصول طريقة الأكابر والسادات ، عدمُ كونهم من فرسان ميدان أولئكم القادات ، وعدم سلوكهم بالترتيب في جميع ما سلكه أصحاب الهمم العاليات ، وإن كانوا عابدين زاهدين عالمين واصلين بالجذبات الوهبيات ، فأرادوا أن يكون لهم حظٌّ من مقام الإرشاد ، بيد أنهم لمَّا لم يذوقوا ما ذاقه أهل الطريقة بالسلوك اخترعوا أوراداً وأذكاراً وسَمَّوها طريقة ، ولأجل أنهم لم يسمعوا غير الطريقة النقشبندية سموها نقشبندية ، فكلا ذلك ثم

كلا ! ! فللنقشبندية أصول لم يسلكوها ، وإنهم غيَّروها وبدَّلوها ، فبذا صاروا مطرودين بدليل ما قاله رئيس الطائفة خالد شاه البغدادي السليماني قدس سره : **من غير أصول طريقتنا فليس منا** .

ولا يخفى أنَّ الحنفي مثلا لا يكون مالكياً إلا باستعمال مذهب المالكي ، فهكذا لا يكون أحد نقشبندياً إلا باستعمال أصول النقشبندية ، ومع هذا ظنَّوا بتلبيس إبليس أنهم بذلك - أي بما يفعلونه مما ليس في أصول الطريقة - يرضون الله ورسوله ، لأنهم يحثُّون الناس إلى ذكر الله ويعلِّمون الأوراد ، وإن لم يكونوا مأذونين للتعليم والتلقين من الكامل المكمَّل ، وما علموا أنهم بذلك صاروا ملعبة للشيطان ، ولعمري إن الشيطان الذي زين لهم هذه الأمور المخترعة لشيطانٌ كبير عارف بطرق الإضلال خبير ! ! إذ خَيَّلَ لهم أنَّ ذلك إرشادٌ للخلق إلى الحق ، ودلالة للناس إلى ذكر الله ، فحاشاهم ! فإنَّ الذكر الخالي عن النور الحاجب عن وسوسة الشيطان لا ينفع ولا يوصل ، بل يضر ! كما بيَّنته في كتبي مع بيان النقول والأدلة ، فبسبب هؤلاء القوم انتشرت الفتن في كثير من نواحي داغستان ، وتصدَّروا بغير إذن وإجازة ، واخترعوا أوراداً يعلِّمونها أتباعهم وسموها طريقة جديدة ، وأنكروا أصول الطريقة الأصلية المعنعنة المسلسلة عن سيد الثقلين عليه الصلاة والسلام فتبعهم كثير من الناس ، ولم ينكرهم أحد من العلماء ؛ خوفاً منهم ومن ضررهم ، فحصل بهم الضرر العام للطريقة وأهلها ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

فإن قال قائل : إنَّ أبعاضاً من المتصدِّرين للإرشاد في ديارنا كانوا علماء وعبَّاداً وزهَّاداً وإذا كانوا كذلك فهم أعلم منك بهذه الأمور التي اخترعوها وخالفوا فيها أكابر السادات ، ولولا أنهم ظهر لهم بطلان ما عليه جمهور أهل الطريقة ، وحسن ما يفعلونه بالنظر إلى أحوال أهل هذه الديار الجبلية ، لما تجاسروا على ما يفعلونه ، ولما خالفوا من سبقهم من

السادات النقشبندية والقادرية والشاذلية ! .

أقول في الجواب : اللهم نعم ؛ كانوا كذلك ، ولا ننكر عبادتهم وعلمهم وزهدهم وولايتهم ، لكن لا معصوم إلا النبي ﷺ ، ولا عاصم إلا الله ، وقد قال النبهاني في « شواهد الحق » : إنَّ أئمة الضلال ورؤساء أهل البدع والأهواء هم أيضاً من أكابر الأئمة وأعلم العلماء ، ولكن الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، ولعلم نبينا ﷺ بتعليم الله تعالى أنه سيقع في أمته اختلاف[1] في الدين أمرنا أن نكون مع السواد الأعظم وهم جمهور المسلمين ؛ وهم أهل المذاهب الأربعة ، وساداتنا الصوفية ، وأكابر المحدِّثين ، فهؤلاء - أي - السادات من أكابر الصوفية الصافية مخالفون لما عليه هؤلاء القوم المدَّعون المتصنِّعون ، الذين تسمّوا باسم الصوفية النقشبندية أو القادرية عفا الله عنهم وعنا . آمين .

ومن المعلوم المتيقَّن أنَّ مَن سبقهم من المشائخ[2] أكثر منهم علماً ، وأدقُّ فهماً ، وأسلم ذوقاً ، وأوسع معرفة ، وأفضل من كل الوجوه علماً وعملاً آلاف ألوف من عهده ﷺ إلى الآن ، أفيكون هؤلاء على الخطأ ، وتكون الأمة كلها بأسرها ضالَّة ، والمشائخ الذين يزعمون أنهم مأذونون من الشيخ الثغوري والحال أن كلاً منهم يقول : لا ثاني له غيري[3] على الحق والهدى ! ! مع أنه لم يوجد في يد واحد منهم صك الإجازة ولا شاهد له على الإجازة ، هذا مما لا يقبله إلا كل جاهل بهيم ، فاقد العقل

---

(١) وفي الحديث : « افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة » انتهى . (منه رحم الله إفلاسه) .

(٢) كالإمام النقشبندي وعبد الخالق القادر (عله عبد القادر) وأبي الحسن الشاذلي وخالد البغدادي وأضرابهم . (منه) . (هامش الأصل) .

(٣) أي : ليس بمأذون غيري فافهم . (منه) . (هامش الأصل) .

والذوق السليم ، ودعوى كونهم من أهل الاجتهاد ! ! فيردّه بنقول كثيرة ، ويكفيك ما قاله يوسف النبهاني رحمه الله تعالى في « شواهد الحق » في ٤ بهذه العبارات :

فأقول اعلم أنه قد انقطع الاجتهاد منذ مئاتٍ من السنين باتفاق علماء المذاهب الذين يعوَّل عليهم وهم سادات الأمة وحماة دينها ، ولم يبق لكل مسلم إلا أن يتبع مذهباً من هذه المذاهب الأربعة لعجزه عن فهم الكتاب والسنة واستنباط الأحكام منهما بنفسه ، فيكون قد اتبع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ مقلِّداً في فَهْمِهما ذلك الإمام ومن تبعه من أئمة مذهبه الذين اطَّلعوا على كلامه جيلاً بعد جيل ، وطبقوه على أدلَّة الكتاب والسنة قبيلاً بعد قبيل ، فما رأوه موافقاً لها من أحكام المذهب وأكثره قبلوه وأثبتوه واعتمدوه ، ومارأوه مخالفاً - وهو النزر القليل - زيَّفوه وضعَّفوه جاعلين محطَّ[1] نظرهم كتابَ الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، وما لم يخرج عنهما من الإجماع والقياس بدون محاباة لإمامهم ولمن وافقه على قوله الضعيف ممن جاء بعده من أئمتهم ، فالأمة المحمدية - ولله الحمد - لم يخرج باقتدائها بهؤلاء الأئمة عن اتِّباعها لكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ .

أما الاجتهاد فلا يدَّعيه اليوم إلا مختل العقل والدين . .إلى آخر ما قاله ، فراجعه في : ٤ .

وفي « ديوان المدائح النبوية » للنبهاني :

وكم من قرون قد توالت ولم يَجُل   بدعوى اجتهاد مطلقٍ عالمٌ فكرا

انتهى عبارته ٣٥٤ .

وقال في هامشه : قرون مئات من السنين لم يدَّع أحد فيها الاجتهاد

---

(١) في نسخة : محلّ نظرهم .

المطلق ، حتى أنَّ الإمام الغزالي والفخر الرازي – وهما من أهل القرن الخامس – قد صرَّح كل منهما بأنه لايوجد في عصرهما مجتهد مطلق[1] . انتهى فراجعه من هامشه في صفحة ٢٥٤ .

ولافرق بين الاجتهاد في الأحكام الظاهرة والباطنة ، فإذا انقطع الاجتهاد في الظاهرة منذ قرون فانقطاعه في الباطنة يعلم بالطريق الأولى ، فقد كان واحد من أهل العلم طلب منَّا سلوكه في الطريقة النقشبندية فسلَّكناه فيها ولقَّنَّاه الذكر القلبي ، فذهب من ذلك سنون ، ثم جاء لدينا وطلب أيضاً سلوكه في الخلوة والأربعينية فمنعناه منه خوفاً عليه من طُرُوِّ مرض ماليخوليا ، علماً منا أن حاله مستعدٌّ لذلك المرض ، فأساء لدينا أدبه ، وحثّثناه أن يذهب لدى شيخنا سيف الله قدس سره ، فذهب لديه وسلكه في الشاذلية ومضى من ذلك زمان ، ثم أساء معه الأدب أيضاً ، وكتب لديه شيئاً يسوء[2] به ظن الشيخ ، فقال الشيخ : إنه كتب لديه شيئاً لو أُلقي في البحر لتكدَّر به ، ثم بعد زمان انقطع عنه كما انقطع عنا ، فسلك بنفسه فادَّعى بعد ذلك بأنه قطب ، وأنه خليفة النبي عليه السلام ، وأنَّ طريقته طريقة جذبية ، ونسخت بها جميع الطرق ، كما نسخ كل الأديان بدين نبينا عليه الصلاة والسلام ، وقال : لا يفتح لأحد بعد الآن إلى يوم القيامة إلا بطريقته المخترعة بنفسه ، وادعى القطبانية ، فقد يردُّ دعواه بما قال[3] الإمام الرباني النقشبندي قدس سره : **نسبتي هذه تبقى بواسطة أولادي إلى يوم القيامة ، حتى أنَّ الإمام المهدي يكون على هذه النسبة الشريفة .**

---

(١) وفي « بغية المسترشدين » في ٧ كلام نفيس في حق انقطاع الاجتهاد ، حتّى أن الإمام السيوطي رحمه الله تعالى لم يدع الاجتهاد الاستقلالي – مع سعة اطلاعه وباعه في العلوم وتفنّنه بما لم يسبق إليه – ، بل النسبي ولم يسلم له . فراجعه . (لكاتبه الطلقي نور محمد رحمه الله تعالى وغفره) .

(٢) في نسخة : يسودّ به .

(٣) في نسخة : ما قاله .

وكان يقول : طريق أكابر النقشبندية كبريت أحمر مبني على متابعة السنة ، فالواجب أن يزين باطنه بنسبتهم ، و يزين ظاهره بمتابعة السنة المطهرة ، كما هو مذكور في « البهجة السنية » فراجعه في ٧٥ .

وفي « شرح سلك العين » : إن الشيخ المهدي وزير عيسى يكون من أهل هذه الطريقة . وناهيك به فخراً . انتهى فراجعه قبيل بيت :

أهل المروّة ماتوا وهي أيضاً . . . . .إلخ .

وقد حصل بهذا الرجل المذكور وبأقواله ضرر عظيم للخلق ، لكن قد جرت عادة الله أن مَن تحلَّى بما ليس فيه يفضحه مجرَّبات الزمان ، وأنه تعالى يُحقُّ الحق ويبطل الباطل .

وأيضاً إن **الطريقة النقشبندية هي طريقة الصحابة رضي الله عنهم الباقية على أصلها من غير زيادة ولا نقصان** ، وواسطتها الصِدِّيق الأكبر أفضل الخلق بعد النبيّين ، رضي الله عنه ، وهي أم الطرق[1] وسلطان الطرق ، وهي أيضاً الطريق الأقرب الأفضل الأقوى الأتم الأكمل الأحكم الأوضح ، والمشرب الأعذب المصون عن كل قادح ، وجميع أركانها وشروطها وآدابها عين الشرع ولبُّ القرآن وحقيقة القرآن ، وفي حقها أدلة جملة وتفصيلاً ، كما ذكر جميع ما ذكر الشيخ أحمد ضياء الدين في « متمماته » في : ٩٧ .

فنسخ هذه الطريقة وتغييرها وتبديلها بطريقة مخترعة باختيار مثل ذلك الرجل المذكور مما لا يقبله عقل ولا نقل ، وقد يعلم مما مرَّ من قول سيد الطائفة خالد البغدادي : (من غيَّر أصول طريقتنا فليس منا) كون أمثاله مطرودين عند المشائخ ومردودين عن طريقتهم . فتدبّر ! !

---

(١) في نسخة : أم الطرائق .

وقد حصل للخلق بظهور هؤلاء الطائفة ضرر عظيم ، وللدين نقص كثير ، وظهرت الفتن بسببهم ، وعمَّت بهم البلواء والمصائب في النفوس والأموال ؛ حتى مسَّت أيدي الأعداء على كلام رب العالمين الذي لا يمسُّه إلا المطهَّرون ، ووطئت أرجلهم على أوراقه ، وأَحْرَقَتْ[1] البيوت والقرى ، وأصاب البنين والبنات الجوع والعري ، **فكل هذه المصائب والفتن إنما عمَّت على الخلق بأقوال أهل الدعوى وأعوانهم** ، إنا لله ، وإنا إليه راجعون . فالحكم لله العلي العظيم . عصمنا الله تعالى من أمثالها بعد الآن ، وغفر لنا ولهم أجمعين .

فإذا كان الحال في أحوال المتشيخين هكذا ، وتفرَّقت أبعاضٌ من الأمة على فرق كما تفرَّقت اليهود والنصارى ؛ وجب على كل مَن له عقل سليم أن يكون مع السواد الأعظم ، ويتبع من تمسَّك بعروة طرق الأئمة ، فالشذوذ منهم ومما تمسَّكوه شذوذ عن دين[2] النبي عليه السلام ، فقد قال يوسف النبهاني قدس سره في « شواهد الحق » ما حاصله : إن نسبة الكفر إلى من شذَّ عن السواد الأعظم أقربُ ، لأنه اتبع غير سبيل المؤمنين ، قال تعالى ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا** ﴾ انتهى عبارته . فراجعه في صحيفة ٨٩ .

فالكل من العلماء يقولون : يجب على الخلق أن يصوموا ويصلُّوا ويُزكّوا ويحجُّوا ويفعلوا كل شيء على وفق ما في الكتب ، فكذلك يجب عليهم أن يقولوا : يجب أن يكون الشيخ كما ذكر الأئمة أوصافه في كتبهم ، وأن يستعمل طريقته وفق ما في الكتب ، ويجب عليهم أن ينكروا على جميع مَن غيَّر الطريقة واختلط فيها البدع الشنيعة .

---

(١) وفي نسخة : واحترقت البيوت .

(٢) وفي نسخة : بدون دين .

وقد قال الإمام الرباني قدس سره : إنَّ إحداث شيء في الطريقة ليس هو عند الفقير بأقل من إحداث بدعة في الدين ، وبركات الطريقة إنما تفاض وتعود على أهلها ما لم يُحدَث فيها مُحْدَث ! فإذا حدث فيه[1] محدث ينسدُّ طريق الفيوض والبركات ، **فحفظ الطريقة من المحدثات من أهم المُهمَّات** ، والاجتناب عن مخالفة الطريقة من الضروريات ، فكل موضع رأيتَ فيه مخالفة الطريقة ينبغي زجره ومنعه بالمبالغة ، والاجتهاد في ترويج الطريقة وتقويتها . والسلام . انتهى عبارته ؛ كذا في « الدرر المكنونات » فراجعه في ٢٨١ ، من الجزء الأول .

ومن البدع التي يستعملونها : **الرقص والسماع والتواجد ورفع الأصوات بالذكر وإنشاد الأشعار والنغمات** مع أنهم يقولون : إنهم نقشبنديون . والحال أنَّ النقشبنديين لم يجوِّزوها ، ولم يقبلوا الأحوال المترتبة عليها باتفاق منهم وإجماع ، بل بالغوا في المنع عن ذكر الجهر ، واعتقدوه بدعة في طريقتهم الخاصة بهم ؛ وإن ورد في طريقة غيرهم ، كما بسط الإمام الرباني الكلام في ذلك في « مكتوباته » ، وذكرنا في « تنبيه السالكين إلى غرور المتشيخين » باباً مستقلاً في حقه .

فها أنا أذكر نبذة يسيرة ذكرها الإمام الربَّاني في بعض مكاتيبه مما لم أذكره في ذلك الباب في الكتاب المذكور .

قال قدس سره بعد ذكره كلاماً في كون الذكر الجهري بدعة في تلك الطريقة النقشبندية :

واعلم أن الرقص والسماع داخل في الحقيقة في اللهو واللعب ، وقولُه تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾ . . . الآية نازل في شأن المنع عن الغناء . كما قال مجاهد الذي هو تلميذ ابن عباس من كبار

---

(١) قوله (فيه) كذا في الأصل (منه) .

التابعين : إن المراد بلهو الحديث الغناء . في « المدارك » لهو الحديث السمر والغناء . وكان ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم يحلفان أنه الغناء .

وقال مجاهد في قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ أي لا يحضرون الغناء .

وحكي عن إمام الهدى أبي منصور الماتريدي : **مَن قال لمقرئ زماننا (أحسنت) عند قراءته! يكفر ، وبانت منه امرأته وأحبط الله كل حسناته .**

وحكي عن أبي نصر الدبوسي ؛ عن القاضي ظهير الدين الخوارزمي : مَن سمع الغناء من المغني وغيره ، أو يرى فعلاً من الحرام فيحسن ذلك باعتقاد ؛ أو بغير اعتقاد يصير مرتدّاً في الحال ، بناء على أنه أبطل حكم الشريعة ، ومَن أبطل حكم الشريعة ؛ فلا يكون مؤمناً عند كل مجتهد ، ولا يقبل الله طاعته ، وأحبط الله كل حسناته[1] . أعاذنا الله سبحانه من ذلك .

والآيات والأحاديث والروايات الفقهية في حرمة الغناء كثيرة جداً ؛ على حدٍّ يتعذَّر إحصاؤها ، ومع هذه كلها لو أورد شخص حديثاً منسوخاً ؛ أو رواية شاذة في إباحة الغناء لا ينبغي اعتباره منه ، فإنه لم يُفْتِ فقيه في وقت من الأوقات بإباحة الغناء ، ولم يجوِّز الرقص والضرب بالأرجل كما هو مذكور في « ملتقط » الإمام الهمام ضياء الدين الشامي ، وعمل الصوفية ليس بسند في الحلِّ والحرمة ، أما يكفيهم أن نعذرهم ولا نلومهم ! ! ونفوِّض أمرهم إلى الله تعالى !

والمعتبر هنا قول الإمام أبي حنيفة والإمام أبي يوسف ، والإمام محمد رحمهم الله تعالى ؛ لا عمل الشبلي وأبي الحسين النووي ! ! وقد

---

(١) اشترط الإمام الشافعي رضي الله عنه لحبوط الحسنات الموت على الكفر .

جعلت الصوفية القاصرون اليوم السماع والرقص دينهم وملَّتهم ، مستندين إلى عمل مشائخهم واتخذوه طاعتهم وعبادتهم أولئك ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا ﴾ ، وقد علم من الرواية السابقة أن مَن استحسن الفعل الحرام فقد خرج من زمرة أهل الإسلام وصار مرتدّاً ؛ فينبغي التأمُّل ماذا يكون شناعة[1] تعظيم مجلس السماع والرقص ، بل اتخاذه طاعة وعبادة ! ؟

ولله سبحانه الحمد والمنَّة لم يقبل مشائخنا بهذا الأمر ، وخلَّصوا أمثالنا المقلِّدين من تقليد هذا الأمر .

وقد نسمع أنَّ المخاديم يميلون إلى السماع ويعقدون مجلس السماع وقراءة القصائد في ليالي الجمعة ، وأكثر الأصحاب يوافقونهم في ذلك الأمر ، والعجب ألف عجب أنَّ مريدي السلاسل الأخرى إنما يرتكبون هذا الأمر مستندين إلى عمل مشائخهم ويدفعون الحرمة الشرعية بعملهم ؛ وإن لم يكونوا مُحِقِّين في هذا الأمر في الحقيقة ! ! وما معذرة أصحابنا في ارتكاب هذا الأمر ، وفيه ارتكاب الحرمة الشرعية من طرف ، وارتكاب مخالفة مشائخ طريقهم من طرف آخر ؟ ! فلا أهل الشريعة راضون عن هذا الفعل ، ولا أهل الطريقة ! فلو لم يكن فيه ارتكاب الحرمة الشرعية ؛ لكان مجرَّدُ إحداث أمر في الطريقة شنيعاً ! فكيف إذا اجتمع معه ارتكاب الحرمة الشرعية ! ! واليقين أن جناب المرزاجيو لا يرضى بهذا الأمر ، ولكن لا يصرح بالمنع أيضاً رعاية للأدب معكم ، ولا ينهى الأصحاب عن هذا الاجتماع أيضاً ، والفقير لما أحسست توقُّفاً في مجيئي كتبت هذه الفقرات وأرسلتها إليكم ، فينبغي قراءتها من أولها إلى آخرها عند المرزاجيو . والسلام . انتهى من « الدرر المكنونات » عبارته . فراجعه في ٢٧٩ من الجزء الأول .

---

(١) وفي نسخة : شفاعة .

وقد سمعنا عن أفواه الثقات أنَّ الرجال والنساء يكونون مختلطين في مجلس السماع والرقص ، بل قال واحد : إنه رأى امرأة تدور كالرحى بخلع ما على رأسها من الخمار تصيح بصيحات ؛ والحال أنَّ وجهها و رأسها منكشفان ، وذوائبها متدلية ، والرجال ينظرون إليها ! ! فشناعة هذا الأمر غني عن البيان ، وتجويز أمثال هذه الأمور القبيحة المحرمة بقول (إن طريقتهم طريقة جذبية) مقلِّدين في ذلك شيخهم المدعي الكذَّاب ! ! لا يقبله كل مَنْ له عقل سليم . أعاذنا الله تعالى وجميع إخواننا من أمثال هذه المذكورات ، وغفر لنا وللمؤمنين والمؤمنات . آمين ؛ يا مجيب الدعوات ، ويا مقيل العثرات .

وقد ألحقت الكلام في حق هذا الشأن بنظم ذلك العالم المحقق ببلات القُلْزمي شكر الله سعيه ليكون خدمة له ، وليعلم الناس أنه لم يتكلم من قبل نفسه ، بل تكلَّم بما هو مذكور في الكتب ، ولولا خوف الإطالة والسآمة ؛ لأتيت لكل كلام صدر منه نقولاً ببيان مواضعها ، فجزاه الله عنا خيراً ولا يلقاه بعد الآن ضرّاً . وليكن هذا ذيلاً لهذا الكتاب ، وأرجو الله تعالى أن يكون نافعاً للعباد وسبباً باعثاً لهم للدعاء لهذا الفقير القحي سامحه الله من فرطاته ، ورحم الله إفلاس أعماله . آمين .

انتهى في ١ يوم السبت من ربيع الأول من سنة ١٣٤١ .

تقريظات للمؤلف والكتاب

تقريظ حبيب الله القحي قدس سره

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ بعد الحمدلة والتصلية فلقد نظرت إلى هذا المؤلف العظيم الشأن ، البديع المعاني والبيان مرة بعد مرة ، وكرة بعد كرة فوجدت تحت كلّ كلمة فيه درة ، وفي كل ذرة منه لذة . وقد حرر مؤلفه فيه كل محبوب ، ونقل إليه كل مرغوب ، من أقوال صحاح ، وألفاظ

شراح ، هي خلاصة أنظار أصحاب الصفا ، ونتائج أفكار ألباب الوَفَا ، وأودع فيه الأجوبة المرضية ، والإشارات الصوفية ، والمنافع الأدبية ، والفوائد الأخروية ، وأتى في كلّ جواب بالعجب العجاب ، وبجميع الأهم والصواب ، وغرس شجرة جوده في صحن الصحراء : أصلها ثابت وفرعها في السماء ، ولم يهمل فيه من المحاسن أدناها وأقصاها فلا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، فسبحان من وهب من شاء ما شاء ؛ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وقد طابق اسمه مسماه ووافق داله معناه فهو على علو مؤلفه أدلّ دليل ، ولسان حاله ناطق بالثناء الجميل . فياله من مصنف عزيز المثال غزير المنوال فمن وقف عليه ازداد يقيناً وأخذ في طرد شكوك الأوهام نوراً مبيناً . وبالجملة فلم يصنف على مثاله مصنف ولم يجمع ما جمعه في تلك البروج أحد من سلف وخلف ولقد حق فيه قول من قال :

كتاب لو تدبره ضرير ... لعاد كريمتاه بلا ارتياب
ولو مرت حوامله بقبر ... لصار الميّت حيّاً في التراب
جميع الكتب يدرك من قرأها ... ملال أوفتور أو سآمة
سوى هذا الكتاب فإن فيه ... بدائع لا تملّ إلى القيامة

فنسأل اللهم أن تجعل سيئاتنا سيئات من أحببت ، ولا تجعل سيئاتنا سيئات من أبغضت ؛ والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيد المرسلين محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ، ناصر الحق بالحق ، والهادي إلى صراطك المستقيم ، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم .

كتبه الحقير الفقير المغرور القاضي الضروري حبيب الله القحي وإن لم يكن أهلاً في هذا المقام لأن التشبه يكرم الطفيلي في ساحة الكرام لما ورد « من تشبه بقوم فهو منهم » ، كما أنهم قوم لا يشقى بهم جليسهم والسلام على من اتبع الهدى وصدّق بالحسنى . ولإتمام السنة ختمت في اليوم الأول من شهر ربيع الأخير ١٣٤٠ . حبيب الله رحمه الله تعالى .

تقريظ غازي محمد العوري رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم حمداً لمن أنار قلوب أوليائه بأنوار الشوق والشهود ، وأضاء وجوههم بالأنوار الحاصلة من أثر السجود ، وفتح لنوع الإنسان جميع أنواع العلوم والعرفان ؛ وهم عند ربهم في غاية الخوف عن القصور والنقصان . فسبحان من فضّل من شاء بالهداية ، وأضلّ من أراد بالغواية ؛ وصلاة وسلاماً على خير خلق الله محمد حبيب الله .

أما بعد فلقد أقبل عليَّ تأليف شيخي شمس العارفين ، وعمدة السالكين مولانا الشيخ الحليم حسن حلمي أفندي فطالعت فيه مطالعة إجمالية ، ونظرة إهمالية كما هو عادة مثلي القاصر الباع ، الغير المتأهل للخوض في مثل هذا البحر المتلاطمة الأمواج مع وحشة البقاع ووجدتني في هذا المسلك كالمجنون ، ويقال : إنّ الجنون فنون .

ورأيت هذا التصنيف كظرف ياقوت فيه المصباح أنار الآفاق عند الصباح ، أجوبة مسائله كالدرر والمرجان ، طرزت حواشيه بالجواهر والزعفران ، أراضيه مملوّة فجاجاً ، وسمواته مزدحمة بروجاً ، جُدَدُه آمنة عن التهلكة والسباع ، والسائر فيها ناج عن الضياع ولاغرو فكم له مثل هذا من المصنفات البديعة ، والمؤلفات البريعة ، ولم يتخط عما في المسائل من المشكلات ، ولا في الأجوبة من المعضلات ، بل اعتنى في سرد الزوائد للمستفيدين من الأقران والأتراب ، مثل الأدعية المجربة ، وسلاسل الأحزاب لتكون نافلة لمن يطلب بقراءتها اقتباس الأنوار ، ويجتني بأورادها الفواكه والثمار . فلله دره مؤلفاً ما أعظم همته في إحياء هذه الطرائق وبذل روحه - وروحي فداؤه - بما فيه الهداية التامة العامة للخلائق فعلى الله عونه ونصره ، وعلى الناس شكره فجزاه الله عنا وعن جميع المسلمين بأحسن الجزاء ، وأدام نصره ونصر جنده ، وأطال عمره ، وأعلى مقاماته مع الأولياء . آمين يا مجيب السائلين . فقلت :

أمــنكرو هذا السفر ماذا ترونه　　أفيــه كـلام لا يـوافــق نــقله

كأني إذا ما عاد نظري طروسـه　　رأيــت اللآلــي حسنها لا تمله

عباراته مستجـمـعـات فـرائـداً　　ومـن يـسـتـفد مـنـهـا أتاه نواله

فــفي كـل لفظ منه دعوة جنده　　إلـى حـضرة الرحمن جل جلاله

كـذا إنـه بـحرٌ تـلاطـم مـوجه　　مـن اصـطـاد دُرّاً فـليشمّر ذيوله

فلما كان الطائر لا يطير إلا بجناحيه قوياً أو ضعيفاً ، وكان قلبي في ارتكاب مثل هذا مألوفاً آمل جميع الإخوان في الدين أن يدعوا لنا في المجالس مع الصالحين ، والحمد لله ربّ العالمين . غازي محمد العوري رحمه الله تعالى .

تقريظ جمال الدين نجل ابن قحي

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على النبي ذي الخلق العظيم . فلما أشرق نور السعادة من أفق العلامة صار كل العالم منوّراً مشرقاً فرحاً مستبشراً حامدين شاكرين على زوال ظلمة الليل الداجي بتتابع النور الساري مستمدين من نور تلك السعادة ، ومستنزلين مستزيدين من ضياء تلكم الطلعة البهية والنظرة الحسنة ، صاعدين هابطين من الأفق العالي ليتعجبوا من عجاب المعدن ، وليتلذذوا برؤية جنة العدن ؛ فقوم بظاهرهم ، وجيل بباطنهم مع ظاهرهم ففاح عَطْر أزهار جنان وشم به أرواح حسان فامتلأ باطنهم برائحة مسك وعنبر ، وجلا ظاهرهم بسماتٍ لمن له عِبَرٌ ، ولبس كل من له فقه وعلم حُلَل تلك الجنة العلية ، وفازوا بدرر تلك البهجة السنية وشربوا من عين تسمى سلسبيلاً ، وارتووا من حوض جاء من قوم مسلسلاً ، وعانقوا حوراً ، وجالسوا بدوراً ونسوا بلذة مسامرتهم دُنْياً وأغياراً ، وغرقوا في نعم أبدية ومنح سرمدية ، وخلصوا من محن مهلكة وخُلُق ردية .

فهذا الكتاب قطرة من ضياء هذا شمس الضحى ، وهذا العجاب قطعة من نور هذا بدر الدجى فجاء ببحر فيه الدرر واللآلي كلما غاص فيه وازداد فاز بالنفائس والغوالي ، وكلما أدام السباحة فيه أشرق على سطح قلبه نور الجواهر والعوالي فأوقدت نور درره نار شوق السعي إلى حضرة رب العزة والجلال ، وهُيَام صحبة العارفين بالكمال ، وأفصح ألسنة بلا بَلَهٍ بأن الصحبة : هي صحبة هذا القوم ، والكمال هو كمالهم ، وأن ليس ما سواهم إلا كالأنعام التي هم في أكل وشرب على الدوام ، وإن لم يخلق الإنسان لحظوظ هذه الدنيا الدنيئة بل لاستعداد تلكم الدار العلية فكون من لم يتنبه له عالماً أو جاهلاً أخسّ حالاً ولوكان سيّداً أو مخدوماً فَرَعْوَتُهُ إلى السيادة الأخروية بتوسل هذه الأمّة العلية إذ لا طاقة للعروج إلى السطوح إلا بمعارج أهل الفتوح ولا سبيل إلى ملك الملوك قبل الرقيب ، والحاجب من أهل السلوك فهو شمس أشرق من نوره ، القلب الذي هو العالم الأكبر ، واستنار به هذا العالم الأصغر لا يرى نوره الحسدة ، ولا ينتفع من ضَوْئِهِ الحقدة بل المحصول لهم هو التبكيت والحيرة مع التنكيت بل لو قلب كافر مستور ورقه لأسلم وانفتح قلبه بل هو جوهر ما شبهه جوهر ، وكنز ما مثله كنز ، ودرّة ما يوازيه درّة ، وذهبٌ ما علاه ذهب ، وفضته ما غلاها فضَّة ، ومسك ما على نهج مسك ، وعنبر ما على منهج عَنْبَرٌ ؛ يتعجَّب منه أهل الفطنة والذكاء ، ويعترف به أهل العفة والصفاء ، وينجلي به صدأ قسوة الأذهان ، ويرتدي به حلل جنة بإعلان ، لا يرجع منه لمحة بنظرة إلا مع فوز نعمة ودفع نقمة وكلما كرر النظر إليه فاز عليه من سحائب الرحمة والعرفان ما لا تطيق على إفصاحه ألسنة ، وانصبّ عليه من دلائل العلوم والحكم ما لا يحيط به من الراقم أقلامه .

فهذا التأثير العجيب والتسليم الغريب علامة وَعْظه بِفِعْلِهِ على نهج من وعظ بفعله نفذ سهامه ومن وعظ بقوله ضاع كلامه ؛ على أن التصوف

هو العمل بالعلم وحصول اليقين بالمعتقدات الشرعية واليسر في أداء الأحكام الإلهية . فيعلم به أن نفس صاحبه بدن منيف وجسم شريف له مرابطة بعالم الملكوت ، وملازمة بعالم اللاهوت مع الأرواح المهذبة ، والنفوس المنقدة ؛ فلله الحمد والمنة على وجود مثله لإحياء ما اندرس من علوم الشريعة والطريقة والحقيقة ، ولإرشاد الخلائق الذين كانوا في خداع المتشيخين إلى سبيل العارفين الواصلين الموصلين وفقنا الله تعالى لتصديق طريقهم وتسليم سبيلهم ، وأفاض علينا من فيوضاتهم ، ورجاؤنا أن يجودوا لنا بنظرة عند تموّج أمواج بحور المهاوي والمهالك في عقبات ودركات النفوس والأعادي . من الخادم الملام جمال الدين نجل ابن القحي . انتهى .

تقريظ باي ميرزا الخباري

وهذا الكتاب الذي ألفه العارف حسن حلمي ؛ فيه دلالة واضحة على رفعة شأنه وعلو مقامه وقد عذب مشربه عند كل أحد من ذوى الألباب حتى صار فوق كل كتاب ألّفه المؤلفون في هذا الباب ؛ كيف لا وأكثر ما فيه عين سنة وكتاب موافق لما عليه أعلام الأئمة بلا ارتياب ، ولكن تفرق كلمة الصوفية في هذه الأعصر والأعوام . قد جرح قلوب الخواص وخواطر العوام ، وأوقعهم في مشقة الوساوس والأوهام ، وذلك ظاهر لدى كل أحد من الأنام والعلم الحقيقي عند الملك العلام .

من الفقير إلى رحمة البارى باي ميرزا الخباري .

تقريظ القاضي إبراهيم الهؤوري

بسم الله الرحمن الرحيم : لما طالعت هذه المؤلّفة البديعة والمصنّفة البريعة وجدتها مزيل صدأ الأذهان عن قلوب فقراء الزمان ، ومذهب الداء عن الخواص والعوام ، ومشبع السائل والمحروم مرصعة بالدرر

الحسان ، ومشحونة باللؤلؤ والمرجان ، بلغت الغاية في جمع الفوائد ، وقطعت المسافة في سرد الفرائد . فها هي مع التلخيص والخلاصة والتنبيه والترجمة كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها شهاب في السماء ساطع ، وعلى بساط الأرض لامع ، نور على نور يهدي الله من يشاء لنوره ؛ ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور . فلا أقسم برب المشارق والمغارب أنها لعجب عجاب ، وجرابٌ مخزون ، في صدر حسن ميمون إلى أجلّ معلوم في الحين ، أُبرزت في حينه من الزمان ، فحق فيه ما قال لنبيّه رب العزة والعلى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ بحسن سبكها تنشرح الصدور وتلذ الأعين ، وحلاوة ألفاظها تسر الناظر الغير المكابر ؛ وفيها فليتنافس المتنافسون ، وبمثلها فليسبك السابكون فيا أحسن صنع ولد آدم أدامه الله بمرامه على الدوام ، وعمَّره وأبقاه لهداية الأنام ؛ كيف لا مع أنه يعسوب العلماء الكَمَلَة الخيرية في الأعصار القبلية والبعدية ، وأسبق الأشخاص الإنسانية في العلوم والمعارف الإلهية ، وأسرع الفرسان الداغستانية في إبداع المعارف والمحاسن البشرية ، ومصنفاته شاهدة عليه بالبديهية فليقف عليها من لا يشتبه الرصاص بالفضة في الرواج ؛ ولا يقول للعسل هذا ملح أجاج وليعضّ عليها كلّ منصف صَوَّابٍ ، ولا هو بمُتَعَصِّبٍ عَتَّابٍ ، وذا ليس من شأن خلّص عباد رب الأرباب ؛ جعلها الله تعالى ذخيرة إذا جاءت الطامة وسبباً لرحمته الخاصة والعامة الحمد لله حمداً متوافراً ، والشكر له شكراً متكاثراً : يا ربّنا اغفرلنا ذنوبنا وأنزل علينا من بركات أشياخنا ، وأَفِضْ علينا من فيوضاتهم ، ولا تحرمنا من قبولهم وشفاعتهم ؛ إنك على كل شيء قدير ، وبالإجابة جديرٌ ؛ وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . كتبه أفقر الفقراء القاضي إبراهيم الهؤوري .

عجبت على هذا البروج المشيـدة فكيف طوى فيه النصوص المؤيّدة
فيا حبّذا هـذا الـمـؤلـف قــدره فشتان في الأكوان في العلم مثله
فطوبى لأهل العصر أهل زمانه تــلـقــاه أحـيـانــاً عـليماً بقدره
فويل لمن عاداه جـهـلاً بـقـدره فـآه على من لم يذق من رحيّته
انتهى .

تقريظ عبد الحفيظ الأحلي

أمـا ذاق عـلـم الـعـارفـين وكنهـه قلوب من الجهل الزميم بها الصدأَا
تبـاعـد درك الـداركـيـن شـأوهـم وإن كـان فـوق العاليات لهم وطئَا
وها هم رجال الغيب أولو الهدى فما يـرى أبـداً مـن بـين أظهرهم خطئَا
تـرى حـسـن الـقحي منبع أكـؤس لـنا من شراب الرشد قد ملئت ملئَا
تعـارف بـيـن الأولـيـــاء فـإنــه تـلألأ فـيـنـا مـن مـعـارفـه ضوءَا
وها هو شيخ العـالـمـين ومـرشـد رشـيـد لأمـراض القلوب به البرءَا
فكم عالم قد ضلّ في بـحـر علمـه مـراكـبـه مـن جـهـله هدأت هدءَا
فطوبى لمن قد زار نـحـو جـنـابـه ووـيـل لـمن وافـاه من جهله هزءَا
وما لامرئ شيخ البسيطة يفـتــرى ومـا أن رأيـنـا مـن مـثـالـبه شيئَا
فكــذب لـعـمـر الله قـولك مالهم شـعـور بـشـرع الله كـلا ولا جزءَا

مما أنشأ الطالب الأحقر عبد الحفيظ الأحلي منتصراً للشيخ العارف بالله تعالى المرشد الحق حسن أفندي القحي قدس سره .

تقريظ محمد الشتوطي رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم لما طلعت هذه المؤلفة البديعة والمصنفة البريعة وجدتها مزيل صمداء أذهان

رسالة رصعت في عقد جوهرها ... عجائب النصح والذكرى مع الأدب

ريحانة نشرت في المغربين سرت ... تشمَّ قطّ عبادُ الله في الحُقبِ

جرابة حشية بالمسك لو شممت ... رياه محتضر تشفيه من طرب

لا عرق تلفحها لا طيب يعدلها ... لا سلك أزهر من جمع ومن سكب

علاج أهل الشقا دواء أهل التقى ... ذلال أهل الهدى من عطش ملتهب

يا نعم هذا المنى من مرشد قد بدى ... أنواره بين شرق الأرض والغرب

لو رسمت مثلها في صفحة قمر ... لنقّشوا رسمهم بالحبر من ذهب

فكيف لا وجماهير النقول لها ... أئمة قرروا في العجم والعرب

بل حاز إبراجه جمع شيوخ بما ... قد شيدت بالنصوص الفص من ذهب

لله من درّ شيخ العصر مرشدنا ... قد منح الواردين العين[1] من وهب

وخاصة في زمان البحر قد غورت ... مياهها في غدير الجهل منجرب

تعطلت في أصول الدين أرسمه ... وانتقبت ظلمات الغي من نوب

خلاصة الدرك منّا في حقيقة ... شمّ رياحين مسك الهند من لهب

لا ندرك الفاني الباقي بل يدركه ... ممّن له منح من فيض منجذب

---

(١) وفي نسخة : الحوض .

فأين معرفة المحجوب عن حضرات	الحـق مَـــنْ عــنده في عزة القرب

فـمبلـغ العلـم مني إنـه بــشـــر	كـساه ثـوب التقى والحلم والأدب

قد تنكر الأعين الرمداء الشمس ضحى	يـــا ويـــح مـنـكره قد باء بالغضب

جـلا المحق لنـا عن مبـطل كـذب	كما انجلى الماء في القيعان من سَرَبٍ

جزاه أفضل من يجزى له عــملاً	لمـــا أتـى ببديع الفضل من جذب

ثـم السلامان من هـذا الخسير إلى	مـن دان حـضـرته في أقرب الرتب

محمد المصطفى من أشرف النسب	وآلـــه الطـيبين الأنـجـم الـشـــهـب

ما دام غيم الحيا في الجو طــافـقةً	وساق ريح الصبا في الأرض من سُحُبٍ

من أفلس عباد الله الحقير الفقير ذي العجز والتقصير محمد الشتوطي النقشبندي الخالدي في مدح كتاب – أي البروج المشيدة – الشيخ المرشد الكامل سيدي حسن أفندي القحي النقشبندي الشاذلي القادري قدس الله أسرار أهاليها ، ونور الله ضرائحهم وأفاض علينا من فيوضاتهم آمين ، والسلام . وأوصيكم بالدعاء أيها الإخوان .

الفهرس

البرج الرابع

البرج الخامس

البرج التاسع

البرج العاشر

البرج الثاني عشر

في بيان عدم وقوع التنازع بين الصادقين من المشائخ

البرج الثالث عشر

في جواب مسألة : من الشرك اتخاذ الأولياء شفعاء من دون الله

البرج الرابع عشر

البرج الخامس عشر

خاتمة

تذنيب